

الثورة العربية الكبرى

تاريخ مفصل جامع للقضية العربية

في ربع قرن

تأليف

أمين سعيد

المجلد الثاني

النضال بين العرب والفرنسويين والإنكليز

مكتبة مدبولي

اسم الكتاب : الثورة العربية الكبرى

تاريخ مفصل جامع للقضية العربية فى ريع قرن

اسم الكاتب : أمين سعيد

المجلد الثانى : النضال بين العرب والفرنسيين والإنكليز

الناشر : مكتبة مطبولة ٦ شارع طلعب حرب القاهرة

تليفاكس ٥٧٥٦٤٢١ ت : ٥٧٥٢٨٥٤

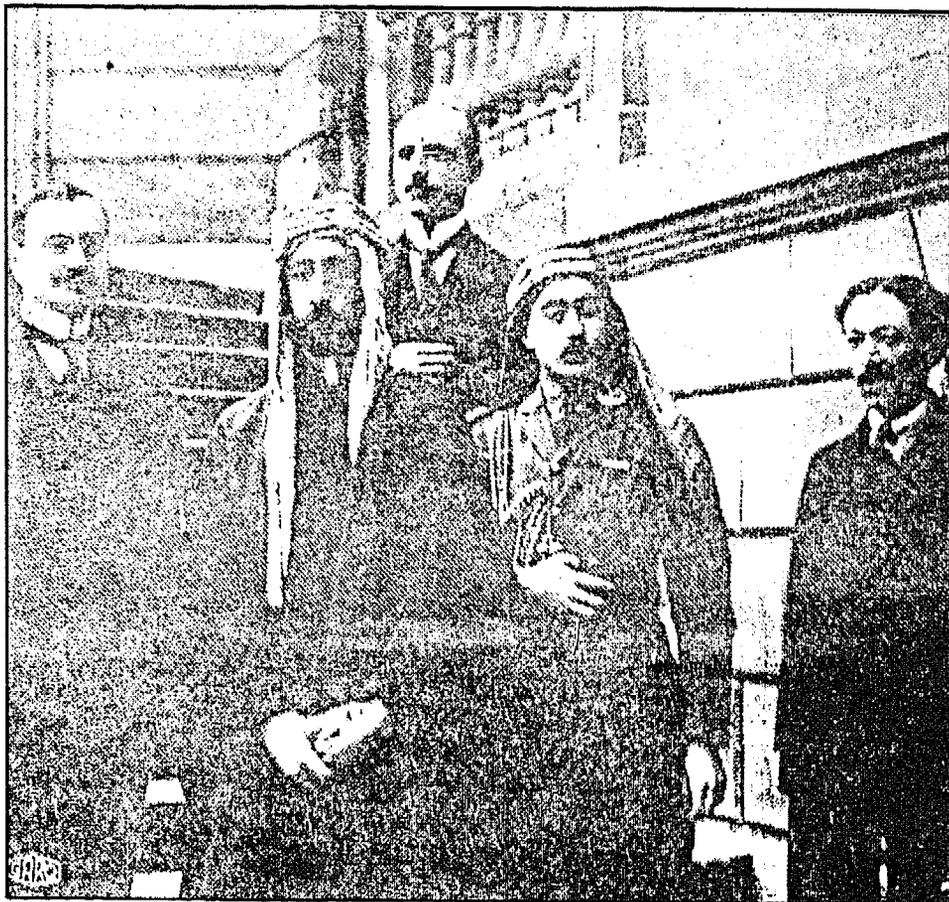
الجمع التصويرى : أبو مسلم للكمبيوتر

ت : ٣٥٥٨٩٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبيه العربي، وعلى إخوانه
المرسلين وصحابته والتابعين

أما بعد فهذا هو المجلد الثاني من كتاب «الثورة العربية الكبرى»
ويشتمل على الحلقة الثانية من تاريخ القضية العربية وهي تاريخ
الحكومة الفيصلية من قيامها حتى سقوطها، مع تاريخ القضية العراقية
من ابتداء الحرب العظمى حتى انشاء الدولة الجديدة في بغداد سنة
١٩٢١ - أقدمه للقراء، وأرجو أن ينال قبولهم ورضاعهم والله الموفق
والمستعان.



الوفد العربي إلى مؤتمر الصلح

في الوسط الأمير فيصل، وإلى يمينه الدكتور أحمد قدير مستشار الوفد ووراءه رستم حيدر العضو في الوفد، وإلى يساره تحسين قدير مرافقه العسكري، وإلى جانبه عوني عبد الهادي سكرتير الوفد

١

الدولة الفيصلية في الشام

كيف تأسست الدولة الفيصلية

خطبة الأمير فيصل في حلب

ترجل الأمير فيصل من سيارته حينما بلغ ضاحية دمشق يوم ٢ أكتوبر سنة ١٩١٨ قادما من الأزرق. وكان أعيان الشام وعلماؤها ورجالها قد خرجوا لاستقباله، فركب جوادا عربيا كريما، وسار في موكب حافل يحيط به ١٥٠٠ فارس من رجاله وحاشيته ويأيديهم السيوف والرماح فاخترق دمشق من الجنوب حتى الشمال، ومشى بين صفوف أبنائها الذين هرعوا لاستقباله، ونثروا الزهور والرياحين على موكبه واستقر في منزل محمود بك البارودي، وانصرف على الفور إلى انشاء الحكومة الجديدة.

وفي يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩١٨ أذاع البلاغ الرسمي الآتي:

إلى أهالي سوريا المحترمين

أشكر جميع السوريين على ما أبدوه من العطف والمحبة وحسن القبول لجيوشنا المنصورة والمسارعة للبيعة باسم مولانا السلطان أمير المؤمنين الشريف حسين - نصره الله - ثم أبلغهم المواد الآتية:

- ١- تشكلت في سورية حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالاً مطلقاً لاشائبة فيه باسم مولانا السلطان حسين شاملة جميع البلاد السورية.
- ٢- قد عهدت إلى السيد رضا باشا الركابي بالقيادة العامة للحكومة المذكورة نظرا لثقتي باقتداره ولياقتته.

٣- تتألف ادارة عرقية لرؤية المواد التي يحيلها القائد إليها، بناء عليه أرجو من الأهالي الكرام المحافظة على الهدوء والسكون، والطاعة للحكومة الجديدة، والانقياد لأوامرها والإصغاء لتبليغاتها، وأبلغكم بأني ساكون تجاه جميع الأفراد المنضوين تحت لواء الحكومة العربية كأب شفق. كما أنى ساكون شديد العقاب على من يجرؤ على مخالفة أوامرها والعبث بقوانينها وإيقاع العراقيل في سبيل رقيها وسيرها، ولذلك فإنى آمل من أهالي سورية الذين برهنوا على محبتهم لنا بترحيبهم بنا أم يكونوا مثالا حسنا

للطاعة والسكون حتى يثبتوا للعالم أجمع أنهم أمة لا ثقة للاستقلال، قادرة على إدارة شؤونها بنفسها، ولينعلم جميع الناس أن حكومتنا العربية قد تأسست على قاعدة العدالة والمساواة، فهي تنظر إلى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم وأديانهم نظرا واحدا، لا نفرق في الحقوق بين المسلم والمسيحي والموسوي، فهي تسعى بكل ما لديها من الوسائل لتحكيم دعائم هذه الدولة التي قامت باسم العرب، وتستهدف اعلاء شأنهم، وتأسيس مركز سياسى لهم بين الأمم الراقية.

والله نسأل أن يوفقنا جميعا إلى ما فيه خير العرب وإعلاء كلمتهم والسلام

فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣٣٦ الشريف فيصل

وعلى هذا المنوال وضعت قواعد الحكومة الجديدة فى بلاد الشام برئاسة الأمير فيصل نفسه، وتسلم رضا باشا الركابى الإدارة، ولقب بلقب الحاكم العسكرى العام.

الأعمال العسكـرية فى الشمال

ولما كانت المهمة العسكـرية للجيش العربى لم تنته بدخول دمشق، وكان لابد له من تحرير الأجزاء الباقية من سورية الشمالية، ومطاردة الجيش التركى، فقد غادر لواء الهجانة دمشق يوم ١١ منه بقيادة على جودت الأيوبى مع سرية الشريف ناصر، فدخلوا حمص يوم ١٤ منه بين هتاف الأهالى وتصفيقهم، ثم تقدموا إلى حماه فدخلوها يوم ١٩ منه بعد ماجلا عنها الترك، وفى يوم ٢٠ منه زحفت هذه القوات - وقد تخلف على جودت فى حماه لمرضه فحل محله فى القيادة على رضا العسكرى - قاصدة حلب فأدركت خيالة الإنكليز فى معرة النعمان ملتحمة مع ساقية الجيش التركى، فاشتركت فى القتال فانسحب الترك إلى خان السبيل، وتحصنوا فى خط دفاع أنشأه مصطفى كمال باشا رئيس الجمهورية التركية اليوم بعد ما عهدت اليه وزارة الحربية التركية بالقيادة العليا فى بلاد العرب فحل محل المشير ليمان فون ساندرس.

واشتبك العرب والترك يوم ٢٥ منه فى خان السبيل، فلم يستطع هؤلاء المقاومة فارتدوا إلى شمالى حلب، ووصل فى تلك الأثناء نورى السعيد فتولى القيادة العامة للقوات العربية التى دخلت حلب فى الليل، وفى صباح ٢٦ منه بدأ بمطاردة الترك حتى محطة المسلمية، ثم تلقى أمرا بالعودة إلى حلب فعاد إليها، ومر يوم ٢٧ منه لواء بريطانى من غربى حلب لمطاردة ساقية الترك فدار قتال بين الفريقين قتل فيه قائد اللواء، وفى يوم ٣٠ منه عقدت

الهدنة بين الترك والحلفاء، ووضعت الحرب أوزارها.
وانصرف نوري السعيد بالاشتراك مع الشريف ناصر إلى إنشاء حكومة جديدة، فعين
على رضا العسكري حاكماً عسكرياً على حلب، ثم أبدل بشكري باشا الأيوبي.

الأمير فيصل في حلب

وفى أوائل شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ غادر الأمير ومعه عدد كبير من رجال الشام دمشق
للقيام بجولة في الأحياء الشمالية، وبعد ما زار حمص وحماه دخل حلب باحتفال حافل يوم
٦ منه. فأقيمت لتكريمه حفلة كبيرة في نادي العرب يوم ١١ منه فخطب خطبة ضافية بسط
فيها أعراض الثورة، والعوامل التي عملت في تكوينها، وقد اخترنا نشرها لخطورة شأنها
ولأنها أول خطبة سياسية له فقال:

لا نشك أنكم أيها السادة ترومون منا أعمالاً مهمة. وبما أن حلب هي في أقاصى بلاد
العرب لم يتصل بأهلها ما وقع بيننا وبين الأتراك، وما سبب قيامنا ضدهم. لأن الأتراك
كانوا يشيعون للملأ أجمع أن الأشراف اتفقوا مع الغربيين على بيع البلاد لقاء دريهمات،
وسعوا لإخراج فتاوى ضدنا نشرها للعامة، وقد يوجد بين بسطاء العقل من غش بزعم
الأتراك وضلالتهم.

نشأ الدين الإسلامى بقدرة الله تعالى، ونشر بواسطة محمد صلى الله عليه وسلم النبى
العظيم، الذى تنتسب إليه أسرتنا. فلا يتصور أن أناساً منسويين لمحمد النبى الكريم
يبيعون أو يخونون ما وضعه جدهم. لأن مصلحة الأمم الإسلامية لها علاقة كبيرة بهذا
الشأن.

نحن لم نقم إلا لنصرة الحق وإغاثة المظلوم. ساد الترك ٦٠٠ سنة هدموا فى خلالها
صرح مجد أقامه أجدادنا. ومن ذلك الحين أطفئت نار العرب، ولكن لم تطفأ لأن العرب
عاشوا قروناً وأعواماً، ولم يتسن البقاء لأمة من الأمم غير العرب، وإنما كانت تنتهز
الفرص وتظهر عندما ترى الوقت المناسب.

نمنا ٦٠٠ سنة. ولكن لم نمت. بل انتظرنا الظرف المساعد على النهوض والخروج إلى
ساحة العمل لتمكين وتشبيد مجدنا.

عندما أعلن الأتراك النفيير العام أتوا بأعمال تتبرأ منها الإنسانية ولا لزوم
لتعدادها.

وكانت العرب تنادى وتطالب الأتراك بحقوقها وهذه اغتتمت الفرصة التي مكنتها من الانتقام من العرب.

رأى والدى أن حكومة الترك ليست بدولة تعمل لإحياء دين أو عمل عام ينفع البلاد. ولكنها أعلنت جهادها بالاتفاق مع المانيا لمجرد الانتقام من العناصر الخاضعة لها ومنها العرب وتبين له أن مبادئها غير مبادئ الحق، فاتفق مع الحلفاء بعد الاتكال على قوة الله لعلمه أنهم ينصرون الضعيف، ويساعدون على إعادة حقوق الأمم المحكومة، وتساعد وإياهم على إزاحة الأتراك واستخلاص ما اغتصبوه منا نحن العرب.

باسم العرب حالف والدى الحكومات الغربية، وقام معهم ضد المانيا وتركيا كتفا إلى كتف. لا كما زعم الأتراك من أن قيامنا كان نتيجة مطامع شخصية.

فأنا باسم كافة العرب أخبر إخوانى أهل الشهباء أن للحكومات الغربية وخصوصا انكلترا وفرنسا اليد البيضاء فى مساعدتنا، وشد أزرنا ولا تنسى العرب ما دامت موجودة على وجه البسيطة فضل معاونتهم.

نحن اليوم ندعى الحرية والاستقلال فهذه أقوال إذ لم نعمل شيئا حتى الآن سوى طرد الأتراك من بلادنا، وهذا محتم عليهم لأن القدرة الإلهية تأبى أن تتركهم بدون مجازاة لما أتوه من فضائح الأعمال.

بقيت علينا وظائف مهمة جداً. وهى تأسيس ملك وحكومة نفتخر بهما أمام العالم أجمع إن الأمم الغربية قد ساعدتنا وستساعدنا معنى، وانى لأتلو عليكم برقية وردت لى منذ ثلاثة أيام تبين لكم إحساسات الدول الغربية نحونا ليفهم جميع المواطنين أننا لم نبع البلاد ولن نبيعها أبدا وهى:

نص تصريح ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨

«إن السبب الذى من أجله حاربت فرنسا وانكلترا فى الشرق تلك الحرب التى أهاجتها مطامع الألمان إنما هو لتحرير الشعوب التى رزحت أجيالا طويلا تحت مظالم الترك تحريرا تاما نهائيا، واقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالى الوطنيين لها اختيارا حرا. ولقد أجمعت فرنسا وانكلترا على ان تؤيد ذلك بأن تشجعا وتعيننا على إقامة هذه الحكومات والإدارات الوطنية فى سورية والعراق - المنطقتين اللتين أتم الحلفاء تحريرهما، وفى الأراضى التى مازالوا يجاهدون فى تحريرها وأن تساعدنا هذه الهيئات

وتعترفنا بها عندما نؤسس فعلا - وليس من غرض لفرنسا وانكلترا أن تنزلا أهالى هذه المناطق على الحكم الذى تريدها. ولكن مهمما الوحيد أن يتحقق بمعونتهما ومساعدتهما المفيدة عمل هذه الحكومات والإدارات التى يختارها الأهلون من ذات أنفسهم، وأن تضمنا لهم عدلا منزها يساوى بين الجميع، ويسهل عليهم ترقية الأمور الاقتصادية فى البلاد بإحياء مواهب الأهالى الوطنيين وتشجيعهم على نشر العلم، ووضع حد للخلاف القديم الذى قضت به السياسة التركية - تلك هى الأغراض التى ترمى إليها الحكومتان المتحالفتان فى هذه الأقطار المحررة».

لاشك فى أن هذه البرقية من المستندات التاريخية العظيمة، وانها تنبىء عن شعور عال وحسيات إنسانية لا يقوم العرب بإداء واجب الشكر عليها إلا بتحقيق أمانى هذه الدول، وهى تشكيل وتنظيم حكومة عادلة قوية تحفظ حقوق جميع أهل البلاد.

اننا اليوم فى موقف حرج، الأمم المتمدنة وحلفاؤنا ينظرون إلينا بنظر الإعجاب والتقدير وأعداؤنا يرمونا بعين النقد. خرج الأتراك من بلادنا، ونحن الآن كالطفل الصغير لا حكومة ولا جند ولا معارف. والسواد الأعظم من الشعب لا يفقه معنى الوطنية والحرية، ولا ما هو الاستقلال، حتى ولا ذرة من كل هذه الأمور، وذلك نتيجة ضغط الأتراك على عقول وأفكار الأمة. لذا يجب أن نفهم هؤلاء الناس قدر نعمة الاستقلال، ونسعى إن كنا أبناء أجدادنا لنشر لواء العلم. لأن الأمم لا تعيش إلا بالعلم والنظام والمساواة، وبذلك نحقق آمال حلفائنا.

أنا عربى وليس لى فضل على عربى، ولو بمثقال ذرة أننى أوفيت واجبى الحربى كما أوفى والدى واجبه السياسى فإنه تحالف وتعاهد مع أمم متمدنة أوفت بعهودها ولا تزال تساعدنا على تشكيل حكومة منتظمة. فعلينا إبراز هذه الأمنية إلى حيز الوجود بكمل الحزم والعزم. لأن البلاد لا يمكنها أن تعيش بحالة فوضى - أى بلا حكومة، وهذا واجب ذمة الأمة وأهل البلاد، ونبرأ إلى الله مما يحصل لهذه البلاد بعد اليوم. أنا ومن معى سيف مسلول بيد العرب يضربون به من يريدون.

أحض اخوانى العرب على اختلاف مذاهبهم بالتمسك بأهداب الوحدة والاتفاق، ونشر العلوم، وتشكيل حكومة نبيض بها وجوهنا. لأننا إذا فعلنا كما فعل الأتراك نخرج من البلاد كما خرجوا لا سمح الله، وان فعلنا ما يقضى به الواجب يسجل التاريخ أعمالنا بمداد الفخر. إننى أقل الناس قدراً وأدناهم علماً لا مزية لى إلا الإخلاص.

إننى أكرر ما قلته فى جميع موافقى بان العرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد .
وأن الديانات تأمر فى الأرض باتباع الحق والأخوة وعليه فمن يسعى لإيقاع الشقاق
بين المسلم والمسيحى والموسوى فما هو بعربى .

إننا عرب قبل كل شىء ، وأنا أقسم لكم بشرفى وشرف عائلتى ، وبكل مقدس ومحترم
عندى بأنه لا تأخذنى فى الحق لومة لائم ، ولا أحجم عن مجازاة من يتجرأ على ذلك ، فلا
أعتبر الرجل رجلا إلا إذا كان خادما لهذه الترية .

عندنا والحمد لله رجال أكفاء كثيرون ، ولكنهم مقيمون خارج الديار ، وفى بلاد الأتراك
وسياتون قريبا إن شاء الله فيصلحون الخلل الموجود هنا ولا يجدر أن تتقاعس عن العمل
ريثما يأتون . فما لا يدرك كله لا يترك كله ، ويلزم علينا أن نبتدىء بدون أن ننظر للمرء من
حيث شرف عائلته وخصوصيته . بل ننظر إلى الرجل الكفاء شريفا كان أو وضيعا . إذ لا
شرف إلا بالعلم ، الإنسان يخطىء فإذا أخطأت سامحونى وبينوا لى مواطن خطئى .

بما أن أغلب الأفراد يجهلون قدر نعمة الاستقلال كما بينت لكم فلا يبعد أن يحصل
فى بعض المحلات ما يخل بالأمن . فالحكومة مجبورة على تطبيق معاملاتها على القانون
العسكرى العرفى مدة الحرب ريثما يتم تشكيل حكومة منتظمة .

أرجو إخوانى أهل البلاد أن ينظروا إلى الحكومة نظر الولد للوالد الشفوق ، ويساعدوها
جهد طاقتهم . ويعلموا أن الحكومة مشرفة على أعمال الأفراد والموظفين .

إن الحكومة فى طورها الجديد بحاجة لإيجاد قوة تحفظ كيانها . فكل من يعيبث
بأوامرها ويخل بمقرراتها ، يستهدف ليدها القوية ولأجل حفظ الاستقلال ليس إلا أدعوا
أهل البلاد للاهتمام الزائد بتكوين حكومة ثابتة الأركان متينة الجانب .

الدرك والشرط هما قوام البلاد . وبدونهما لا تنتظم أحوال الحكومات . لذلك أطلب من
الجميع وخصوصا الشبان أن ينتظموا بهما ، وأن لا يتأخر أحدهم عن خدمة وطنه وبلادته
بدون نظر لموقعه العائلى .

فإن الشرطة وظيفه شريفة عالية ، وإن الإنسان يتولى كل عمل فى داخلية وبيته . حتى
تجد رب البيت يكنس داره بيده ، ولا يرى بها استخفافا .

وستكون القوانين السابقة مرعية الإجراء إلى أن يتم سن القوانين من قبل المجلس
الأعلى - أى مجلس الأمة .

الحكومة الحاضرة تحفظ الأمن والنظام ريثما تتعين هيئات الحكومة الجديدة .

العرب أمم وشعوب مختلفة باختلاف الإقليم. فالحلبى ليس كالحجازى والشامى ليس كاليمانى، ولذا فقد قرر والدى أن يجعل البلاد مناطق يطبق عليها قوانين خاصة بنسبة أطوار وأحوال أهلها. فالبلاد الداخلية يكون لها قوانين ملائمة لموقعها، والبلاد الساحلية أيضا يكون لها قوانين طبق رغائب أهلها.

كان من الواجب علينا أن نبتدىء أولا بجمع الهيئة التى تسن هذه القوانين. ولكن العرب الذين هم فى البلاد الخارجية هم أعلم منا بالقوانين الأكثر ملائمة للبلاد. ولذلك نرجىء هذا الأمر إلى وقت اجتماع هؤلاء، وفى أقرب وقت يصلون إن شاء الله. ان الذين استدعيتهم من الخارج رجال قديرون على وضع قوانين صالحة ملائمة لروح البلاد وطبائع أهلها، وسيكون اجتماعهم فى دمشق أو غيرها من البلاد العربية لعقد مؤتمرهم، وسأناظر باعجل وقت بشؤون الاوقاف والكنائس ورد حقوقها المغصوبة من قبل الاتراك، وأعطى كل ذى حق حقه.

وأطلب من إخوانى أن يعتبرونى كخادم للبلاد. إنكم قد أعطيتمونى البيعة بمنتهى الإخلاص والرضاء فأقابلها بالقسم العظيم. إنى لا أفتر عن نصره الحق ورد الظلم وكل ما يرفع شأن العرب، وأرغب إلى الأهالى أن يؤازرونى بالعمل فى خدمة الجامعة إلى أن يلتئم مجلس الأمة فأقول حينئذ هذه بضاعتكم ردت اليكم.

إن حلب خالية من المدارس فأتمنى لها مستقبلا علميا باهرا. كما كانت عليه بالتاريخ وأرجوا أخيراً صرف الهمة والنشاط لامرين مهمين: (١) حفظ النظام العام (٢) ترقية المعارف، فوالله لا يمتاز أحد عندى إلا بفضلته وعرفانه.

عند مرورى من حماه استنهضت همة الأهالى بكلمات وجيزة للعناية بالعلم، وافتتاح المدارس، وبجلسة واحدة تبرع بضعة أشخاص بأربعة آلاف جنيه، ووعد الآخرون بإبلاغها حتى ١٢ ألف جنيه، وسأستدعى حضرات الأهالى بحفلة خاصة للعناية بهذا المشروع الهام - مشروع العلم روح البلاد. نسأل الله تعالى أن يوفقنا لخدمة البلاد ونفع العباد، ويمتدح الأمة بالحياة الرغيدة والسلام.

التقسيم الإداري الجديد

كان الاميرالاي بهجب بك وكيل ولاية سورية آخر من غادر دمشق ظهر يوم الاثنين ٣٠ سبتمبر من ولاية الأمور العسكريين والملكيين الترك، فقد اجتمع قبيل سفره بشكري باشا الأيوبي وسلمه المدينة فذهب هذا لفوره إلى سجن القلعة ففتح أبوابه وأخرج المسجونين، وعددهم أربعة آلاف تقريبا باسم جلالة الملك حسين، وتألقت في دمشق على الأثر حكومة مؤقتة برئاسة الامير سعيد الجزائري قوامها شكري باشا وفارس الخوري وبديع المؤيد وغيرهم.

وفي يوم أول أكتوبر أرسل الأمير سعيد إلى المدن السورية برقية هذا نصها:
بناء على انسحاب الحكومة التركية فقد تأسست الحكومة العربية الهاشمية على دعائم الشرف، طمئنوا العموم وأعلنوا أن الحكومة باسم الحكومة العربية.
فتألفتت على الأثر حكومة عربية في بيروت برئاسة عمر الداوق رئيس البلدية، وأذاعت المنشور الآتي:

- ١- على الأهلين والموظفين ورجال الدرك والشرطة متابعة أشغالهم ووظائفهم بتمام السكينة والهدوء، وبكل نشاط واستقامة، ويتحتم على الأهلين أن لا يتداخلوا فيما لا يعينهم، وأن لا يتعدى بعضهم على بعض.
- ٢- ممنوع قطعيا حمل السلاح والخروج إلى الطرقات ليلا بعد الساعة الثانية بعد الغروب.
- ٣- إذا حدث تعد على أحد فعليه حالا أن يخبر أقرب مخفر للبوليس
- ٤- إذا وقعت مغرورية أو مخالفة أو تماهل بالوظيفة على الأهالي من قبل أي كان فعليه إعلامي حالا.
- ٥- كل من يتجرأ على مخالفة هذه الأوامر يجازى أشد الجزاء بلا شفقة ولا رحمة، وكل من يتجاسر على سلب الأمن العام يحاكم على الفور، ويعدم شنقا أو رميا بالرصاص.
- ٦- المظاهرات والتجمع واللقاء الخطب ممنوع.
- ٧- بما أن الأتراك وعيالهم وسائر الغرباء هم بمثابة وديعة عندنا، فيجب على كل فرد تمام الاعتناء برفاهيتهم وراحتهم كما تقتضيه الشهامة العربية.

شكرى باشا الأيوبي فى بيروت

وبادرت حكومة دمشق الجديدة فعينت شكرى باشا الأيوبي حاكما عاما على بيروت ولبنان، وعينت جميل الألسى رئيس أركان حرب له، فقصدوا بيروت على الفور مع ١٠٠ جندي فوصلوا يوم ٦ منه فأعلن شكرى باشا دخول البلاد فى حوزة الحكومة العربية، ورفع العلم العربى على دار الحكومة، وعين حبيب باشا السعد حاكما مدنيا بعد ما أقسم يمين الطاعة للملك الحسين.

اتفاق ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٨

وما كاد الترك يجلبون عن بلاد الشام حتى قام الفرنسيون يطلبون تنفيذ أحكام اتفاقية سايكس - بيكو، وان يعهد اليهم فى إدارة الساحل السورى والمناطق الأخرى التى منحوها بموجبه فمطلبهم الإنكليز أياما. ثم وقعوا وإياهم اتفاقا جديدا يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٨ ينظم إدارة الشام ريثما يبيت فى مصيرها نهائيا، ويوزع السلطات بين رجالهم، من دون استشارة العرب أو أخذ رأيهم. وقد حمل الإنكليز الفرنسيين على توقيع بيان ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ وإقراره مقابل الاتفاق الجديد، وهو يحصر السلطة العليا السياسية والعسكرية فى يد المارشال النبى القائد العام للحملة المصرية. على أن يلحق به مندوب سام فرنسوى يلقب بلقب «مستشار سياسى خاص» لاستشارته فى أمور المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية) وإدارة شؤونها السياسية والإدارية بالاتفاق مع القائد الأعلى، ويحق للمستشار السياسى الخاص أن يعين المستشارين السياسيين للمنطقة (١) سورية الداخلية بعد الحصول على موافقة الحكومة أو حلف الحكومات العربية التى ستنشأ هنالك. كما يقوم بمهمة الوسيط بين القيادة العليا والحكومات العربية المزمع إنشاؤها فى جميع الشؤون السياسية والإدارية الخاصة بمناطق نفوذ فرنسا.

ويحق لهذا المستشار أيضا بمقتضى هذا الاتفاق إنشاء إدارة ملكية فى الشقة الساحلية وتعيين الموظفين اللزمين. على أن يرفع أسماءهم إلى القيادة العليا، ويكونون مسؤولين أمامها.

وعلى القائد العام أن يبلغ المستشار الفرنسي خلاصة القرارات التى يقرها والتدابير التى يتخذها خارج الشؤون العسكرية. وقد أسندت وظيفة المستشار السياسى إلى المسيو جورج بيكو المندوب السامى الفرنسي فى الشرق.

وعلى أثر عقد هذا الاتفاق قسمت القيادة العليا للحملة المصرية البلاد السورية إلى ثلاث مناطق، وأطلقت عليها اسم «بلاد العدو المحتلة».

وفى يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩١٨ أذاع الجنرال بولز رئيس أركان حرب الحملة منشورا ضمنه التعليمات الخاصة بإدارتها:

المنطقة الجنوبية: وتشمل فلسطين الحاضرة من الحدود المصرية جنوبا حتى خط الناقورة غربا، فنهر الأردن شرقا وتضم لواء القدس القديم ولواءى نابلس وعكا من ولاية بيروت القديمة. وتولت السلطات الإنكليزية إدارتها مباشرة وعين الجنرال بولز حاكما عليها.

المنطقة الشرقية: وتشمل ولاية سورية القديمة من معان جنوبا حتى حدود تركيا شمالا مع أفضية أدلب وجسر الشغور والباب غرباً والفرات شرقا.

وجعلت هذه المنطقة عربية، وتولى إدارتها العليا الأمير فيصل

المنطقة الغربية: وتضم لواء جبل لبنان ولواء بيروت ولواءى طرابلس واللاذقية من ولاية بيروت القديمة وقضائى إنطاكية واسكندرونة من ولاية حلب.

ووضعت هذه المنطقة تحت النفوذ الفرنسى مباشرة وعين الكولونيل بياباب حاكما لها.

وقد احتج حزب الاتحاد السورى بمصر على هذا التقسيم، وقال أنه جرى طبقا لمعاهدة سايكس - بيكو السرية.

الاحتلال الفرنسى لسورية الساحلية

فى يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩١٨ غادر الأدميرال فارنه (Vamy) بورسعيد مصحوبا بقواه البحرية وهى اليخت أريان و٤ نسافات وزورقين حربيين قاصدا بيروت فبلغها يوم ٧ منه، وفى يوم ٨ منه وصل الكولونيل بياباب.

ولابد لنا من القول أن الكابتن كولوندر المندوب الفرنسى بالنيابة والملحق العسكرى بالحملة المصرية قابل الجنرال بولز يوم ٢٩ سبتمبر طالبا أن يسمح للقوات الفرنسية باحتلال مدينة دمشق فلم يجبه إلى ما طلب. وعلى أثر هذا الرفض عين المسيو مرسيه نائب القنصل الفرنسى فى بورسعيد ضابطا للارتباط فى دمشق.

ووصل الجنرال اللنبى إلى دمشق يوم ٥ أكتوبر، كما جاءها الكابتن كولوندر المندوب الفرنسى بالنيابة فقابل هذا الجنرال كلينين وياحته فى تعيين شكرى باشا الأيوبى حاكما

عسكريا على بيروت. فأصدر هذا أمره إلى الميجور كورنواليس (ضابط الارتباط البريطانى يومئذ فى دمشق) بأن يفتنم أول فرصة لإبلاغ الأمير بأن حق تعيين الحكام منحصر بالقائد العام وحده.

وقابل المسيو كولوندر صباح ٧ منه الأمير فيصل وباحثه فى القضية نفسها، واحتج لديه على إرسال شكرى باشا إلى بيروت فأجابه: «إنه يدع معالجة الشؤون السياسية للسياسيين، وإنه منصرف إلى مطاردة الترك» وأخيرا تم الاتفاق يوم ٩ منه على إنزال العلم العربى باحتفال عسكري، وهكذا غادر الباشا وجنده عاندين إلى دمشق وظل جميل الأئشى فى بيروت معتمدا عربيا، وتولى الكولونيل بياياب الحكم. وفى ١٠ منه وصلت إلى بيروت الفرقة الفرنسية التى كانت ملحقة بجيش الجنرال اللنبى. وفى يوم ١١ نوفمبر احتل الفرنسيون اللاذقية وفى ٢٤ منه احتلوا اسكندرونة، وفى يوم ٧ ديسمبر احتلوا إنطاكية.

العرب ومؤتمر الصلح

سعى الفرنسيين لمنع الأمير من دخول المؤتمر

وتلقى الأمير وهو في حلب برقية من والده بأن يسافر إلى أوروبا ليمثله في مؤتمر الصلح. فغادرها على الأثر بطريق حمص - طرابلس بعد ما أقام أخاه الأمير زيدا نائبا عنه في دمشق، وقد جاءها في أواسط شهر أكتوبر سنة ١٩١٨ من معان، حيث تولى قيادة الجيش الشمالي بعد سفر أخيه إلى الأزرق.

وصل الأمير إلى بيروت يوم ١٩ نوفمبر فاستقبله الجنرال بولفين قائد الفيلق الحادي والعشرين البريطاني وكبار البيروتيين وأعيانهم، وفي يوم ٢٢ منه ركب الطراد البريطاني غلوسستر إلى مرسليليا، ومعه نوري السعيد رئيس أركان حربه ورستم حيدر رئيس ديوانه والدكتور أحمد قدرى طبسبه الخاص، وتحسين قدرى مرافقه العسكري وفايز الغصين سكرتيره الخاص.

وقبل وصول الأمير فيصل إلى فرنسا أبلغت الحكومة الفرنسية الحسين رسميا بواسطة الكومندان كوس معتمدها في جده أنها وإن كانت ستحتفى بالأمير فيصل حين وصوله إلى مرسليليا يوم ٢٦ نوفمبر احتفاءها بابن ملك حليف وصديق وتقوم بالواجب عليها إلا أنها تعجب لأن الأمير لم يبلغ أحدا من ممثلي الجمهورية الفرنسية في سورية وفلسطين خبر رحلته هذه. مع أن الحكومة الفرنسية هي المختصة باستقباله وإعداد معدات سفره من مرسليليا إلى باريس، وقالت إنه يظهر لها أنه يستحيل عليها في الوقت الحاضر اعتبار الأمير قائما بمهمة رسمية لم تبلغ عنها شيئا، فلم يبد الملك ارتياحه إلى هذا التبليغ، وقال إنه يغتم الفرصة ليصرح بأنهم أخذوا ينظرون إليه بنظر عدم الاطمئنان منذ وصول الجيش العربي إلى سورية. مع أنه ليس له أى مطمح في تلك البلاد وما كان تدخل الجيش العربي في شؤونها إلا بطلب سكانها الذين أعربوا عن هذه الرغبة بملء الحرية، وبدون أى ضغط. لا من جانبه ولا من جانب ابنه، وإنهم يعتقدون بأنه لا بد من رفع العلم العربي على عدة مدن سورية وأنه لا ينسى جميل فرنسا معه وسيجنب عمل كل ما من شأنه أن يسىء إليها أو يؤدي إلى العبث بمصالحها أو إهمالها. ثم كتب على الأثر كتابا رسميا يمثل هذا المعنى سلمه إلى المعتمد الفرنسي.

و اذا خامر القارئ شك فى صحة هذه الرواية، أو ظن أنها مشوبة بشيء من المبالغة لشذوذها فنحن مؤيدوها بما كتبه الكولونيل بريمون فى كتابه «الحجاز فى الحرب العالمية» عن رحلة الأمير إلى فرنسا. قال فى ص ٣٠ ما ملخصه: «تلقيت أمرا فى يوم ٢٤ نوفمبر بأن أقصد باريس على عجل لأقوم بمهمة استقبال الأمير فيصل نجل ملك الحجاز ومرافقته بضعة أيام، فذهبت إلى وزارة الخارجية، وقابلت المسيو غو معاون مدير الشؤون الآسيوية فألقى علىّ التعليقات الآتية شفاها قال: وصل الأمير فيصل إلى فرنسا بطراة إنكليزية ونزل فى مرسيليا، ولا أعرف إن كان لا يزال فيها أم بلغ ليون. فأقصد ليون أو مرسيليا إذا لزم الأمر، واجتمع به. وستجد معه المسيو برتران وهو وزير مفوض بالعاش وقد انتدبناه لاستقبال الأمير حينما علمنا بسفره.

«وستعامل الأمير معاملة قائد عسكري (جنرال) ممتاز فقط، ولا تعترف له بأى صفة سياسية. وقل له ان هذه الشؤون (السياسية) تعلقو مستواك ومستواه وان الذين أشاروا عليه بالقدوم إلى أوروبا لم يحضوه النصح، وانه كان يجب عليه أن يتحادث مع المسيو جورج بيكو قبل المجيء. وان الحكومة البريطانية لا تعمل له كل شيء، وانه ما كان يجدر به أن يستشيرها وحدها ويهمل الحكومة الفرنسية.

«وابذل الجهد لكى لا تاتى به إلى باريس قبل أن تتلقى أوامر جديدة. وفى استطاعتك أن تطوف به فى كل مكان، وأن تهيبه له زيارة أى ناحية من النواحي بعد إبلاغ ذلك إلى الولاة المحليين. واقصد به إلى الجنرال غورو قائد الجيش الرابع المرابط فى ستراسبورغ فيقلده وسام اللجيون دونور من رتبة غراند أوفيسيه.

«وهيبه ضابطا عسكريا مرافقته فى كل مقاطعة ينزلها واعتمد على السيارات العسكرية فى تنقلاتك وجولاتك، وأبلغ المسيو برترام أننى وضعت ١٥ ألف فرنك تحت تصرفه لهذه الرحلة، وأنها معك وتجد معه الضابطين المترجمين ريموند وجوس.

«وزر غرفة تجارة ليون معه، واعمل ليقدموا له هدية نفيسة من الأقمشة الحريرية، واسع عنده لإنشاء علاقة بين جامعة ليون والجامعة العربية التى ستنشأ فى دمشق. فنتبادلا الاستانذة والطلاب، وابحث معه عن المسيو هريو، واحمل هذا على محادثة الأمير.

«ويجب أن تكون صريحا كل الصراحة مع لورانس، وأفهمه أنه سلك سبيلا غير مستقيم. واستقبله استقبالا وديا إذا جاء لابسا بزة كولونيل بريطانى، ولن تقبله اذا جاغا كبدوى يلبس الملابس العربية واذا أصر على البقاء متتكرا فلا شأن له معنا، ولا

مكان له عندنا .

«وعرفنى عن عدد حاشية الأمير، وعن الذين يسافرون معه. فنحن لم نتلق البيانات الوافية لصعوبة المواصلات ورداعتها».

وبلغ الكولونيل بريمون ليون فى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٢٨ نوفمبر فاتصل على أثر وصوله بحاشية الأمير، وكان ينزل فى تيرمينوس، وكان المسيو برترام قد أعد كل شىء طبقا لتعليمات المسيو غو - اه

وكان الكولونيل لورانس يرافق الأمير فى غدواته وروحاته، وقد سبقه إلى مرسيليا قادما من لندن، وكان قد بلغها فى أواسط شهر اكتوبر لانه غادر دمشق يوم ٤ منه أى بعد الاستيلاء عليها بأربعة أيام فقط قاصدا عاصمة بلاده.

ويعتقد الفرنسيون أنه هو الذى سعى فاقنع الحكومة البريطانية بإرسال دعوة إلى الحسين للاشتراك فى مؤتمر الصلح، وهو الذى جعل الأمير فيصلا على القدوم إلى أوروبا للدفاع عن قضية العرب. مما لا يتفق ومصالحهم، ولذلك أصدروا التعليمات السرية بطرده والتخلص منه. وقد تم ذلك فعلا لانه جاء مرسيليا بملابسه العربية وسار فى ركاب الأمير إلى ليون وهو يلبسها .

وأبلغ الكولونيل بريمون المسيو برتران تعليمات وزارة الخارجية الخاصة بلورانس، وبوجوب إخراجه من فرنسا اذا أصر على الاكتساء بالملابس العربية، فاغتنم هذا أول فرصة، وأطلع الامير على ما هنالك فقال له على الفور وبلا تردد سيغادر لورانس فرنسا فى هذا المساء عائدا إلى انكلترا. ثم استدعاه وأطلععه على قرار الحكومة الفرنسية فانطلق فقابل المسيو برتران وقال له «انكم تطردوننى وسأسافر هذا المساء» وسافر ولم يقبل أن يبدل ثوبه العربى بثوب بريطانى بعد ما رد إلى الفرنسيين أوسمتهم ونياشيهم.

وأبدى الأمير رغبته بزيارة الإلzas فذهب المسيو برتران على الأثر إلى باريس للحصول على التعليمات اللازمة، وفى الساعة ١٠:٣٠ من مساء ٣٠ نوفمبر غادر الأمير وحاشيته محطة ليون بعربة خاصة فبلغ محطة بلفور الساعة ١٠ من صباح أول ديسمبر فكان فى استقباله السى قدور بن غبريط، ثم ركبوا السيارات فى اليوم نفسه إلى ستراسبورغ فبلغوها الساعة ٦ مساء.

قال الكولونيل بريمون:

«وأثار الأمير مسألة السفر إلى باريس صباح ٣ ديسمبر قائلا: ألم يحددوا موعدا

لزيارتى لها. ثم خلا بالكولونيل بريمون وقال له «لقد حاربنا جنبا إلى جنب فنحن أخوان سلاح، وأنا أتق بإخلاصك وصدقتك فقل لى بصراحة. ماذا هنالك وأخبرنى بجلاء هلا تريد الحكومة الفرنسية أن أذهب إلى باريس؟ لقد تركت أخى زيدا فى دمشق ليقوم مقامى وهو فتى. ولما كانت الحالة غير مستقرة هنالك: فالأفضل لى أن أعود إذا كنت أضيع وقتى عبثا هنا».

فأجابه الكولونيل إنه سيعرض الأمر على حكومته، ويبلغه جوابها عند وصوله بلا إبطاء. وفى الساعة الثامنة من مساء ٤ منه تلقى البرقية الآتية «ضرب رئيس الجمهورية الساعة الخامسة من يوم ٧ ديسمبر موعدا لاستقبال الأمير. فدبروا السفر ونظموه على أن تصلوا الساعة الثانية بعد الظهر فيكون مندوبو الحكومة فى انتظاركم للاستقبال» وقد نفذ هذا البرنامج فوصل الأمير وحاشيته فى الموعد المضروب ونزل فى فندق الكونتيتال ثم قصد الاليزة فقابل رئيس الجمهورية مصحوبا بالسى قدور بن غبريط.

تلك هى خلاصة رواية الكولونيل بريمون نضيف عليها ما رواه لنا أحد الذين رافقوا الأمير فى رحلته تلك، وهو أن الحكومة الفرنسية كانت مصممة على أن لا تسمح له بزيارة باريس بيد أن توسط الحكومة الإنكليزية - وقد تم بسعى لورانس والحاحه - جعلها تعدل عن قرارها. على أن هذا ما لبث أن جاء إلى استقبال الأمير وصحبه فى زيارته لانكلترا فقد روى الكولونيل بريمون فى كتابه أنه لما بلغ مع الأمير ميناء بولون مساء ٩ منه نزل لورانس من الباخرة التى كانت راسية بجانب الرصيف، وقابل الأمير الذى احسن استقباله، ثم حى لورانس الكولونيل بريمون بكل لطف ودعاه إلى السفر معهم إلى انكلترا مؤكدا له أنه سيلقى قرى وإكراما، فشكره وقال إنه يأسف لأن مهمته تنتهى عند هذا الحد وأنه لا يستطيع السفر معهم.

واستقبل الأمير فى لندن استقبالا شائقا، ونزل فى فندق كارلتون ثم قابل ملك الانكليز على الأثر ومعه الكولونيل لورانس بالملابس العربية، ومما يستحق الذكر بصدده هذه المقابلة أن كبيرا إنكليزيا من رجال البلاط عنف لورانس على ظهوره بهذه الملابس فى بلاط بكنجهام قائلا: «أيجوز للكولونيل لورانس أن يظهر فى هذا المكان وهو رجل من رعية التاج بل ضابط بريطانى بيزة رسمية أجنبية» فأجابه بحزم ولباقة «إذا خدم رجل سيدين اثنين وكان عليه أن يسيء إلى واحد منهما، فالأفضل أن يسيء الى أقوامها أنا هنا ترجمان رسمى للأمير فيصل. هذا اللباس الذى تراه هو لباسه» وزار الأمير فى خلال هذه الرحلة

وزارة الخارجية، واجتمع بالقائم بأعمالها. وعاد ثانية إلى باريس يوم ٦ يناير لشهود مؤتمر الصلح فلقى معارضة في قبوله من جانب الفرنسيين، وقد اعترف بذلك الكولونيل بريمون في كتابه ص ٣١٨ فقال «ولقد وافق المسيو كلمنصو على قبوله في مؤتمر الصلح بناء على توسط اللورد كرزن مع أنه رفض ذلك في أول الأمر»

الأمير في حفلة افتتاح المؤتمر

وقد مثلت الحكومة العربية في حفلة افتتاح مؤتمر الصلح يوم ١٨ يناير سنة ١٩١٩ بمندوبيين لا مندوب واحد، هما الأمير نفسه ورستم بك حيدر. فقد اشتركا في الحفلة وجلسا بين مندوبي الدول المتحالفة.

المؤتمر يقرر مبدأ الاستفتاء

ويلغى ضمنا معاهدة سايكس - بيكو

ومع أن الإنكليز والفرنسيين كانا يعملان سرا لإبقاء قضية البلاد العربية بمعزل عن المؤتمر. إلا أنهم اضطروا إلى مجاراة الرئيس ولسن فوافق مندوبوهم يوم ٣٠ يناير سنة ١٩١٩ أى بعد افتتاح مؤتمر الصلح باثنى عشر يوما على قرار اشترك فى توقيعه مندوبو الولايات المتحدة وإيطاليا واليابان يقضى بفصل أرمينية وبلاد العرب عن تركيا، واستفتاء سكانها فى تقرير مصيرها، وفى اختيار وصى لها. ونحن نورد الجانب الذى يختص بنا من ذلك القرار:

المادة ١- لمثل هذه الأسباب. ولا سيما لسوء الإدارة التركية التاريخية فى معاملة الشعوب الخاضعة لها، وللمذابح الأرمينية الهائلة وسواها فى السنوات الخمس المتأخرة قرر الحلفاء والدول المشتركة معهم فصل أرمينية وسورية والعراق وفلسطين وبلاد العرب فصلا تاما عن المملكة التركية من دون إلحاق ضرر بسكان الأقسام الأخرى من المملكة التركية.

المادة ٢- قررت الدول المتحالفة والدول المشتركة معها أنه نظرا للفرصة السانحة للبت فى مصير المستعمرات والأراضى التى كانت لألمانيا وتركيا، وهى مأهولة بسكان لا يستطيعون الوقوف وحدهم بالنسبة لحالات العالم الحاضرة الشديدة - العمل فى هذه الأراضى بمبدأ ترقية وإسعاد هذه الشعوب الذين يعتبرون وديعة مقدسة فى ذمة المدنية، وأن ينص على ذلك فى دستور جمعية الأمم.

المادة ٣- اقتنع الحلفاء بعد الدرس الدقيق أن أفضل طريقة للقيام بهذا المبدأ هو وضع هذه الشعوب فى عهدة الأمم الراقية التى تكون بالنسبة إلى مواردها أو اختبارها أو مركزها الجغرافى أقدر على القيام بهذه المهمة. فيجب أن تقوم بهذه المشاركة كوصيات من قبل جمعية الأمم.

المادة ٤ - تعتقد دول الحلفاء والدول المشتركة معها أن طبيعة الوصاية يجب أن تكون حسب درجة السكان من الرقى ومركز البلاد الجغرافى وحالتها الاقتصادية ومشاكل هذه الظروف.

المادة الخامسة - لما كان الحلفاء يعتبرون بعض الشعوب التي كانت خاضعة فى السابق للمملكة التركية بلغت من الرقى درجة يصلح الاعتراف بها كأمم مستقلة محتاجة إلى استمداد النصائح الإدارية ومساعدة دولة وصية حتى تصير قادرة على السير وحدها فإن رغائب هذه الشعوب يجب أن يكون لها مقام أولى فى اختيار الدولة الوصية.

ولما أقر مجلس الحلفاء الأعلى عهد جمعية الأمم فى شهر فبراير سنة ١٩١٩ أدمج هذه المبادئ فى المادة الثانية والعشرين منه تثبيتها لها وتوكيدا ولقطع الطريق على الإنكليز والفرنسيين وهذا نصها:

« يجب أن يطبق على المستعمرات والبلدان التي فضت نتائج الحرب الأخيرة بخروجها عن سلطة الدول التي كانت تسيطر عليها فى الماضى والتي تسكنها شعوب لاتزال إلى الآن غير قادرة على الوقوف منفردة فى معترك الحياة - المبدأ القاضى يجعل سعادة شعوبها وتقدمها وديعة مقدسة فى يد العالم المتمدن ويجب أن ينص فى هذا العهد على الضمانات اللازمة لحسن القيام بهذه الوديعة والطريقة المثلى لتطبيق هذا المبدأ عمليا هو أن يعهد بالوصاية على هذه الشعوب إلى الدول الراقية التي تمكثها مواردها المالية أو اختبارات أو موقعها الجغرافى من القيام بهذه المهمة على منوال أفضل من غيرها وتكون مستعدة لقبول هذه التبعية، وتقوم بها على سبيل الانتداب من قبل جمعية الأمم.

وتختلف طبيعة هذه الوصاية باختلاف درجات هذه الشعوب فى التقدم وباختلاف موقعها الجغرافى وأحوالها العمرانية وما اشبه من الظروف، ولما كان بعض الشعوب الصغيرة التي كانت ضمن السلطنة العثمانية قد بلغت من الرقى درجة يمكن أن يعترف معها مؤقتا بكونها أمة مستقلة على شرط أن تسترشد إدارتها بنصائح ومساعدة تستمدتها من دولة منتدبة إلى أن تصير أهلا للسير وحدها على أن تحل رغبة هذه الشعوب باختيار الدولة المنتدبة محلها من الاعتبار ويجب فى جميع الأحوال على كل دولة من الدول المنتدبة أن تقدم تقريرا سنويا إلى مجلس جمعية الأمم عن البلاد الموضوعة تحت وصايتها، ويجب على هذا المجلس أن يحدد تحديدا صريحا نوع السلطة أو المراقبة أو الإدارة التي تخول الدولة المنتدبة ممارستها.

ويجب أيضا إنشاء لجنة دائمة لتسلم تقارير الدول المنتدبة سنويا وفحصها وإمداد المجلس برأيها فى جميع الأمور المختصة برعاية شروط الانتداب.

الأمير في المؤتمر

وفى يوم ٦ فبراير سنة ١٩١٩ ذهب الأمير ومعه الكولونيل لورانس إلى المؤتمر ليبسط قضية العرب فتكلم بالعربية نحو ٢٠ دقيقة وكان لورانس ينقل كلامه إلى الإنكليزية ونقلها مترجم آخر إلى الفرنسية.

ودافع ببلاغة وحكمة عن حقوق العرب وقال أن والده لا يطلب أن يضم شبر أرض واحد إلى مملكته ولكنه يطلب للعرب - ويريد بالعرب الشعوب التي تتكلم العربية حق تقرير مصيرها - بحسب نظام التوكيل الدولي وهو النظام الذي يعتقد أن البريطانيين مستعدون لتطبيقه على عرب الحجاز. وقال أنه لا يصر على توكيل دولة دون أخرى، ولا ينطق باسم عرب أفريقية ولا يعارض الفرنسيين إلا حيث يحتمل أن يعارض الفرنسيون في مطالب الذين كانوا حلفاء أكثر من ثلاثة أعوام.

ولخص في الختام مطالبه بقوله: أنه يطلب الاعتراف ببلاد العرب وحدة جغرافية مستقلة برياسة جلاله والده الحسين بن علي وتطبيق العهود المقطوعة للعرب بالاستقلال التام مع الاعتراف لسورية بالاستقلال التام على أن تستعين بمستشارين أجانب تستخدمهم عند الحاجة وعلى أن تكون متصلة بحكومة الحجاز في شؤونها الخارجية.

ورد على سؤال للرئيس ولسن ومعناه هل الأصح لهذه البلاد أن تكون متحدة أو منقسمة بين دولتين أو أكثر أو تكون تحت انتداب دولة واحدة أو أكثر من دولة فقال أن الأفضل لها أن تكون مستقلة وموحدة.

ورد على سؤال آخر له عن السلاح الذي قدمه الفرنسيون لمساعدة الثورة فقال أنهم ساعدوها بأربعة مدافع فقط.

وفى يوم ١٣ سمع المؤتمر أقوال المسيو شكري غانم بصفته رئيس الجمعية السورية - اللبنانية في باريس فطلب إنشاء وحدة سورية بإشراف فرنسا. وسمع في اليوم نفس أقوال المستر هورد بلس رئيس الجامعة الأميركية في بيروت فقال إن السوريين يريدون أن يمنحوا حكم أنفسهم بأنفسهم ودافع عن هذا المبدأ ببلاغة.

وفى يوم ١٥ منه سمع أقوال داود عمون رئيس الوفد اللبناني إلى باريس، وتآلف هذا الوفد من بعض أعضاء مجلس إدارة لبنان، ويمساعى الفرنسيين، وقوامه داود عمون رئيساً وعبد الحليم الحجار ونجيب عبد الملك وإميل اده وعبد الله الخورى أعضاء فطلب إعادة لبنان إلى حدوده الطبيعية والجغرافية قبل ١٨٦٠. ومنحه استقلالاً إدارياً مع جمعية تشريعية بمساعدة فرنسا وإشرافها.

وهكذا سمع المؤتمر أربعة أصوات: صوت الأمير فيصل والمستر هوارد بلس، ويطلبان الاستقلال لسورية واستفتاء السوريين فى تقرير مصيرهم، وصوت شكرى غانم ويطالب بوحدة سورية بإشراف فرنسا، وداود عمون ويطالب بحكومة لبنانية منفصلة عن سورية بإشراف فرنسا.

المؤتمر يقرر إرسال لجنة دولية للتحقيق

وعاد المؤتمر فنظر يوم ٢١ مارس فى قضية البلاد العربية وأرمينية، وقرر إجابة لإلحاح الولايات المتحدة تعيين لجنة دولية من الطفء لدرس مسائل آسيا الصغرى، والوقوف على رغائب سكانها.

ولم يقابل هذا القرار بالارتياح فى الدوائر الفرنسية، فاعترضت عليه وانتقدت الوفد الفرنسوى فى المؤتمر لتسرع فى اقراره. بحجة أن سكان سورية فى حالة لا تمكنهم من الإجابة على الاسئلة التى توجه عليهم. وبذلت مساع شتى عند الرئيس ولسن لحمله على العدول عن ارسال اللجنة فلم تثمر شيئاً. وأسرع رستم بك حيدر مندوب العرب فى المؤتمر وقد بقى فى باريس بعد سفر الأمير - فأرسل كتاباً إلى الكولونيل هاوس سكرتير الرئيس ولسن أطلعه فيه ما يجرى، وذكر له تغلل الحكومتين الإنكليزية والفرنسوية وما يبديانه من الرغبة فى عدم الاشتراك بلجنة التحقيق الدولية. ولما اطلع الرئيس على هذا الكتاب وعرف ما هنالك أمر اللجنة الأميركية بأن تسافر حالاً إلى الشرق من دون ان تتقيد بسفر اللجنتين الانكليزية والفرنسوية. فسافرت فعلاً. وبذل المندوب العربى عند الانكليز ما بذله عند الرئيس ولسن لحملهم على إرسال وفدهم - وقد تآلف فعلاً من السير هنرى مكماهون والاستاذ هوجارث - فأرسل اللورد هاردينج العضو بالوفد البريطانى لمؤتمر الصلح كتاباً إلى رستم بك حيدر يخبره فيه باستعداد الوفد الإنجليزى للحاق بعد قليل باللجنة الأميركية.

وعينت الحكومة الفرنسية المسيو هنرى لونج العضو بمجلس النواب رئيساً للجنة، ثم عادت فاشترطت عقد اتفاق مقدم بين الحكومات ذات الشأن على طريقة الاستفتاء فى المناطق المحتلة قبل أن يسافر الوفد، فأبى الرئيس ولسن أن يتقيد بطلبها، فأوقفت سفر وفدها، وسعت عند الإنكليز أيضا فجاروها فى خطتها، ولم يرسلوا وفدهم.

الأمير فى بروكسل ورومية

واغتم الأمير الفرصة فزار بروكسل، وحل ضيفا على ملكها البرت ثم عاد إلى باريس وكانى يكثر من الاجتماع بالرجال السياسيين، عاملا على اقناع القوم بعدالة قضيتة. وزار الأمير المسيو كلمنصو قبل رجوعه إلى سورية زيارة طويلة فأبلغه هذا استعداد فرنسا للاعتراف باستقلال سورية مقابل اعتراف السوريين بمصالحها، فوعده بأن يعمل للاتفاق والوفاق. وقد صرح الأمير بمثل هذا بعد رجوعه فقال من خطبة خطبها فى بيروت «ولقد قابلت المسيو كلمنصو فجرى التفاهم المطلوب» وكان يكثر من الثناء عليه ويطنب فى وصف مزاياه.

وقصد الأمير رومية فزار قداسة البابا فكلفه إبلاغ سلامه إلى أبنائه المسيحيين فى سورية. كما اجتمع إلى رجال السياسة الإيطاليين، وفى يوم ٢٧ ابريل غادر ترانتو عائدا إلى بيروت للإشراف على الحالة، وإعداد المعدات لاستقبال الوفد الأمريكى.

الأمير في سورية أقواله وخطبه

وصلت المدرعة الفرنسية أديجار غينه. المقلة للأمير وحاشيته إلى بيروت في الساعة الثانية بعد ظهر الأربعاء ٢٠ إبريل فاستقبلته المدرعة باريس الراسية في مينائها بإطلاق المدافع ترحيباً. فنزل إلى البر الساعة الرابعة، وقصد في سيارة والى يساره الجنرال فين البريطاني دار المعتمد العربي. وهناك استقبل وفود البلاد السورية، ورد على خطب الخطباء قائلاً:

« الاستقلال يؤخذ ولا يعطى. لقد أعطانا العالم الاستقلال، فعلينا أن نأخذه، وأن نطلبه تاماً خالياً من كل شائبة، وكل من يطلب انكترا أو اميركا أو فرنسا أو إيطاليا فهو ليس منا. نحن لا ننكر أننا محتاجون إلى المعاونة وسنتفق عليها مع من نريد بحسب ما يوافقنا وهذا لا يكون إلا بعد أن نأخذ الاستقلال التام المطلق»
وهذا نص البيان الذي أذاعه على أثر وصوله:

يا أبناء سورية العزيزة:

ها قد عدت إلى الوطن بعد أن فارقت خمسة أشهر. وقد أبلغت العالم المتمدن ما انتدبتموني إليه من بيان مطالبكم. فتقرر مبدئياً استقلال بلادكم، وصحت النية على إرسال لجنة تحقيق دولية تحقق ما نقلت إلى الغربيين من رغائبكم وستصل اللجنة في هذين الأسبوعين. وبهذا ترون أن قد تم القسم الأعظم من المهمة الخارجية التي نعمل لأجلها وذلك بحسن نيات الحكومات الأربع المعظمة؛ وصدقهم في أقوالهم وتمسكهم بالمبادئ السامية التي جعلوها دستوراً لأعمالهم وطبقوا لأمانى الأمة.

بقيت هنالك المهمة الداخلية التي هي من خصائص هذه الأمة بأجمعها، وهي المسؤولة عنها، ونجاحها موكول إليها فعلى الشعب أن يقوم بما يقرره المؤتمر السوري العام الموقت الذي ينعقد عما قريب.

الأمم تود لكم النجاح، وأنا أريد منكم أن تبرهنوا لهذه البعثة المحترمة التي ستشهد بالحق لكم أو عليكم بأنكم تستحقون الاستقلال، وأنكم قادرين على إدارة شؤونكم بأنفسكم سجلوا أمام العالم والتاريخ أنكم أمة تفدى كل عزيز في سبيل أشرف غاية، وهي الذى أعاونكم عليه، وأنا أحد أفرادكم.

أنا لا أشك في أنكم يد واحدة على المطالبة بحقكم الصريح، والسعى للوصول إليه بكل ما فى نفوسكم من قوة، تعملون وغايتكم متحدة، والصدق رائدكم فى أقوالكم وأعمالكم جريا على ما تقتضيه منكم محبتكم لهذه التربة الطاهرة، متمسكين بأهداب الحزم، متخذين أسباب السكينة والتؤدة والغيرة على هذا الوطن.

وإنى لأمل أن تثبتوا للعالم أنكم أحفاد أولئك الأجداد الذين كانوا سدنة الحرية ودعاة العدل، والتاريخ شاهد لا يمارى فى صحة القول، وإن ما قامت به الجاليات السورية المنتشرة فى أقطار العالم من جلائل الأعمال ليدخل السرور إلى فؤاد كل من يحب هذه البلاد. فقد أسمعت أنها لا ترى السعادة كل السعادة إلا فى الاستقلال التام بدون قيد ولا شرط. فإذا كانوا على تفرقهم لايرضيهم إلا هذا، فأنتم باجتماعكم أكثر استمساكا بحقوق بلادكم. تستقلون فى بلادكم استقلالكم فى بيوتكم، فينظر كل صقع من أصقاعكم فى شؤونه بنفسه مع احترام تقاليد وعاداته. أما المعاونة التى نحتاج إليها فنبتاعها بأثمانها. هذا ما أحب ان تجعلوه يا بنى وطنى نصب أعينكم، وأن تكونوا المثال الحى وقدوة الأبناء والأحفاد - اهـ

وغادر بيروت صباح السبت ٣ مايو قاصدا دمشق فمشى بين صفوف الشعب تهتف وتصفق حتى بلغ الفيحاء. فدخلها دخول الفاتح الظافر، وقد خرجت كلها تستقبله. فكان يوما تاريخيا مشهوداً.

وفى يوم الاثنين ٥ منه دعيت الوفود السورية التى اشتركت فى استقبال الأمير فى بيروت ودمشق مع أعيان البلاد وزعمائها ورجال الرأى فيها إلى اجتماع كبير عقد فى بهودار حكومة دمشق عند الأصيل، وقد شهده الأمير بالذات وخطب فيه الخطبة الخطيرة الآتية:

أتشرف بأن ألقى بعض كلمات على مسامعكم الكريمة. وهذه الكلمات ستكون تاريخية بالنسبة لحياة الأمة العربية الجديدة فى ماضيها واستقبالها. وأرجو العفو والعذر إذا سمعتم بعض أغلاط تقع منى فى أثناء الحديث، لكونى لست من رجال هذا الموقف، وأرجوكم أن تنظروا الىّ بعين العذر. وقد دفعنى إلى الكلام:

أولاً أن أكثر هؤلاء الكرام الذين أتشرف بمخاطبتهم مجتمعون هنا من كافة أنحاء سورية، وقد أتوا إلى بيروت لملاقانى وأداء التحية باسم جميع المواطنين الذين ينوبون عنهم، وحضروا إلى هنا ليسمعوا منى ما حصل فى الغرب فى مؤتمر السلام بخصوص بلاد العرب عامة وسورية خاصة، ولاشك فى أننى مكره على إلقاء هذه الكلمات، لأطمئن

أهل البلاد على بلادهم وعلى استقلالهم. مع أنى بعض الأحيان لا يمكننى أن أصرح بكل شىء لبعض الموانع السياسية التى تجبرنى على السكوت عنها للوفد القادم. ولما كان أكثر الذوات لا يعرفون ما هى الحركة الثورية التى قامت فى الحجاز، وما هو السبب الدافع إليها ولربما أنهم قبل يومنا هذا كانت أفكار بعضهم ممن لا يعلم السياسة العمومية داعية إلى اتهام هذه الثورة بتهم لا محل لذكرها، ويقول أن من قام بهذه الحركة أتى بخيانة للوطن أو للأمة أو للجامعة العثمانية التى كنا نحن من أفرادها. ولكن على أثر انكسار الاتحاديين وتششتت شمل الاتحاد الجرمنى، علم المجموع أن من قام بالثورة هو رجل أو رجال عالمون بسير الحركة السياسية والعسكرية فى العالم. وأن من قام بهذا ما قام إلا لحفظ قسم من جسم البلاد العثمانية وإنقاذه مما سيقع به بعد الحرب. ولاشك أن المسؤول فى الحركة - أى الحركة الثورية العربية هو أولاً والدى، ثم الحجازيون مادة، الذين قاموا بها فعلاً، أما السوريون فإنهم مسؤولون عنها معنى، لانهم قد شوقوا الحجازيين لهذه الحركة فنرى والله الحمد أن الفخر وان كان أولاً للحجازيين فهو فخر للجميع. لان هذه الثورة هى ثورة قومية لا يمكن أن نسندها إلا إلى الأمة جمعاء. نعم! إن والدى قام بالثورة فى أثناء النزاع العظيم الدينوى بعد ما رأى أن الأتراك انقادوا إلى التيار الألمانى، وأوردوا الأمة العثمانية موارد الهلاك، ورأى أن نوام العرب فى الحرب مع الأتراك المتحدين مع الألمان سيوقع البلاد التركية فى ذات الموقع ورأى أن الأمة العربية التى طالما تمتنت الخروج من نبر الاستعباد والنهوض إلى ما كانت عليه فى سابق التاريخ طامحة بأنظارها إلى الإفلات من أشراك أعدائها. لهذا قام بالحركة بعد أن أتيت إلى سورية وقابلت بعض الرجال الذين منهم كثيرون فى مجلسنا هذا. سواء من البدو أو من الحضرة عقب مجيئى إلى هنا. ولاشك فى أنهم يذكرون ذلك.

ولما وصلت إلى دمشق، ورأيت ما رأيت من رجال الثورة، رجعت إلى الحجاز وأخبرت والدى كيف أنهم قاموا بواجبهم وعليه قام. ولكن تقدير البارى جعل السوريين فى موقف لا يمكنهم من مؤازرة الحجاز بما قام به لأسباب تعلمونها، وهو ضغط الأتراك عليهم وما أتوه من الأفعال التى سيسطرها التاريخ، ويخلد ذكر من قتل ومن استشهد فى تلك الأثناء من السوريين بأحرف ذهبية. قام والدى ولم يفكر فيما يقع على الحجازيين من القيام ضد الأتراك، ولم يتيقن من النتيجة. إلا أن البارى سبحانه وتعالى يسر هذه الأمور فجلا الأتراك عن سورية.

«لاشك أنه قبل ذلك أتى ببعض مذكرات أو معاهدات بينه وبين الأمم المحالفة أمم الحلفاء. واتكالا على البارى سبحانه وتعالى ثم على العهود التي أخذها قام بالواجب إلى أن انتهى الحرب وبدأ فى الصلح. ذهبت عن والدى إلى باريس عقب جلاء الأتراك، ولتنفيذ الخطط العسكرية فى البلاد المحتلة. جعلت البلاد السورية مقسمة على ثلاث مناطق وهذا لتنفيذ الخطط العسكرية ليس إلا. وأسست الحكومة العربية العسكرية فى داخلية سورية، وهى ليست حكومة دائمة. ولذلك ذهبت إلى المؤتمر الذى انعقد فى باريس لأخذ كل مستحق حقه. وصلت باريس، ودخلت المؤتمر وجمعية الأمم لبث رغائب الشعب على قدر اجتهادى، وتمكنت من قول ما أريد. وعند نهايى رأيت أمم الغرب فى حالة جهل عميق عن أحوال العرب. كانوا لايعرفون عن العرب إلا ما كانوا يعرفونه عنهم فى حكايات ألف ليلة وليلة ليس إلا. كانوا يظنون العرب عبارة عن الأمم السالفة العربية، ولا يفتكرون بوجود الأمم العربية الحاضرة، ولا يعرفون شيئاً عن الأفكار السياسية والنهضة التى حصلت فيها. يفتكرون العرب هم عبارة عن عرب البادية الذين يسكنون الصحراء، وأما باقى سكان البلاد المعمورة فهم يعدونهم غير عرب، ولاشك أن جهلهم هذا جعلنى أصرف وقتاً طويلاً لأفهم هذه الأمم الحقيقية، وأثبت أن العرب أمة واحدة تقطن فى البلاد التى تحدها البحار من الشرق والجنوب والغرب، وتحدها جبال طوروس من الشمال.

«قلت هذا للمؤتمر، وأخبرتهم بمقاصد العرب ونواياهم. وبما أنهم قاموا لإنصاف المظلوم فبعد أن فهموا المقاصد والمطالب، وما فعله العرب من المعاونة للحلفاء فى هذه الحرب اعترفوا باستقلال العرب مبدئياً، ولكونهم ليسوا عالمين بالدرجة التى حازتها الأمة العربية اليوم من الرقى الأدبى والسياسى، ولتأمين السلم فى البلاد بأجمعها رأوا أن ينتدبوا هيئة دولية لئرى الحقيقة بأبصارها، وها هى قائمة اليكم.

كانت مدافعتى عن بلاد العرب على قسمين: الأول، البلاد العربية لا يمكن تجزئتها. القسم الثانى، - بما أن البلاد العربية بين سكانها اختلافات فى طبقات العلم والتعليم ليس إلا، فالظروف ليست كافية لتجعلهم أمة واحدة. لذلك رأيت الدفاع كما يلى:

« ان سورية والحجاز والعراق قطعات عربية. وكل قطعة منها يطلب أهلها الاستقلال. وقلت إن نجداً والبلاد المساوية للحجاز من الأقطار العربية هى تابعة للحجاز ليس إلا. وهذه يرأسها والدى، أما سورية فيجب أن تكون مستقلة. وكذلك العراق يريد استقلاله، ولا يريد معاونة أو حماية. نحن لا نرضى فى سورية أن نبيع استقلالنا بما نحتاج إليه من

المعاونات في ابتداء تكويننا، بل إن الأمة السورية هي أمة تريد أن تستقل وتأخذ ما تحتاجه من المعاونة بثمنه - أي بدراهم معدودات.

«دافعت هذا الدفاع، ولا حاجة إلى غير ذلك، لان مجلسي هذا هو خاص لسورية. فإننى أقول عن سورية:

«دافعت عن سورية بحدودها الطبيعية. وقلت ان السوريين يطلبون استقلال بلادهم الطبيعية، ولا يريدون أن يشاركونهم فيه شريك وقد توفقتنا والحمد لله. العراق بلاد مستقلة بلا علاقة بسورية. كما أن سورية لا علاقة لها بسائر البلاد العربية. مع أن العرب أمة واحدة. وكلنا يعلم ان المقاطعات العربية بالنسبة للتاريخ والجغرافية والصلات القومية هي بلاد واحدة. وان هذه المقاطعات تكون جماركها ومصالحها الاقتصادية موحدة لا حاجز يحجز المناسبات الودية والاقتصادية بينها.

«كانت مدافعاتى عن البلاد بهذه الصورة، وكانت الأمم تنظر إلى طلباتى نظر الارتياح والقبول. وما حصل من الجدل ما هو إلا من عدم معرفة تلك الأمم مقاصد العرب وطواياها، خوفا من وقوع ما لا تحمد عقباه بما بذره الأتراك، ولكون الأمم الغربية تنظر إلى المجموع التركي العثماني كمجموع واحد، وما يحصل من الأتراك يظنونهم من العرب. فبعد أن وقفوا على حقيقة الأمر، وعرفوا ما هي مقاصد السوريين أذعنوا لهم وأعطوهم كل ما يطلبونه. وما أنا بين أيديكم قد قدمت إليكم من مؤتمر السلم أبلغكم ذلك، وستصل إليكم الهيئة الدولية، وتخبركم بما أخبرتكم به، ونطلب منكم أن تعربوا لها عن ضمائركم بأية صورة كانت. لان الأمم لا تريد اليوم أن تحكم أمة أخرى إلا برضاها.

«وقد جعلت جمعية الأمم مانعا للحرب، وولت بحل الاختلافات والنظر فيها، وسيكون للعرب مندوب في جمعية الأمم. وهذه التي تنظر إلى ما هو حاصل، أو ما يحصل بين الأمم من الاختلافات بعد رجوع هذه الهيئة إلى باريس، وستسمع رأى كل شعب من الشعوب التي كانت تحت يد الترك، وتعلن مطالب العرب وغيرهم إما استعباداً أو حكماً ذاتياً، استقلالياً على قدر علم وعرفان واقتدار الأمم التي انسلخت عن الأتراك.

«فالموقف اليوم هو بيدكم. إن التسويات الخارجية قد تمت بفضل البارى سبحانه وتعالى، ويحسن نية من حالنا من الدول العظام الذين لا يمكننى أن أفرق بين الواحدة

والأخرى فى حسن النية، وهم بكل ارتياح قد قبلوا ما نثرت بين أيديهم من الأقوال.

«أنا الآن سأبتدىء فى قولى عما يجب علينا عمله، ولكن قبل كل شىء يلزمنى أن أرجع ثانيا إلى الماضى فأقول:

«إن الثوار قاموا ولم يستشيروا الأمة لعدم مساعدة الوقت، فحملوا المسؤولية، وعملوا ما عملوه حتى اليوم.

والآن ذكرت ما حصل فى السابق إلى تاريخنا هذا. وأريد ممن حضر من ممثلى الأمة الذين فى حالتهم الحاضرة، ليسوا ممثلها بالصورة الحقيقية، ولكنهم بموقعهم الأدبى يمثلون الأمة تمثيلا معنويا. أطلب منهم أن يصرحوا إلى بافكارهم وأن يقولوا لى هل ما قمنا به فى السابق هو حسن أم لا؟؟ (فأجيب الأمير على سؤاله «حسن ، حسن!!» وأعقب بالتصفيق والتهتاف)

«وهل هو موافق لرغائب الأمة أم لا؟؟ (فأجابه الحضور: موافق، موافق مع التهتاف الشديد).

«وهل أعمالنا هى مقرونة برضى الأمة أم لا؟ [فأجاب الجميع نعم، نعم! وكل الرضى وفوق الرضى (تصفيق وهتاف)]

«وهذه أعمالنا فى السابق. ولكن بعد اليوم يجب على رجال الثورة أو رجال الحكومة الحاضرة (قولوا ما شئتم) أن يظلوا سائرين بأعمالهم، لأننا إلى الآن ما تمكنا من تأسيس حكومة أساسية. ولكن بما أن الوقت قد ساعد واجتمعت هيئة الوفود. فلا يمكننى أن أرجعهم قبل الاطلاع على أفكارهم الخصوصية، هل يريدون أن نداوم على عملنا أم لا؟ (الجواب: نداوم، نداوم، نداوم، مع التهتاف).

«هل الأمة معتمدة على من هو قائم بأمرها أم لا؟ فأجابه: معتمدة، معتمدة، معتمدة.

«أرجوكم الإصغاء لبعض كلمات تجول فى خاطرى: هل تسمح الأمة بأن أدير الحكومة مع السياسية الخارجية والداخلية بعد اليوم أم لا؟ (نعم، نعم، نعم!) تصفيق شديد، وهنا قوطع بالتهتاف الشديد. وقال الجميع: فليحيا أميرنا فيصل تكرارا، وتكلم بعض الحضور باختصار، ثم عاد إلى الكلام فقال:

«أشكر هذه الهيئة، وأشكر هؤلاء الذوات على ما هم ناظرون إلىّ به من الارتياح والطمأنينة، ولكننى أيضا أجب نظرهـم إلى مسألة وهى: لاشك أن الوكيل أو الشخص الذى يدافع فى الحقوقيات لا يمكنه المدافعة عن حقوق موكله إلا إذا كان بيده وثائق تخوله ذلك، كذلك السياسيون لا يمكنهم الدفاع عن الأمة إلا اذا كانوا حائزين على الشروط التى تمكنهم من العمل. فالهيئة الحاضرة تسأل الأمة هذا السؤال وتريد الإجابة عليه وهو:

«هل الأمة تؤيد كل أعمالى فى الداخل والخارج قولاً وفعلًا؟ وهل تساعدنى بإعطاء جميع ما أطلب منها بدون شرط. ولا قيد أم لا؟ (فأجيب نعم لك الأمر).

« هذا الذى أريد. لاشك أن هذه هى النقطة الاماسية التى تكون مستنداً للشخص وللذوات، أو للهيئة التى ستعمل لتدبير الشؤون بعد اليوم إلى حين انعقاد المؤتمر السورى الذى سينعقد فى هذه الأيام.

«ولكن لكى أعمل إلى ذلك الوقت يلزمنى الاعتماد. وقد طلبته منكم وأعطيتمونى إياه وسأعمل.

«أرجو البارى سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير، وإنى أريد من الأمة أن تنظر إلى بالنظر السابق. وأنتظر من الأمة أن لا تغتر وتقول: الأمم أعطتنا استقلالنا فإن اعتراف تلك الأمم ما هو إلا اعتراف معنوى. فلا نعطى شيئاً إلا ما نأخذه بأيدينا. فالأمر بيد الأمة وعليها القيام. وإن لم نقم واتبعنا الاهواء وقلنا نحن مستقلون. وكل منا تقاعد عن واجبه الوطنى فلا استقلال لنا.

«أقول هذا لانى رأيت الأمة عند قدومى قابلتنى بكل ترحيب. وأريد أن الأمة تؤيد أقوالها بأفعالها. هذا طلبى مختصراً جداً. ولعدم علمى بما سأطلبه لا يمكن أن أقول شيئاً. ولكن بعد ان أحرزت ثقتكم، وثلت اعتمادكم. فعلى قدر ما أراه من الحاجة سأطلب من الأمة أن تؤازرنى معا.

سعد الدين الخليل (حوران): إن حوران تقدم لسموه ما يطلب. وقام موفد آخر وتكلم بحماسة شديدة. ثم قام أحد موفدى فلسطين وقال: إن دماء الفلسطينيين وأموالهم للأمير. وقال أحد موفدى العامريين. إننا قد لبسنا للحرب عدتها. نحن وجميع العرب من لم يقتل قليمب. فقال له الأمير أرجوك التوقف لأن ما قيل ليس بلسان

العموم، أريد أن ينتدب أحد منكم للكلام.

فقام الشيخ نورى الشعلان شيخ مشايخ الروله فقال: «نحن العرب عيالهم وبيوتهم الشعرية فذاك وطوع يدك. ومن لا يفعل ذلك يخرج عن دين الإسلام».

وقال نسيب بك الأطرش: «نحن جميع عشائر سورية العربان والدروز نضحى حياتنا تجاه خدمتك وخدمة الأمة العربية، والحائد عن ذلك يكون خائن الناموس والشرف والعرب».

الشيخ عبد الحسين صادق (جبل عامل) - اننى باسم أهل جبل عامل أبايعك على الموت.
الأمير: - لم يحن زمن المبايعة، نحن اليوم فى دمشق وكلامى موجه للدمشقيين
وللسوريين.

وأريد ان اسأل أهل دمشق، ثم أهل المقاطعات

محمد فوزى باشا العظم ومحمد أبو الخير عابدين والشيخ أسعد صاحب وغيرهم:
نحن رهينو أمرك نفديك وتعتمدك.

بطريك الروم الكاثوليك: كما تأمرون سموكم فأمرنا بما تشاؤون

ثم سأل سموه بطريك الروم الأرثوذكس فأجاب «بيننا وبين سموكم اتفاق فى هذه
القاعة على شرائط معدودة لاتبرح من ذاكرتكم الشفافة. فنحن عليه راسخون» ثم استأنف
بطريك الروم الكاثوليك وقال: «انى أعتمد نفس الاعتماد الذى اعتمده بطريك الروم
الارثوذكس»:

مطران السريان الكاثوليك - اننى اعتمد نفس الاعتماد الذى اعتمده غبطة بطريك
الروم الأرثوذكس.

مطران السريان القديم - أقول بلسان أمة السريان فى سورية إنهم طوع أمرك. تبايعك
بقلوبها وتعتمد عليك.

سعيد باشا سليمان (بعلبك) - عموم أهل قضاء بعلبك تحت أمرك، مئات وألوف رهن
إشارتك.

عمر بك الأتاسى (حمص) - قدمت من حمص وما ودعت الحمصيين إلا بعد ان
اعتمدونى وهم يسلمونك دماهم وأرواحهم.

إبراهيم الخطيب (جنوب لبنان) - فوضناك أن تكون سلطانا (سمو الأمير باسمنا: ابق ذلك الآن) جبل لبنان جزءتمم لسورية لا ينفك عنها.

وهكذا صرح جميع أعيان البلاد ووجوهها الذين كانوا حاضرين باعتمادهم واحدا تلو الآخر، وأبانوا جميعا أن أرواحهم ودماعهم طوع إشارة سموه. وفى النهاية قال سمو الأمير: «لقد حصل المطلوب» ثم تكلم مطران الأرمن باللغة التركية فشكر ما لقيه مهاجرو الأرمن من عطف العرب وإنسانيتهم خلال سنى الحرب الأربع، وقال إن تاريخنا سيكتب اسم العرب بمداد من ذهب. فانا ابارك لكم وأشكركم.

ثم استأنف الأمير الكلام فقال:

«لاشك أنتى بعد ما أخذت هذا الاعتماد من هذه الهيئة سداوم وأثابر على أعمالى كما سبق حتى انعقاد المؤتمر العام الذى اخبرتكم عن انعقاده فى هذه الايام، والذى سيسن القوانين التى توضع لإدارة شؤون سورية كافة.

«ولاشك أن فكرى فى إدارة سورية هو اننى أرى مطالب الأقلية من الشعب تكون مرجحة على آراء ورغائب الأكثرية. وهذا أولا بالنسبة لما بذل الأتراك من الشقاق والنفاق بين العناصر. البلاد ستقسم إلى مناطق بموجب الحالة الجغرافية والسياسية التى اكتسبها السكان بالنسبة إلى اختلاف مناطقهم، وإننى أعلم يقينا أن القسم الجنوبى من البلاد السورية لا يدار كما يدار الساحل، ولا يدار الساحل كما يدار داخل سورية مثلا، وحوران وجبل الدروز والمنطقة الجنوبية، وقولى هذا قول شخصى، لانى فرد، ولكننى أؤثر على المجموع، بما له من الاعتماد على. وإن شاء الله أرى منهم اعتمادا دائما، ويأخذون أقوالى ويعملون بها، لأن النتيجة حسنة إن شاء الله (تصفيق وسكوت برهة)

«وإنى أطلب من الجميع كبيرا كان أو صغيرا أن يعتمدوا على البارى سبحانه وتعالى ثم على من هو منهم - أى شخصى الحقير. لأنى سادافع عنهم، وسأنتظر اليهم على اختلاف أديانهم نظرة واحدة.

«لا فرق عندى بينهم. بل أرى الصالح والمتعلم مقدمين فى نظرى. أقسم على هذا بشرف آبائى وأجدادى، كما أنى أطلب من الأمة أن لا تنتظر إلى شخصياتها فى المعاملات العامة، وليس لاحد منا أن يقول كنت كذا - ناظرا لشأته العائلى. بل لينظر كل منا إلى

النفع العام فى جميع الأمور التى يجب أن تقدم على المصالح الخاصة. ولاشك أن الشخص بذاته محترم عند الجميع. ولكن العمل يجب أن يكون بالعلم. فقد يكون الرجل وجيها فى البلاد وهو غير قادر على إدارة وظيفة. فليعلم كل إنسان أننى لا أتحزب لشخص لانه من عائلة أو أسرة ذات شأن وقوة، بل أنظر إلى اقتداره الشخصى لا لمقامه الاجتماعى فى الأمة فاستخدمه فى العمل الذى يليق به. لأن الحرمة الشخصية معنوية، والعمل عائد للأمة جميعا فلا يمكن إدخال الشخصيات فى العموميات.

«وأرجو أن تعتمد الأمة على الأمم التى حالفتها وناصرتها، والتى لولاها لم نستطع الاجتماع الآن. ولكننا واثقون ان حلفاءنا لا يريدون لنا إلا الفلاح، ولا طمع لهم بغير نجاحنا. فعلينا أن نثبت لهم انا أمة تريد ان تستقل، ولناحافظ على كبيرنا وصغيرنا وجارنا ومستجيرنا، ونحترم كل من يأتينا من الأمم الغربية لخدمتنا فى بلادنا.

«هذا وأرجوكم رجاء خاصا أدعوكم به إلى الاتحاد وجمع الكلمة. فهذه وظيفة الأمة. لا وظيفتى الخاصة. إذ أنا فرد منكم. ولا استقلال لكم إلا إذا لزمتم السكون، وعملتكم بما يقوله من انتم معتمدوه.

«هذه أقوالى وربما أطلت أو أخطأت، ولو خطب فى هذا الموقف غيرى لتكلم الساعات الطوال، ولكن عجزى يجعلنى أقول السلام عليكم»

الحالة في سورية بعد عودة الامير نشاط الحركة الوطنية وتأليف الأحزاب والأندية

عملت الحكومة الجديدة في خلال غياب الأمير فيصل في أوروبا - وقد امتد خمسة أشهر.. على إكمال التنظيم الإدارى. فأنشأت ديوانا للشورى الحربى للنظر فى شؤون الجيش. كما أنشأت مجلسا للشورى يساعد الحاكم العسكرى العام فى درس القوانين والأنظمة. وأسست ديوانا عاما للمعارف، ومديرية للحقانية، وأخرى للأشغال العمومية فخطت خطوات واسعة فى سبيل الاستقرار. كما وطدت الأمن، وكانت باتفاق الكلمة أفضل حكومة بين الحكومات الموقته التى أنشئت فى لبنان أو فى فلسطين أو فى العراق. فاطمأن إليها الناس وارتاحوا وأقاموا يرقبون نتائج المفاوضات الدائرة فى باريس لتقرير مصيرهم.

ونشطت الحركة الوطنية فى خلال تلك الفترة نشاطا يستوقف الأنظار. فصدرت صحف عديدة وتآلفت أحزاب سياسية، وأنشئت الأندية الوطنية وانبث الدعاة فى كل مكان يعملون لإيقاظ الروح الوطنية، ويدعون إلى مقاومة كل دعاية أجنبية، ويطالبون بالاستقلال التام لسورية وفلسطين استقلالاً مجرداً من كل شائبة. وتكلم أولاً عن الأحزاب السياسية التى تآلفت فى تلك الفترة وساهمت فى الحركة الوطنية وهى:

١- حزب العربية الفتاة

أعيد تأليف هذه الجمعية على أثر دخول دمشق، وتولت العمل باسمها لجنة إدارية هذه أسماء أعضائها:

على رضا الركابى، ياسين الهاشمى، الدكتور أحمد قدرى، نسيب البكرى، رفيق التميمى، توفيق الناطور، والخامس هو السكرتير العام، والسادس هو أمين الصندوق. وكانت هذه اللجنة تسيطر على الحكومة سيطرة فعلية، وكانت منها بمنزلة جمعية الاتحاد والترقى من الحكومة التركية. فما كان يتم شىء إلا بأمرها وإرادتها. وتبدلت هذه اللجنة على أثر عودة الأمير من أوروبا فى شهر مايو سنة ١٩١٩ فتآلفت

فى الدور الجديء على المنوال الآتى:

ياسين الهاشمى والءكءور أءمء قءرى ورفىق التمىمى وسعىء ءىءر وأءمء مرىوء وعزت ءروزه وشكرى القوئلى وءذا أمىن الصءءوق وءروزه السكرئىر العام. واستقالت ءذه للءنة فى شهر مارس سنة ١٩٢٠ على أءر ءملاء شءىءة وءهء إءىها، فءلقلءها لءنة جءىءة اءءارها الأءضاء فى اءءماع كبىر عقءوه فى منزل على رضا الرءابى برئاسة الأمىر زىء وهى.

على رضا الرءابى ونسىب البكرى وسعىء ءىءر وءالء الءكمى والءكءور أسعء الءكمى ومءمء الشرىقى (السكرئىر) وءمىل مرءم بك (أمىن الصءءوق)

وكان فى صءءوق ءذه الءمعىة يوم أسءءت أمانة صءءوقها إلى ءمىل مرءم بك ١٦ ألف ءنىه أبى شكرى القوئلى فى أول الأمر أن ىسلمها لاءءباراء رآها. على أنه قبل - بعء ءوسء وإءاء - أن ىسلمها، وءانء فى عهءه ءمىل بك يوم ءءول الفرنسوىىن ءمشق. وءءلك كان فى عهءة ءوفىق الناطور ألفا ءنىه من أموال الءمعىة لم ىقءم عنها ءسابا للءىئة الإءارىة الءى اءءمءء فى القاهرة بعء الءلاء عن ءمشق. لأنه ظل فى سورىة، ولم ىبرءها مع إءوانه الءىن ءءروها ءىن ءءول الفرنسوىىن. فقء عاء إلى بىروء، وءقلء على الاءر منصبا قضائىا فى ءءومة لبنان.

ومن الءىن ءءلوا ءمعىة الفءاة فى ءلك الدور الءكءور عبء الرءمن الشهبءئر وءسن الءكمى وعمر الأءاسى وءالء الءكمى والأمىر عاءل أرسلاى وأسعء الءكمى وىوسف ءىءر ورشىء طلىع.

ب- ءزب الاسءقلال العربى

انءشء ءذا الءزب فى ءمشق سنة ١٩١٩ لىكون رءاء لءمعىة الفءاة. فءظل سرىة، وىظل أمرها مءهولا عن الءمهور فىءولى هو العمل الظاهرى، وىقوم بالأعمال الاءرى. وقء اشءرك عءء من أءضاءها فى ءأسىسه.

وهءه أسماء أول لءنة إءارىة له: سعىء ءىءر وأسعء ءاغر وعزت ءروزه وزكى التمىمى وفوزى البكرى وعبء القاءر العظم وسلىم عبء الرءمن وقاىز الشهابى. وقء كءر عءء الءىن ءءلوا فىه ءلك الأىام، وكان شعاره العمل لاسءقلال بلاد العرب وءءرىرها من كل نفوء أءبىى.

جـ حزب العهد السوري

حزب العهد من الأحزاب العربية التي نشأت في الأستانة خلال العهد التركي، وعملت لمصلحة العرب. وقد بسطنا تاريخه وأغراضه بسطا وافيا في المجلد الأول.

فلما تم فتح سورية، وظهرت نيات الحلفاء وأغراضهم اجتمع مؤسسو هذا الحزب وأعضاؤه القدماء من الضباط العرب الذين اشتركوا في الثورة. عراقيين وسوريين وقرروا أن ينقسم العهد إلى حزبين: سوزى وعراقى فيعمل كل منهما لخدمة قضية بلده مستقلا عن الآخر.

وتألف حزب العهد السوري في هذا العهد من الضباط السوريين، ٤١ سواء منهم الذين كانوا في الجيش العربي، واشتركوا في الثورة، أو الذين ظلوا في الجيش التركي وجاءوا بعد الحرب إلى بلادهم. واشترك عدد من غير العسكريين في أعماله. نذكر منهم الأمير فؤاد الشهابى وحسن الحكيم وحسنى البرازى وغيرهم، وكانت غايته السعى لاستقلال سورية.

وهذه أسماء أعضاء لجنته الإدارية: حسنى البرازى، محمد إسماعيل. لطفى الرفاعى، عارف التوام. رشيد بقدونس. الأمير فؤاد شهابى، حسن الحكيم.

بـ حزب الاتحاد السوري

نشأ هذا الحزب في مصر رسميا في شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ أى بعد طرد الترك من الشام. وقد ضم نخبة من رجال القضية العربية القداماء، الذين انفضوا تدريجيا من حول الحسين خلال السنة الأولى والثانية للنهضة، لما تبينوه من صلابته وتشده في آرائه وعدم ميله إلى الأخذ بأراء نوى الرأى، ولأنهم أدركوا أن الإنكليز والفرنسيين مصممون على اقتسام العراق وسورية.

وجاء نشر البلاشفة للوثائق السرية بعد خروجهم على الحلفاء، وفي جملتها معاهدة سايكس - بيكو. فزادهم إيمانا على إيمانهم، وحملهم على مضاعفة الهمة لإنقاذ سورية من دون أن تكون لهم صلة بحكومة مكة. وكان هناك إجماع بأن الحلفاء سيتركون الحجاز للحسين، ولن يمكنوه من التدخل في غيره.

وبدأ هؤلاء العمل في أوائل سنة ١٩١٨ - وكانت الحرب دائرة - فاختاروا منهم لجنة هذه أسماء رجالها: رفيق العظم والدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وفوزى البكرى، والشيخ كامل

القصاب، وخالد الحكيم، ومختار الصلح، وحسن حماده، اشتغلوا شهرين أو ثلاثة فجمعوا فى خلالها الوثائق الخاصة بالجمعيات العربية وترجموا بعض رجال العرب من الشهداء، والغاية التى رموا إليها، ثم كتبوا كتابا إلى اللورد ملنر وزير الحربية البريطانية يومئذ بواسطة سكرتيه سألوه فيه بعد ما وصفوا القلق المستحوذ على البلاد العربية الأسئلة الآتية:

١- هل باستطاعتنا أن نؤكد لقومنا أن غاية الحكومة البريطانية أن يتمتع العرب فى البلاد العربية بالاستقلال التام ونحن نتعهد باعتبارنا الممثلين للجمعيات العربية المتعددة بأنه بعد التصريح الإيجابى نقوم بالخدم اللازمة التى تكلف بها من جانب حلفائنا وتعود منفعتها علينا جميعا.

٢- يطلق القائمون بالحركة العربية كلمة بلاد العرب على شبه جزيرة العرب والعراق وسورية وقسم من ولاية الموصل.

٣- هل من سياسة حكومة انكلترا مساعدة أهالى هذه البلاد على استقلالهم استقلالاً تاماً، وتأليف حكومة عربية لا مركزية تشبه حكومة الولايات المتحدة أو غيرها من الحكومات الحليفة التى توافق طبيعة الأهلىن، أم هى تعتبر كل البلاد العربية على السواء.

٤- إن السوريين مع تمنيمهم لأن تكون سورية جزءاً من المملكة العربية الحليفة فإنهم كانوا من قبل الحرب يعملون لتطبيق قانون اللامركزية على البلاد السورية، وتقسيمها إلى ولايات تحكم نفسها بنفسها حكماً إدارياً فقط. وإذا استقلت البلاد العربية فيجوز تطبيق مثل هذا القانون على ولاياتها وإماراتها كلها.

٥- ان العرب كانوا ولا يزالون يعتمدون على بريطانيا العظمى ويتقنون بتقاليدها التى تقضى بسلامة البلاد العربية، واعتبار صونها ضرورة سياسية، ولذا فإن قومنا يمدون يد الموالاة والصداقة إلى حكومة بريطانيا والى شعبيها، ويأملون منهما أن يكونا نصيرى هذا الشعب ذى التاريخ العظيم الذى إذا وقف على أبواب الشرق كان حارساً أميناً وصديقاً صدوقاً لمعاضديه على استقلاله.

٦- ان التصريحات الرسمية التى صرح بها ساسة الحكومة الإنكليزية الخاصة بسلامة الولايات التركية الأهلة بالعنصر التركى، وعدم التحدى لاستقلالها، وإغفال سائر العناصر العثمانية تجعل الأمة العربية فى يأس شديد من سلامة حياتها السياسية إذ لا ترى من الإنصاف أن يصرح لتركيا التى هى حليفة الألمان بسلامة بلادها، وتهمل

الأمة العربية التي هي حليفة بريطانيا العظمى والتي ضحت بالكثير من رجالها لأجل استقلالها.

وهنا مجال للقول في اختلاف الأحوال في البلاد العربية، والخلاف القائم بين بعض أمرائها، ولكننا نقدر أن نقول إن الوفاق بين أمراء العرب غير متعذر على المبادئ الأساسية التي تقوم عليها حكومة البلاد العربية المتحدة، هذا إذا أمدتنا دولة إنكلترا بالمساعدة وأطلقت لنا يد العمل بصدق وإخلاص في شبه جزيرة العرب، واستعانت بجلالة الملك الحسين بن علي المعظم على التآليف بين قلوب أمراء الجزيرة وجمع كلمتهم.

هذا وإننا مع متتورى العرب عامة، والسوريين منهم خاصة. سواء كانوا في سورية، أم في مصر، أم في البلاد التي لاتزال تحت النير التركي، أم في البلاد التي تشغلها الجيوش البريطانية مستعدون لكل مساعدة وكل عمل تترتب عليه مصلحة بلادنا، ووفاءنا إلى حلفائنا الذين يأخذون بناصرنا.

٧- إن الثورة العربية وإن ظهرت من الحجاز. فسورية أساسها، ولها اليد الطولى في الحركة الفكرية التي انتجتها. وكان الاتصال مستمرا بينها وبين الحجاز، وكان جلالة الملك المعظم وأنجاله الأمراء على اتفاق تام مع الجمعيات العربية في سورية ومصر، ولولا ثقة السوريين بوفاء إنكلترا للعرب عامة وللسوريين خاصة لما قدم هؤلاء منذ نشبت الحرب إلى يومنا هذا عددا عظيما من نوابغ رجالهم وعلمائهم وأفاضلهم ضحايا من أجل استقلال البلاد العربية.

ونحن لا نتصور أبدا أن رجال بريطانيا العظمى المنصفين يدعون تلك النفوس الشريفة تذهب هدرا مهما كانت الاعتبارات السياسية التي تتطور اليوم في أوروبا. ومن البيانات المهمة التي نكتفى بالإشارة إليها في هذا البيان أن الجمعيات السورية لم ترسل مندوبيها إلى مصر بعد إعلان الحرب (إشارة إلى سفر الأستاذ الشيخ كامل القصاب وغيره إلى مصر) إلا للاستيثاق من معونة إنكلترا وتحقيق الآمال التي عقدتها الأمة العربية على رجال بريطانيا العظمى.

ويكفى أن نلفت نظرکم إلى الإيضاحات السياسية التي صرح بها جمال باشا في كتابه الذي طبع أثناء الحرب وشوه به وجه الحقيقة، ومنه تعلمون طرفا من أخبار هذه الجمعيات التي تقدم لكم تاريخها الحقيقي.

العهد البريطاني للسوريين السبعة

وفى يوم ٢٢ يونيو سنة ١٩١٨ دعا الكومندور هوغارث عميد جامعة اكسفورد، وكان منتدبا للعمل فى المكتب العربى بمصر الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وأحد اخوانه إلى منزل المستر والرند كاتم أسرار اللورد ملنر، وأبلغه جواب الحكومة البريطانية الرسمى الصادر يوم ١٦ يونيو سنة ١٩١٨ من وزارة الخارجية وهو:

١- أن حكومة جلالة الملك ترغب فى أن تكون عامة الشعوب التى تتكلم اللغة العربية منقذة من السلطة التركية، وأن تعيش فيما بعد وعليها الحكومة التى ترغب فيها.

٢- أن بعض البلاد العربية أما كانت تتمتع باستقلالها التام منذ مدة أو حصلت عليه الآن، وهو استقلال اعترفت به انكلترا اعترافا تاما. وهذا يكون شأنها أيضا مع البلاد التى تحصل على استقلالها من الآن حتى نهاية الحرب.

٣- أن سائر البلاد العربية هى الآن إما خاضعة للترك أو تحتلها جيوش الحلفاء، فحكومة جلالة الملك تأمل ولها الثقة أن شعوب هذه البلاد تحصل أيضا على حريتها واستقلالها، وأن يتخذ بشأنها عند انتهاء الحرب قرار يتفق مع رغائبها.

٤- ان حكومة جلالاته تعتقد أن العوائق والصعوبات المقدرة التى تقف فى سبيل إحياء هذه الشعوب سيتغلب عليها تغلبا ناجحا. وهى تعد بكل مساعدة لمن يسعى فى إزالتها، ومستعدة لأن تنظر فى أى خطة لعمل مشترك يلتئم مع الحركات العسكرية الحاضرة ويتفق مع المبادئ السياسية لبريطانيا وحلفائها.

وبعد الحصول على هذه الوثيقة السياسية الخطيرة وقد سماها لورانس «العهد البريطانى للسوريين السبعة» اجتمع عدد كبير من السوريين فى مصر فتذاكروا فى الشؤون السياسية إلى أن انتهوا إلى إنشاء حزب الاتحاد السورى، ووضعوا له المبادئ الآتية:

١- تكون سورية بجملتها على وحدتها القومية من جبال طوروس شمالا، والخابور فالفرات شرقا، والصحراء العربية فمداين صالح جنوبا، والبحر الأحمر فخط العقبة ورفع، فالبحر المتوسط غربا.

٢- تكون سورية مستقلة استقلالاً تاماً، تضمنه جمعية الأمم، وتضمن قانونه الأساسى ضماناً لا يحل بهذا الاستقلال.

٣- يكون الحكم فيها على مبدأ الديمقراطية اللامركزية، ويكون أساس قوانينها وأحكامها

مدنيا بحتا، ما عدا أحكام الأحوال الشخصية فإنها تبقى على ما هي عليه.

٤- يكون قانون حكومتها الأساسى ضامنا لحقوق الأقليات.

وقد اختير الأمير ميشيل لطف الله رئيسا له والسيد رشيد رضا وكيلا والدكتور عبد الرحمن الشهبندر وسليم سركييس سكرتيرين، وانضم اليه رفيق العظم والشيخ كامل القصاب وخالد الحكيم ووهبه عيسى المحامى وغيرهم.

وما كاد يذاع خبر تأليف هذا الحزب حتى أرسل إليه الأمير جورج لطف الله يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٨ حوالة مالية بألفى جنيه مع كتاب رفيق «أعرب فيه عن سروره بقيام طائفة من رجال الوطن بعمل نافع لسورية وقال إنه لما كان يعلم أن ما يقومون به يحتاج إلى نفقات فهو يرجوهم قبول نصيبه من الاشتراك معهم فى المسعى الوطنى الجليل، وذلك بتسليم الحوالة التى أرسلها على بنك الأنجلو بألفى جنيه مصرى» فقررت لجنة الحزب فى جلستها فى اليوم نفسه إبلاغه شكرها، وقالت «ان الأمير بعمله وضع الحجر الذهبى الأول فى أساس الحزب الذى أُلّف لجمع كلمة السوريين على طلب الاستقلال التام لوطنهم بالفعل فى الفرصة السانحة الآن»

ولقد كان هذا الحزب أول حزب احتج على تقسيم سورية إلى مناطق على أثر الاحتلال. كما كان أول من طالب باستفتاء السوريين فى تقرير مصيرهم. ولما قدمت اللجنة الاميركية إلى سورية سافر رئيسه الأمير ميشيل لطف الله إلى دمشق، وانضم إلى العاملين. وأنشأ هذا الحزب فرعا فى دمشق برئاسة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر اشترك فى تلك الحركة وساهم فيها.

٥- الحزب الوطنى السورى

نشأ هذا الحزب فى دمشق يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٢٠ وقد جاء فى المادة الثانية من برنامجها أن غايته هى:

١- السعى إلى استقلال سورية السياسى التام، بحدودها الطبيعية، والمطالبة بذلك والدفاع عنه بكل الوسائل الفعالة.

٢- تقوية الصلات القومية والأدبية والاقتصادية بين الشعوب العربية عامة والبلاد السورية خاصة، والسعى فى تقوية الفكرة العلمية فى الأمة العربية لتنهض إلى مستوى الأمم الراقية.

٣- التساوى فى الحقوق المدنية والسياسية بين جميع أبناء الوطن السورى على اختلاف المذاهب والعناصر.

٤- تأييد المبدأ الملكى الديمقراطى بتأليف حكومة ملكية نيابية، تكون من الشعب ومسؤولة أمام الشعب يرأسها سمو الأمير فيصل باسم ملك سورية، ويمثلها تمثيلاً سياسياً، كما هو الحال فى الحكومات الملكية المقيدة.

٥- صيانة الحق القانونى فى جميع أوضاع الحكومة والأمة، والسعى لتحسين حالة النظام الاجتماعى فى سورية بتأسيس صناديق للتعاون الاقتصادى والخيرى، وتنشيط النقابات الزراعية والتجارية وجمعيات العمال.

٦- مؤازرة سمو الأمير فى ما يطلبه لمصلحة البلاد واستقلالها، وتشويق الأهلىين على الإقبال على التجنيد وما يلزمه من التكاليف. حتى يتسنى الدفاع عن الوطن وتوطيد الأمن فى ربوعه والظهور بمظهر الحكومات المنظمة الراقية الخ.

وقد تولى محمد الشرىقى سكرتارية هذا الحزب، وكان ذا هيئتين. إدارية وتتألف من ١٦ عضواً، واستشارية، وتتألف من ٢٥ عضواً معظمهم من جهاء دمشق وأعيانها وبينهم عدد من الأحرار ومن الأشراف الحجازيين.

٦- الجمعية العربية الفلسطينية

وكانت فى دمشق خلال تلك الفترة جالية فلسطينية كبيرة لها صوت مسموع فى الدوائر السياسية. كما كان عدد كبير من رجالها يتبوأون مناصب رفيعة فى دوائر الحكومة وفى الأحزاب، وفى الجمعيات والنوادر والصحافة.

ومع أنهم أنشأوا فى أول الأمر جمعية باسم جمعية النهضة الفلسطينية لمناصرة القضية الفلسطينية والدفاع عنها، وإسماع صوت فلسطين. إلا أنهم عادوا أخيراً فأنشأوا فى أول يونيو سنة ١٩٢٠ جمعية باسم الجمعية العربية الفلسطينية تعمل لجمع كلمة الجمعيات الفلسطينية وتوحيد غاياتها، وتسعى لمقاومة الهجرة الصهيونية، وإدخال فلسطين ضمن الوحدة السورية، وانتخبوا لها هيئة إدارية هذه أسماء أعضائها:

إبراهيم القاسم عبد الهادى، أمين الحسينى (مفتى القدس) سليم عبد الرحمن، معين الماضى، عزت دروزة، عارف العارف.

وقد أدت هذه الجمعيات خدمات ذات شأن للقضية الفلسطينية.

تلك هي الأحزاب والهيئات الرسمية التي كانت تعمل في سورية يومئذ، وكانت ذات برامج معينة وخطط مقررة، وقد كان لكل حزب منها جريدة تمثله وتنطق بلسانه. فجريدة المفيد كانت لسان حزب الاستقلال العربي، والكنانة كانت لسان حزب العهد، والأردن كانت لسان الحزب الوطني، والدفاع لسان الاتحاد السوري.

٧- الحزب السوري المعتدل بمصر

ونشأ أيضا في خلال تلك الفترة حزب سياسي في مصر باسم الحزب السوري المعتدل شعاره العمل لتوحيد سورية في ظل الانتداب الأميركي، وقد ضم خيرة السوريين في مصر وكبارهم، وفي مقدمتهم الدكتور فارس نمر صاحب المقطم، والدكتور يعقوب صروف، وميشيل أيوب باشا، وسعيد شقير باشا، وأنطون مشاقه باشا، وخليل خياط باشا (رئيس فرع الإسكندرية) وسليمان نصيف، ونسيم صبيعة، وأمين مرشاق، ونقولا دياب، وسليم حداد والياس عيساوي وغيرهم. ولم يكن لهذا الحزب رئيس معين، وإنما كان أعضاؤه ينتخبون رئيسا لكل جلسة يعقدونها وكانت السكرتارية العامة بيد الاستاذ سامي الجريديني.

ولما وصلت اللجنة الأميركية إلى بيروت انتدب هذا الحزب وفدا من رجاله تألف من الدكتور فارس نمر وخليل باشا خياط وأنطون مشاقه باشا ونسيم صبيعه فوصلوا صباح ١٠ يوليو إليها.

وقابل خياط باشا والدكتور نمر المستر كراين مقابلة بسطا فيها مطالب الحزب ورغائبه وهي تنحصر فيما يأتي:

- ١- أن تكون سورية من جبال طوروس شمالا إلى حدود صحراء سينا جنوبا ومن البحر المتوسط غربا إلى الصحراء العربية شرقا بلادا واحدة غير متجزئة.
- ٢- أن يعلن مؤتمر الحلفاء استقلال سورية التام، ويوكل دولة لتساعد حكومتها حتى تبلغ الدرجة إلى تتمكن بها من حفظ هذا الاستقلال والتمتع به، وأن تكون تلك الدولة هي الولايات المتحدة الأميركية. لأنها غير مقيدة باتفاقات تستلزم تجزئة سورية.
- ٣- أن تقسم البلاد إلى ولايات متحدة مستقلة كل منها بشؤونها الداخلية وضمها جميعها إلى حكومة واحدة مركزية نيابية مدنية.

٤- أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة للبلاد كلها .
٥- أن تكون الديانة مفصولة فصلا تاما عن الحكومة وسياستها مع المحافظة على أحكام الأحوال الشخصية.
وكانت في دمشق أيضا اللجنة الوطنية، وهي ذات مهمة خاصة، وسنتكم عنها في موضعها .

الأندية العربية

ونشأت على أثر قيام الحكومة العربية أندية وطنية تضم الشباب، وتعمل على إنكاء الروح الوطنية في صدره، وتنظيم حركته. وكان النادي العربي في دمشق رأس هذه الأندية، كما كان قطب رحى الحركة السياسية، ومحل عقد الاجتماعات الوطنية والحفلات العمومية.
وكذلك كان في حلب ناد بهذا الاسم، ومثله في حمص، وبقية المدن الأخرى، وكانت مرتبطة بنادى دمشق تسير طبق تعليماته وأوامره.

وغنى عن البيان أن وجود هذه الأحزاب والصحف والأندية ساعد على تنمية الروح الوطنية وإنكائها كما ساعد على نشر الفكرة الاستقلالية، سواء في الجنوب (فلسطين) أو في الساحل. فلم يرق ذلك للفرنسيين والإنكليز وخافوا العاقبة، ولذلك رأينا المسيو جورج بيكو نفسه يبرق في أواخر شهر يناير سنة ١٩١٩ إلى وزارة الخارجية الفرنسية قائلًا إن غياب الأمير فيصل شجع المتطرفين.

ويقول الكولونيل بريمون في كتابه (ص ٣٢٥) إن اللورد اللنبي زار دمشق في أوائل شهر فبراير سنة ١٩١٩ مع المسيو جورج بيكو. فقال اللورد لصاحبه: سيعود الأمير فيصل إلى دمشق لإقامة قصيرة وإننى أعتد شخصيا على نفوذه (الأمير) في مقاومة الحركة العربية التي تنمو باطراد في الخارج وتبعث على قلقي

السعى للتفاهم بين الأمير وفرنسا

وعاد المسيو جورج بيكو إلى دمشق في النصف الأخير من شهر مايو - أى بعد عودة الأمير بأسبوعين فقابله مقابلة طويلة، ودار البحث على إيجاد صيغة للاتفاق بينه وبين فرنسا ويقول الكونت غونتنيرون في كتابه «كيف استقرت فرنسا في سورية» وهو من الذين

عملوا مع المسيو جورج بيكو فى تلك الأيام: ان هذه المقابلة جرت بطلب الأمير، وأنه اقترح الشروط الآتية للتفاهم مع فرنسا.

١- تلغى فرنسا معاهدة سايكس- بيكو فى مقابل الاعتراف بالانتداب على سورية.
٢- تلغى الإدارة العسكرية فى الساحل، وتنشأ إدارة محلية وطنية كإدارة المنطقة الشرقية.
فرد عليه المسيو بيكو بأنه لا يسع فرنسا إلغاء تلك المعاهدة لأنها ذات طرف واحد فيها، على أنه وعده بدرس هذا الاقتراح، والنظر فيه وإدخال بعض تعديلات على المعاهدة بعد الاتفاق على ذلك مقدما مع القيادة البريطانية العليا. لان انكلترا احد الفريقين المتعاقدين.
وطلب الأمير فى هذه المقابلة أن تذيع المفوضية الفرنسية بلاغا تعلن فيه قبولها لاقتراحاته قبل وصول لجنة الاستفتاء الأميركية، ليطمئن الرأى العام السورى فأجابه المسيو بيكو أن منشور الحلفاء الصادر يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ (انظر ص ٥) يكفى من هذه الناحية لتطمين سموه فأجابه أنه مختصر ومبهم.

ودار البحث أيضا على مسألة الحدود. فأظهر الأمير رغبته فى توحيد سورية وفلسطين وكيلىكية والموصل وجعلها ضمن الحدود السورية، وطلب مساعدة فرنسا لعرب العراق فوعده المسيو جورج بيكو بأن يبذل جهده بالاتفاق معه لإنشاء «سورية كاملة» رغم ما تبديه انكلترا من عدم التساهل فى ترك الموصل وفلسطين. وقال فيما يتعلق بالعراق إنه لا يشترك فى عمل لا تقره انكلترا.

ولم تسفر هذه المباحثات عن أى اتفاق على أن المسيو بيكو أبرق على الفور إلى وزارة الخارجية بما دار. وفى يوم ١٨ يونيو - أى بعد انقضاء شهر أو أكثر على تلك المقابلة تلقى تعليمات من باريس فزار الأمير، وأبلغه استعداد له لنشر البيان الذى اقترحه وللموافقة على تعيين سوريين فى المنطقة الساحلية فلم يقبل، وهكذا فشلت المفاوضات بين الأمير والفرنسيين.

دعوة مؤتمر سوري عام

وأول ما اتجهت إليه أنظار الأمير فى هذه المرحلة دعوة الأمة السورية إلى انتخاب ممثلين رسميين لها يجتمعون فى دمشق، ويبدون رأيهم فى مصيرها، ونوع الحكم الذى تختاره، ويقدمون مطالبها إلى اللجنة الدولية القادمة فى الطريق. فجرت الانتخابات فى المنطقة الشرقية طبقا لقانون الانتخاب التركى القديم، فدعى الناخبون الثانويون الذين

انتخبوا النواب للبرلمان العثماني إلى اختيار النواب الجدد بالنظر لضيق الوقت،
وجرت هذه العملية في الداخل طبق المرام. أما في الساحل وفلسطين، وكانتا تحت
الاحتلال الأجنبي فقد اجتمع كبار القوم، وذوو الرأي والمكانة وانتخبوا مندوبين عنهم
بموجب مضابط وضعوها. فجاء نواب بيروت وطرابلس واللاذقية وفلسطين إلى دمشق
ودخلوا المؤتمر بموجبها.

وفي ٧ يونيو افتتح المؤتمر رسمياً في دار النادي العربي. افتتحه الأمير بخطبة
ضافية بسط فيها الغاية من دعوته، وتكلم عن اللجنة الأميركية ومهمتها. وقال إن مهمة
المؤتمر تنحصر في تمثيل البلاد أمام اللجنة الأميركية، وعرض أمانيتها، وفي سن القانون
الأساسي فيكون دستور سورية المستقبل، ويحفظ حقوق الأقليات.

وصول اللجنة الأميركية ومطالب البلاد

فى يوم الأربعاء ١٠ يونيو وصلت إلى يافا اللجنة الأميركية قادمة ببخرة خاصة فنزلت إلى البر، وبدأت عملها الرسمى بإذاعة البيان الآتى:

إن الشعب الأميركي ليس له مطامع سياسية فى أوروبا أو الشرق الأدنى. بل يفضل - على قدر الإمكان - تجنب كل علاقة بالمشاكل الأوروبية والآسيوية والإفريقية، ويرغب بإخلاق فى أن يسود السلام الدائم، وأنه بهذه الروح يدنو من مشاكل الشرق الأدنى.

«لقد عين مجلس الأربعة لجنة دولية لدرس الحالة فى المملكة التركية لعلاقتها بالوصايات. فغاية القسم الأميركي الموجود الآن هى الوقوف جهد المستطاع على أحوال السكان والطبقات وعلاقاتهم، ليكون الرئيس ولسن والشعب الأميركي على بينة من الحقائق فى كل سياسة يدعى إلى السير عليها فيما يتعلق بمشاكل الشرق الأدنى. سواء كان ذلك فى مؤتمر الصلح، أو فى جمعية الأمم».

وانضم إلى اللجنة فى يافا الكولونيل ويلسن السكرتير العسكرى للورد اللنبى وهذه أسماء رجال اللجنة:

مستر تشارلس كراين ومستر هنرى كنج - مندوبان

مستر البرت يساو - مستشاز فنى

مستر جورج منتغمرى - مستشاز فنى

الكابتن وليم ياي - ملحق

المستر لورانس مور - مدير أعمال

ولقد رج وصول اللجنة الأميركية البلاد من أقصاها إلى أقصاها. فكثرت الاجتماعات ونشطت الدعايات، ووزعت المنشورات، وتعددت الرسل، وتنوعت الأسباب، وحاول الفرنسيون فى خلال هذه المرحلة أن يفوزوا ولو باليسير من عطف الشعب السورى فأخفقوا - رغم ما بذلوه وما أنفقوه، وقدر بعشرات الألوف من الجنيهات.

ولقد اتفقت كلمة معظم أهالى فلسطين وجنوبى سورية على توكيل المؤتمر السورى العام وكان ممثلهم يقولون لرجال اللجنة: اذهبوا إلى دمشق وقابلوا المؤتمر فهو الذى يتكلم بلساننا.

وبعد ما وصلت إلى دمشق قابلها رئيس المؤتمر يوم ٣ يوليو سنة ١٩١٩ وسلمها قراره وكان على رأس وفد يتألف من ٢١ عضوا يمثلون مناطق سورية المختلفة. وهذا هو بنصه: «إننا نحن الموقعين أدناه بإمضاءاتنا وأسمائنا أعضاء المؤتمر السوري العام المنعقد في دمشق الشام، والمؤلف من مندوبى جميع المناطق الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية الحائزين على اعتمادات سكان مقاطعاتنا وتفويضاتهم من مسلمين ومسيحيين وموسويين قد قررنا فى جلستنا المنعقدة فى نهار الأربعاء المصادف لتاريخ ٢ يوليو سنة ١٩١٩ وضع هذه اللائحة المبينة لرغبات سكان البلاد الذين انتدبونا، ورفعها إلى الوفد الأمريكى المحترم من اللجنة الدولية.

أولا - إننا نطالب بالاستقلال السياسى التام الناجز للبلاد السورية التى تحدها شمالا جبال طوروس وجنوبا (رفح) فالخط المار من جنوب (الجوف) إلى جنوب (العقبة الشامية) و(العقبة الحجازية) وشرقا نهر الفرات فالخابور، والخط الممتد شرقى (أبى كمال) إلى شرقى (الجوف) وغربا البحر المتوسط، بدون حماية ولا وصاية.

ثانيا - إننا نطالب أن تكون حكومة هذه البلاد السورية ملكية، مدنية، نيابية تدار مقاطعاتها على طريقة اللامركزية الواسعة، وتحفظ فيها حقوق الأقليات. على أن يكون ملك هذه البلاد الأمير فيصل الذى جاهد فى سبيل تحرير هذه الأمة جهادا استحق به أن نضع تمام الثقة بشخصه، وأن نجاهر بالاعتماد التام على سموه.

ثالثا - حيث إن الشعب العربى الساكن فى البلاد السورية شعب لا يقل رقيا من حيث القطرة عن سائر الشعوب الراقية، وليس هو فى حالة أحظ من حالات شعوب البلغار والصرب واليونان ورومانيا فى مبدأ استقلالها. فاننا نحتج على المادة (٢٢) الواردة فى عهد جمعية الأمم والقاضية باذخال بلادنا فى عداد الأمم المتوسطة التى تحتاج إلى دولة منتدبة.

رابعا - إذا لم يقبل مؤتمر الصلح هذا الاحتجاج العادل لاعتبارات لا نعلم كنهها فإننا بعد ما أعلن الرئيس ويلسن أن القصد من دخوله فى الحرب هو القضاء على فكرة الفتح والاستعمار، نعتبر مسألة الانتداب الواردة فى عهد جمعية الأمم عبارة عن مساعدة فنية واقتصادية لا تمس باستقلالنا السياسى التام، وحيث إننا لا نريد أن تقع بلادنا فى أخطار الاستعمار. وحيث إننا نعتقد أن الشعب الأمريكى هو أبعد الشعوب عن فكرة الاستعمار

وأته ليس له مطامع سياسية فى بلادنا، فإننا نطالب هذه المساعدة الفنية والاقتصادية من الولايات المتحدة الأمريكية. على أن لا تمس هذه المساعدة استقلال البلاد السياسى التام ووحدتها، وعلى أن لا يزيد أمد هذه المساعدة عن عشرين عاما.

خامسا - إذا لم تتمكن الولايات المتحدة من قبول طلبنا هذه المساعدة منها فإننا نطلب أن تكون هذه المساعدة من دولة بريطانيا العظمى. على أن لا تمس استقلال بلادنا السياسى التام ووحدتها، وعلى أن لا يزيد أمدها عن المدة المذكورة فى المادة الرابعة.

سادسا - إننا لا نعترف بأى حق تدعيه الدولة الفرنسية فى أى بقعة كانت من بلادنا السورية، ونرفض ان يكون لها مساعدة ويد فى بلادنا بأى حال من الأحوال.

سابعا - إننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبى من البلاد السورية - أى فلسطين وطانا قوميا للإسرائيليين، ونرفض هجرتهم إلى أى قسم من بلادنا. لانه ليس لهم فيها أدنى حق، ولانهم خطر شديد جدا على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسى. أما سكان البلاد الأصليون من إخواننا الموسويين فلهم مالنا وعليهم ما علينا.

ثامنا - إننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبى من سورية المعروف بفلسطين والمنطقة الغربية الساحلية التى من جملتها لبنان، عن القطر السورى، ونطلب أن تكون وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة بأى حال كان.

تاسعا - إننا نطلب الاستقلال التام للقطر العراقى المحرر، ونطلب عدم إيجاد حواجز اقتصادية بين القطرين.

عاشرا - إن القاعدة الأساسية من قواعد الرئيس ويلسن التى تقضى بإلغاء المعاهدات السرية تجعلنا نحتج على كل معاهدة تقضى بتجزئة بلادنا السورية، أو كل وعد خصوصى يرمى إلى تمكين الصهيونيين فى القسم الجنوبى من بلادنا، ونطلب أن تلغى تلك المعاهدات والوعود بأى حال كان.

«هذا وإن المبادئ الشريفة التى صرح بها الرئيس ويلسن لتجعلنا واثقين كل الثقة فى أن رغائبنا هذه الصادرة من أعماق القلوب ستكون هى الحكم القطعى فى تقرير مصيرنا. وإن الرئيس ويلسن والشعب الأمريكى الحر سيكونان لنا عوناً على تحقيقها. فيثبتون للملأ صدق مبادئهم السامية وغايتهم الشريفة نحو البشرية بنوع عام، ونحو شعبنا العربى بنوع

خاص، وإن لنا الثقة الكبرى في أن مؤتمر السلام يلاحظ أننا لم نشر على الدولة التركية التي كنا وإياها شركاء في جميع الحقوق التمثيلية والمدنية والسياسية. إلا لأنها تحاملت على حقوقنا القومية. فيحقق لنا رغائبنا بتمامها فلا تكون حقوقنا قبل الحرب أقل منها بعد الحرب بعد أن أرقنا من الدماء ما أرقناه في سبيل الحرية والاستقلال، ونطلب السماح لنا بإرسال وفد يمثلنا في مؤتمر السلام للدفاع عن حقوقنا الثابتة. تحقيقاً لرغباتنا هذه والسلام».

وبعد ما أتمت اللجنة مهمتها في دمشق، ووقفت على رغائب الشعب وأمانيه سافرت إلى بعلبك، ثم قصدت بيروت، وقامت بجولة في أنحاء المنطقة الغربية، وسمعت أقوال سكانها، وقد أجمعت كلمة المسلمين - ويولفون الأكثرية - على رفض الانتداب الفرنسي رغم سعى الفرنسيين وتهديدهم ومحاولتهم صد الناس عن اللجنة بالقوة، وكانت أكثرية الموازنة والكاثوليك في جانب الانتداب الفرنسي، وقال بعضهم بإنشاء لبنان الكبير في ظل فرنسا وقال آخرون بالانضمام إلى الوحدة السورية.

وغادرت اللجنة بلاد الشام بعد ما قضت فيها ٤٢ يوماً، وزارت ٣٦ بلداً من أكبر بلدانها وتلقت ١٨٣٦ عريضة، وبعد ما سمعت آراء السكان، وقد أجمعت أكثرية المطلق على طلب الاستقلال التام لسورية المتحدة. على أن تستمد الدولة السورية المساعدة الفنية من أميركا فإذا أبت فمن انكلترا مع رفض الانتداب الفرنسي والهجرة الصهيونية، وتقول اللجنة في تقريرها ان ٧٥,٥ في المائة من مجموع السكان وعددهم ٣٤٧٥٠٠٠ نسمة أجمعوا على هذه المطالب. مما يدل على يقظة الشعب السوري، وتضامنه واتحاده، فإنه رغم الوسائل العديدة التي بذلها الفرنسيون لم يوفقوا إلى اكتساب ثقة سوى الموازنة - اقترعوا لهم مراعاة لتقاليد قديمة، ولأنهم نشأوا في مدارسهم. أما الأكثرية الساحقة من السوريين وخصوصاً المسلمين، فقد وقفوا صفاً واحداً ينادون بطلب الوحدة والاستقلال، ورفض كل وصاية وحماية مما يسجل لهم بالفخر.

وقصدت اللجنة أطنه فأقامت مدة تبحر وتنقيب، ثم سافرت إلى الأستانة ومنها عادت إلى باريس في أوائل شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ لتقديم تقريرها، فإذا كل شيء قد تبدل وتحول، وإذا القوم غير القوم والرجال غير الرجال. فأسقط في يدها فحملت تقريرها إلى واشنطن وسلمته إلى وزارة الخارجية فألقته في سلة المهملات، وظل أمره مكتوماً حتى سنة

١٩٢٤ إذ نشرته جريدة التيمس الأميركية، وقدمت له بمقدمة قالت فيها «إن السر في إقناع وزارة الخارجية الأميركية بالعدول عن نشره هو ما اشتمل عليه، ولو نشر في حينه لغير مجرى الحوادث في تركيا وربما أنقذ مليوناً من الأشخاص الذين هدرت دماؤهم ظلماً بعد الحرب. ويزيح هذا التقرير الغطاء عن مطامع الحلفاء ويبين مساوئ المعاهدات السرية، ويوضح التناقض بين العهود التي قطعتها أوروبا لشعوب الشرق والخطة الاستعمارية التي سارت عليها، ويتىء مقدماً بحبوط الحركة الصهيونية، ويصور الاتحاد المكين بين المسلمين والمسيحيين للحصول على الاستقلال، ويثبت بطلان دعاوى أوروبا».

ونثبت هنا الجانب الأعظم من هذا التقرير لخطورته، ولأنه يمثل صفحة من صفحات الوطنية السورية الخالدة، ويثبت أن العرب السوريين في قيامهم على الترك ما كانوا آله بيد الأجانب، وإنما كانوا يطلبون الاستقلال الحقيقي ويسعون إليه، وإذا لم يف لهم حلفاءهم بما وعدوهم، فالذنب ليس ذنبهم، ولا بد من يوم يصلون فيه إلى استقلالهم الحقيقي الكامل.

تقرير اللجنة الأميركية

بدأ التقرير بذكر الغاية من إرسال اللجنة ثم ذكر أسماء موظفيها، وقد قسم إلى أربعة أقسام:

المقدمات والمسائل العامة بوجه الإجمال، فالاستنتاجات، فالملاحظات - وقال إن الطريقة التي اتبعتها اللجنة في أعمالها هي الاجتماع بالأفراد والوفود الذين يمثلون الطبقات المختلفة، وقد كانت هذه الطريقة في طبيعتها نوعاً من التدريب السياسي للشعب. فضلاً عن تأثيرها الفعال في ظهور رغائب السكان الذين أدركوا أن لرغائبهم قيمة. وقد عرفت اللجنة أن هناك دعوة قوية، وأن أفراد وجماعات أصيبت بضغط شديد كما حيل أحياناً بين بعض الوفود واللجنة. وهناك كثير من العرائض مدعاة للشك والريب، ولكن اللجنة تعتقد أن هذه العرائض ينسخ بعضها بعضها حين عرضها على محك النقد، ولقيت اللجنة من جهة أخرى صراحة في التعبير عن الأفكار كانت تدهشها. حيث كان الموقف يدعو إلى الخوف من النتائج، وكان الاستحسان عاماً للحقيقة القائلة «إن أميركا لا تطلب الاستيلاء على شبر جديد من الأرض».

وبلغ مجموع السكان فى سورية ثلاثة ملايين ٣٤٧٥٠٠ نسمة ينقسمون هكذا «مسلمون ٢٣٦٥٠٠٠ نسمة ومسيحيون ٥٨٥٥٠٠ ودروز ١٤٠ ألفا ويهود ١١٠ آلاف وطوائف أخرى ٤٥ ألفا. ويجب اعتبار هذه الأرقام فى كل حال على وجه التقريب. ويمكن اعتبارها أقرب إلى الصواب فى ما يتعلق بنسبة السكان فى كل مقاطعة.

ومع التقرير خارطة توضح حدود المناطق العسكرية وحدود (فلسطين الكبرى) التى يطلبها الصهيونيون و(لبنان الكبير) الذى يطلبه اللبنانيون، ولا يمكن أن يكون عدد الوفود قياساً نسبياً للسكان. فإن المسيحيين منقسمون إلى طوائف صغيرة كثيرة. حتى ان وفودهم كانت أكثر عدداً من وفود الأكثرية الإسلامية.

١- العرائض وقيمتها: تلقت اللجنة ١٨٦٣ عريضة مدة وجودها فى سورية، لا يمكن اعتبارها حاوية لرغائب السكان الحقيقيين لأسباب أهمها: أن عدد العرائض من الجهات المختلفة ليس بنسبة عدد السكان. فقد زارت اللجنة فى المنطقة الجنوبية ١٣ مدينة لم تعلق فيها سوى ٢٦٠ عريضة، ولم تزر فى المنطقة الشرقية غير ثمانى مدن جاءها منها ١١٥٧ عريضة، وكثرت هذه العرائض على اللجنة عند اتجاهها نحو الشمال لأن الوقت اتضح أمام الناس لمعرفتها، وتكوين الفكرة العامة. كما اتسع لدعاة البرو باغندا وإعداد العرائض، وكذلك فإن عدد العرائض من الهيئات الدينية المختلفة لا يتناسب مع عدد المذاهب والأديان، وهذا أيضا يصدق على المطالب الشفهية التى عرضتها الوفود واللجان. ففى المنطقة الجنوبية كان عدد الوفود المسيحية ٥٣ وفدا فى حين أنه لم يكن للمسلمين غير ثمانية، وهم ثمانية أضعاف المسيحيين هناك. وهذا التفاوت غير موجود فى مجموع العرائض كلها شفاهية وكتابية. إذ تلقت اللجنة عرائض كثيرة من القرى الإسلامية فى حلب والجهات الشمالية الشرقية الأخرى، وكذلك فإن تأثير البرو باغندا المنظمة ظاهر فى بعض هذه العرائض. فان العبارات فى كثير منها واحدة، هناك فقرات مطبوعة كصورة للنسج على منوالها وقد تلقتها اللجنة مطبوعة وليس فيها شىء خطى غير التوقيع. ومن المؤكد أن عدداً صغيراً من العرائض استحضرت بغير طرق شرعية إذ كانت التواقيع بخط واحد فى عريضتين وفى ثلاث. وزد على ذلك تواقيع الجمعيات الجديدة التى قيل إنها نقابات صناعية فى بيروت. فقد عرفت اللجنة أن هذه الاختام صنعها أحد سماسرة البرو باغندا قبل وصول اللجنة

١ - وحدة سورية السياسية ومن ضمنها كيليكية شمالا والصحراء السورية شرقا وفلسطين حتى دجلة جنوبا .

٢ - الاستقلال الناجز لسورية .

٣ - مقاومة الوطن القومى الصهيونى والهجرة اليهودية .

ثم صار هذا البرنامج العلامة الواضحة فى عرائض المنطقة الجنوبية . فاشتملت عليه ٨ من ٢٣ فى القدس و١٠ من ٣٥ فى حيفا والناصرة ، وكانت ٨٣ من ٢٦٠ فى المنطقة الجنوبية أو ٣٢ بالمائة استقلالية . بينما هناك عرائض تضرب على ما يشبه هذا الوتر .

٣ - برنامج دمشق: صار برنامج الاستقلال الأسمى بعد تأييد المؤتمر السورى له فى دمشق يعرف «برنامج دمشق» وهو يشتمل على ثلاث مواد من برنامج الاستقلال مع إدخال لفظة «المساعدة» من أميركا ، وإذا رفضته فانكلترا ، وفيه أيضا ما يأتى:

رفض المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم . رفض المطالب الفرنسية كلها فى سورية . الاحتجاج على المعاهدات السرية والاتفاقات الخاصة مثل اتفاق سايكس بيكو وتصريح بلفور . مقاومة استقلال لبنان الكبير . إنشاء حكومة ديمقراطية لا مركزية برئاسة الأمير فيصل . المطالبة بالاستقلال والحرية الاقتصادية للعراق .

٤ - برنامج لبنان: ينقسم البرنامج اللبنانى إلى ثلاثة أقسام كما تدل على ذلك العرائض:

أ - لبنان كبير فرنسوى مستقل

ب - لبنان كبير مستقل

يطلب أصحاب البرنامج الأول فصل لبنان الكبير عن سورية واستقلاله التام مع سهول البقاع ، وضم طرابلس أحيانا ، وأن يكون تحت الوصاية الفرنسية وقد تلقت اللجنة ١٣٩ عريضة تؤيد هذا البرنامج من ١٤٦ رفعت إليها فى المنطقة الغربية المحتلة كانت عشرون منها ذات صيغة واحدة .

وبرنامج الحزب الثانى كبرنامج الحزب الأول إلا انه خال من طلب الوصاية الفرنسية و٣٣ من ٣٦ عريضة من هذا البرنامج مطبوعة فى شكلين و٨ منها مضاف إليها طلب الوصاية خطأ .

وأما برنامج لبنان الإدارى فيطلب لبنان الكبير كمقاطعة مستقلة إداريا ضمن الوحدة

السورية. ولم يرد ذكر للوصاية في هذا البرنامج على الإطلاق. وعدد العرائض التي اشتملت عليه ٤٩ وهى خطية ليس منها غير ٣ مطبوعة.

٥ - البرنامج الصهيونى: تلقت اللجنة ١١ عريضة تستحسن البرنامج الصهيونى، وهو إنشاء وطن قومى لليهود، وفتح باب المهاجرة لهم. وجميع هذه العرائض من اللجان اليهودية. و٨ عرائض أخرى تستحسن إنشاء المستعمرات اليهودية فى فلسطين بدون موافقة على البرنامج الصهيونى كله. وقد رفع فلاحو العرب الذين هم على ولاء مع النزلاء اليهود ٤ من هذه الثمانية.

الحدود الجغرافية

١ - سورية المتحدة - نالت سورية المتحدة أكبر نسبة فى ١٥٠٠ عريضة وهى ٨٠٤ بالمائة من مجموع العرائض. وسورية المتحدة هنا يدخل فيها كيليكية والصحراء وفلسطين. وتحدد عادة: جبال طوروس شمالا، ونهر الفرات والخابور والخط الممتد من أبو كمال إلى شرقى الجوف شرقا ورفع - العقبة جنوبا، والبحر الأبيض المتوسط غربا. ومع أن وحدة سورية هى المادة الاولى فى برنامج استقلال دمشق، فإن عددا كبيرا من المسيحيين فى المقاطعات كلها يؤيدونها كما تدل عليه العرائض.

٢ - العرائض التى تؤيد الصهيونية وعددها ١٩ طلبت ٦ منها فصل فلسطين عن سورية.

٣ - طلبت جماعتان مسيحيتان فى فلسطين وضع فلسطين منفصلة تحت الوصاية البريطانية، تفضيلا لذلك على سورية المتحدة تحت الوصاية الفرنسية.

٤ - تضمنت ٢٤ عريضة أكثرها من مسيحيى الجنوب طلب الاستقلال الإدارى لفلسطين ضمن سورية، وهذا ولأنه يندمج فى طلب الوفود الأخرى الاستقلال والحكم اللامركزى.

٥ - وتلقت اللجنة ٢٠٣ عرائض ضد الوحدة السورية أو ٩١٠ بالمائة يطلب أصحابها لبنانا كبيرا مستقلا.

٦ - زاد طلب الوحدة السورية ظهورا وتأكيدا فى العرائض التى رفعت إلى اللجنة احتجاجا على استقلال لبنان الكبير وعددها ١٠٦٢ بعضها مندمج فى برنامج دمشق، وبعضها من البروتستانت والصادر المسيحية الأخرى فى لبنان.

- ٧ - أظهر ٣٣ وفدا من اللبنانيين الممثلين للمسلمين والمسيحيين خوفهم من المستقبل الاقتصادي إذا فصل لبنان عن سورية، وطلبوا أن يكون مستقلا ضمن الوحدة السورية. وفسر بعضهم الاستقلال الإداري باستقلال في حكومة لامركزية.
- ٨ - كان سهل البقاع معتبرا جزءاً من لبنان الكبير لايفصل عنه، وقد أشارت ١١ عريضة بوجوب ضمه إلى لبنان، وطلبت ٨ من دمشق بقاءه في منطقة دمشق.
- ٩ - كانت كيليكية تعد من سورية مثل سهل البقاع، وقد طلب ذلك أصحاب ١٥٠٠ عريضة من القائلين بسورية المتحدة. وقد سمّتها عريضان باسماء مدنها، ووجدت ٣ عرائض تطلب إعطاءها لأرمينية.

الاستقلال الناجز

- ١- النسبة الكبرى الثانية هي للاستقلال الناجز فإنها ٧٥.٥ بالمائة وقد أيدته الوفود الإسلامية كلها. ومن المؤكد كما دلت عليه الأحاديث الشفهية أن كلمة «الاستقلال الناجز» لم تستعمل بمعنى الحرية التامة من كل إرشاد أجنبي كالوصاية مثلا. فإن كثيرا من هذه العرائض كانت تشير أحيانا إلى اختيار الدولة الوصية، أو طلب (المساعدة) الأجنبية. وهناك جماعة الاندية العربية رغبت في التحرر التام من كل سلطة أجنبية. بيد أن السواد الأعظم يطلب الاستقلال، ويحدد الوصاية كمساعدة اقتصادية وتعليم إداري.
- ٢- يكاد عدد العرائض التي طلب فيها استقلال العراق يوازي عدد العرائض التي تقدم نكرها فقد بلغ ١٢٧٨ أو ٦٨.٥ بالمائة. ويجب أن يضاف إلى هذا ٩٣ من ٩٧ عريضة تطلب الاستقلال لسائر البلدان العربية، وقد استعملت عبارة «كل البلدان العربية» في عرائض فلسطين، ثم استبدلت «بالعراق» في برنامج دمشق. فيكون مجموع العرائض التي طلب فيها الاستقلال والحرية الاقتصادية للعراق ١٣٧١.

شكل الحكومة

- ١- بلغ عدد العرائض التي طلب فيها إنشاء مملكة ديموقراطية دستورية لامركزية ١١٠٧ أو ٥، ٥٩ بالمائة وكلها عدا ٥ تطلب الأمير فيصلا ملكا. وقد كانت هذه العرائض كثيرة في المنطقة الشرقية، ولم يكن الأمر كذلك في فلسطين حينما وصلت اللجنة. إذ لم يرد ذكر المملكة في غير خمس عرائض من ٢٦٠ ذكر الأمير فيصل في اثنتين منها.
- ٢- طلب ٢٦ وفدا من المسيحيين في المنطقة الغربية «حكومة تمثيلية ديمقراطية ذات شكل جمهوري» ورفع مثل هذا الطلب إلى اللجنة من وفود في المنطقة الشرقية. فالمجموع ٣٤ أو ١.٨ بالمائة والغرض من هذا الطلب مقاومة فكرة المسلمين، أو المملكة السورية برئاسة فيصل.
- ٣- اشتمل البرنامج الدمشقي على طلب الضمانات الكافية لحماية حقوق الأقليات، وأيد هذا الطلب عدد كبير من الوفود المسيحية في لبنان فبلغ المجموع ١٠٢٣ أو ٩، ٥٤ بالمائة وقد نال هذا الطلب من المسلمين والمسيحيين تأييدا لم ينله سوى معارضة الصهيونية.

٤- طلبت ٥ عرائض فى الجنوب ان تظل اللغة العربية لغة رسمية بدلا من العبرانية، وطلب فى ١٠ إلغاء الامتيازات الأجنبية.
٥- رفعت إلى اللجنة ١٩ عريضة أو ٢، ١ بالمائة تطلب الاستقلال الإدارى لسائر المقاطعات السورية، وذلك علاوة على العرائض التى طلبت فيها الاستقلال الإدارى لسورية وفلسطين.

الوصايا

انقسم القوم خمس فرق تجاه الدولة الوصية. فكان بعضهم يقول: اذا كانت الوصاية إجبارية فاننا نطلب هذه الدولة أو تلك، ومعنى ذلك أنهم يقبلون الوصاية محتجين، وقد كانت الاكثرية الكبرى تطلب «المساعدة» بدلا من الوصاية لخوفها أن تكون هذه رداء للمقاصد الاستعمارية.

١- مجموع العرائض التى طلبت فيها انكلترا بالدرجة الأولى ٦٦ عريضة أو ٥، ٣ بالمائة منها ٤٨ من الوفود الأرثوذكسية بفلسطين و٤ من الدروز، ومجموع العرائض التى طلبت فيها انكلترا بالدرجة الثانية ١٠٧٣ أو ٥، ٧٥ بالمائة منها ١٠٣٢ تطلب مساعدة انكلترا، واذا امتنعت فأمريكا.

٢- مجموع العرائض التى طلبت فيها فرنسا بالدرجة الاولى ٢٧٤ أو ٦٨، ١٤ بالمائة منها ٥٠ من لبنان فقط. وبلغ مجموع العرائض التى طلبت فيها فرنسا بالدرجة الثانية ٣ فقط. أما مجموع العرائض التى طلبت فيها مساعدة اميركا فى الدرجة الأولى فهو ١١٢٩ عريضة، أو ٥، ٦٠ بالمائة منها ٥٧ تطلب أميركا كدولة وصية و٨ تفضل وصايتها إذا كانت الوصاية إجبارية.

الصهيونية

تكلمنا عن الصهيونية أنفاً، ونقول الآن: إنه بلغ عدد العرائض التى تقاومها ١٨٥٠ أو ٣، ٧٣ بالمائة. وهذا العدد الأكبر هو الثالث فى أى مطلب آخر، وهو يمثل الرأى العام المسيحى الإسلامى أكثر من سواه. وكانت حركة المقاومة للصهيونية قوية فى فلسطين على الأخص، إذ كانت ٢٢٢ من ٢٦٠ عريضة ضدها أو ٣، ٨٠ بالمائة وهذه اكبر نسبة لأى مطلب آخر.

الاحتجاجات والانتقادات

تنقسم الانتقادات على الدول إلى ثلاثة أقسام:

أولاً - انتقاد مطالب الدول ونوعيتها وسياستها بلا تحديد أو تعيين.

ثانياً - انتقاد معين على سوء الإدارة والخلل والرشوة فى الإدارة العسكرية

ثالثاً - احتجاجات على تدخل السلطات العسكرية المحلية ومضايقتها للجنة.

١ - عرضت على اللجنة ثلاث شكاوى عامة ضد الإنكليز

٢ - كانت الشكاوى العامة على الفرنسيين كبيرة جداً، بلغ عددها ١١٢٩ أو ٦٠٠٥ بالمائة

وهذا ناتج بالأكثر عن وجود احتجاج من هذا النوع فى برنامج دمشق. وعرضت على

اللجنة ٢٤ شكوى ضد أعمال معينة أتاها الفرنسيون و١١ شكوى ضد النفى

والحرس المسلح والتهديد والارهاق وما شاكل ذلك من الوسائط، التى قال الشاكون ان

السلطات الفرنسية لجأت إليها لتمنع الذين لا يمالئون الفرنسيين من الظهور أمام

اللجنة.

٣ - ظهر الانتقاد العام على الحكومة العربية فى ٢٥ عريضة من المسيحيين، وفيها

يتخوفون من سوء مصير المسيحيين فى الحكم العربى. وانتقدت الحكومة العربية

أيضا فى ٤ عرائض أخرى»

٤ - اشتملت ١٠٣٣ عريضة على الاحتجاج على المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم المتضمنة

«وضع بعض الجماعات المنفصلة عن تركيا تحت إشراف إحدى الدول» وهذا الاحتجاج

يؤيد طلب الاستقلال التام لسورية الوارد فى برنامج دمشق.

٥ - اندمج فى ٩٨٨ عريضة احتجاج على المعاهدات السرية التى تقسم سورية بدون معرفة

أهلها أو رضاهم على الاتفاقات الخاصة، والمقصود بذلك اتفاق سايكس - بيكو

وتصريح بلفور، وان لم يرد لهما ذكر، وقد ورد هذا الاحتجاج فى برنامج دمشق،

وأيدته الأحزاب الأخرى أيضا.

طواف اللجنة

طافت اللجنة سورية فى ٤٢ يوما من ٢٠ يونيو إلى ٢١ يوليو، والسلطة العليا فى هذه

البلاد للجنرال اللنبى، ولكن الأحكام المدنية تجرى فيها طبقا للأنظمة التركية، مع تعديلات

موضعية طفيفة. وقد ظلت بعض مقاليد الإدارة فى أماكن كثيرة بأيدى الموظفين الذين تركهم الترك، وللحكام العسكريين والضباط واجبات أخرى خاصة. كالأعمال الطبية والاقتصادية والمواصلات وغيرها. وتقسّم هذه البلاد إلى أربع مناطق:

الجنوبية، ويقوم بإدارتها ضباط بريطانيون

والغربية، ويتولى شؤونها الفرنسيون

والشرقية، وهى بأيدى العرب

والشمالية، وهى بإدارة الفرنسيين أيضا

وقد قضت اللجنة فى الجنوبية (١٥) يوما ومثلها فى الشرقية و(١٠) فى الغربية ويومين فى الشمالية.

الكلام على المناطق

المنطقة الجنوبية - وصلت اللجنة إلى يافا فى وقت متأخر بسبب التغيير الذى طرأ على الخطة المرسومة. ولم تكن السلطة البريطانية تتوقع وصولها فوضعت برنامجها الذى جرت عليه من دون مساعدة البريطانيين. وكانت تجتهد لمعرفة آراء ورغائب كل جماعة ذات شأن، وكل طائفة وهيئة منظمة، وبعض ذوى العلم والاطلاع، وممثلى الأقليات أو الشيع، ولا سيما فى الأماكن التى يبدو فيها ميل إلى منع هذه الآراء من الظهور بأحد الأسباب. ولما كانت الشيع المسيحية، ولا سيما الكاثوليكية منها كثيرة كان من المرتقب أن لا تكون النسبة متعادلة فى عدد اللجان، والوقت الذى خصص لها. فلذلك أعدت البعثة بياناً بأغراضها كانت تلقيه على الوفود والجماعات، وأذاعته أيضا فى الصحف بشكل أحاديث، واتخذت أنواع الحيلة لتكون مهمتها واضحة وجلية. فكانت تجيب على الأسئلة المختلفة التى تطرح عليها قائلة: لا صحة لما يقال من أن من سياسة أميركا قبول الوصاية، وأنه لا يمكن التنبؤ بقبولها وأنه لا قوة للجنة للحكم. واستخدمت اللجنة فى أسفارها سيارات لجنة إغاثة الشرق الأدنى الأميركية لكى لا تعتمد فى شىء على غير أميركى ما استطاعت، وأعلنت أنها لا تقبل دعوات اجتماعات عامة، ولا ترضى عن المظاهرات.

وقضت اللجنة أسبوعا فى القدس أمضت يومين منه فى زيارة بيت لحم والخليل وبيير السبع، ولم تقبل سوى إكرام محدود من الموظفين الإنكليز والفرنسيين، واستفتت رؤساء

الطوائف المختلفة، وإن لم يكن لبعضهم ما يقولون في الاستفتاء مثل القبض والحبس. وطافت شمالى فلسطين بسرعة. فاستقبلت الوفود في رام الله ونابلس وجنين والناصرة وحيفا وعكا. وقد كان بعض هذه الجماعات يأتى من أماكن بعيدة يستحيل على اللجنة زيارتها، واجتمعت في مستعمرة «ريشون ليزيون» الصهيونية بزعماء عدة مستعمرات يهودية وبأعضاء اللجنة الصهيونية المركزية.

١- الحكومة المحتلة: كان الموظفون البريطانيون - من الميجور جنرال السير آرثر موني قائد منطقة بلاد العدو المحتلة الجنوبية إلى أصغر موظف - لطفاء مجاملين، وأكثرهم ذو خبرة سابقة قبل الحرب في الهند، أو في مصر والسودان، وبصفتهم مجموعا فهم هيئة ذات أهلية واقتدار تعمل في البلاد لمصلحة أهلها.

٢- مطالب الشعب: اجتمعت كلمة المسلمين في فلسطين - وهم حسب الإحصاء الإنكليزي الأخير نحو أربعة أخماس السكان على المطالبة باستقلال سورية المتحدة، ولم تشذ منهم سوى فئة معروفة من الموظفين كانت تسير مع تيار النفوذ السياسى. وقررت الأحزاب التى اجتمعت فى يافا أن سورية أهل لحكومة مستقلة بلا دولة وصية، وأنه إذا أصر مؤتمر الصلح على تعيين دولة فإنهم يفضلون الولايات المتحدة.

وقد أيد الناس فى القدس وغيرها من فلسطين هذا القرار. وكانوا يحيلون مسألة الوصاية إلى المؤتمر السورى الذى ينطق بلسانهم. ورفض بعض المسلمين ولا سيما فى الجنوب قبول الوصاية رفضا باتا مهما كان نوعها. وقد ظهر مند أعلن المؤتمر السورى رغبة فى مساعدة أميركا بالدرجة الأولى وانكلترا فى الدرجة الثانية، ورفض الوصاية الفرنسية بناتا أن هذا ما يطلبه سواد المسلمين فى فلسطين. ويرجح أن ذلك كان يجول فى خواطرهم حينما أحوالوا اللجنة على المؤتمر.

وكانت مطالب المسيحيين فى فلسطين وهم (١٠) بالمائة من مجموع السكان مختلفة فكانت جماعات الشمال كالكاثوليك فى طبريا وحيفا وأكثر مسيحيى الناصرة مع المسلمين فى طلب الاستقلال، وترك تقرير مسألة الوصاية إلى المؤتمر السورى. وكان الروم الكاثوليك والموازنة يطلبون الوصاية الفرنسية، وكان الارثوذكس فى كل مكان متفقين على طلب الوصاية الإنكليزية. وهناك جماعات اخرى لم يطلب أحد منها وصاية أميركا مباشرة ولكنها كانت تقول بأنها لو تأكدت من قبول الولايات المتحدة فإنها لا تختار سواها، وأكثر المسيحيين من هذا الرأى، وكلهم فى جانب الوصاية يريدون دولة ذات حكم صحيح.

وكان اليهود الذين يؤلفون أكثر من (١٠) بالمائة من سكان فلسطين يؤيدون الصهيونية الإنكليزية فى الحين الذى اتفقت فيه كلمة المسلمين والمسيحيين على مقاومة الصهيونية، وهذه المسألة ذات علاقة كبيرة بوحدة سورية.

٣- الصهيونية: أعلن يهود فلسطين تأييدهم الصهيونية بوجه عام، واختلفوا فى التفاصيل والطرق الموصلة إلى تحقيقها، ويمكن وصف الأمور التى اتفقوا عليها فيما يلى:
جعل فلسطين (وطنا قوميا) فى الحال، وأن يصير الحكم السياسى فى البلاد عاجلا أو أجلا معروفا باسم الحكومة اليهودية. والسماح لليهود بالمهاجرة إلى فلسطين من كل مكان فى العالم، وان يكون شراء الأراضى مباحا لهم، وأن تكون العبرانية لغة رسمية.. وان تكون بريطانيا الدولة الوصية لفلسطين لتحمى اليهود وتساعدهم على تحقيق مشروعهم. ولما كانت الدول الكبرى فى العالم قد استحسنت فكرة الصهيونية فلا تحتاج إلى غير تنفيذ. أما الذى اختلف عليه اليهود فهو: مسألة الحكومة اليهودية، وهل يجب انشاؤها عاجلا أو بعد زمان طويل. وهل يسيرون على حسب الطقوس والتقاليد اليهودية القديمة، أم على الطريقة العصرية، فيهتمون بالمسائل الاقتصادية واستثمار الموارد واستخراج القوات الكهربائية من الأنهار.

٤- الأماكن المقدسة: زهبت سلطة التركى عن البلاد، وقد حافظ على الحالة القديمة من جهة الأماكن المقدسة، وتركها كما هى فمن يقوم مقامه؟ قد تكون الدولة الوصية: فإذا أخذت الوصاية دولة كاثوليكية فلا بد من وقوع مشاكل. لان الكاثوليك يعتقدون أنهم مظلومون ويطلبون زيادة حقوقهم على حساب الروم، فوجود دولة كاثوليكية يفقد التوازن الموجود ولا سيما فى غياب روسيا. وبما أنه يوجد الآن وكيل محافظ للاماكن الكاثوليكية المقدسة. أفلا يمكن توسيع نطاق هذه الفكرة، وجعلها دستورا لهيئة دائمة تحافظ على الاماكن المقدسة يكون للروم الارثوذكس والبروتستانت والمسلمين واليهود ممثلون بها وإعطاؤها سلطة ووسائل تستعين بها على العناية بهذه الأماكن كلها للأديان الثلاثة. ويجب أن يراعى فى تأليفها أسباب الألفة والمحبة، لئلا يبقى موضوع النزاع والخلاف.

المنطقة الغربية

وصلت اللجنة إلى بيروت بعد أن جابت فلسطين والنصف الجنوبي من منطقة الاحتلال

الغربية، فقضت يومين فى مقابلة اللجان. فكانت تزور الأماكن من صور إلى البترون بالسيارة. وقد تلتف الجنرال النبى فوضع يخته تحت أمرها، فزارت به طرابلس واللاذقية والاسكندرونة، وقابلت الوفود وسمعت أقوالهم فى كل جهة من المنطقة الغربية، ولم يكن فى منهجها شىء يختلف عما سارت عله فى المناطق الأخرى من حيث المقابلات والتدابير. وقد بذل الموظفون الفرنسيون الجهد لتوفير أسباب الراحة لها.

١- مطالب الشعب: كانت الحالة فى المنطقة الغربية كالحالة فى فلسطين، إلا أن بعض المسلمين طلبوا المساعدة الأميركية أو الإنكليزية، وطلب الدروز الوصاية الإنكليزية، والموازنة وسائر الشيع الكاثوليكية طلبت وصاية فرنسا، وانقسم الأرثوذكس فلم يجمعوا كلمتهم على طلب الوصاية الإنكليزية كما فعلوا فى فلسطين ودمشق، وانقسم النصيرية أيضا. وكان أكثر الإسماعيليين مع فرنسا. وكانت آراء الذين يطلبون الوصاية الفرنسية مختلفة فى مصير لبنان وعلاقته بسورية. فان أكثر القوم من صور إلى طرابلس طلبوا استقلال لبنان الكبير، وفصله عن سورية، ووضعه تحت وصاية فرنسا، ولم يكثر أنصار هذا المبدأ لفكرة الوحدة الوطنية. بل كان من أمانيهم فيما يظهر أن يصيروا رعايا فرنسيين فى القريب العاجل، ورغب الآخرون أن تكون سورية متحدة تحت الوصاية الفرنسية مع تكبير لبنان وإعطائه نوعا من الاستقلال الإدارى الواسع.

أما فى لبنان الأصلى فالأكثرية مخصصة للفرنسيين معارضة للإنكليز، ولم تستطع اللجنة سؤال الذين يميلون إلى فرنسا رأيهم فى الوصاية الأميركية فيما إذا كانت ممكنة، وكانت الوصاية الفرنسية غير مرغوب فيها بسبب براهين أكيدة تدل على أن السواد الاعظم من السكان حتى الموازنة يفضلون أميركا على سواها، ويقال إن سبب هذا التفضيل هو تجرد أميركا عن الأغراض الذاتية فى الحرب وكرمها قبل الهدنة وبعدها، والعلاقات الشخصية التى أنشأها عدد كبير من اللبنانيين الذين قضوا وقتا طويلا أو قصيرا فى الولايات المتحدة، ورجعوا إلى بلادهم محافظين على الإخلاص لأميركا.

وجاهر الدروز بطلب الانفصال عن لبنان إذا أعطى لفرنسا

هذا فى لبنان الأصلى. أما فى المناطق الأخرى التى يراد ضمها إلى لبنان الكبير مثل صور وصيدا وطرابلس فإن فيها أكثرية كبرى من السكان تعترض على الحكم الفرنسي ويتقاربه، ويدخل فى هذه الأكثرية جميع المسلمين السنين، وأكثر الشيعيين، وقسم من الروم الأرثوذكس وطائفة البروتستانت، وأكثر هؤلاء يريدون أميركا أولا وانكلترا بالدرجة الثانية.

والأكثرية فى باقى المنطقة الغربية إلى شمال لبنان الكبير المرادإنشاؤه ضد الوصاية الفرنسية فى كل الاحوال، ومن الباقيين قسم كبير يعترض على الانفصال عن داخلية البلاد ويضع وحدة البلاد فوق فرنسا .

ومما يجدر ذكره أنه بينما السوريون الوطنيون يرفضون مساعدة فرنسا ذاكرين اسمها لم يتعرض أحد من نصراء فرنسا والراغبين فى وصايتها لرفض أميركا أو انكلترا باسمهما . على أن المسيحيين أظهروا فى أحيان مختلفة أنهم يخافون إذا صارت انكلترا وصية على البلاد أن تمالء المسلمين على المسيحيين.

لبنان

صارت هذه المنطقة الجميلة التى وضعت منذ سنة ١٨٦١ تحت حماية الدول الأوروبية الست وجعل حاكمها مسيحيا موضع اهتمام فرنسا من ذاك العهد، لأن أكثر سكانها من الموازنة والكاثوليك. وقد ظهرت فى هذه المنطقة كسائر البلاد التى فصلت عن سلطة الباب العالى مباشرة آثار العمران. فأنشئت الطرق وغرست الأشجار، وشيد عدد كبير من البيوت الحجرية، وكان المال الذى يربحه المهاجرون فى الولايات المتحدة عاملا كبيرا فى هذا التقدم، وقد ازدادت ثروة الرهينات المارونية والأديرة فى هذه السنين، واعفى لبنان من الخدمة العسكرية، وكانت الضرائب التى يدفعها خفيفة. ولما كان قطرا مسيحيا، وكان للمسيحيين فيه من وظائف الحكومة أكثر مما تحولهم نسبتهم العددية مال الدرور إلى الهجرة والحقا بإخوانهم فى حوران استياء من عدم المساواة.

وقد ظهرت آثار سياسة فرنسا الاستعمارية فى كثير من سكان هذه المنطقة وفى بيروت والأقسام الأخرى من سورية، فهم يشعرون أنهم يعرفون اللغة الفرنسية أكثر من اللغة العربية، وأنهم أرقى من سكان الداخلية! هؤلاء هم الذين يطلبون فصل لبنان عن سورية، أو هم البقعة التى نمت فيها هذه الفكرة.

وقد حمل قرب المنطقة الحكومة التركية على التساهل واللين مع المسيحيين وغيرهم فى المناطق الأخرى لئلا يكون فارق كبير بينهما فى العمران، ولكن إعفاء لبنان من الخدمة العسكرية، واتساع المجال أمام طلاب الوظائف، وقلّة الضرائب أو صغرها مال بالكثيرين إلى فكرة لبنان الكبير تحت وصايا فرنسية. غير أن هناك حزبا كبيرا بين الميالين إلى فرنسا يقاومون فكرة جعل لبنان قسما من فرنسا، وهذا

يصدق على ذوى المراتب الرسمية من الموارنة.

إن كل تعديل فى الحالة يجب أن يئبل باقى سورية مثل هذا الضمان. لا أن يحرم منه سكان لبنان، وذلك مستطاع توفيره فى سورية المتحدة بواسطة نوع كاف من الاستقلال الإدارى. ويجب توى إبقاء هذه المقاطعة ذات مركز ممتاز عن سواها، لئلا يزداد ثقل الأعباء على المناطق الأخرى.

منطقة الاحلال العربية

أقامت اللجنة فى دمشق تسعة أيام قضت ستة منها فى مقابلة الوفود الدينية والسياسية والهيئات الرسمية وأصحاب المراكز السامية من كل الطبقات، حتى الأمير فيصل نفسه والجنرال اللبى، ومكثت هنا أكثر من كل مكان آخر فى سورية. لان دمشق ستكون عاصمة «سورية المتحدة» إذا تم إنشاؤها، هذا فضلا عن أن فى المنطقة الشرقية حكومة عربية عاملة تسعى وتجتهد لتمهيد الطريق إلى «الوحدة الكبرى».

وعقد المؤتمر السورى فى أثناء وجود اللجنة فى دمشق، وعلقت فى الشوارع ألواح كتب عليها «نريد الاستقلال التام» وقد نرعت بأمر الحكومة. ونشرت الصحف المحلية ما دار بين اللجنة والقاضى والفتى والعلماء من الأحاديث فاحتدم الجدل حولها بين القوم وفى الصحف (وبالطبع فقد نشرت هذه الأحاديث من دون إذن اللجنة أو سماحها) وأجابت اللجنة دعوة الأمير فيصل إلى الطعام مرتين.

وأعدت اللجنة فى خلال تلك المدة التدابير لرحلة إلى أطراف الصحراء للوقوف على آراء السكان، وكانت خلاصة مطالب المسلمين منهم الاستقلال الناجز بلا حماية ولا وصاية. ولكنهم لما كانوا يشعرون بحاجتهم إلى الإرشاد الاقتصادى والمالى، يطلبون ما يلزم من المستشارين - بعد الاعتراف باستقلالهم - من أميركا. وكان خطباء العرب الفصحاء يسألون أميركا التى عملت على تحريرهم ان تؤيد استقلالهم فى مؤتمر الصلح قائلين إنهم يعدونها مسؤولة أمام الله عن تميم ما بدأت به. والمسيحيون فى هذه المنطقة وهم فئة قليلة كانوا فى خوف عظيم يطلبون تعيين دولة قوية وصية على سورية ليحصلوا على الحماية التامة، وهم يفضلون أن تكون بريطانيا العظمى تلك الدولة، وأن تضم المنطقة الشرقية إلى فلسطين.

وقضت اللجنة يوماً واحداً في بعلبك بعد سفرها من دمشق لسماع النزاع القائم على ضم البقاع إلى لبنان الكبير. وبعد أن ظلت عشرة أيام في المنطقة الغربية عادت ثانية إلى المنطقة الشرقية في الطريق الممتد من حمص إلى طرابلس، وقصدت حلب بعد أن أصغت لأقوال الوفود في حمص وحماه. ومكثت ثلاثة أيام في حلب ووقفت فيها على آراء الوفود واللجان، وقد طلب القوم في الشمال الاستقلال للعراق بقوة، وكان بعض الجماعات في حلب يهتم كثيراً بتوسيع حدود سورية شرقاً حتى تشمل الصحراء الشرقية.

الحكومة العربية

بين كبار موظفي العرب عدد من ذوى الأنفة والاعتدال والتهذيب تبدو عليهم مظاهر الاستقامة الوطنية، وكلهم سوريو المولد وقد تمرن بعضهم على الإدارة في مصر كالجنرال حداد باشا مدير الأمن العام، وسعيد باشا شقير المستشار المالي. أما الآخرون مثل القائمقام يوسف بك العظمة مساعد الأمير فيصل (حاجبه) والجنرال جعفر باشا العسكري حاكم حلب، واحسان بك الجابري رئيس بلدية حلب فقد تلقوا علومهم واختباراتهم في العهد التركي.

وأكثر الموظفين الصغار في هذه المنطقة والمناطق الأخرى من بقايا العهد التركي وسيرتهم في بعض الأحيان أشد من قبل. وقد بذلت الحكومة كل واسطة لإكرام اللجنة وتحقيق أمانها، وكان الموظفون يتباهون أحياناً بأنهم تركوا للناس الحرية المطلقة في بسط أفكارهم أمام اللجنة.

رغائب الشعب

كادت المطالب في المنطقة الشرقية أقرب إلى الاجتماع من مثلها في المنطقة الغربية أو الجنوبية، كما يظهر ذلك من النظرة الأولى إلى جداول العرائض، ويؤيد الجانب الأكبر من هذه المطالب - بين شفهي وخطي - قرار المؤتمر السوري الذي سيأتى الكلام عنه في موضع آخر. وقد اتفقت على هذا البرنامج أحزاب مختلفة متضاربة. لان الكل شعروا بوجوب الاتحاد والتضامن لسلامة الوطن. وكان لسعى الحكومة والأحزاب الأخرى تأثير على الأحزاب المتطرفة فسارت في الصف بعد نشوزها، مثل الذين كانوا يطلبون الاستقلال

التام بلا وصاية، أو الذين يطلبون الوصاية وحدها، ومما لا ريب فيه أن مواد البرنامج الرئيسية تعبر عن فكر الجمهور العام ما أمكن التعبير عنه فى أى بلاد كانت.

طلب القوم فى هذه المنطقة «سورية المتحدة» بالإجماع تقريبا، وطلبوا لها الاستقلال الناجز، ورفضوا كل مساعدة فرنسوية، وأعلنوا أنهم ضد البرنامج الصهيونى. واتفق المسلمون كلهم على طلب المساعدة من أميركا. وأيد اليهود المشروع الصهيونى لإخوانهم فى فلسطين، وطلبوا لأنفسهم الاستقلال الإدارى. وطلب الدروز حكومة عربية تحت الوصاية البريطانية. وانقسم المسيحيون حسب الطوائف حينما وحسب المكان حينما آخر، وكان مسيحيوا الجنوب كلهم حتى الكاثوليك واللاتين يطلبون الوصاية البريطانية أو أميركا إذا كان الإنكليز لا يستطيعون المجئ لسبب ما. وكان ذلك شأن أرثوذكسى دمشق وقسم منهم فى الشمال. أما طوائف البروتستانت الصغيرة فكانت تطلب وصاية أنجلوسكسونية أمريكية أو إنكليزية، وكان الأرثوذكس السوريون كلهم فى جانب أميركا وكل المواردنة والكاثوليك (خلا الذين فى عمان ودرعا) فى جانب فرنسا. كما أن المسيحيين كلهم تقريبا كانوا فى جانب الوصاية.

المؤتمر السورى

علمت اللجنة منذ وصولها إلى القدس أن مؤتمرا سيعقد فى دمشق للفصل فى مسألة الوصاية بالنيابة عن جانب كبير من السكان. وقد تألف هذا المؤتمر وعقد جلساته إبان وجود اللجنة فى دمشق، وجاء إليها فى آخر يوم من أيامها هنالك، وقدم إليها البرنامج الذى أعده.

لم ينتخب الشعب أعضاء هذا المؤتمر مباشرة أو بدعوة جديدة، والسفر فى ذلك عدم مساعدة الوقت لتنقيح لوائح الاقتراع، بل عهد إلى بقايا الناخبين فى الانتخاب التركى الاخير فانتخبوا أعضاء هذا المؤتمر. كما كانوا ينتخبون أعضاء مجلس النواب التركى. وقد انتقد بعضهم هذه الطريقة قائلين إنها غير قانونية وأن معظم الناخبين من رجال جمعية الاتحاد والترقى، وأن الأعضاء ليسوا بنسبة السكان.

واشترك فى هذا المؤتمر (٦٩) عضوا، وتأخر (٢٠) عضوا انتخبوا فى الغرب والشمال عن الوصول إلى دمشق فى الوقت المعين، وبين الأعضاء عدد من المسيحيين، ولكن لا يوجد بينهم يهودى. ويقال إن بين الناخبين الثانويين يهودا وافقوا على انتخاب النواب فى

المجلس، والأدلة كثيرة على أن البرنامج الذي وضعه المؤتمر السوري يعبر عن أفكار القوم في سورية أتم التعبير.

ثم أوردت اللجنة نص قرار المؤتمر المنشور في أول الفصل ثم قالت:

وقد اتضح للجنة جليا في درسها أحوال سورية أنه كان للبلاغ الفرنسي البريطاني وما مثله من تصريحات مؤتمر الصلح، وقواعد الرئيس ولسن الأربع عشرة تأثير عظيم في نفس الأمة السورية، فبنت عليها مطالبها، فلذلك لا يستطيع مؤتمر الصلح أن يتجاهلها. بل يجب عليه أن يحققها بأمانة، ولا سيما البلاغ الذي هو على اتفاق تام مع تصريحات الحلفاء المتكررة من مقاصدهم في المملكة التركية السابقة، ولا سيما سورية والعراق.

ومن الثابت أن قرارات ٣٠ يناير وهذا البلاغ يرميان إلى فصل المناطق العربية عن تركيا فصلا تاما. ويقضى بأن لا تكون سورية والعراق مستعمرتين بالمعنى القديم على الإطلاق وأن لا تستثمرتا لمنفعة الدولة المحتلة، بل يجب تشجيعهما ومساعدتهما في بلوغ الاستقلال الوطني بأسرع ما يستطاع. والوعود في البلاغ مبذولة لسورية والعراق على التساوي.

وقد وضع هذا البلاغ مع القرارات المشار إليها خطة العمل للجنة تلك الخطة التي قضت بإرسالها للوقوف على رغائب السكان.

فلذلك وبناء على ما تقدم لا بد من امتحان إخلاص الحلفاء في المقاصد التي أذاعوها في أثناء الحرب، وذلك بدعوتهم لإنقاذ هذه المقاصد في الأقسام العربية من الأراضي التركية. لأن وعودهم واضحة معينة لا يمكن الخطأ في تأويلها.

ومما يستحق الاهتمام أيضا أنه يستطاع العمل بنجاح في طريقة الوصايا بإشراف جمعية الأمم. ولاشك أن نجاحها هنا يساعد على الأخذ بها في مواضع أخرى، وهي خدمة كبيرة في سبيل تقدم العالم تساعد على تبرير ضحايا الحرب العظيمة. وربما كان الحلفاء غير قادرين على إيجاد منطقة يستطيعون فيها تقرير خطتهم حسب المبادئ التي أعلنوها مثل هذه المنطقة.

مهد الأدبان الثلاثة

إن خطورة المسألة السورية ظاهرة في الحقائق المعروفة جيدا فإن في هذا القسم من المملكة التركية مهد الديانات الثلاث الكبرى، وهي «اليهودية والمسيحية والإسلام» ولما كانت فلسطين تضم أماكن تقدسها الأديان الثلاثة فستكون موضع اهتمام العالم المتمدن كله، فلذلك يكون كل حل موضوعي أو خاص بشعب واحد عديم الفائدة.

الأمّة العربية

لسورية مقام جغرافي عظيم سياسيا وتجاريا ومدنيا فهي الجسر الذي يصل بين أوروبا وآسيا وإفريقية. فيجب أن يكون العدل أساس الحكم في قضيتها لتتجم عنه فائدة للمدنية في العالم. ويجب أن يعطى كل قسم من المملكة التركية السابقة حياة جديدة، ويفسح المجال له بعد تبديل الأحوال السياسية لأنه ربما كان انحلال المملكة التركية فرصة عظيمة - قد لا تعود - لإنشاء حكومة شرقية في سورية على مبدأ الحرية الدينية التامة التي تشمل سائر الأديان وتصون حقوق الأقليات بنوع خاص. ومن الإنصاف للعرب الاعتراف بالأمّة العربية ورغائبها الوطنية. كما أنه من مصلحة العالم أن تتألف حكومة عربية على القواعد السياسية الحديثة. نعم إن العناصر متعددة والمصالح متباينة، وإن كثيراً من السكان غير صالحين الآن للحكم الذاتي، ومع ذلك فإن الأحوال ملائمة للقيام بهذه التجربة الآن. لأن هؤلاء السكان كانوا على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم على نوع واحد من الاتفاق تحت الحكم التركي رغم سياسة التفريق التركية.

ولا بد أن يكونوا أحسن حالا في عهد حكومة حديثة ووصاية راقية.

وعلى كل فإن مشاركة دولة تنتدبها جمعية الأمم يمنع هذه النهضة من السير في الطريق التي سارت عليها تركيا الفتاة. وحينئذ يدرك العرب أيضا أن هذه أفضل فرصة سانحة لتأليف حكومة عربية، فيجتهدون لتكفل حركتهم بالفوز المبين. وما ظهر الآن من مقاصد الأمير فيصل يجعله جديرا كل الجدارة برئاسة حكومة جامعة بين المبادئ الشرقية والغربية، ويضمن نجاح هذه التجربة بواسطة دولة وصية مخلصنة. ويبقى في الإمكان إذا فشلت هذه التجربة الرجوع إلى تجزئة الأراضي. بيد أن تجزئة الأراضي حسب المذاهب يولد مشاكل لا تعداد لها - كما قال الدكتور أماس عن

بعض الأقسام التركية الأخرى:

«ان الفصل بين أبناء المذاهب، وإسكان كل فريق فى موضع خطأ وخطل وخطر. إن العمران التاريخى قائم على تنوع المذاهب فى كل منطقة» وهناك خطر لا ريب فيه ينشأ عن تقسيم سورية إلى أجزاء لا قيمة لها ولا معنى.

الاختيار الذاتى

لذلك يجب أن يكون الغرض من كل سياسية يسار عليها فى المسألة السورية (إنشاء حكومة وطنية تستمد سلطتها من مشيئة الشعب الحرة) وأن تكون هذه السياسة متفكرة جهد الإمكان مع وحدة البلاد الجغرافية والاقتصادية.

هذه هى الخطة الطبيعية التى ينبغى السير فيها - هذا إذا كان السير ممكناً - لأنها تطبق على رغائب مؤتمر الصلح، ورغائب السواد الأعظم من السكان.

ومن الملاحظات المهمة أن الموظفين الفرنسيين والإنكليز فى سورية مجمعون على استحسان الوحدة السورية تحت وصاية دولة واحدة. إذ من المؤكد وقوع مشاكل بين الإنكليز والفرنسيين والعرب تضر بالسلام إذا بقى الإنكليز والفرنسيون فى البلاد. إن الصعوبات العارضة فى طريق الوحدة السورية هى:

امتناع الفرنسيين عن الجلاء عن سورية وبيروت ولبنان. والانكليز عن مغادرة فلسطين. ومقاومة المسلمين والمسيحيين الشديدة للبرنامج الصهيونى. ومطالبة اللبنانيين بالاستقلال التام عن سورية، وكره العرب العظيم فى الشرق للسيطرة الفرنسية. وخوف كثير من المسيحيين من تسلط المسلمين، وضعف الشعور الوطنى، وسيأتى الكلام عن هذه الأمور فى مكان آخر.

آراء

تقدم اللجنة إلى مؤتمر الصلح الآتية لمعالجة المسألة السورية:

إن أول وأهم ما تشير به هو أنه مهما كانت الإدارة أجنبية. سواء كان ما يؤتى به إلى سورية دولة أو أكثر - أن لا تاتى كدولة مستعمرة. بل كدولة وصية من قبل جمعية الأمم غايتها ومهمتها المقدسة (خدمة الشعب السورى وترقيته).

ويجب أن تكون مدة الوصاية محدودة تعينها الجمعية حسب الحقائق التي تراها في تقارير الدولة الوصية، وأن تكون للدولة الوصية سلطة كافية ذات زمن محدد أيضا لتكفل نجاح الحكومة الجديدة وتتمكن من القيام بالمشاريع الأدبية والاقتصادية اللازمة لحياة البلاد، وأن تصرف الدولة الوصية همها الأكبر إلى التعليم الضروري لأبناء البلاد الديمقراطية، وتكوين روح وطنية قوية. وهذا لازم بنوع خاص في سورية التي استفاق ضميرها حديثاً. وعلى الدولة الوصية أن تسعى منذ البداية لتدريب الشعب السوري على الحكم الذاتى المستقل بأسرع ما تسمح الأحوال، وذلك بإنشاء جميع ما يقتضى لحكومة ديمقراطية من الدساتير وإشراك السكان فى الإدارة وزيادة نصيبهم من الحكم شيئاً فشيئاً، حتى تنشأ بالتدريج روح وطنية متنورة فى الوطنيين لا تنظر إلى مصلحتها الشخصية عند النظر فى مصلح البلاد.

وتتألف فى الوقت نفسه قوة كبيرة منظمة لخدمة البلاد. ولما كان من الواجب أن لا يطول زمن المشاركة بلا سبب مشروع، فمن الضرورى انشاء حكومة ذاتية مستقلة حالما يمكن الإقدام على هذا الأمر. مع العلم بأن الغرض الأول من الحكومات ليس الحصول على أشياء معينة بل ترقية الوطنيين.

ومن واجب الدولة الوصية فى سورية وفى هذا العصر المتمدن أن تجعل الحرية الدينية التامة فى مأمن. قولاً فى الدساتير، وعملاً فى الإدارة. وأن تكون عنايتها شديدة بالمحافظة على حقوق الأقليات. إذ لا شىء أكثر أهمية من هذا فى نجاح الحكومة العربية الجديدة. ويجب التوقى من تراكم الديون الكبيرة على الحكومة الجديدة فى ترقيتها الاقتصادية. كما يجب التوقى من غمسها فى شؤون الدولة الوصية الاقتصادية، والمحافظة من جهة أخرى على امتيازات الأجانب - كحقوقهم فى إنشاء المدارس والمشاريع الاقتصادية الخ، ومن الواجب عرضها على جمعية الأمم لتعديلها كما تقتضى مصلحة سورية. ولا ينبغى للدولة الوصية أن تستخدم سلطتها لتأييد مشاريع احتكارية إلى حد يضر بسورية أو الأمم الأخرى. بل يجب أن نعمل للسير بالحكومة الجديدة إلى الاستقلال الاقتصادى سريعاً كالسير بها إلى الاستقلال السياسى.

ومهما كان نصيب الآراء الأخرى، فإنه يجب العمل بهذه الآراء إذا كان مؤتمر الصلح وجمعية الأمم مخلصين لمبدأ الوصايات (الموضوع فى دستور الجمعية) وتجب المحافظة على مصالح سورية الجوهرية كيفما كان شكل الإدارة فيها. فإن المؤتمر السورى فى

دمشق تساوره المخاوف من جعل سورية مستعمرة لإحدى الدول تحت اسم آخر غير الاستعمار، فلذلك يجب نزع هذا الخوف بنزع أسبابه.

وتشير اللجنة فى الدرجة الثانية بالمحافظة على وحدة سورية حسب رغائب السواد الأعظم من سكانها - كما تدل على ذلك عرائضهم - لأن البلاد المشار إليها محدودة وعدد سكانها قليل جداً، ووحدتها الجغرافية والاقتصادية والجنسية واللغوية واضحة بينة لا تحتتمل إنشاء حكومات مستقلة ضمن حدودها المطلوبة. وإذا كان فى الموسع تجنب هذا التقسيم فإن البلاد عربية بلغتها ومدنيتها وتقاليدها وعاداتها.

إن هذا الرأى مطابق للنظريات العامة التى سبق ورودها، كما انه ينطبق على مبادئ جمعية الأمم، ويتفق مع رغائب الأكثرية فى البلاد.

يجب أن ترسم حدود سورية الجغرافية لجنة خاصة. وتعتقد اللجنة أن طلب المؤتمر السورى إدماج كيليكية فى سورية لاسوغ له تاريخياً ولا تجارياً، ولا من حيث العلاقات اللغوية الصغرى أكثر مما يضعها مع سورية. وعلاوة على ما تقدم فليست سورية محتاجة إلى شاطئ بحرى آخر مثل أقسام آسيا الصغرى.

ولا ينبغي حين الاعتراف بوحدة سورية نسيان الأمنى الطبيعية فى المناطق التى تشبه لبنان، الذى له نوع من الاستقلال. وتكون الوحدة أصح وأمتن إذا أعطى لبنان وما شاكله نوعاً واسعاً من الاستقلال الإدارى فإن برنامج دمشق نفسه يطلب حكومة على قاعدة اللامركزية الواسعة. تمتع لبنان بكثير من الرخاء والحكم الإدارى فى المملكة التركية فمن الضرورى أن لا يكون حظه فى المملكة السورية أقل من حظه فى المملكة التركية، بل يجب أن يعتقد بان علاقاته الاقتصادية والسياسية مع باقى سورية تكون وهو عضو فى سورية أفضل منها إذا انفصل عنها انفصلاً تاماً.

وبالطبع فإن لبنان كبلاد أكثر سكانها مسيحيون يخشى تسلط المسلمين فى سورية المتحدة وهناك موانع أربع تقيه هذا الخوف:

أولاً - استقلاله الإدارى الواسع

ثانياً - وجود دولة وصية قوية مدة طويلة يتألف فيها الدستور الذى تسير عليه الحكومة الجديدة.

ثالثاً - مشاركة جمعية الأمم التى تحافظ على الحرية الدينية وحقوق الأقليات.

رابعاً - شعور الحكومة العربية بضرورة المحافظة على لبنان لكي تستطيع الدخول فى جمعية الأمم.

وعلاوة على ذلك فإذا كان عدد المسيحيين كبيراً فى داخل المملكة يزول الخطر من جنوح المسلمين إلى الاستياء الذى لا بد منه إذا كان عدد المسيحيين كبيراً خارج المملكة. وهذا الأمر تؤيده الحوادث فى الهند فى علاقات الأديان المختلفة.

ثم إن لبنان كبلاد أكثر سكانها مسيحيون يكون أقوى وأفيد إذا كان ضمن سورية المتحدة مما لو كان خارجها منفرداً لوحده. إذ يكون شريكاً لها فى كل منافعها ومصالحها الحيوية، ولذلك نرى أن تكون سورية ولبنان متحدتين معاً لفائدتهما، وهذا رأى اللبنانيين المتتورين أنفسهم.

ومثل هذا الكلام يقال عن فلسطين، وهى ان كانت (الأرض المقدسة) عند المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء فإنها ذات موقف دقيق يحتاج إلى معالجة دقيقة، وسيأتى الكلام عنها فى سياق الحديث عن الصهيونية.

الوحدة السورية والوصايات

تشير اللجنة فى الدرجة الثالثة بوضع سورية تحت وصاية دولة واحدة كواسطة طبيعية لتأمين الوحدة وفائدتها. ولا ترى تقسيم إدارة المقاطعات السورية بين عدة وصايات، ولو كانت الوحدة الوطنية معترفاً بها فليست هذه ولا تلك بالطريقة الطبيعية التى تعتقد اللجنة أنها الفضلى لتوحيد الحكومة الجديدة، أو الشعب كله، وليس من المستبعد أن ترغم الظروف مؤتمر الصلح على الأخذ بوصاية مقسمة. وهذا ليس بالحل الذى يجب اختياره عن طواعية لعدم اتفاقه مع مصلحة السكان الكبرى.

ويجب أن لا ننسى أن السوريين هناك، وأنهم مضطرون إلى الاتفاق معاً على صورة ما، ولا بد لهم من العيش بعضهم مع بعض. سواء العرب فى الجهة الشرقية أو الذين على الساحل من المسلمين والمسيحيين. فهل يعاونون على ذلك أم يعرقلون بإنشاء علاقات ودية ولائحة بواسطة دولة وصية واحدة؟ لا ريب فى أن الحل الإدارى السريع لمسألة العلاقات الصعبة هو تقسيم القوم إلى أجزاء صغيرة مستقلة، وبعض الأحيان لا بد أن يكون الفصل جلياً واضحاً كما فى قضية العلائق بين الترك والأرمن، ولكن الفصل التام بين تلك الأجزاء

لا ينتج عنه غير اشتداد الخلاف وزيادة العداوات بين العناصر.
إن العبرة التي يلقيها علينا درس الشعور الاجتماعى الحديث توجب إدراك (النصف الآخر) على قدر ما يستطيع إدراكه بالعلاقات المكنية الحية، فعلى الدولة الوصية التي تمنح بعض الجماعات استقلالاً إدارياً محلياً معقولاً أن تعمل فى الوقت نفسه على تقوية وحدة الشعور الوطنى فى سائر البلاد، وعلى تحسين العلاقات الودية بين تلك الجماعات المختلفة لان سكان سورية كما سمعناهم أكدوا لنا مرارا أن العلاقات القديمة بين الجماعات المختلفة ناشئة عن سياسة الحكومة التركية السيئة، فاذا شمل العدل الجميع على السواء ووضع أن غرض الحكومة هو خدمة جميع الطبقات بلا تفضيل ولا تمييز - تحسنت العلاقات وزال سوء التفاهم، ولا يتم الوصول إلى هذا الأمر بتفريق الناس بعضهم عن بعض وجعلهم أعداء .

بناء على ما تقدم يلح رجال اللجنة فى وضع سورية تحت وصاية واحدة، وذلك لفائدة المذاهب والجماعات كلها.

الأمير فيصل

- وتشير رابعا بأن يكون الأمير فيصل رئيس حكومة سورية المتحدة للأمر الآتية:
- ١- طلب المؤتمر السورى التمثيلى هذا الطلب بالإجماع باسم الشعب السورى، وليس هناك ما يحمل على الشك بأن السواد الأعظم من سكان سورية يرغبون رغبة صادقة فى أن يكون الأمير فيصل حاكما.
 - ٢- أن المملكة الدستورية القائمة على مبادئ الديمقراطية ملائمة للعرب بطبيعة الحال، ولما ألفوه من أحوال القبيلة، واحترامهم لزعمائهم فإنهم يحتاجون أكثر من كل شعب إلى ملك كمركز شخصى لسلطة الحكومة.
 - ٣- أن الامير فيصل وصل إلى سلطته الحاضرة وصولا طبيعيا، ولا يوجد شخص آخر يقوم مقامه،
- ومن مميزاته أنه ابن شريف مكة، وله مقام كبير فى العالم الإسلامى وكان أحد زعماء العرب الكبار الذين حملوا التبعة فى ثورة العرب ضد الترك، واشتركوا فى تحرير الشعوب

الناطقة بالعربية فى المملكة التركية، ولذلك وضع فى المؤتمر السرى ثقته التامة. ولقد أخذ الإنكليز بناصره، وتوسموا خيرا من تقلده رئاسة الحكومة العربية الجديدة، فهو عربى عصرى يميل إلى الأخذ بفضائل المدنية الغربية. وصلاته مع العرب فى شرق سورية ودية. فلا خوف على مملكته من هذا الجانب، ولكنه بالطبع غير محبوب من المسيحيين فى الشواطىء كما هو محبوب من العرب فى المنطقة الشرقية. ولكن هيهات أن يوجد رجل يتفق الناس على محبته أكثر منه. فهو متساهل حكيم حاذق فى سلوكه مع الناس واكتساب مودتهم وثقتهم، وهو رجل مخلص بعيد النظر. ولا يمكن الجزم الآن فيما إذا كانت له القوة الكافية التى يحتاج إليها فى معالجة الصعوبات. ولكن مما لا شك فيه أنه لا يوجد زعيم عربى آخر فيه من عناصر القوة ما فيه. وسيكون أكبر معين فى زمن الوصاية. يستطيع مؤتمر الصلح أن يثق كل الوثوق بأن وجود عربى له هذه الصفات على رأس هذه الحكومة الجديدة فى الشرق الأدنى مفيد.

الصهيونية

- تشير اللجنة بوجود تنقيح البرنامج الصهيونى لفلسطين تنقيحا كبيرا. لا سيما مهاجرة اليهود غير المحدودة التى ترمى إلى جعل فلسطين بلادا يهودية.
- ١- باشرت اللجنة درس الصهيونية، وهى مبالغة إلى استحسانها، ولكن الحقائق الحسية التى وجدتها فى فلسطين مع قوة المبادئ العامة التى أعلنها الحلفاء وقبلها السوريون حملتها على وضع المشورة الأنفة.
 - ٢- تلقت اللجنة من اللجنة الصهيونية فصولا إنشائية كثيرة عن البرنامج الصهيونى، وسمعت كثيرا عن المستعمرات الصهيونية ومطالبها فى المؤتمر، ورأت بنفسها شيئا مما فعلته، ووجدت عددا كبيرا يؤيد أمانى الصهيونيين وخططهم. وهى تعجب من انصراف تلك الجوالى إلى العمل، وتغلبها بالوسائل الحديثة على العقبات الطبيعية.
 - ٣- تعتقد اللجنة أن الصهيونيين حصلوا على تشجيع معلوم من الحلفاء فى تصريح اللورد بلفور الذى كثر اقتباسه والاستشهاد به وتصديق ممثلى الحلفاء الآخرين عليه. إنما إذا عمل بهذا التصريح الذى يقضى بإنشاء «وطن قومى لليهود فى فلسطين مع الفهم الصريح بأنه لا يجب أن يعمل شىء يمس بالحقوق المدنية

والدينية التي للجماعات غير اليهودية في فلسطين»

إذا عمل بهذا النص لا يبقى شك في أنه يجب إدخال تعديل كبير على البرنامج الصهيوني.

إن إنشاء وطن قومي «للشعب اليهودي» لا يعنى جعل فلسطين بلادا يهودية. كما أنه لا يمكن إقامة حكومة يهودية بدون اهتضام الحقوق المدنية والدينية التي للجماعات غير اليهودية في فلسطين. والحقيقة التي وقفت اللجنة عليها في أحاديثها مع ممثلى اليهود هي أن الصهيونيين يتوقعون أن يجلوا السكان غير اليهود من فلسطين بشراء الأراضى منهم.

إن الرئيس ولسن في خطبته التي ألقاها في ٤ يوليو سنة ١٩١٨ وضع المبدأ التالى كواحد من المقاصد الأربعة الكبرى التي يحارب الحلفاء من أجلها وهو:

«حل كل مسألة. سواء كانت تتعلق بالأرض أو السيادة أو المسائل الاقتصادية والسياسية يجب أن يبنى على قبول الناس الذين يتعلق بهم قبولاً حراً. لا على المصالح المادية أو لفائدة أى دولة أو أمة أخرى ترغب في حل آخر خدمة لنفوذها الخارجى أو لسيادتها» فإذا كان هذا المبدأ سيسود، وإذا كانت رغائب السكان في فلسطين سيعمل بها فيما يتعلق بفلسطين فيجب الاعتراف بأن السكان غير اليهود في فلسطين - وهم تسعة أعشار السكان كلهم تقريباً - يرفضون البرنامج الصهيونى رفضاً باتاً، والجداول تثبت أن سكان فلسطين لم يجمعوا على شىء مثل إجماعهم على هذا الرفض، فتعريض شعب هذه حالته النفسية لمهاجرة يهودية لحد لها، ولضغط اقتصادى اجتماعى متواصل ليسلم بلادها - نقض شائئ للمبدأ العادل الذى تقدم شرحه، واعتداء على حقوق الشعب - وان كان ضمن صور قانونية.

وقد اتضح أيضاً أن الشعور العدائى ضد الصهيونية غير قاصر على فلسطين. بل يشمل سكان سورية بوجه عام. فان ٧٢ بالمائة من مجموع العرائض فى سورية ضد الصهيونية، ولم ينل طلب نسبة أكبر من هذه النسبة غير الوحدة السورية والاستقلال. وقد أعرب المؤتمر السورى الديمققى عن هذا الشعور العام فى المواد ٧ و ٨ و ١٠ من بيانه.

ولا ينبغى لمؤتمر الصلح أن يتجاهل أن الشعور ضد الصهيونية فى فلسطين وسورية بالغ أشده، وليس من السهل الاستخفاف به. فان جميع الموظفين الانكليز الذين حادثتهم اللجنة يعتقدون أن البرنامج الصهيونى لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة المسلحة، ويجب أن لا تقل

هذه القوة عن خمسين ألف جندي، وهذا في نفسه برهان واضح على ما في البرنامج الصهيوني من الإجحاف بحقوق غير اليهود. لا بد من الجيوش في بعض الأحيان لتنفيذ القرارات، ولكن ليس من المعقول أن تستخدم الجيوش لتنفيذ قرارات جائرة. هذا فضلا عن أن مطالب الصهيوينيين الأساسية في حقهم على فلسطين مبنية على كونهم احتلوا منذ ألفي سنة، وهذه دعوى لا تستوجب الاكتراث والاهتمام.

وهناك أمر لايجوز إغفاله إذا كان العالم يريد أن تصير فلسطين مع الوقت بلداً يهودية. وهو أن فلسطين هي الأرض المقدسة عند اليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء. يهيم أمرها ملايين من المسيحيين والمسلمين في العالم، ولا سيما ما يتعلق من تلك الأحوال بالعقائد الدينية والحقوق، فمسألة فلسطين وما يتفرع منها مسألة دقيقة حرجة، ومن المستحيل أن يرضى المسلمون والمسيحيون بوضع الأماكن المقدسة تحت رعاية اليهود مهما حسنت مقاصد هؤلاء. والسبب في ذلك هو أن الأماكن الأكثر تقديساً عند المسيحيين هي ماله علاقة بالمسيح، والأماكن التي يقدسها المسلمون غير مقدسة عند اليهود بل مكروهة. ولا يستطيع المسيحيون والمسلمون في هذه الأحوال أن يرضوا عن وضع تلك الأماكن تحت إشراف اليهود. ثم هناك أماكن أخرى لها في نفوس المسلمين مثل هذا الشعور، ولما كانت هذه الأماكن كلها مقدسة ومحترمة من المسلمين كانت وصايتهم عليها فيما مضى أمراً طبيعياً، فالذين يطلبون صيرورة فلسطين يهودية لم يحسبوا للنتائج حسابها، ولا للشعور العدائي ضد الصهيونية في جميع أنحاء العالم التي تعتبر فلسطين أرضاً مقدسة.

وبناء على ما تقدم تشعر اللجنة مع عطفها على مسألة اليهود أن الواجب يقضى عليها بأن تشير على المؤتمر أن لا يؤيد غير برنامج صهيوني معتدل يجب العمل فيه بالتدرج، وبعبارة أخرى يجب تحديد المهاجرة اليهودية إلى فلسطين، والعدول بتاتا عن الخطة التي ترمى إلى جعل فلسطين حكومة يهودية.

ولا يوجد هناك سبب يمنع ضم فلسطين إلى سورية المتحدة كأقسام البلاد الأخرى ووضع الأماكن المقدسة تحت إدارة لجنة دولية دينية تكون كما - هي الحال في الوقت الحاضر - تحت إشراف الدولة الوصية وجمعية الأمم، ويكون لليهود بالطبع عضو في هذه اللجنة.

لن تكون الوصاية على سورية؟

إن هذه الآراء الآن تؤدي بالطبع إلى ضرورة الإشارة إلى الدولة التي يجب أن تكون وصية على سورية كلها .

١- إن الاعتبارات التي سبق الكلام عنها تبين الصفات المطلوبة في الدولة الوصية، وأول هذه الصفات أن تكون مرغوبا فيها من السكان، وأن تتقيد بروح نظام الوصاية قلبا وقالبا، وتعمل للغرض الذي وضع النظام لأجله، وترضى بالجلء بعد زمن معلوم، ولا تحاول استغلال البلاد لمصالحها الشخصية، ويجب أن يكون لها شغف بالديموقراطية وترقية الجمهور العام، وإحياء الروح الوطنية، وتحتاج في هذه المهمة التي لا شكر عليها إلى رغبة محدودة وصبر طويل. إذ لا تستطيع دولة أن تنظر نظرات صادقة في الأحوال المحسوسة - كملكية الأراضي مثلا - وتحاول أن تصلح تلك الأحوال بدون أن يكون لها كثير من الأعداء، ويجب أن تكون قد سبقت لها خبرة في سياسة قوم أقل ارتقاء، وأن تكون ذات موارد كبيرة في الرجال والمال.

٢- من المرجح أن هذه الصفات لم تجتمع في دولة، ومن المؤكد أنها لم تجتمع فيها متناسبة متوازنة. وهذه الصفات مطلوبة كثيرا أو قليلا. كما ظهر لنا من أحاديثنا مع الأمة السورية، ووجود هذه الصفات يؤدي إلى طور جديد في العلاقات بين الأمم. بحيث تدخل فيها روح التضحية. والدولة التي تأخذ الوصاية على سورية كلها على هذه الشروط لا تخدم سورية وحدها. بل العالم كله، وفي الوقت ذاته تخدم نفسها لأنها تعمل على تحقيق مقاصد الحلفاء السامية في الحرب، وتعطى برهاننا دامغا على أن هذه المقاصد لم تهمل الأمر الذي يساعد كثيرا على استبقاء الأمم متحدة متمسكة بمبادئها العالية.

٣- إن قرارات مؤتمر الصلح في ٣٠ يناير سنة ١٩١٩ مندمجة في الأوامر المعطاة لنا. وهي توضح حالة المناطق التي ستفصل فصلا تاما عن المملكة التركية، وقد جاء فيها «أنه يجب أن تراعى رغائب هذه الجماعات في اختيار الدولة الوصية أولا».

إن ما وصلنا إليه في درسنا لا يدع مجالاً للشك في رغبة أكثرية الشعب السوري. فإنه بالرغم من كون قبول أميركا الوصاية أمرا مجهولا كل الجهل، وبالرغم من كون اللجنة لم تشجع الأفكار على الاتجاه نحو هذه الجهة أو الأخذ بها بل ثبّتها - إنه مع ذلك فقد كانت أميركا الدولة التي اختارها السوريون في الدرجة الأولى. وكانت نسبة العرائض التي تطلبها ٦٠ بالمائة في المجموع كله. بينما لم تتل دولة أخرى أكثر من ١٥ بالمائة من المجموع.

فريق من رجال العهد الفيصلى



هاشم الأتاسى



ياسين الهاشمى



رضا الركابى



المستر كراين رئيس لجنة
الاستفتاء الأمريكية



الشيخ كامل القصاب



يوسف العظمة

وقد ثبت أن القوم يعرفون الأسباب التي بنوا عليها اختيارهم أميركا: فهم يقولون إنما اختاروها لأنهم يعرفون سيرتها ومقاصدها السامية التي لا تشوبها شائبة، والثقة التي لها عند الجماهير السورية، التي كانت في أميركا، والروح الطيبة التي ظهرت من المعاهد الأميركية التهذيبية في سورية ولا سيما كلية بيروت التي توصل تشجيع الروح الوطنية السورية، مما أثبت لهم أن أميركا ليس لها مطامح جغرافية ولا استعمارية وأنها، لا تلبث أن تنجلي من تلقاء نفسها حالما يثبت بناء الحكومة السورية ويتخذون كوبا والفيلبين مثلين على روحها الديموقراطية النبيلة، وما لها من الموارد الغزيرة - وهكذا يتضح من النظر في رغائب الشعب السوري أن الوصايا يجب أن يعهد بها أميركا.

٤ - أما من حيث الصفات المطلوبة في الدولة الوصية على سورية فأميركا التي اختارها الشعب بالدرجة الأولى لا خوف عليها من تقديم كل امتحان دقيق على المقياس الذي أشرنا إليه في كلامنا السابق. فهي وإن كانت أقل خبرة من انكلترا في هذا العمل، وربما كانت علاقاتها مع سورية غير كثيرة ولا متينة مثل علاقات فرنسا. فهي على الأقل حاصلة على الصفة التي يتطلبها نظام الوصاية الجديد الذي يحدد العلاقات التي يجب أن تكون لدولة كبيرة مع شعب ضعيف.

وهي وإن قبلت الوصاية مع التردد فإنها سترى كيف أن المنطق يقضى بحمل هذه التبعة التي نجمت عن المقاصد التي خاضت الحرب من أجلها وعن دعوتها إلى تأليف جمعية الأمم.

٥ - وهناك مسألة أخرى وهي أن أميركا هي الدولة التي تقدر أن تعالج المسألة السورية - في البدء على الأقل - بدون اعتراض عليها من الشعب السوري فقد ظهر أن الأكثرية ترغب في مجيئها أكثر من رغبتها في مجيء أية دولة أخرى.

وأنة لا سهل على انكلترا وفرنسا معاً أن تتنازلا عن مطالبهما لأميركا من أن تتنازل إحداهما للأخرى. وهي الدولة التي ليس لها منافس، ولها موارد غزيرة تساعد على نشر العمران في سورية، الأمر الذي يفيد الأمم التي لها صلات مكيئة مع سورية، ويساعد على حفظ العلاقات الودية بين الحلفاء يضاف إلى ذلك أن الإنكليز الذين لهم مصالح كبيرة في مصر وبلاد العرب والعراق لا يرحبون بدولة أخرى مثلما يرحبون بصيرورة أميركا جارة لهم وكذلك العرب والسوريون في تلك المناطق والفرنسيون الذين لهم مصالح كثيرة خصوصية في بيروت ولبنان.

المصاعب التي امام أميركا

ترد على الإشارة بوصاية أميركية واحدة على سورية كلها جملة اعتراضات. أولها أن إرضاء الشعب الأميركي بقبول الوصاية غير مؤكد، وثانيها أن رضاء الإنكليز أو الفرنسيين بالجلء وترحيبهم بمجيء أميركا غير مؤكد أيضا. وهذه حالة قد تسبب تعباً دائماً لإدارة أميركية. علاوة على أن التشجيعات الكثيرة التي أعطيت للصهيونيين - وإن كانت مبهمة - قد تؤدي إلى عرقلة أميركا بالنظر إلى سكانها إلى هود ذوى النفوذ. ثم إذا كانت أميركا ستقبل وصاية ما فعلى الغالب أن الوصاية على آسيا الصغرى أكثر ملاءمة وأكبر أهمية. لأن هناك مهمة عظيمة تحتاج إلى ما عند أميركا من المقدرة فتخرج عن سياستها التقليدية فيما يتعلق بشؤون القارة الشرقية. وتعتقد اللجنة أنه لا دولة غير أميركا تقدر أن تذهب إلى آسيا الصغرى، ولها حرية تامة لتعامل سائر العناصر بالعدل على السواء.

ويمكن القول عن هذه الاعتراضات بوجه عام أنها قد تكون من النوع الذى يحل نفسه، أو من العراقيل التى يجب توقعها فى مهمة عظيمة كهذه، ولكن هذا لا يمنع اللجنة من القيام بواجبها. وهو الإشارة إلى ما تعتقد أنه الطريقة الفضلى التى ينبغى السير فيها. لذلك تشير بأن تسأل الولايات المتحدة الأميركية أن تأخذ الوصاية على سورية كلها.

نبوءة تمت

إذا لم تعط أميركا الوصاية على سورية لسبب ما تشير اللجنة فى هذه الحالة عملاً برغائب أكثرية الشعب السورى أن تعطى الوصاية لبريطانيا العظمى، فإن الجداول تبين أن هناك ١٠٧٣ عريضة فى سورية تطلب وصاية بريطانيا العظمى إذا لم تأخذ أميركا الوصاية، وهذا يزيد كثيراً على العرائض التى تطلب فرنسا، بل إن ستين فى المائة من العرائض تحتج بشدة على وصاية فرنسوية مباشرة وتتحاشى اللجنة البحث فى أسباب هذه الحالة. مضطرة إلى الاعتقاد بأن الموقف نفسه تستحيل معه الإشارة بأن تكون سورية كلها تحت وصاية فرنسوية. إن شعور العرب فى الجهة الشرقية شديد ضد فرنسا. وهناك سبب خطير يدعو إلى الاعتقاد بأن السعى لإكراه القوم على قبول الوصاية الفرنسية يؤدى إلى حرب بين العرب والفرنسيين، ويوجد بريطانيا فى مأزق حرج.

ولعل اللجنة يسمح لها أن تقول إن هذا الاستنتاج يخالف ما كانت ترجوه في البدء. فقد كانت تأمل - بالنظر إلى علاقات فرنسا القديمة الودية مع سورية، وإلى تضحياتها الفائقة في الحرب، وإلى ما ينتظر أن تناله المملكة الإنكليزية من الأراضي بعد الحرب - أن تتمكن من الإشارة على المؤتمر بوضع سورية كلها تحت وصاية فرنسا، ولكن كلما طال مقام اللجنة، في سورية تأكدت أن هذا الأمر لا يمكن الإشارة إليه ولا العمل به.

بناء على ما تقدم ترى اللجنة أنه إذا كانت أميركا لا تستطيع قبول الوصاية أن تعطى لبريطانيا العظمى، لأن الأكثرية تطلبها، ثم لأنها هناك، ولديها رجال إداريون متمرنون، وهي ذات خبرة كافية في معاملة الشعوب الأقل منها ارتقاء، ومتوفرة فيها صفات كثيرة مما يجب أن تكون في الدولة الوصية كما تقدم.

الاعتراضات على بريطانيا العظمى

غير أننا لا ننصف الشعب السور إذا نحن لم نصف بعبارة صريحة بعض الأسباب التي حملت القوم في سورية على تفضيل أميركا على إنكلترا فان القوم أظهروا في أحاديثهم معنا خوفهم من أن وضع الوصاية في أيدي الإنكليز يحول الدولة الوصية إلى دولة استعمارية من الطراز القديم، ويصعب على بريطانيا العظمى أن تتخلى عن مبدأ الاستعمار. لا سيما في بلاد تحسب أهلها غير راقين، وترهق الشعب الفقير لكي تزيد عدد الموظفين الإداريين، وتصبح مصالح سورية تبعا لمصالح الإمبراطورية، وتستثمر البلاد أخيرا لمنافعها، ولا تنجلي عنها أبدا لتعطي أهلها الاستقلال الحقيقي، كما أنها لا تعنى بالتعليم العمومي فلا تهىء له أسبابه الكافية. فضلا عن أن تحت سيطرتها من الأراضي أكثر مما يجب أن يكون لفائدتها وفائدة العالم بالرغم من تاريخها الاستعماري المجيد. وهذه المخاوف التي تساور نفوس السوريين توضح لماذا يطلبون «الاستقلال الناجز» ومساعدة محدودة الأمد، عشرون سنة فقط، كما توضح احتجاجاتهم على المادة ٢٢ من دستور جمعية الأمم. وكلهم يعتقد أن الدولة التي يرسلها مؤتمر الصلح إلى سورية يجب أن تأتي كوصية حقيقية تحت إشراف الجمعية ولأجل محدود. وكل ما خالف هذين فهو خيانة للشعب السورى.

ويجب الإيضاح أيضا بأن المصالح المشروعة لفرنسا في سورية تكون مضمونة تحت

الوصاية الحقة، إذ لا يوجد سبب يدعو إلى قطع رابطة من الروابط التي لفرنسا مع سورية أو إضعافها، سواء كانت سورية تحت وصاية دولة أخرى أو مستقلة.

بقى أمر واحد تجب إضافته، وهو أنه إذا كانت فرنسا تتشبث بمصالحها في سورية تشبثاً لا تبالى معه بالعلاقات الودية التي بين الحلفاء فإنه من الممكن بالطبع أن تعطى وصاية على لبنان «غير مكبر» بالانفراد عن سورية كما ترغب جماعات كبيرة في هذه المنطقة، ولا تستطيع اللجنة للأسباب التي تقدم شرحها أن تشير بهذا الأمر على المؤتمر ولكنه ترتيب ممكن.

هنرى / س كنف - تشارلس ر. كراين

اتفاق لويد جورج وكلمنصو

وسفر الأمير إلى أوروبا ثانية

ربيع الفرنسيون من نتيجة الاستفتاء وأدركوا أن أملهم باستمالة الشعب السوري قد خاب وضاع. كما عرفوا أن دون تطبيق خططهم الاستعمارية مصاعب لا تذلل، فوجهوا وجههم نحو لندن، ودبروا حملة في صحافته على الإنكليز ملحين بتنفيذ العهد المعقودة بينهما بشأن سورية.

وأسرع الإنكليز فأبلغوا مؤتمر الصلح - إرضاء للفرنسيين - بأنهم لا يقبلون الانتداب لسورية، وقامت صحف الإنكليز الكبرى وفي مقدمتها جريدة التيمس تدعو إلى استرضاء الفرنسيين وإجابة مطالبهم.

وبينما كانت المناقشات القلمية دائرة على هذا المنوال بين صحافتي لندن وباريس، وبينما كان رجال السياسة من الحكومتين يعملون للوصول إلى تفاهم حاسم كان الموظفون الفرنسيون في لبنان يبيثون دعاية واسعة النطاق لتكبير لبنان في ظل الانتداب الفرنسي، ولعلمهم خشوا أن لا ينالوا منالا من سورية فأرادوا أن يمهّدوا لإنشاء دولة لبنانية تدخل تحت حمايتهم، فيفوزون ببعض ما يريدون، وإليك صورة القرار الذي حملوا مجلس إدارة لبنان على إصداره يوم ٢ مايو سنة ١٩١٩ بالمطالبة بتوسيع حدود لبنان، وقد أبلغ رسميا بواسطة الحكومة الفرنسية إلى مؤتمر الصلح وهذا نصه:

لما كان جبل لبنان مستقلا من القديم بحدوده التاريخية والجغرافية، والقطع التي فصلت عنه إنما سلخت منه عنوة واغتصابا بأمر الدولة التركية.

ولما كانت الدولة الغاصبة قد تقلص ظلها، واضمطت سيطرتها عن هذه البلاد،

ولما كان لبنان لا يتسع له العيش والرخاء ما لم تعد إليه القطع المفصولة عنه،

ولما كانت دول الحلفاء قد أعلنت أنها تساعد على تحرير الشعوب المظلومة وإعادة الأراضي المغصوبة لبلادها الأصلية، وكانت القطع المغتصبة من لبنان تعد قسما منه،

ومعظم سكانها هم من اللبنانيين أصلا.

فبناء على ذلك وعلى طلبات والحاح اللبنانيين المتواصلة والمعلنة فى جميع أنحاء الجبل قد اجتمع هذا المجلس بصفته ممثلا للشعب اللبناني وأصدر القرار الآتى:

١- المناذاة باستقلال لبنان السياسى والإدارى بحدوده التاريخية والجغرافية، واعتبار البلاد المغصوبة منه بلادا لبنانية كما كانت قبل سلخها عنه.

٢- جعل حكومة لبنان هذه ديمقراطية مؤسسه على الحرية والإخاء والمساواة مع حفظ حقوق الأقلية وحرية الأديان.

٣- إن الحكومة اللبنانية والحكومة الفرنسية متفتقتان على تقرير العلائق الاقتصادية بين لبنان والحكومات المجاورة.

٤- مباشرة درس وتنظيم القانون الأساسى بطرقه الأصولية

٥- تقديم هذا القرار لمؤتمر الصلح

١- حمل الفرنسيون البطريرك على السفر فقصد باريس ومعه لفييف من المطارنة، وذلك فى شهر اكتوبر سنة ١٩١٩ فقايل المسيو كلمنصو وباحته ثم عاد إلى لبنان فوصل بيروت يوم ٢٥ ديسمبر من تلك السنة يحمل الكتاب الآتى:

باريس فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٩
أيها السادة

«إن المفاوضات التى جرت من يوم وصول غبطنكم إلى باريس فيما بينكم وبين وزير الخارجية وبينى أنا قد وطدت ولاشك فيكم الاعتقاد أن الحكومة الجمهورية متمسكة تمسكا لا تنفصم عراه بتقاليد الولاء المتبادل منذ قرون بين فرنسا ولبنان.

وتلك المفاوضات التى أكدت لكم أيضا أن حل المشكل الذى نسعى إليه فى مؤتمر الصلح. وعلى وجه الإجمال مطابق لأمانى الشعب الذى أنت ممثله السامى

«ان رغيد اللبنانيين فى المحافظة على حكومة ذاتية ونظام وطنى مستقل تتفق كل الاتفاق مع تقاليد فرنسا الحرة، وأن اللبنانيين لمتاكرون من مساعدة فرنسا وموارزتها، وبالاستقلال عن كل مجموع أهلى أيا كان أن يحافظوا على تقاليدهم ويوسعوا نطاق نظاماتهم السياسية والإدارية، وأن يستعجلوا بأنفسهم زمن الانتفاع التام من مرافق بلادهم. وأخيرا أن يروا أولادهم يتأهبون فى مدارسهم الخاصة للقيام بالوظائف العمومية.

«أما الحدود التى سيجرى فيها هذا الاستقلال فلا يمكن تعيينها نهائيا قبل أن يقرر ويحدد أمر الوصاية على سورية.

«على ان فرنسا التى يذلت كل ما فى وسعها سنة ١٨٦٠ لكى تخول لبنان أرضا أوسع لا تنسى أن تضيق حدوده كما هو الآن نتيجة الضغط الذى أن تحتة لبنان زما طويلا.

«وان فرنسا التى ترغب فى تحسين الصلات الاقتصادية بين البلاد الموضوعة تحت وصايتها ستنتظر أيضا =

٦ - إعلان هذا القرار في الجريدة الرسمية، وفي غيرها من الجرائد الوطنية تظميناً لأفكار اللبنانيين وبياناً للمحافظة على حقوقهم.

يضاف إلى هذا وهذا حمل الفرنسيين بطريك الموارنة إلياس الحويك على السفر إلى باريس والمطالبة بإنشاء لبنان الكبير تحت الحماية الفرنسية مما هو معلوم ومأثور^(١).

فإخفاق السياسة الفرنسية وعمالها ذلك الاخفاق المشين، أمام اللجنة الأميركية، وظهور الشعب السوري بمظهر المتضامن الراض لكل حماية فرنسية، وحدوث اضطرابات على حدود المنطقة الغربية، واتساع نطاق الدعاية العربية في أرجائها، وتظاهر المسلمين لا فرق بين السنين والشيعة والدروز وتظاهر النصيرية - ويؤلفون مع المسلمين الجانب الأكبر من سكان تلك المنطقة - بالميل إلى حكومة دمشق وتردد زعمائهم ووجهائهم وأصحاب الرأي منهم على عاصمتها - إن ذلك كله زاد في قلق الفرنسيين وجعلهم يلحون على الإنكليز في تسوية القضية السورية على قاعدة العهود المقطوعة. وبما أن موقف الولايات المتحدة كان غير واضح حتى ذلك الحين - فهي لم تعلن إن كانت تقبل انتداباً أم لا - رأى ولاة الأمور الإنكليز أن يستدعوا الأمير إلى أوروبا ثانية لعقد اتفاق نهائي. فأبرق إليه المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٩ يدعو إلى القدوم، ويلح عليه بأن يصل إلى لندن يوم ١٦ منه، ومع أنه تلقى البرقية في ساعة متأخرة من ليلة ١١ فقد أعد معدات السفر على الفور، وغادر دمشق في الساعة التاسعة والنصف من صباح ١٢ منه بقطار خاص إلى حيفا، ومعه الشيخ فؤاد الخطيب أمين الخارجية، والجنرال حداد باشا مدير الأمن العام والدكتور أحمد قدرى طبيبه الخاص، والقائد أركان حرب محمد اسماعيل والخوري يوسف اسطقان والمحامي توفيق الناطور والمرافق العسكري تحسين قدرى. ولحق به بعد يومين الأمير أمين أرسلان وأمين التميمي والدكتور سامح الفاخوري والأمير فايز شهاب (لبنان) وأمين الكسباني.

= بغابة العناية عند تحديد تخوم لبنان في ضرورة تحويل الجبل الأراضى السهلية والمرافىء البحرية اللازمة لعمرانه.

«واننى على ثقة من أن التأكيدات التي أبدتها لغبطنكم توافق العواطف التي حملت الشعب اللبناني في هذه المرة أيضاً على طلب وصاية فرنسا لبلادها. ولى الأمل أن الحل النهائي الذي سيبته مؤتمر الصلح في المسألة السورية يفسح المجال للحكومة الفرنسية ويمكنها أن تحقق كل التحقيق أمانى هذا الشعب الباسل، وأقبل يا صاحب الغبطة فائق اعتبارى».

«كلمنص»

وبلغ الأمير الإسكندرية يوم السبت ١٣ منه، وأبحر في الأصيل على نسافة بريطانية إلى مرسيليا، وقد سافر اللورد النبي قبله بأسبوع، وتوقفت النسافة فجأة يوم الاثنين ١٥ منه قرب مرسيليا فبلغها الأمير يوم ١٨ منه، وسافر إلى باريس على الفور، وقد ظهر بعد أن توقفها كان مقصودا، وأنه جرى بإشارة لاسلكية تلتقتها وهي في عرض البحر من حكومة لندن، لعدم اقتران المفاوضات التي كانت تدور بين المستر لويد جورج والمسيو كلمنصو بنتيجة نهائية. ولما كانا ينيوان مفاجئته بالأمر الواقع فقد رأيا تأخير سفره ريثما يتم الاتفاق وهو ما وقع.

ومما يستحق الذكر هنا، ويدل على رغبة الإنكليز في استرضاء الفرشوسيين زيارة الكولونيل ماين هيرزاكن يوم ٩ سبتمبر للامير فيصل - أي قبل سفره إلى أوروبا بيومين - مصحوبا بالكابتن كولوندر الفرنسي، وإبلاغه شفاها الإنداز الآتي باسم اللورد النبي:

١ - تعلن بريطانيا انها ترفض الانتداب على سورية بأي شكل كان

٢ - تؤيد بريطانيا فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

٣ - تقاوم بريطانيا فكرة إنشاء حكومة تخالف رغبات الشعب السوري.

٤ - لما كان المارشال النبي هو المسؤول عن أمن هذه البلاد أمام المجلس الأعلى فهو عازم على إعادة الأمن إلى نصابه عند حدوث اضطراب أو قلاقل.

فاحتج الأمير على هذا الإنداز وقال إن المظاهرات التي يقوم بها الشعب منشؤها وجله على مصيره وتخوفه من هضم حقوقه، وأنه لا يوافق على تقسيم البلاد العربية بوجه من الوجوه، ولا يساعد على استعمارها. فأجاب الكولونيل الإنكليزي «سيعاقب المارشال الذين يحاولون إيقاد الاضطرابات مشروعة كانت أم غير مشروعة»

ولقد أثر هذا الانذار أثراً بليغاً في نفس الأمير، وجعله يحسب للحوادث حسابها، كما جعله يشعر بأن هنالك تفاهما بين الفرنسيين والإنكليز على سورية والعراق مما أيدته الحوادث. فإنه لم يكذب يبلغ باريس يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩١٩ حتى عرف أن كل شيء قد انتهى. وأنه إزاء سياسة جديدة تم الاتفاق على تفاصيلها بين الحكومتين، وتقضى بجلاء الجيش البريطاني عن المنطقتين الشرقية والغربية وعن كيليكية وحلول الجيش الفرنسي محله، ومعنى ذلك أن تحتل فرنسا البلاد التي اختصت بها بموجب معاهدة سايكس - بيكو

وفى جملتها أفضية بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا. لأنها داخلة فى حدود المنطقة الساحلية الخاضعة مباشرة لفرنسا. ويستثنى من ذلك المدن الأربع، وهى دمشق وحمص وحماء وحلب مع ولاية الموصل. وقد تقرر أن تظل تحت الاحتلال البريطانى مع أنها من الاراضى الداخلة فى أشقة سورية الداخلية. فيقتصر الاحتلال العسكرى البريطانى فى هذا الدور على العراق وفلسطين وقد كان مصيرها غير جلى - كما لا يخفى - وهذا نص الاتفاق العسكرى الذى عقد فى باريس يوم ١٥ سبتمبر بهذا الشأن:

«لقد قبل المسيو كلمنصو باسم الحكومة الفرنسية اقتراحات المستر لويد جورج بجلاء الجيش البريطانى عن سورية وكيليكية، واستبدال هذه القوى بجنود فرنسوية فى كيليكية وفى غرب خط سايكس - بيكو فى سورية

»ومن المعلوم أن الحكومة الفرنسية بقبولها هذه الاقتراحات لا تتعهد بقبول أى قسم آخر من المواد المقترحة فى مذكرة المستر لويد جورج فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩١٩ والخاصة باحتلال سورية وفلسطين والعراق إلى أن يصدر القرار فى قضية الانتداب. فالمؤتمر يسجل هذا الاتفاق بصفته تدبيراً عارضاً وموقتا لتسوية الاحتلال العسكرى لاغير، وهو لا يؤثر فى حل القضايا الخاصة بالانتداب والحدود التى يجب النظر فيها باعتبارها جزءاً من قضية الصلح العامة مع تركيا»

وفى يوم ١٧ منه نشر فى باريس البلاغ الرسمى الآتى:

«تقرر فى الاتفاق الذى عقد بشأن الحل محل الجنود البريطانية فى سورية وكيليكية أن تترك من الآن المدن الأربع وهى دمشق وحمص وحماء وحلب خارج منطقة الاحتلال العسكرى الفعلى»

وزيادة فى البيان والإيضاح نقول إن الإنكليز نالوا من الفرنسيين فى مقابل هذا الجلاء المزايا الآتية:

- ١ - عدم المطالبة بإدخال ولاية الموصل ضمن الحدود السورية
- ٢ - عدم المنازعة فى تقرير مصير فلسطين - أى أن تكون لبريطانيا.
- ٣ - عدم المنازعة فى وضع العراق تحت الانتداب البريطانى

٤ - إبقاء مقاطعة شرقي الأردن - وكانت يومئذ جزءا من سورية - تحت الاحتلال البريطاني.

نعم هذا ما ناله الإنكليز من الفرنسيين مقابل موافقتهم على إحلال الجيش الفرنسي محل الجيش البريطاني. بشرط أن يتم الجلاء والخلود في أول شهر نوفمبر من تلك السنة. وأبلغ هذا الاتفاق - وقد تم بموافقة اللورد للنبي - إلى مجلس الحلفاء الأعلى رسميا فأقره، وجاء في المذكرة الخاصة به أنه سيظل نافذا إلى أن تفرغ أميركا من إبرام معاهدة الصلح، وتلغن قرارها الخاص بقبولها الانتداب أو رفضه له. والقصد من كل ذلك جعل الأمير أمام حالة واقعة وإجباره على الرضا والتسليم بما قدر وقسم.

وعلم الأمير بما تم وهو في مرسيليا فسافر إلى باريس على الفور، ولم يبق فيها. بل غادرها مباشرة إلى لندن فاجتاز بحر المانش بمدمرة إنكليزية، وبلغ لندن يوم ١٩ منه فاستقبل استقبالاً رسمياً فخماً، وحل في فندق كارلتون وقابل يوم وصوله اللورد للنبي وذهباً معه إلى دوننج ستريت وقابلاً رئيس الوزارة لمقابلة طويلة.

وقد احتج الأمير على ما وقع. فطيب الإنكليز خاطرهم وقالوا له إنه لم يكن بإمكانهم أن يفعلوا غير ما فعلوه. ثم أشاروا عليه أن يذهب إلى باريس ويفاوض الفرنسيين ويتفق معهم فأبى في أول الأمر.

ودارت محادثات طويلة في تلك الأثناء بينه وبين أقطاب الإنكليز اقترح في ختامها تأليف لجنة عسكرية تؤلف من أربعة ضباط: أميركي وعربي وإنكليزي وفرنسي وتجتمع في لندن للبحث في ما يلزم اتخاذه من التدابير لاتقاء ما قد يحدث من حوادث بسبب جلاء الجنود البريطانية وحلول الجنود الفرنسية محلها، فوافق الإنكليز مبدئياً على هذا الاقتراح، وأبلغوا الأمير بأن يسافر إلى باريس لمفاوضة المسيو كلمنصو والاتفاق معه على تفصيله وجاءه بدعوة خاصة منه. فاجتاز المانش يوم ٢٠ أكتوبر وفي يوم ٢٣ منه. قابل المسيو كلمنصو لمقابلة طويلة لم تؤد إلى اتفاق. لان هذا أبى الاشتراك في اللجنة العسكرية التي يقترح الأمير تأليفها. وزار عونى عبد الهادي بصفته مندوباً عربياً في مؤتمر الصلح المستر فولك رئيس الوفد الأميركي بعد سفره ولسن إلى بلاده، وأبلغه خبر اتفاق ١٥ سبتمبر ورجاه التوسط لحل الخلاف القائم بين العرب والفرنسيين والإنكليز

جوله، وقال له إن هذا الاتفاق يعد بمثابة مقدمة لتقسيم البلاد العربية. فأجابه انه لا يستطيع أن يتكلم رسميا لأن المسألة العربية مرتبطة بالمسألة التركية، ولم يحن زمن البحث فيها، وإن غاية ما يفعله هو التكلم مع الإنكليز والفرنسيين بصفة خاصة.

وعلى أثر ذلك خوفا من انسحاب الأميركيكان من مؤتمر الصلح فيخسر العرب عضدا قويا رفع عونى عبد الهادى تقريرا إلى المؤتمر اقترح فيه فصل القضية العربية عن القضية التركية، وأن يعجل بنظر الأولى لاعتبارات سردها. ومع أن بعض كبار الأميركيين وعدوه بالتأييد إلا ان الكلمة العليا ظلت للإنكليز والفرنسيين فأرجىء النظر فيها، ثم كان بعد ذلك ما كان من انسحاب الأميركيين ورفضهم إبرام معاهدة فرساي. فكان هذا الانسحاب من سوء حظ العرب.

لقد باع الإنكليز العرب وصدقتهم بزييت الموصل، وجحدوا عهدهم لهم. ووصف المستر كراين رئيس اللجنة الأميركية إلى بلاد الشرق ما جرى أبلغ وصف بقوله «لما خرجنا من باريس فى صيف سنة ١٩١٩ إلى الشرق كنا كلنا آمالا بنجاة سورية وتحريرها. فلما عدنا وجدناها بيعت ببيع السلع، باعها الإنكليز بزييت الموصل وهو الزيت الذى تنازل عنه الفرنسيون ثمنا لإطلاق يدهم فى سورية» ويمثل هذا صرح أحد أصدقاء الكولونيل لورانس فقال «لو لم تكن الموصل داخلية فى منطقة النفوذ الفرنسوى لقبل المستر لويد جورج نظرية الكولونيل لورانس باستقلال سورية».

الجنرال غورو يعين لقيادة جيش الشرق

وبينما كان الأمير يعمل فى باريس ولندن لتعديل اتفاق ١٥ سبتمبر والتخلص منه فوجيء يوم ١٢ أكتوبر ١٩١٩ بتعيين الجنرال غورو قائدا عاما للجيش الفرنسوى فى الشرق ومندوزيا ساميا لفرنسا فى سورية وكليكية. ومع أن هذا صرح على أثر تعيينه ان مهمته محدودة بدقة وجلاء وهى «إيدال جنود بجنود، والمحافظة على النظام فى تلك البلاد إلى أن يقرر مؤتمر السلام المطالب السياسية الخارجية بأقسام السلطنة العثمانية المختلفة» إلا أن ذلك لم يخفف من قلق الأمير فأفضى بحديث لجريدة الماتان الفرنسوية قال

فيه «وإني أرغب في الاتفاق الودي مع فرنسا ومعونة الجنرال غورو الذي لم أجتمع به حتى الآن لسوء الحظ، ولكن لا يسعني التسليم بتجزئة البلاد التي وعدونا وعدا رسميا بعدم تجزئتها. وأقول هنا إن المستر لويد جورج أطلعني من أيام على مذكرة، وطلب مني التسليم بها فرفضت ذلك بتاتا. وعندى توكيل من العرب فلا يحق لي أن أقبل شكلا من أشكال الحكم يعارض آمالهم، ولم أفعل شيئا في باريس سوى اني طلبت من المسيو كلمنصو أن لايجزىء بلادنا، وأن تظل القيادة العسكرية فيها موحدة إلى أن يصدر قرار المؤتمر فلم أتلق جوابا على ذلك، فإذا رأى العرب أن الأمم الاخرى خدعتهم فإنهم يطلبون العون في مكان آخر»

وفي يوم ١٨ نوفمبر وصل الجنرال غورو إلى بيروت فاستقبل استقبالاً عسكرياً، وجاء معه عدد كبير من الضباط، وبدأ توارد الجند الفرنسيون إلى سورية على الأثر.

جلاء الجيش الإنكليزي

وتدابير الحكومة الفيصلية

بدأ الجيش الإنكليزي بالجلاء عن حلب ودمشق فأنتهى جلاؤه بانتهاء شهر نوفمبر، ولم يبق سوى الجند المرابط في حوران وشرقي الأردن، وكذلك غادرت دمشق يوم ١٨ نوفمبر القوة الفرنسية التي كانت ترابط فيها وهي ٢٥٠ جنديا إلى بيروت. وفي يوم ٢٥ نوفمبر طارت الطائرات الإنكليزية في سماء دمشق وألقت أوراقا كتب فيها: «إن القائد العام للجيش البريطاني وضباطه وعساكره في دمشق يرومون أن يودعوا سمو الأمير زيد المعظم والهيئة الحاكمة وأهل دمشق، ويشكرونها من صميم أفئدتهم على ما أظهره نحوهم من العطف أثناء وجودهم بدمشق ويتمنون من كل قلوبهم مستقبلا حسنا لدمشق وللشعب العربي كله»

بيان الحكومة السورية في المؤتمر

ورأت حكومة دمشق أن لا تنفرد بالعمل في الدور الجديد فأصدر الأمير زيد أمرا بدعوة المؤتمر السوري، فاجتمع بعد ظهر السبت ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ في دار النادي العربي، وألقى الحاكم العسكري على رضا باشا الركابي باسم الأمير خطبة قال فيها: «تعلمون أن العرب وجلالة الملك المهاب لم يخوضوا غمار هذه الحرب في جانب الحلفاء إلا لإنقاذ الأمة العربية من نير الظلم والاستعباد، والحصول على الاستقلال التام، وقد دخل الجيش العربي سورية فاتحا، وأعلن الحكم العسكري الموقف في البلاد ريثما يتقرر مصيرها نهائيا، وكانت سورية التي فتحها الجيش العربي بمعونة الحلفاء والعرب قد قسمت إلى مناطق احتلالية بتدبير القيادة العامة للجيش المتحالفة لتدار من قبل السلطات العسكرية الموقته. وقد ذهب سمو الأمير فيصل إلى أوروبا لتمثيل البلاد في المؤتمر والمناضلة عن حقها السياسي بتفويض الشعب. ولا يزال يواصل نضاله وجهاده المقدس ولا تزال الضجة قائمة في أوروبا حول المسألة السورية. غير أن الحلفاء نظرا للارتباكات المالية، وتأخر أميركا في إعلان قرارها النهائي - كما يدعون - اضطروا للقيام بتدبير

عسكري مؤقت يقضى بانسحاب الجيش البريطاني على أن لا يحل محله جيش آخر إلا في بعض النقاط من منطقتنا الشرقية، وهي بعلبك ورياق وشتورة. وأما الجيش البريطاني فسيحافظ على مواقعه الأصلية في حوران والكرك، ولا ينسحب منها وستبقى السلطة الادارية لنا في الأماكن الاخيرة، كما كانت سابقة. ولقد تم هذا التدبير العسكري دون استشارة العرب الذين هم حلفاء أيضا، ويجب أن يكون لهم الرأى الأول في مثل هذا الشأن. الامر الذى امتعضت له الأمة، وكان الواجب على الحلفاء أن يأخذوا رأى العرب فيه قبل كل شىء. ولقد تعددت بموجب هذا التدبير القيادة العسكرية في سورية بعد ما كانت موحدة»

ثم تكلم عن تصريحات المسيو بيشون وزير الخارجية الفرنسية. وقد جاء فيها إن كل ما جرى وقتى، لا يؤثر فى قرار مؤتمر الصلح النهائى. وأجاب على ذلك بقوله «وإن تصريحات كهذه لا تكفى لقبولنا هذا التدبير الأخير الذى هو تطبيق لمعاهدة سايكس - بيكو السرية المجحفة بحقوق البلاد، والمنافية لمبدأ الحلفاء. وهذا ما دعانا إلى رفع استقالتنا لسمو الأمير احتجاجا على التبليغات التى أبلغناها فعهد إلى نا بالسلطة العسكرية الموقته على أن يرفع احتجاجنا للمقامات العالية.

«وقد دعا سموه مؤتمركم الموقر لإطلاعكم على الموقف الحاضر بصفتم زعماء البلاد وممثلة إرادة الأمة لتبوا رأيكم فى هذا الاتفاق الموقت الأخير، وتتواصلوا جهادكم المقدس فى إدارة الحركة الوطنية أكثر من ذى قبل، فتكون مساعيكم القيمة فى داخل البلاد عوناً لسمو الأمير فى خارجها».

وعقد المؤتمر السورى يوم ٢٤ منه جلسة قرر فيها أن يرفع إلى الأمير زيد الكتاب الآتى:

«ان المؤتمر السورى بصفته ممثلاً للأمة السورية العربية قانونياً وسياسياً قد تشرف بسماع بيان سموكم الذى تلاه الحاكم العسكرى العام بالنيابة عنكم، وعلم منه حرج الموقف وكيف أن حلفاء العرب إبان شدتهم يوم كان طالع الحرب غير باسم قد نكثوا عهودهم مع العرب اليوم فعلاً، وعبثوا بالعهود والأسس التى أعلنوها للملا أجمع من أنهم يقاتلون لنصرة الحق، ويؤيدون حقوق الأمم لتعيين مصيرها حسب رغائبها وأمانيتها، وقد خرقوا عهد جمعية الأمم قبل أن يجف مداده، وبدأوا بتقسيم البلاد وتهيئة أسباب استعمارها حسبما تقتضيه مصالحهم الاستعمارية. معتمدين على قوة السيف والمدفع

وحق الفتح، ومعترفين عمليا بأن العهود والمواثيق ما هي إلا قصاصة ورق - رغما عما كانوا يؤاخذون به الألمان ويثيرون ثائرة الشعوب عليهم من أجله، وإن الاتفاق العسكري الموقت الذي تم بين لويد جورج وكلمنصو بشأن البلاد السورية تم خلسة عن العرب الذين هم أصحاب البلاد منذ وجد التاريخ وأصحاب الحق الأول في تعيين أمر البلاد.

«والمؤتمر إزاء هذا الاتفاق الموقت يرى أن واجب الأمة التي يمثلها في أمانيتها ورغائبها يقضى عليها بالدفاع عن وحدتها واستقلالها وشرف قومها إلى آخر نسمة فيها. تأييدا لرغائبها التي أبدتها، وتأميناً لوحدة بلادها التي هي عرضة للتقسيم واستقلالها وهو عرضة للضياع.

«ويرى أنه من بواعث الوطنية أن يعرض على مسامعكم بعض أمانيه ومقرراته التي لا يرى بدا من جوب تطبيقها لأجل توحيد الحركة في البلاد للوصول إلى الغاية المنشودة، وهي إعلان الاستقلال التام للقطر السوري بحدوده التي رسمها المؤتمر بقراره الذي قدمه إلى اللجنة الدولية الأميركية، فهو لا يقبل الانقسام والتجزئة بوجه من الوجوه. مع تعيين شكل الحكومة بانها ملكية شورية مدنية، ويرى أن يلفت نظركم إلى الأوضاع والتعامل المتخذين في الممالك التي سبقتنا في الأخذ بمبدأ السيادة القومية، وهو يقضى بان تكون الحكومة وطنية لمجلس الأمة حق مراقبتنا ضمن دائرة القانون الأساسي والمؤتمر يعتبر نفسه على وفاق مع سموكم بلزوم اتخاذ التدابير العاجلة لتطبيق هذه الأصول والأوضاع وإنشاء حكومة مسؤولة أمام الأمة يثق بها ويمنحها اعتماده المطلق، وثقته التامة لاتخاذ وسائل الدفاع عن وطنه المههد بالاستعمار»

منشور المؤتمر إلى الأمة

وأذاع المؤتمر على الشعب السوري البيان الآتي:

بما أن حياة البلاد لا تقوم إلا بوحدتها التامة واستقلالها التام. وبما أن بعض الاستعماريين يتهددون تلك الوحدة ويعبثون بهذا الاستقلال، فقد رأى المؤتمر السوري الذي يمثلكم، وينطق بلسانكم ويعبر عن رغائبكم في جلسته يوم ٢٤ نوفمبر أن يوجب على الأمة الدفاع بدنا وما لا ضد كل من يحاول الإخلال بوحدة البلاد واستعمارها والعبث باستقلالها، والمؤتمر على ثقة تامة من أن الأمة العربية الكريمة ذات المجد الأثيل والشرف

الأصيل ستقدر الواجب حق قدره، فتسرع إلى تلبية نداء الوطن بكل ما لديها من قوة وحياء، وإنه يأمل كل الأمل أن الأمة العربية ستجد في أوروبا وأميركا كثيرا من المخلصين المنصفين ممن يساعدونها على نيل حقوقها وأمانها ويدافع عن قضيتها والله ولى التوفيق.

بلاغ الأمير زيد

وفى يوم ٢٧ منه أرسل الأمير زيد إلى الحاكم العسكرى الكتاب الآتى:

«ها قد انسحبت الجيوش البريطانية من منطقتنا الشرقية ودخلنا فى دور جديد هو الخطوة الاولى نحو الحياة الحرة. إذ أصبحت حكومتنا العربية هى المكلفة بحفظ الأمن والنظام فى هذه البقعة المباركة من بقاع البلاد العربية المحررة التى لانزال نواصل جهادنا فى الدفاع عن حق استقلالها السياسى ووحدة أقطارها استنادا على وعود حلفائنا وعهودهم التاريخية.

ولا مرء أن الواجب الوطنى يقضى على رجال حكومتنا فى هذه الأيام أن يتذرعوا بالحزم والنشاط والتبصر فى إدارة شؤون البلاد أكثر من ذى قبل لنبرهن للعالم أجمع أن العرب جديرون بالحياة الحرة والاستقلال الوطنى التام الذى هو المثل الاعلى لكل فرد من أفراد الامة، والذى خضنا لأجله غمار هذه الحرب أربع سنوات فى جانب الطفاء. وعلى ذلك ويصفتى نائب أخى سمو الأمير فيصل أوصى جميع الموظفين ورجال الحكومة المسؤولين بما يأتى:

- ١- السهر الدائم على الاحتفاظ بالأمن العام، والضرب بسوط من حديد على أيدي من يريدون الفساد والتصدى للإخلال بالراحة العامة.
- ٢ - قطع دابر الشقاوات وحوادث الاعتداء.
- ٣ - احترام الأهلين، ورعاية مصالحهم على مبدأ الحكومة للشعب والشعب للحكومة ضمن المبادئ القانونية.
- ٤ - منع كل من يخالف قواعد الشرف الصحيح والأخلاق الفاضلة.
- ٥ - توزيع العدل بين جميع الطبقات، والمساواة التامة بين جميع الطوائف.
- ٦ - الاهتمام العظيم بتدريب وتنظيم قوتى الجيش والدرك، اللذين هما محط آمال الامة

ليكونا فى المنزلة التى يقضى بها الدفاع الوطنى».

الفرنسيون يتقدمون لاحتلال بعلبك ورياق

وفى يوم ٢٩ منه أذاع الحاكم العسكرى البلاغ الآتى:

«لقد تبلغنا رسميا من مندوبى حكومتى انكلترا وفرنسا أن الجنود الفرنسية ستحل محل الجنود البريطانية فى شتورة ورياق وبعليك حسب القرار العسكرى الاخير، فتحتلها احتلالا عسكريا على أن تبقى هذه الناحية مرتبطة من الجهة الإدارية بالحكومة العربية. فالحكومة العربية قد انتدبت أمير اللواء نورى السعيد ليسافر إلى بيروت بتعليمات خاصة ويفهم القائد الفرنسي الاخطار العظيمة التى ستنتجم عن هذا العمل المخالف لرضاء الشعب فاطلب من الشعب الذى أعرب عن نواياه الطيبة فى جميع المواقف أن لا يلتفت إلى الأخبار الكاذبة، وأن يكتفى بما ينشر من جانب الحكومة».

ووصل فى تلك الأونة إلى دمشق ضابط انكليزى كبير منتدب من قبل الجنرال اللنبى لإقناع ولاة الامور العرب بالتساهل مع الفرنسيين، فقابل مع الكولونيل كوس (المعتمد الفرنسي) الأمير زيدا مقابلة طويلة بعد ظهر ٢٨ منه حضرها الحاكم العسكرى العام ونورى السعيد ويوسف العظمة المعتمد العربى فى بيروت يومئذ، فدار البحث حول الموقف الأخير فأصر ولاة الامور العرب على خطتهم، وقالوا إن احتلال الجيش الفرنسي لهذه المناطق يكون مبعث اضطرابات وفتن، وأخيرا تم الاتفاق على أن يسافر نورى السعيد إلى بيروت ليفاوض الجنرال غورو مباشرة فسافر فعلا مساء ٢٨ منه.

وهاج سكان دمشق ونظموا المظاهرات والاحتجاجات وتقدموا للتطوع فى الجيش، وأعلنوا انهم يقاومون الاحتلال بالقوة.

وعاد نورى السعيد مساء ٢٩ منه بعد ما قابل الجنرال وفاوضه ولم ينل منه منالا. فإنه ما لبث أن أصدر أمرا بالاحتلال، وهذا نص البلاغ الرسمى الذى أصدرته الحكومة يوم ٢ ديسمبر سنة ١٩١٩.

«رغما عن استمرار المذاكرات التى انتدب لها أمير اللواء نورى السعيد رغبة فى حفظ الأمن والسلام فهمنا اليوم أن الفرنسيين دخلوا المعلقة حسب القرار العسكرى الاخير

وقد احتجت الحكومة عند قناصل الدول وعند ورود تفصيلات ننشرها».

وعاد نوري السعيد إلى بيروت يوم أول ديسمبر لمقابلة الجنرال غورو ومفاوضته.
وفى يوم ٤ منه صدر الأمر بتعيينه قائداً عسكرياً على منطقة حاصبيا - راشيا - رياق
المعلقة - بعلبك.

وفى مساء ٦ منه رجع من بيروت بعد ما اتفق مع الجنرال على إبقاء قوة فرنسية
صغيرة في المعلقة - رياق - للإشراف على النقلات العسكرية، وعلى أن يعدلوا عن احتلال
المناطق الأخرى.

وفى اليوم نفسه أرسل المعتمد الفرنسي في دمشق الكتاب الآتي إلى الحاكم
العسكري العام:

«لى الشرف أن أؤكد لكم حديثنا في هذا اليوم وأن أخص طيه بالصورة الواضحة
التصريحات الرسمية التي تفضل الجنرال غورو القائد العام في الشرق بالتصريح بها إلى
الجنرال نوري السعيد وإلى فيما يختص بإبدال الجيوش ويجرى الآن.

«إن انسحاب الجيوش الإنكليزية من بعض جهات سورية واستبدالها في بعض نقاط
معيّنة بفصائل من الجيوش الفرنسية إن هو - كما دلت على ذلك بصراحة برقية المسيو
كلمنصو - التي تشرفت بتبليغكم إياها في حينها^(١) - إلا تدبير عسكري محض ذو صفة

١- هذا نص البرقية التي أرسلها كلمنصو إلى بيروت في أوائل شهر نوفمبر سنة ١٩١٩ «يصل الجنرال غورو إلى
سورية حوالي ٢٠ نوفمبر، وليس في قرار المؤتمر الخاص بإبدال الجنود شيء من الإبهام والتعمية، ولا هو
يدل على تجزئة سورية، وليس له صفة ما سوى أنه تدبير عسكري وقتي لا يمس أبداً مسائل الانتداب والحدود
التي يناط تحديدها بقرارات مؤتمر الصلح الذي يرى أنه لا يمكن فصلها عن التسوية العامة في الآتي»
وقد قرر الجنرال غورو ما يلي لكيما يبقى لهذا التدبير العسكري الصفة التي اختصه بها.

١- إن إدارة الجهات في المنطقة الشرقية التي يحق لجيوش الاحتلال الفرنسية أن تحل فيها محل جيوش
الاحتلال الإنكليزية تبقى بجملتها - وكما في الماضي مناهة بحكومة دمشق الغربية.

٢- إن الحامية العربية في بعلبك تكون مؤيدة في ميثاقها الحالية جنباً إلى جنب مع الحامية الفرنسية، وستبقى
قصبلة عربية أيضاً في رياق لإدارة المواصلات بين دمشق والحاميات العربية الموجودة في الجهات التي
يمتد فيها خط رياق - حلب الحديدى، وفي كل مكان يبقى موظفو الإدارة العربية قادرين على استعمال
القوى اللازمة من الشرطة والدرك.

٣- تبقى الحكومة العربية مسؤولة عن النظام والأمن في كل مساحة أراضي المنطقة الشرقية بحسب حدودها
الحالية، والجيوش الفرنسية - كما كانت الجيوش الإنكليزية التي حلت محلها - لا تتدخل إذا حصلت
ضرورة إلا لمساعدة الحكومة العربية ويطلب منها.

وبالطبع فأننا مستعد كل الاستعداد لتقديم كل التفصيلات التي ترغبونها وأرجوا قبول فائق احترامى».

موقتة، وقد ارتأت هذا التدبير الحكومتان الفرنسية والإنكليزية، وحاز موافقة القيادة العليا من قبل المؤتمر، وأن هذا التدبير لايدل قط على تجزئة البلاد السورية، ولا يبت بوجه ما فى مسائل الحدود والانتداب التى تبقى معلقة بمؤتمر الصلح.

اتفاق الأمير وكلمنصو على تأجيل الاحتلال

وبينما كانت المفاوضات دائرة على هذا المنوال بين رجال الحكومتين فى دمشق وبيروت للاتفاق على حل للمشكلة الجديدة، كان الأمير فيصل يفاوض المسيو كلمنصو فى باريس ويقوم له الدليل على أن احتلال هذه المناطق يزجج العرب ويؤلمهم، وقد يؤدى إلى إحداث اضطرابات دموية من المصلحة اتقاؤها واجتنابها. وقد تشدد الأمير فى هذه القضية تشدداً زائداً كما أصدر الأوامر إلى دمشق بمقاومة الفرنسيين بالقوة إذا احتاج الحال وصددهم، وأرسل بذلك كتابا خاصا من باريس إلى والده فى مكة ينبئه بما تم، ويقول له إنه مصمم على النضال، ولن يسمح للفرنسيين باحتلال هذه المناطق أبداً.

ويعد أخذ ورد طويلين عقد اتفاق بين الأمير وكلمنصو يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ نص على إبقاء الحالة فى هذه الاقضية على حالها، وأن يكتفى بقبول ضابط فرنسى فى بعلبك وآخر فى راشيا، وبذلك انفرجت الازمة وانتهى الخلاف.

وعلى أثر هذا الاتفاق وإبلاغه إلى الجنرال غورو رسميا للعمل به أذاع الحاكم العسكرى البلاغ الرسمى الآتى فى دمشق يوم ٨ ديسمبر:

تصحيحا لما أذعناه قبل أمس عن احتلال بعض النقاط من المنطقة الشرقية نعلن أنه قد تم الاتفاق مع الجنرال غورو باسم الحكومة الفرنسية على صرف النظر عن احتلال البقاع وبعلبك وراشيا وحاصبيا، إزالة لسوء التفاهم مع الحكومة العربية ريثما يصدر مؤتمر الصلح قراره النهائى بشأن سورية وهذه صورة الاتفاق:

- ١ - يكتفى بإرسال ضابطى ارتباط أحدهما لبعلبك والثانى لراشيا
- ٢ - يرسل رهط فرنسى واحد إلى رياق للمحافظة على العتاد الذى ابتاعه الفرنسيون من الإنكليز، وأدوات السكة الحديدية والمستشفى، ولأجل ذلك يترك لهم العسكر الذى كان للإنكليز.

٣ - يبقى الدرك العربى فى المعلقة، وتبقى هيئة الحكومة على حالها.

وفى يوم ١٠ منه أذاع البلاغ الآتى:

لا يخفى على أبناء الوطن أن الاتفاق الذى جرى بين المستر لويد جورج والمسيو كلمنصو تم قبل وصول الأمير فيصل إلى باريس وأنه لم يقبله، ولما كان الاتفاق المذكور عسكرياً محضاً لا تعلق له بمستقبل البلاد الذى بقى موكولاً إلى مؤتمر الصلح فقد اقترح سموه اقتراحات لأجل تخفيف مضار هذا الاتفاق، منها تأليف لجنة مختلطة من ضابط عربي وضابط إنكليزي وضابط فرنسوى لحل ما يقع بين المناطق من الاختلافات التى يتضرر بسببها الشعب السورى، من حيث هو شعب واحد يسكن بلاداً واحدة، وقد وردت اليوم برقية من سموه تفيد قبول حكومتى بريطانيا وفرنسا تأليف هذه اللجنة وعدول الحكومة الفرنسية عن الطول محل الجنود البريطانية فى البقاع. على أن تنسحب الجنود العربية النظامية أيضاً من تلك المنطقة».

أول معركة فى بعلبك

وعملاً بشروط الأتفاق أرسل الفرنسيون ضابط ارتباط إلى بعلبك ومعه قوة من الجند فاجتمع الناس على مدخل المدينة، ومنعوه من دخولها وصادروا أمتعته الخاصة. فعاد إلى بيروت وأطلع رؤساءه على ما وقع فصدر الأمر إلى قوة فرنسوية بقيادة الجنرال دى لاموط بالزحف على بعلبك فوصلت طلائعها صباح الخميس ١٨ ديسمبر إلى قرية الطيبة الواقعة على ٨ كيلو مترات من بعلبك للاحية الغرب فباغتتها الوطنيون الكامنون هناك وأصلوها نارا حامية فوقفت وضربتهم بمدافعها، فشغلوها من الصباح حتى العصر ثم انسحبوا لنفاد عتادهم فتقدمت حتى ضواحي بعلبك وعسكرت هناك ودخلتها صباح الجمعة ١٩ منه وكانت تتألف كما يأتى:

١٥٠٠ جندي مشاة و٢٠٠ فرسان و٤ مدافع جبل و٣٠ رشاشا. واعترف الفرنسيون بخسارة ٩ قتلى و١٥ جريحاً.

ولما وصلت هذه الاخبار إلى دمشق احتجت الحكومة السورية على ما وقع وغادر دمشق يوم ٢٠ منه المعتمد الفرنسي مع معاون الحاكم العسكري إلى بعلبك للإشراف على الحالة ثم عادا يوم ٢٣ بعد ما وصل الأمن. وفى صباح ٢٦ منه غادر دمشق إلى بعلبك أيضاً

اللواء نورى السعيد والمعتمد الفرنسوى ومدير الداخلية فى حكومة دمشق على أثر ورود أخبار جديدة بوقوع قتال بين الثوار والفرنسويين فى قرية دار الواسعة، وقد كررت الحكومة العربية الاحتجاج، وتمكن مدير الداخلية فى خلال هذه الزيارة من استرداد أمتعة ضابط الارتباط المنهوبة وقبض على المعتدين. وقد دمر الفرنسويون أثناء حركاتهم العسكرية فى منطقة بعلبك قرى ايعات ودار الواسعة وىوادى.

وفى يوم ٧ يناير سنة ١٩٢٠ جلت القوى العسكرية الفرنسوية عن بعلبك، واستقر فيها ضابط الارتباط.

تنظيم الدفاع الوطنى وإقرار الخدمة الإلزامية

نبهت هذه الحوادث رجال الشام إلى ما يراود بهم، وأفهمتهم أنه لا بد لهم من قوة كبيرة يعتمدون عليها فى نضالهم العتيد مع حلفائهم الفرنسيين والإنكليز وكل منهم يطمع فى احتلال جزء من أجزاء بلادهم، فاتجهت أنظارهم إلى إنشاء جيش قوى منظم، ولما كان نظام التطوع الاختيارى المتبع فى تجنيد المجندين لا يفى بالحاجة فقد درست الحكومة مشروعاً جديداً يقضى بالأخذ بنظام التجنيد الإلجبارى، ووضعت لذلك مشروع قانون أقره الأمير زيد يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٩ وهو يقضى بتجنيد من أكمل العشرين إلى الأربعين، وجعل مدة الخدمة ستة أشهر والبدل النقدي ٣٠ جنيهاً ويستثنى وحيد والديه، وجاء فى مقدمته أنه تدبير خاص اتخذ لتوطيد الامن.

ورغم هذا التدبير فقد أهمل الجيش اهمالاً شائناً، ولم يعن العناية اللازمة بتجديد سلاحه وبالحصول على الذخائر الكافية له، مما سبب كارثة ميسلون وأودى بتلك الحكومة مما سنقصله تفصيلاً .

إشياء لجنة الدفاع الوطنى الأهلية

والعوامل التى حفزت الحكومة إلى سن قانون الخدمة الإلزامية وإلى السعى لإنشاء جيش نظامى قوى، هى نفس العوامل التى حفزت كثيرين من الغيورين فى دمشق إلى الاجتماع وإنشاء هذه اللجنة لتنظم الدفاع الوطنى وتساعد الحكومة فى مهمتها، وتجمع كلمة الأمة حول هذه الغاية المقدسة.

وتفصيل ما حدث هو أن وجهاء الأحياء فى دمشق - وقد نبههم ما دار من نضال بين الحكومة العربية والإنكليز والفرنسيين حول قضية جلاء الجنود، إلى الخطر المحدق ببلادهم، فأخذ رجال كل حى يجتمعون فى حيههم ويفكرون فى الوسائل والأساليب التى يجب التوسل بها لصيانة استقلالهم والمحافظة عليه، واتصل بعض رجال الأحياء ببعض، واتفقوا على أن ينتدب كل حى أربعة من الرجال المخلصين الذين يعتمد عليهم ويثق بهم فيجتمعون بزملائهم ممثلى الأحياء الأخرى، ويقررون ما يرونه لازماً للدفاع عن الوطن، وكان ذلك فى أوائل شهر نوفمبر سنة ١٩١٩.

• وكان عدد ممثلي الأحياء في ابتداء أمرهم ٤٨ ممثلاً، وكانوا يجتمعون كل أمسية في حي من الأحياء طبقاً لقرار يتخذونه من قبل، وبهذه الطريقة يتصلون بسكان الأحياء على اختلافهم، ويقفون على رغائب الأمة التي وثقت بهم وأنابتهم، فكانت اجتماعاتهم عبارة عن برلمان شعبي محلي متنقل يجتمع كل يوم في حي من الأحياء. بدلا من اجتماعه في دار خاصة ويعقد جلسته في منزل وجيه الحي أو أحد كبرائه فيلتف الناس حوله وتلقى الخطب والقصائد الحماسية، فتنتشر الدعاية ويتسع نطاق الحركة.

وأخذ عدد أعضاء اللجنة يزداد تدريجاً حتى بلغ المائتين والخمسين في شهر ديسمبر. ومما قررته في جلسة عقدها يوم ١٨ نوفمبر في منزل عبد الرحمن اليوسف تأليف لجان فرعية لجمع المال اللازم للحركة الوطنية بنسبة اثنين في المائة من ثروة كل فرة من أفراد الأمة ومن شاء أن يزيد فله الفضل.

وانضمت إليها الأحزاب السياسية، وانتدب كل حزب ممثلاً له يحضر جلساتها ويشترك في أعمالها. كما انضم إليها كثيرون من أعضاء المؤتمر السوري ووجهاء المدن الأخرى وأعيانها وذوى الرأي فيها، وأنشأوا لها الفروع في مدنهم. فلم تخل مدينة كبيرة تقريبا من فرع لها.

وقد امتاز الاجتماع الذي عقده يوم ٣ ديسمبر في النادي التجاري بدمشق باشتراك بطيريك الروم الأرثوذكس ومطران السريان والمفتي والعلماء. وبعد المناقشة والأخذ والرد تقرر باتفاق الآراء لزوم الدفاع عن الوطن، ودعوة كل طائفة من الطوائف الوطنية بواسطة رئيسها الروحي وزعمائها للاشتراك في الدفاع.

وقررت اللجنة في اجتماع آخر تأليف كتيبة من المتطوعين يبلغ عددها الألف تتولى تجهيزهم وإرسالهم إلى ميدان القتال. كما قررت إرسال وفود إلى البلاد السورية للاتفاق على توحيد الخطة.

وأعلن الشيخ كامل القصاب في جلسة عقدها اللجنة يوم ١٠ منه أنه قابل رجال الحكومة، وأنهم على وفاق مع الشعب فما يريد يريده. وقال إن الأمة قررت الدفاع وأن بعض رجال حي الميدان تطوع فعلاً وسيضربون خيامهم غداً في المزة، وكذلك سيفعل أهل الشاغور، وأن الأحياء الواردة من بعلبك والبقاع تقول إن أهلها على استعداد للانضمام إلى الحركة الوطنية.

وفى جلسة أول فبراير تم انتخاب اللجنة الإدارية التى تتولى العمل باسم اللجنة وهذه أسماء أعضائها:

سامى مردم بك، ونسيب حمزة، والشيخ كامل القصاب، والشيخ عبد القادر الخطيب، وجوتى القضمامى، والشيخ عيد الحلبى، وأسعد المالكى، وشكرى الطباع، وعبد القادر سكر، وجميل مردم بك، وأسعد المهائنى، ومحمد النحاس واتخذت لها ناديا خاصا بها. ولقد نالت هذه اللجنة مقاما كبيرا فى عيون الشعب السورى، ولا ريب فى أنها لو نظمت التنظيم اللازم لأفادت البلاد فوائد لا يستهان بها، ولأدت للحركة الوطنية أجل الخدم. سيما بعد أن انتشرت فروعها، وأصبحت موضع ثقة الناس واعتمادهم.

اعتقال الهاشمى وإبعاده إلى الرملة

ومما نذكره أيضا بهذه المناسبة وله صلة كبيرة بقضية الدفاع ما حدث يوم السبت ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ فقد دعى يس باشا الهاشمى رئيس ديوان الشورى الحربى يومئذ (وزير الدفاع) إلى تناول الشاى فى دار القائد العسكرى البريطانى، وكان البريطانيون على أهبة الجلاء عن دمشق فلما وصل إلى الدار وجد سيارة مسلحة مع قوة عسكرية بانتظاره فأمر بالركوب فركب، وسارت به إلى الرملة فى فلسطين فاعتقل فيها.

وما ذاع هذا الحادث فى دمشق حتى أقفلت أسواقها فى الغداة، وقام الشعب بمظاهرة كبيرة، وأبلغ معتمدى الدول الاحتجاج الآتى:

«ان الشعب السورى عموما فى عاصمة البلاد السورية يحتج بإقفال جميع أسواق المدينة وحوانيتها، وبالاشتراك فى مظاهرة عمومية عظمى على أخذ يس باشا الهاشمى فجأة، وبلا علم من رئيس الحكومة، وخلافا للأصول، وإرساله إلى حيفا، ويكرر إعلان ارادته فى طلب وحدة البلاد السورية وتمام استقلالها، فنرجو رفع هذا الاحتجاج إلى حكومتكم واقبلوا فائق الاحترام.

وصدرت الصحف المحلية فى الغداة وهى مطوقة بإطار أسود وفى وسطها نص الاحتجاج. ولقد ظل الهاشمى فى الاعتقال خمسة شهور و٢٣ يوما ثم أطلق سراحه فى شهر مايو. فقصد مصر ومنها عاد إلى دمشق مساء ١٦ منه فاستقبل استقبالاً شائقاً.

وأقام له النادى العربى مساء ٢٥ مايو حفلة خطب فى ختامها ومما قاله:
«كانت الحالة حرجة يوم تركت دمشق، وقد وجدتها أخرج يوم عودتى إليها، فعلمت

أشياء كثيرة خلال هذه المدة - أى فى ظرف ستة أشهر. ومن جملتها أننا نقول ونقول ثم نقول ثم ننسى. نتكلم فى كل محل ثم نتكلم عن كل شىء ونطلب الكلام فى كل شىء وفى كل أمر ولكننا لا نسأل عن العمل الحقيقى ولا نعمل العمل الحقيقى.

«إذا أردتم أن تقوموا بالواجب فكمموا أفواهكم. وإذا أردتم الدفاع عن أوطانكم والحرية الكاملة لأيديكم فاتركوا الكلام. إن السبب فيما أصابنى هو لسانى، ولكن الحب الحقيقى الموجود فى قلوب الأمة خفف المصاب، ومكنها من انقاذى، وأعادنى فى الزمن الذى تمكنتنى فيه خدمة مصلحتها».

والأقوال مختلفة فى الأسباب التى أدت إلى اعتقال الهاشمى، ومع أنه صرح بأن السبب فى إصابته هو لسانه إلا أن معظم الباحثين يرون أن السبب الحقيقى هو اهتمامه يوم كان على رأس ديوان الشورى العسكرى بالقضية العراقية، مما لم يخف على الانكليز فاعتقلوه وأقصوه.

وهناك رواية أخرى مؤداها أن السلطات الفرنسية فى بيروت هى التى طلبت من الجنرال اللنبى اعتقاله، فقد شكوا الفرنسيون من تدايره العسكرية ومن وضعه الخطط لغزو المنطقة الغربية، ويقال إنهم استطاعوا الحصول على هذه الخطط بطريقة سرية فدعاها الجنرال على الأثر فسافر إلى مصر وقابله يوم ٢٤ سبتمبر فعاتبه عتابا شديدا على خطته العدائية إزاء الفرنسيين، وطلب إليه الكف عن هذه الأعمال وإهمال شأن التجنيد، وأجاز له العودة إلى دمشق. وعاد الفرنسيون إلى الشكاية منه، ولا سيما بعد سفر الأمير إلى أوروبا، وظهور العصابات على حدود المنطقة الغربية، وتقدم رمضان شلاش من الرقة واحتلاله دير الزور. فرأى الانكليز أن يعتقلوه لشل حركته فكان لهم ما أرادوه.

العصابات فى المنطقة الغربية

١. حادث بعلبك

كانت الحالة هادئة مستقرة فى سورة كلها حتى شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ أى حتى عقد الاتفاق العسكرى الخاص بجلاء الجنود الإنكليزية عن البلاد السورية وإحلال الجنود الفرنسية محلها، مما فسره بعضهم بأنه تطبيق مقنع لمعاهدة سايكس - بيكو، وقد رفضها السوريون فى كل موقف، وأعلنوا أنهم لا يقرونها ولا يرضون بها.

نعم: إن الأمر ما كان يخلو من اضطرابات وفتن موضوعية نشأت عن استبدال الموظفين الفرنسيين وسوء تصرفاتهم، وانقيادهم فى معظم الأحيان لبعض الأنصار من الذين أشربوا التعصب فى قلوبهم، وظنوا أن زمن الانتقام قد أوف فأغروا بخصوصهم الموظفين الفرنسيين، ومعظمهم ممن نشأ فى المستعمرات الإفريقية النائية وجاء سورية وهو يعتقد أن ما كان يجوز له فعله هنالك يجوز له فعله هنا، فنفر ذلك الناس من الفرنسيين، وأوجد ذلك الجفاء الذى انقلب إلى عدا.

وتحول الحال حينما حاول الفرنسيون تطبيق الاتفاق الجديد والحلول محل الإنكليز فى بعلبك والبقاع ورياق (من مراكز النقل الخطيرة فى سورية الوسطى ومحل اجتماع قطارات السكة الحديد القادمة من حمص ومن دمشق ومن بيروت) فقد نهض السكان لمقاومتهم وألفوا العصابات لصدهم. لانهم أدركوا أن هذا الاحتلال - وإن صبغوه بالصبغة الموقته فى الظاهر - ووصفوه بأنه تدبير إدارى لا يؤثر فى قرار مؤتمر الصلح النهائى فهو مؤيد ودائم. سيما وهو تطبيق لأحكام معاهدة بحت أصوات الفرنسيين وهم يناشدون الإنكليز صباح مساء بأن يطبقوها وينفذوها بإخلاص. فدار قتال بين الفرنسيين والسكان وحدثت اضطرابات مزعجة. كان أولها حادث بعلبك وقد فصلناه من قبل.

ولا بد لنا من القول أن الفرنسيين حاولوا استغلال هذا الحادث من الوجهة المذهبية. فأشاعوا أن المسلمين فى البقاع وبعلبك هاجموا القرى المسيحية وأحرقوها واعتدوا على سكانها. فانبرى زعماء الثورة وأصدروا البيان الآتى:

«نحن زعماء بلاد بعلبك القائمين بتحرير بلادنا والمطالبة باستقلالها التام ورفض كل

حماية أجنبية نعلن كل فرد منكم بأنكم إخواننا فى الوطنية والجنسية. لكم ما لنا وعليكم ما علينا. فلا تغرکم ترهات الأجنب، ولا سيما حزب الاستعمار الفرنسوى الساعى لبذر بذور الفساد بيننا وبينكم ليتدخل بهذه الوسيلة فى شؤون وطننا العزيز. عاملا على تمزيق شمله باسم الدين مع أنه لا دين له.

«فنحن الموقعين أدناه نؤمنكم على أرواحكم وأموالكم. كما أننا نعلن أن كل فرد من أى طائفة كان إذا تعرض لأحد منكم فكلنا أعداؤه الألداء وخصومه الأشداء، ودمه هدر لنا والسلام على من اتبع الهدى».

٢- حادث الحولة

وقع هذا الحادث فى أواسط شهر أكتوبر - أى قبيل حادث بعلبك بأيام، وإنما قدمنا الكلام على ذلك لأهميته، ولأن السياق اقتضى تقديمه، وخلاصته أن نزاعا حدث بين طائفة من عربان الحولة التابعين للمنطقة الغربية وأربعة من رجال الدرك اللبناى. فاعتدى هؤلاء على العربان فضربهم العربان وهزموهم ففروا تاركين أسلحتهم وخيولهم فسيرت حكومة مرجعيون على الأثر ١٥ دركيا فنازلهم العرب وهزموهم بعد ما جرحوا ثلاثة منهم. وأعدت السلطة الفرنسوية على الأثر حملة مؤلفة من ١٥٠ خيالا مسلحين برشاشتين فسارت حتى قرية الخصاص وهى من قرى الأمير محمود الفاعور- أمير عرب الفضل الضاربين فى الجولان من حوران فأطلقت النار بلا إنذار وقتلت امرأتين وولدا واقترفت أنواع المنكرات ثم انسحبت تحت جنح الظلام عائدة إلى مرجعيون. وشاع الخبر فى قضاء القنيطرة فهاج الناس وتجمهروا للزحف على مرجعيون، فتدخلت الحكومة السورية، وسكنت الهياج، وتألقت بطلبها لجنة قوامها يوسف العظمة المعتمد العربى ببيروت، والأمير عادل أرسلان عن حكومة دمشق والميجور باركر والكابتن سمرست عن حكومة انكلترا والأمير محمود الفاعور وأحمد مريود عن العرب وحاكم صيدا العسكرى مع ضابط آخر من الفرنسويين، ومهمة هذه اللجنة تقدير الخسارة والتعويض على المنكوبين.

ووصل المندوبون الإنكليز والعرب إلى مكان الحادث ولم يصل الفرنسويون فحال ذلك دون عمل أى عمل - كما كان من جملة الأسباب التى ساعدت على اتساع نطاق الاضطرابات فى تلك المقاطعة فشملت قضاء مرجعيون وجبل عامل فأحرقت قرى القليعة

وإبل السقى وانتشرت العصابات فى كل مكان، وأقلقت الفرنسيين وأزعجتهم.

ولما استفحل الخطب وسادت الفوضى جهز الفرنسيون حملة عسكرية كبيرة بقيادة الجنرال دى لاموط زحفت على قرى هونين والخالصة وكفر كلا من قضاء مرجعيون وضربتها بالمدافع وحرقتها واقتادت ٣٠ من رجالها و١٥ من نساءها إلى الجديدة.

وأعاد الجند الكرة فضرب يوم ٢٦ سبتمبر قرية العجر من قرى قضاء القنيطرة فى داخل حدود المنطقة الشرقية بالمدافع. خلافا لكل اتفاق، وبعد ما دمروها صبوا البترول على أنقاض البيوت فحرقوها ثم ضربوا فى اليوم الثانى قرى أخرى للشيعه هنالك، ونهبوا ٤٠٠ رأس من البقر و٢٠٠ جاموسة وماشية وكل ما عثروا عليه من أثاث.

وهاجم ألف جندي فرنسوى يوم الاثنين ٢٩ ديسمبر قرية الطيبة مقر آل الأسعد. وبعد ما أحاطوا بالقرية تقدم بعضهم إلى دار بنى الأسعد فكسروا أبوابها ونهبوها ولم يتركوا فيها شيئاً من مؤن ورياش وأثاث. وحينما انتهوا حرقوها واتجهوا إلى منزل محمد السهيلى فنهبوه.

ودارت المعركة بين الثوار والفرنسيين حينما حمل هؤلاء يوم ٤ يناير سنة ١٩٢٠ على عمرة الأمير محمود انتهت بفوز الأولين. فتقدموا حتى الجديدة وخسر الفرنسيون فى هذه المعارك ٧٠ قتيلًا و١٧ أسيرا و١٧ رشاشا ومدفعين جبليين وقد جرى بأسراهم إلى دمشق وأرسلوا إلى بيروت.

وهذا نص البلاغ الرسمى الذى نشرته السلطة فى بيروت عن هذه الحوادث قال:

«فى أواخر شهر ديسمبر الماضى تكررت حوادث النهب والسلب فى سنجق صيدا فاضطرت الحكومة إلى إرسال فرقة لتأديب العابثين بالأمن فتمكنت من توطيده فى ضواحي العجر والخيام والطيبة وكفر حيلًا.

«وبعد أن اطمأن الأهالى وأمنوا شر العصابات عادت فى ٥ الجارى إلى السلب والنهب فعادت الفرقة إلى جهة الخصاص، وكانت تطارد الثوار وتقر الأمن فى تلك الربوع، وفى خلال دورتها جرت لها مناوشة مع بعض العصابات التى كانت تحاول أن تقطع خط الرجعة عليها بينما كانت عصابات أخرى ترتكب السلب والنهب فى مرجعيون.

«ومما يذكر أن هذه العصابات مسلحة بالبنادق الحربية والرشاشات وقد ألحقت الفرقة بها خسائر فادحة وضربتها ضربات موجعة. فكان ذلك لهم خير أمثلة ولغيرهم خير عبرة وعاد الأمن إلى نصابه فى تلك الضواحي.

«ويسوعنا أن نقول إن الفرقة الفرنسية أصيبت بخسائر لا تتجاوز الخمسين بين قتيل وجريح وفقيد، وأنها اضطرت إلى ترك ثلاث رشاشات في مستنقع اللباني».

٣- حركة تل كلخ

كان بدء هذه الحركة في أواسط شهر نوفمبر سنة ١٩١٩ فقد تلقى الحاكم العسكري الفرنسي لتل كلخ أمرا من بينروت برفع العلم الفرنسي على دار الحكومة يوم وصول الجنرال غورو، وبارسال وفد من الأعيان للاشتراك في استقباله فأبى هؤلاء السفر، كما أزعجهم رفع العلم. وما كان الفرنسيون يرفعون علمهم حتى ذاك اليوم، فتجمهروا خارج البلدة بعدما أرسلوا عائلاتهم إلى أماكن بعيدة وأرسلوا يطلبون من الحاكم إنزال العلم فأجابهم بأن يتفرقوا ويخضعوا، والا تضرب منازلهم وتحرق فكتبوا إليه الكتاب الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

ليلة ١٣ ديسمبر سنة ١٩١٩

من الدفاع الوطني إلى جناب المعتمد الفرنسي في تل كلخ

«قبلنا دخولكم لكونكم حلفاءنا واعتمادا على وعودكم الكثيرة بشأن منحنا الاستقلال وقد بينتم حين دخولكم البلاد أن وظيفتكم هي موقنة، والبت القطعي في مصير البلاد عائد إلى مؤتمر الصلح، وبرهنتم لنا على هذه النية بعدم رفع العلم الفرنسي. ولكن بمزيد الأسف نراكم الآن قد دستم تلك العهود والمواعيد، ورفعتم في تل كلخ العلم الفرنسي كأنها أصبحت أرضا فرنسية. فطالما نقضتم العهد أصبحنا مضطرين للدفاع عن وطننا المحبوب حتى الموت، وعليه أتينا بهذا الإنذار لكي تنفذ المواد الآتية:

١- انزال العلم الفرنسي عن تل كلخ.

٢- تشكيل حكومة وطنية من أهل البلاد في تل كلخ.

٣- المخابرة مع مقاماتكم العالية بشأن تصديق استقلال البلاد العربية وعدم تجزئتها.

هذه هي المواد التي نطلب تنفيذها الآن ريثما يبت المؤتمر قراره، وإذا لم تنفذ تكون

المسئولية عائدة عليكم واقبلوا احترامنا»

سعد الدين الجندلي أحمد البرازي حسن إبراهيم الدندشي

خالد رستم عبد الله الكنج الدندشى

فجاءهم الجواب من القاضى سعد الدين البغدادي بأن العلم رفع على أراضى المنطقة الغربية بأمر القائد العام، وأن الحاكم ليس سوى مأمور بالمحافظة عليه، ولا ينزعه حتى تسبيل آخر نقطة من دمه. فقرر الدفاع الوطنى على الأثر طرد الفرنسيين وإنشاء حكومة وطنية استقلالية.

ويدىء النضال يوم الخميس ١٢ ديسمبر فقد التقى اثنان من الدنادشة قرب جسر العريضة (بين طرابلس - تل كلخ) بضابطين فرنسيين معهما جندي من جنود الدرك الفرنسي. فطلب هؤلاء منهما تسليم سلاحهما فأبيا، فأطلق أحد الضابطين النار من مسدسه ارهابا فقايلهما بالمثل فقتل أحدهما على الفور وهو الكابتن كمان يوسكينه وجرح الثانى وهو الكابتن بيشون قائد الجند فى تل كلخ، ومات فى الطريق قبل وصوله إلى طرابلس وقتل الجندي.

وحاصر الثوار يوم السبت ١٨ منه دار الحكومة فى تل كلخ، وكانت محاطة بالجنود والرشاشات، وهاجموا الجند المرابط فى المحطة فقتلوا ثلاثة منه، والتقى الثوار بقوة للفرنسيين كانت تحتطب فى وادى عين الورد فقتلوا ثمانية من رجالها وأخذوا بغالهم. وقتلوا فى صباح الأحد ١٩ منه جنديين فرنسيين قرب المحطة.

وفى صباح الاثنين وصلت ٥ سيارات تحمل ٢٠٠ جندي و٨ عربات نقل ورشاشتين إلى قرب الخنادق الأمامية التى أنشأها الثوار للدفاع عن تل كلخ فتوقف الجند لازالة الحواجز فأصلاهم الثوار ناراً حامية فارتدوا إلى الورا، وبدأوا القتال، ففتك الثوار بادىء بدء بضباطهم الأربعة، وامتدت المعركة أربع ساعات، وانتهت بتراجع الجند عند الساعة ٦ مساءً، وفى الساعة ٣٠ و٧ وصلت قوة فرنسية مؤلفة من ٥٠ خيالا بقيادة ضابط كان يسير منفردا فقتلوه.

وفى يوم الثلاثاء سير الفرنسيون ٣ أوطر معها طيارتان وسبعة مدافع ميدان و٥٠ خيالا فبلغت مواقع الثوار عند الضحى، وابتدأ القتال بشدة. ولما أدرك قادة الجيش أن التغلب على هؤلاء غير مستطاع ارتدوا إلى الورا، وحملوا حملة صادقة بجميع قواهم على الجناح الأيسر للثوار، وبعد قتال امتد ٣ ساعات ارتد هؤلاء إلى الورا.

وفى يوم الأربعاء تقدمت القوة الفرنسية فضربت قرية باروما بالمدافع قدمرتها، ونهبت جميع ما فيها من الأمتعة والأثاث والحبوب والخيل والماشية، وفى يوم الخميس أعدموا

المرحوم أحمد أغا الحسين بالرصاص بعد ما أمنوه، وبعد ما تناول طعام العشاء مع الحاكم.

وفى يوم السبت زحفت قوة لمهاجمة قرية بيت حسن. فقابلهم أهلها بالنار، وقتلوا ٢٠ منهم، فارتدوا إلى تل كلخ ليعودوا بقوة أكبر، فأغتنم أهل القرية الفرصة ونزحوا فجاءوا وأحرقوها.

وبعد حدوث ما حدث أرسل الكولونيل نيجر الحاكم الإدارى للمنطقة الغربية شروط الأمان للدنادشة.

هذه الشروط تمنح للدنادشة الآتية أسماؤهم فقط حسب التفصيل:

«أسعد المحمد وولده فياض ٢٠٠٠ ليرة مع حصان وفرس، وحسن العلى وولده سامى ٢٠٠٠ ليرة وثلاثة أحصنة، محمد العلى وولده قاسم ٢٥٠ ليرة وفرس، ومثلها من حسين العلى وأولاده، سليمان الخالد ٧٥ ليرة وفرس، محمد الجاسم وأخواه ١٥٠٠ ليرة وثلاثة أحصنة، ودياب العثمان ٥٠٠ ليرة وحصان، ومحمد المحمود ٥٠٠ ليرة وفرس وعماد الدين ابراهيم وأخوه ٥٠٠ ليرة وفرسان ابراهيم عرنوس ١٥٠ ليرة وفرس، وعبد الكريم الفياض ٧٥٠ ليرة مع حصان، ومحمد الكنج وولده خالد ٢٥٠ ليرة وفرس، وكاظم ٢٠ ليرة، ومثله أسعد المحمد، وعمر الإبراهيم وولده المحمد ٥٠٠ ليرة وفرسان، وعبد اللطيف الرستم ١٥٠٠ ليرة وفرس، وأحمد الجزائر ١٥٠ ليرة وفرس، ومثله خالد الجزائر، ومحمد الجزائر ١٠٠ ليرة وفرس، وخالد الإبراهيم ٣٠٠ ليرة وفرس، وأسعد الإبراهيم ٥٠ ليرة وفرس، وحسين الحميد ١٥٠ ليرة وفرس، وبدر الحميد ٥٠ ليرة وفرس، ومثله مصطفى عبد الحميد، والحاج حسين العبود ٥٠٠ ليرة وفرس، وعبد اللطيف الكنج ٢٠ ليرة، ومثله محمد الرستم، وعبد الفتاح العلى العبود ١٠٠ ليرة وفرس، وعبد الله العمر ٤٠ ليرة وفرس.

«إذا لم تنفذ هذه الشروط فجميع ممتلكات هؤلاء تصادر وتحجز ويطاردون، ويحاكم كل واحد منهم أمام الديوان العرفى حينما يقبض عليه، وعلاوة على هذه الغرامة المفروضة من خيول وأسلحة وأموال، فبيوت تل كلخ اللازمة لإسكان الجند وأعمال الحكومة والمصادرة والشدة العسكرية تواصل، وتزاد إلى النهاية ما دامت هذه الشروط لم تنفذ. أما الرؤساء الذين سببوا العصيان والثورة، وهم عبد الله الكنة وولده محمد أبو عبود وأسعد الفياض وأسعد الكنج ومصطفى عبد الله العمر وخالد الرستم وحسن الإبراهيم فعلاوة على أنهم لا ينالون الأمان قطعيا فخيراتهم وأموالهم تضبط وتصادر، ويكونون عرضة للمطاردة

ويحاكمون عرفياً، وكل من يقبل واحدا منهم فى بيته أو يساعدهم على الهرب يعاقب بالاعدام وضبط أمواله.

«وإذا جاء دباح الأحمد من نفسه خاضعا طائعا فقد يترك حيا، ولا يحاكم ولنن تأكد أن الفلاحين اشتركوا فى هذه الثورة فإن أملاكهم تعفى من المصادرة بشرط أن يجيبوا على كل ما يسألون عنه، ويطلب منهم من حكومة القضاء، وينزع سلاحهم كاملا حسب الشروط التى تعينها الحكومة»

ونحن فى غنى عن القول أن الدنادشة الأباة رفضوا قبول شرط واحد من هذه الشروط، وفضلوا الهجرة فقصدوا دمشق حيث استقبلوا بالحفاوة، وأقاموا فيها واشتركوا فى معظم الحركات الوطنية التى دارت، وظلوا يناضلون حتى سقوط تلك الحكومة.

٤ - مزرعة الشوف

بدأت حوادث الشوف (جبل لبنان) فى شهر أغسطس سنة ١٩١٩ وذلك أن بعض الشبان الدرورز أطلق الرصاص على الأميرال مورنه قائد الأسطول الفرنسوى فى الشرق والمسيو جورج بيكو وحاشيتهما أثناء مرورهم فى أراضى بققلين فى طريقهم إلى بيت الدين فجرح الأميرال جرحا خطيراً نقل على أثره إلى بيروت وشفى منه، ولم يصب زميله بيكو بأذى.

ومع أن الفرنسويين كتموا الحقيقة بالبلاغ الرسمى الذى أصدره عن هذا الحادث فلا تنتقض دعاياتهم - وكانوا ينادون بأن أهل لبنان يقدونهم بالأرواح - إلا أنهم سيروا قوات كبيرة للفتك بالقرى التى ظنوا أن لها صلة بمطلقى الرصاص، فنكلوا بسكانها تنكيلا، ففر الشبان إلى رؤوس الجبال وألغوا عصابات قوية جعلت دأبها شن الغارات وإزعاج السكان والحكومة.

ونثبت نص البلاغ الفرنسوى عن هذا الحادث وقد نشر فى مصر يوم ١٢ أغسطس سنة ١٩١٩ ليكون عبرة:

«كان الأميرال مورنه قائد الأسطول الفرنسوى فى بيروت يزور قرية قرب بيروت مع المسيو جورج بيكو. ففى أثناء المظاهرات التى أقيمت له أطلق الأهالى بندقياتهم حسب عاداتهم فأصيب الأميرال مورنه فى بطنه وجرح جرحا خطيرا، وأصيب ياوره ونقل إلى بيروت».

ولما ضاق الفرنسيون زرعاً بأعمال عصابة الشوف عمدوا إلى الحرق والقتل. فسيروا في أوائل شهر نوفمبر قوة عسكرية كبيرة أحاطت بالحي الدرزي من مزرعة الشوف، وضربت حوله نطاقاً، ثم بدأت المدافع بإطلاق نيرانها على البيوت، كما بدأ الجند بقذف القنابل المتهبة فأحرقوا ٢٥ منزلاً، وقتلوا نحو ٤٠ قتيلاً نساءً ورجالاً. فهام الدرزيون الباقون وعددهم لا يقل عن المائتين بين نساء ورجال وأطفال وشيوخ وعجزة على وجوههم فبلغوا دمشق مساء الخميس ٦ نوفمبر، فضجت حزناً وأسى لما أصابهم.

٥ - حوادث النصيرية

بدأت حوادث جبال النصيرية في شهر مايو سنة ١٩١٩ أى أنها سبقت الحوادث الأخرى. وخلصتها أن خلافاً نشأ بين النصيرية من سكان قضاء بانياس (المرقب) وبين الإسماعيلية من جيرانهم على أراضٍ ومزارع، ولما كان هؤلاء أغنى وأثرى فقد استطاعوا استمالة الموظفين الفرنسيين واكتساب عطفهم، فنصروهم على النصيرية. فلجأ هؤلاء إلى السلاح للدفاع عن حقوقهم وممتلكاتهم فجرد الفرنسيون قوة للتكامل بهم فدارت معارك بين الفريقين في مكان يدعى الشيخ بدر.

وحالف النصر النصيرية فجرد الفرنسيون قوة أخرى بقيادة الكولونيل جان زحفت يوم ١٦ يونيو على الخوابي، وفي ٢١ منه تقدمت إلى المرقب، ولما توسطت واديا هنالك أطبق عليها الثوار وأصلوها ناراً حامية فارتدت على الفور تاركة قتلاها. فأرسل الفرنسيون نجدات جديدة إلى ميدان القتال من طرابلس الشام ومن بيروت على جناح السرعة. وطلب الجنرال هملان القائد العام للجيش الفرنسي يومئذ من القيادة البريطانية إرسال حملة من حمص وأخرى من حماة على النصيرية فلم تقبل (راجع ص ٢٢٨ من كتاب كيف استقرت فرنسا في سورية) فاضطر الفرنسيون أن يعملوا منفردين وأرسلوا ١٢٠٠ جندي لقتال الثوار.

وفي يوم أول أغسطس عقد في دار المفوضية العليا في بيروت مجلس عسكري اشترك فيه المسيو جورج بيكو والسوزنتدان كوبان الحاكم الإداري للمنطقة الغربية والجنرال هملان، والجنرال بولز رئيس أركان حرب المارشال اللبني فقرر وجوب التفاهم مع النصيرية، وعدم الامعان في النكاية. وانتدب الليونتتان كولونيل نيجر وضابط إنكليزي آخر برتبته فسافرا إلى طرطوس وفاوضا الشيخ صالح العلي وأقنعوه بالخضوع فخضع وقدم

٥٠. بندقية على أن تعوض السلطة المنكوبين من أبناء طائفته، وعلى أن يفصل خليل إلياس قائمقام بانياس من عمله. لأن النصيرية كانوا يعدونه مسؤولا عما حدث ففصل وعين ابراهيم الكنج من زعماء النصيرية خلفا له، وبأن يعفى عن كل من احمد المحمود ومحمد اسماعيل وأسبر الزغبى والشيخ محمود ميهوب من زعماء النصيرية، وكانوا يقاسون الأمرين فى سجن اللاذقية.

ولم يطل الوقت حتى عاد الفرنسيون إلى مهاجمة الشيخ صالح وأتباعه فدارت معارك بينهما انتهت بارتداد الفرنسيين، وظلوا فى نضال معه حتى أول شهر يونيو سنة ١٩٢٢ فاستسلم إليهم وقد فصلنا أخباره فى المجلد الثالث فارجع إليها.

٦- حوادث دير الزور

وبينما كانت أخبار الاضطرابات والفتن فى داخل المنطقة الغربية وعلى حدودها تملأ الأسماع وتزعج الأفكار وتقعدهم. جاءت الأخبار من بادية الشام بان رمضان شلاش حاكم الرقة العسكرى جمع جموعا كبيرة من قبائل البادية وزحف بها يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩١٩ على دير الزور فاحتلها.

ولما عرف سمو الأمير فيصل بالحادثة وكان فى باريس أرسل البرقية الآتية إلى الأمير زيد فى دمشق لتنتشر كبلاغ رسمى وهذا نصها:

«شاع أن جماعة بإمرة رمضان شلاش مع عجمى السعدون هاجمت دير الزور زاعمة أنها تعمل بموجب الأوامر التى تلقتها من الحكومة العربية. فنحن هنا نصرح بأن هذه الإهانة الموجهة ضد حليفتنا بريطانيا العظمى وضد مصلحة الأمة العربية هى مخالفة للاتفاق الموقت بين الحلفاء، والمعمول به من السنة الماضية وأن هذا الاعتداء هو بدون علم الحكومة العربية وموظفيها، ونصرح أيضا بأن المسؤولين عن هذا العمل وكل من يلحق بهم أو ينضم إليهم هم من الثوار وسيجازون جزء العصاة وقد اتخذت التدابير اللازمة لإعادة النظام وتوقيف المعتدين»

وأرسل فى الوقت نفسه برقية إلى المارشال ولسن رئيس أركان حرب الإمبراطورية الإنكليزية قال فيها: إنه لا علم للحكومة العربية بما جرى من احتلال دير الزور، وأنه يعتقد أنه يتم بفعل عجمى السعدون وجماعته خدمة للترك.

وخلال ما حدث هو أن الحكومة العربية أرسلت في ختام الحرب قوة من الهجانة إلى دير الزور لاحتلاله على أثر جلاء الترك عنه وعينت متصرفاً له فوصل في منتصف شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ وأنشأ حكومة بمساعدة الشريف على الناصر.

واستاء بعض أهالي الدير من تصرفات متصرفها هذا، فوضعوا مضابط أرسلوها إلى حاكم «عانه» الإنكليزي يطلبون فيها وضع لوائهم تحت تصرف الإنكليز فأرسلها إلى بغداد ومنها أرسلت إلى لندن فصدر الأمر بالاحتلال فجهزت بغداد حملة من بضع دبابات وسيارات بقيادة الكابتن جامبير بلغت الدير في أوائل شهر يناير سنة ١٩١٩ على حين غرة مطالبة بتسليمه فاستغرب المتصرف هذه المعاملة. ثم تم الاتفاق على أن يذهب الكل إلى حلب لمراجعة السلطات العليا، وهنالك تقرر أن تضم دير الزور إلى العراق ريثما يقرر مؤتمر الصلح مصير البلاد، فتسلم البريطانيون اللواء بكاملة ماعدا قضاء الرقة فقد ظل تابعا لسورية.

وفي شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ عين القائمقام رمضان شلاش حاكماً عسكرياً على الرقة فأخذ يعد المعدات، ويكاتب رؤساء العشائر تمهيداً لاحتلاله، واغتتم فرصة الهيجان والاضطراب وكانا يسودان البلاد فزحف على رأس ٥٠٠ خيال من العربان والأكراد ليلة ١١ ديسمبر لاحتلال الدير واتصل الخبر بالكابتن جامبير فتحصن مع قواه بالثكنة العسكرية. وفي الصباح دخل رمضان البلدة بمساعدة أهلها بدون مقاومة واستسلم الكابتن مع رجاله للثوار بعد مفاوضات، فاعتقلوهم بضعة أيام ثم أطلقوا سراحهم. وأرسل رمضان بعد ذلك جموعه وإخوته فأجتلوا الميادين والبوكمال وعاد الإنكليز فاستردوا هذه يوم ٢١ ديسمبر بدون مقاومة تذكر.

وحمل رمضان ثانية على البوكمال يوم ١١ يناير سنة ١٩٢٠ قاصداً احتلالها رغم ما أذيع يومئذ من اتخاذ نهر الخابور حداً فاصلاً بين سورية والعراق.

ولما وصلت الأمور في دير الزور إلى هذا الحد عينت حكومة دمشق مولود باشا مخلص حاكماً عسكرياً على دير الزور، وزودته بتعليمات تقضى بوجوب توطيد الأمن والاتفاق مع حاكم البوكمال الإنكليزي فوصل يوم ١٧ منه وقبض على ناصية الأمر.

وكاتب الأمير فيصل اللورد اللنبى لحل الخلاف. وتم الاتفاق بعد ذلك على ترك اللواء كله لسورية ولا يزال فيها.

٧- حوادث إنطاكية والحمام

قبض الفرنسيون فى إنطاكية على بعض الأعيان لمولاتهم لإخوانهم فى المنطقة الشرقية وساموهم الذل والهوان، وحكموا على بعضهم بأن يكسروا الحجارة لتصلح الشوارع.

فثار الأهالى فى الحمام والعمق وهجموا على معسكر الفرنسيين فقتلوا ضابطا وجرحوا عامل الاسلكى، وانهزم الفرنسيون وتركوا ٢٥ قتيلًا وثلاثين أسيرا فتوسط الضابط العربى على الحدود، وأنقذ الأسرى وأعادهم إلى الفرنسيين.

وبعد أيام جهز الفرنسيون حملة هاجمت العمق، وفتكت بأبنائه، وهذا نص بلاغ رسمى فرنسى نشر يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٢٠ فى بيروت:

«علمنا أن قرية الحمام التى تبعد ثلاثين كيلو مترا عن حلب من جهة طريق الاسكندرونة قد هاجمتها عصابة من الأشقياء عددهم من ٥٠٠ - ٦٠٠ رجل غير أن قومسيرنا العالى لم يفت إدراكه أمرهم، فاوفد وقت هجومهم ثلة من الجند لنجدة أهالى تلك الناحية فأبليت فيهم البلاء الحسن. فقتلت منهم ٥٠ وأسرت ١٧ رجلا وفر الباقون»

٨ - حوادث الجزيرة الفراتية

واعتدى الفرنسيون فى الجزيرة الفراتية، وفى منطقة جرابلس وعلى طول السكة الحديد الممتدة من حلب حتى الحدود التركية على السكان وظلموهم فثاروا عليهم.

وتحالف العرب والكرد فى شهر يناير سنة ١٩٢٠ على طردهم، وبدأوا فعطلوا جسر الفرات فأرسل الفرنسيون ٢٠٠ جندي مع أربع رشاشات ففتك بها الثوار فأرسلوا قوات أخرى من جرابلس فهزموها، واحتلوا ٥ محطات، وظهروا فى ٢٧ مكانا على طول الخط.

الترك يعودون إلى النضال

وبينما كان النضال على أشده على حدود المنطقة الغربية وفى داخلها، والفرنسيون يعانون الأمرين فى مطاردة الثوار، ويستقدمون القوى والجند، ويبدلون الأموال ذات اليمين وذات الشمال استمالة للزعماء والشيوخ وابتياعا للذمم والضماير، نشطت الحركة التركية

فى الشمال، وكان الفرنسويون يحتلون مقاطعة كيليكية (ولاية أطنه) وقد عينوا الكولونيل بريمون (رئيس البعثة الفرنسية إلى الحجاز مفتشا إداريا لها) وجاعوا بالأرمن وكانوا يمنونهم بإنشاء دولة أرمنية فحشروهم فيها، وأطلقوا يدهم فى التنكيل بالترك فسالت الدماء أتهاراً، وهزم الفرنسويون وحوصرت حامياتهم فى مرعش وأورفه وعينتاب ومرسين وطرسوس، فاضطرب مركزهم وضعف نفوذهم، فأهل الشمال يقاتلونهم، وسكان المنطقة الغربية ينازلونهم، وإذا استثنينا البقعة المورانية فى جبل لبنان القديم فالبلاد السورية كلها من حوران حتى حلب فأطنه فبوزانتى كانت تائرة عليهم. تعمل للخلاص منهم وكانوا يمعنون فى النكاية بأهلها. فيقتلون ويعذبون، ولا يعفون عن صغير، ولا يرحمون كبيراً، ولا يتوانون عن حرق كل قرية أو مدينة تثور عليهم، أو تحاول الوقوف فى وجههم. ولقد بعثت هذه الاعتبارات الجنرال غورو على إيفاد سكرتيره العام الكونت روبيير دى كيه إلى باريس فى أواخر شهر ديسمبر سنة ١٩١٩ طالبا إمداده بنجدات عسكرية كبيرة. فعاد فى أواسط شهر فبراير بعد ما ضمن إرسال ٦٠ ألف جندى إلى سورية يؤيد ذلك ما فاه به المسيو ميلران رئيس الوزارة الفرنسية يوم ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ أمام لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب. وهو أن الضرورة تقضى بإرسال ٣٠ ألف جندى لاحتلال أراضى حلب ودمشق التى يحتلها البريطانيون فى آسيا.

عودة الأمير فيصل من أوروبا

وبيان عن مفاوضاته مع الفرنسيين

فى وسط هذا الجو المضطرب المملوء بالعواصف والغيوم غادر الأمير فيصل باريس يوم ٦ يناير سنة ١٩٢٠ قاصداً طولون، فركب البارجة الفرنسية «والدك روسو» عائداً إلى بيروت.

وتردد الأمير فيصل كثيراً على وزارة الخارجية قبل سفره، واجتمع بالأمير كمنصو والامسيو برتلو المدير العام لوزارة الخارجية، وجرت مفاوضات رسمية لحل المشكلة السورية، وكان معظمها يدور بين رستم حيدر والامسيو برتلو. وكثيراً ما اشترك فيها الأمير بالذات وكانوا يرجعون إلى الامسيو كمنصو عند اختلافهم.

ولقد كانت مسألة تجديد سلطة المستشارين الفرنسيين، وتقرير عددهم، وتحديد الحدود بين سورية ولبنان فى مقدمة المسائل التى اشتد حولها الجدل، وكثر الأخذ والرد فقد طلب الفرنسيون بادئ بدء أن يكون لهم ستة مستشارين فى سورية (سورية الحاضرة ولا يدخل فيها لبنان) للعدلية والمالية والداخلية والمعارف والحربية والأشغال العامة. على أن تحدد سلطتهم فى المستقبل باتفاق خاص يعقد بين الحكومتين فأصر الأمير على أن يكونوا موظفين عاديين عند الحكومة السورية فأبوا وقالوا بتأجيل البت فى ذلك إلى مفاوضات أخرى.

واشتد الأخذ والرد أيضاً حول مسألة الحدود بين سورية ولبنان فقد أصر الفرنسيون على توسيع حدود لبنان الكبير، فتبلغ طرابلس من جهة الشمال (الحدود الحاضرة) والزبدانى من جهة الشرق فعارض الأمير، وطلب استفتاء الأهالى الذين يراد إلحاقهم

بليزان فى تقرير مصيرهم فرفض الفرنسيون ذلك. فطلب تحكيم مؤتمر الصلح فأبى الفرنسيون ثم عاد فقبلوا.

واقترح الأمير فى خلال هذه المفاوضات أن تكون بيروت عاصمة للحكومة السورية فى فصل الشتاء، فلم يوافق الفرنسيون.

وتغدى الأمير يوم ٥ يناير سنة ١٩٢٠ أى قبل سفره بيوم واحد فى وزارة الخارجية ودار الكلام على التمثيل الخارجى، فوافق الفرنسيون على أن تتمتع سورية بهذا الحق مشترطين أن يمثلوا سورية. حيث لا يكون لها ممثل خاص.

وقابل يوم سفره، ٦ منه، المسيو كلمنصو مقابلة طويلة. وكان معه رستم حيدر وعاد يحمل المشروع الذى انجلى المفاوضات عنه فحمله إلى سورية ووعد بعرضه على الشعب السورى ولم يوقعه ولم يتعهد بتنفيذه.

ومما يستحق الذكر ان الأمير كان يستشير رجال الوفد المرافق له فى المسائل التى يدور عليها البحث بينه وبين الفرنسيين ويأخذ آراهم وكانت الأكثرية فى جانب الاتفاق مع فرنسا، وكان الدكتور أحمد قدرى هو المعارض الوحيد.

وفى يوم سفر الأمير من باريس - أى يوم ٦ يناير وصل الدكتور ثابت نعمان من مكة يحمل كتابا خاصا من الحسين إلى نجله يأمره فيه بالرجوع حالا إلى سورية، والمحافظة على المبدأ الذى قاموا لأجله، وعدم التساهل مع الفرنسيين. وتلقى الأمير قبل سفره بثلاثة أيام (أى فى ٣ يناير) برقية من الأمير زيد بدمشق تتضمن أن الفرنسيين احتلوا ثلاث قرى من أعمال حمص، ودخلوا يعلبك بثلاثة آلاف جندي، ويستعجله بالرجوع لاضطراب الحالة.

مشروع فيصل - كلمنصو

وهذا نص المشروع الذى حمله الأمير إلى سورية، ووعد بعرضه على الشعب وأخذ رأيه فيه:

«عظفاً على التصريح الافرنسى الإنكليزى فى ٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ من جهة، واستناداً على المبادئ العامة لتحرير الشعوب والمعونة الودية المعلنة من قبل مؤتمر الصلح من جهة أخرى، تؤكد حكومة الجمهورية الافرنسية اعترافها بحق الأهالى الناطقين باللغة العربية

والقائمين في الأراضي السورية من سائر المذاهب أن يتحدوا ليحكموا أنفسهم بأنفسهم
بصفتهم أمة مستقلة.

يعترف صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بأن مصلحة الأهلين السوريين الكبرى
نظرا لاختلال الكيان الإداري الناشئ عن الاضطهاد التركي والخسائر اللاحقة البلاد
أثناء الحرب - تتطلب تحقيق وحدتهم، وتنظيم كيان الأمة الإداري بالالتجاء إلى النصائح
والمعونة التي ستسجل في جمعية الأمم عندما تتألف هذه الجمعية بصورة عملية فهو باسم
الأهالي السوريين يطلب هذه المهمة من فرنسا.

١

تتعهد الحكومة الفرنسية بأن تمنح معونتها لسورية، وأن تضمن استقلالها ضد كل
تجاوز، ضمن الحدود التي سيعترف لها بها مؤتمر الصلح، وفي تعيين هذه الحدود ستبذل
الحكومة الفرنسية جهدها لنيل جميع التعديلات الحقة من الوجهة الجنسية واللغوية
والجغرافية.

٢

يتعهد صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بأن يطلب من حكومة الجمهورية الفرنسية
ومن هذه الحكومة وحدها المستشارين والمدربين والموظفين الفنيين اللازمين لتنظيم
الإدارتين المدنية والعسكرية. وببإيوض هؤلاء المستشارون والفنيون تحت امره الحكومة
السورية، التي منها يتقبلون تعيينهم وقواهم التنفيذية التي ستحدد باتفاق مشترك بين
الحكومتين بموجب عقد ينص على مدة مهمتهم والضمانات المتعلقة بها.

إن الحكومة الجمهورية وصاحب السمو الملكي الأمير فيصل متفقان على تطبيق نظام
دستوري في سورية. ضامن لحقوق الأهلين السياسية. ومثبت للحريات المكتسبة سابقا
ومطابق لأمانهم المتضمنة إنشاء حكومة مسؤولة أمام البرلمان.

وتوصلا للتنظيم المالي الذي هو القاعدة الأساسية لإدارة الدولة الجديدة يشترك
المستشار المالي في إعداد ميزانية النفقات والواردات، ويبلغ إجباريا جميع التعهدات

والنفقات لمختلف الدوائر، ويراقب حصة سورية من الديون العامة العثمانية، ويكلف بالمسائل المتعلقة بتطبيق الشروط المالية في معاهدة الصلح مع تركيا في سورية.

أما مستشار الأشغال العامة فتكون الخطوط الحديدية تحت إشرافه. ويحترم النظام الخاص المتعلق بسكة حديد الحجاز، وكل تصرف يغير السير الحر الاقتصادي للخطوط الموصلة إلى دمشق لمصلحة شخص ثالث يعد لاغيا، وكأنه لم يكن.

وعقب انعقاد الاتفاق الحاضر تمنح الحكومة الفرنسية معونتها لأجل تنظيم الدرك والشرطة والجيش.

يعترف صاحب السمو الملكي الأمير فيصل للحكومة الفرنسية بحق الأولوية التامة بالتعهدات والقروض اللازمة لخير البلاد. ما لم يتقدم وطنيون يطلبون هذه المشروعات لحسابهم. على أن لا تكون أسماؤهم معارة إلى رأس مالين أجنب.

٣

ستمثل الدولة السورية في باريس لدى الحكومة الفرنسية بمندوب سياسي مكلف بملاحظة المسائل الخارجية التي تهم الأمة السورية. وتعهد الدولة المذكورة أيضا إلى ممثلي فرنسا السياسيين وقناصلها في الخارج بتمثيل مصالح سورية الخارجية.

٤

يعترف صاحب السمو الملكي الأمير فيصل باستقلال وسلامة لبنان تحت الانتداب الفرنسي. وستعين الحدود في مؤتمر الصلح، ويؤخذ هذا الأمر بعين الاعتبار لإتمام حقوق ومصالح وأمانى الأهلين.

٥

اللغة العربية معترف بها كلغة رسمية لإدارة المدارس أما اللغة الافرنسية فتدرس بصورة إجبارية وممتازة.

٦

تكون دمشق العاصمة. ومحل إقامة رئيس الدولة. ويختار المفوض السامى له مقراً عادياً فى حلب. ليكون على مقربة من كيليكية. وهى منطقة الحدود، وتعد النقطة الطبيعية لجيوش الدفاع المتجمعة، وإذا احتاج الأمر إلى دعوة هذه الجيوش للداخل، فلا يكون ذلك إلا بطلب رئيس الدولة السورية وبالاتفاق مع المفوض السامى.

يبقى هذا الاتفاق الذى يعين المبادئ العامة مكتوماً بين الفريقين حتى توقيع الاتفاق النهائى والفصل، ويوضع عند رجوع صاحب السمو الملكى إلى فرنسا ويعرض فى الوقت الموافق على مؤتمر الصلح.

نظم هذا الاتفاق فى نسختين يوم ٦ يناير سنة ١٩٢٠.

ولهذا الاتفاق ثلاث ملاحق. الأولى خاص بالأقليات فى لبنان وقد تضمن «أن الأقليات تستفتى عند تحديد الحدود».

والثانى عن حوران (جبل الدروز) ويتضمن أنه يطبق فيه نظام استقلال نوعى فى داخل الدولة السورية.

والثالث عن بيروت واسكندرونة وقد تقرر أن تكونا مدينتين حرتين.

الأمير فى دمشق

وصل الأمير إلى بيروت يوم ١٣ يناير بالبارجة الفرنسية «والدك روسو» فاستقبلته السلطة العسكرية الفرنسية استقبلاً فخماً، وحياء جنرال دى لاموط باسم الجنرال غورو، فسار فى موكب حافل إلى دار المعتمد العربى، وزار فى اليوم نفسه الجنرال غورو فرد له الزيارة فى محل نزوله. وشهد فى المساء حفلة فى البارك (ميدان سباق الخيل) حاول الجنرال غورو أن يتقدم عليه فيها، ويسير أمامه، مما أثار انتقاد الحاضرين وقد استغل

خصوم الاتفاق مع فرنسا تصرف الجنرال المخالف لأداب الضيافة وللمجاملة فقالوا للأمير انهم يعاملونك هذه المعاملة، وأنت لم تتفق معهم. فكيف يكون شأنك معهم يوم الاتفاق ويدخلون البلاد ويقبضون على زمام الأمور.

وجاءت إلى بيروت وفود من مختلف البلاد السورية للحفاوة بالأمير فاستقبلهم وحادثهم وقال لهم إنه رأى أن مصلحة البلاد تقضى بالاتفاق مع فرنسا فعقد معها اتفاقاً وقتياً يريد أن يستشير الأمة قبل إقراره فاستحسنه فريق، واستنكره آخرون، والذي عليه الأكثرون أن الأمير كان في ابتداء هذه المرحلة مخلصاً للاتفاق ميالاً إلى إتمامه.

وفى مساء يوم الخميس ٢٢ يناير أقام النادي العربي بدمشق حفلة تكريم للامير باسم الشبيبة خطب فيها كثير من الخطباء، ووقف في ختامها فشكر للنادي حفلته ثم قال:

«أتيت من الغرب لأقف على رغائب الأمة بعد انسحاب الأمير كان من المعتزك السياسى وكنت أود أن أفتح أرياب التفكير فى مستقبل البلاد بالنظر للحالة فى الغرب، لأننى جئت لأمكث بضعة أيام ثم أرجع إلى ما يجب على الاهتمام به هناك، ولا أزال ذلك الرجل الذى تتصورونه، سواء كان تصوركم حسناً أم سيئاً لا يهمنى ذلك بقدر ما يهمنى العمل ومستقبل الأمة، ولا يهمنى أيضاً ما يقال عنى مدحاً أو هجاء أو غير ذلك، فالأمة كالأفراد أحرار فيما يقولون، ولهذا لا أنظر إلى ما قيل، ولا إلى ما يقال، ولا إلى الأفكار المتباينة التى تصدر عن أفئدة مملوءة بالحماسة، سواء كانت من أفراد أو من جماعات، فالأمة بأجمعها ترغب أن تكون مستقلة، وأنا أسر إذا رأيت شبان الأمة يطلبون الاستقلال، ويتحسسون بمثل هذا الشعور العالى الذى يضمن لنا المستقبل والذى ما أسست النادي إلا لأنتظر مثله.

«وإننى وإن كنت لا أحيط علما بكل ما يجول فى الأفكار المختلفة فإننى أفتخر بشيء واحد هو أننى أحببت وطنى، وسعيت لوطنى، ولى غاية واحدة، وهى أن أرى بلادى مستقلة ولا تنحصر هذه البلاد فى بلدة واحدة فكل بلاد العرب بلادى.

«أنا والله لا تخيفنى قوة الحكومة، ولا قوة الجمعيات، وإنما أخاف التاريخ والمستقبل وأخاف أن يقال إن فلانا عمل عملاً لا يليق بأبائه وأجداده الذين كانوا يسعون وراء

الاستقلال، وأرجوا الأمة أن تعلم بأننى فى الغرب مثل ما أنا هنا لا أبدل كلامى، سواء كنت أمام السياسيين أو فى أخرج المواقف، ومبدئى هو أن تكون بلادى مستقلة، وأنا عامل بما هدانى الله إليه لاستقلال بلادى وإرجاع مجدنا الغابر، والله يشهد بأننى أسعى لذلك ولا أظن أنه يوجد فى البلاد رجل واحد يرضى بالاستعباد الأجنبى. بل أعتقد أن الرفيع والوضيع والشيوخ والشباب والعالم والجاهل يشعرون بشعور واحد، وهو طلب الاستقلال للبلاد.

«شكر أحد إخوانى الخطباء لمحمود الفاعور حميته، كان محمود معتزلاً فى البادية صابراً صامتاً، فلما اعتدى عليه قام وفعل بدون قول الأمر الذى أُرغب أن تكون الأمة عليه. «لنا سنة ونصف ونحن نقول، كفانا خطبا، كفانا قولاً، نحن فى أيام العمل لا فى أيام القول. إن الأقوال لا تأتى بفائدة، ولكن الأفعال تفيد كثيراً. غبت عن هذه البلد أربعة أشهر ولاشك أن التاريخ سيحفظ ما فعلته فى الغرب. سواء كان جيداً أو رديئاً. قليلاً أو كثيراً، ولا أنزه نفسى عن الخطأ فقد كنت أقول ما يلهمنى ضميرى.»

«ولما عدت رأيت الأمة بأشد مظاهر الحماسة، ولكنها حماسة لا تتعدى القول. وحبذا لو اقترنت بالعمل. أنا أدعو الأمة إلى ذلك. إذ لا حياة لها إلا إذا فعلت كما أقول، نحن بحاجة إلى التعاون، إلى التعاضد، إلى التكاتف، إلى التعارف، إلى العمل، إلى الود.»

«اننى روح الحركة. والأمة باعتمادها على الحكومة تعتمد علىّ إلى أن تسنح لنا الفرص، ويتسع لنا المجال فنؤلف المجالس التى تعتمد عليها الأمة، ولذلك فأننا لا نسمح فى ساعتنا هذه لشخص أو جماعة أن يقول إن الحكومة كذا وكذا، أو يطلب إبدال حاكم بحاكم. لأننى أنا مسؤول حتى انعقاد مجلس الأمة، وعندئذ أتصل من المسؤولية وأضعها على الأمة.»

«إن الحكومة اليوم هى حكومة عسكرية، حكومة مؤقتة غير منتخبة من طرف الشعب، ولبعض أسباب لا أقدر أن أشرحها أؤخر التشكيلات إلى أن أقدم للأمة هدية الاستقلال. إن رجائى عظيم وكبير، وأفخر إذا رأيت شبان الأمة يعاضدوننى فى طلب الاستقلال التام وفى طلب الحرية.»

«نحن فى موقف حرج يجب أن لا نحتقر فيه الأمم. لاننا باحتقارنا لإحداها نكون احتقرنا أنفسنا أمام دول كبار وأمم عظام، يجب علينا أن نحترم كل أمة وكل حكومة متى

احترمت بلادنا واستقلالنا ومنافعنا، لا نحب أن نعادي، ولا أن نتجاوز على حقوق غيرنا. كما أننا لا نريد أن يتجاوز أحد على حقوقنا.

«أطلب من الأمة والشبان أن يتكاتفوا ويؤيدوا حكومتى التى ستقودهم إلى الخير، وأن يفعلوا كالفاعور فى سكوتة، وأن لا يكثروا من الأقوال، ولا يعادوا أحدا لا بألسنتهم ولا بصحفهم، وأن يعتمدوا على الحكومة.

«هذه وصيتى إليكم، والحكومة تنتظر منكم أن تؤازروها، وأنا سأعمل وأؤلف حكومة أعتمد عليها. فإذا اعتمدت عليها يجب على الأمة أن تعتمد عليها أيضا، وأرغب أن الإخوان جمعهم يعاضدون حكومتى التى أرجو أن أسمع من أخبارها فى الغرب مايسرنى لأتمكن من المطالبة بالاستقلال حتى آخر نقطة من دمي».

تأليف الحكومة الجديدة

وأنجز الأمير وعده فألف يوم ٢٦ يناير حكومة جديدة برئاسة الأمير زيد ولقيه بلقب رئيس مجلس المديرين، وعين أمين بك التميمى معاونا له، ورضا باشا الركابى مديرا للحربية، ورشيد طليع مديرا للداخلية، ويوسف العظمة رئيسا لهيئة أركان الحرب العامة. واسكندر عمون مديرا للعدلية، وساطع الحصرى للمعارف، وأحمد حلمى بك للمالية.

وإذا سأل سائل عن الحكومة الركابية وكيف ومتى استقالت؟ نجيبه أن رضا باشا رفع استقالته يوم ١٠ سبتمبر - أى قبل رجوع الأمير بشهر وأربعة أيام إلى الأمير زيد معتزلا العمل ومنسحبا منه، لأنه ما كان يميل إلى تأييد فكرة العداء للحلفاء، ولا إلى تشجيع العصابات، فلما أدرك أن الحكومة سائرة فى هذا الطريق، وأنه لا قبل له بوقفها أو إرجاعها بعد ما اتفقت عليها جميع الأحزاب فضل الاستقالة، لئلا يحمل تبعه ما يحدث. فعين مصطفى نعمة بك وكيلا له، كما أحدثت مديرية للداخلية عين لها رشيد بك طليع متصرف حماه، وعين يوسف بك العظمة رئيسا لديوان الشورى الحربى فتعززت بهذا التبديل والتغيير فكرة الدفاع. كما لقيت العصابات تأييدا وتنشيطا من الحكومة الجديدة.

عرض الاتفاق على الهيئة العاملة للفتاة ورفضه

وعلى أثر رجوع الأمير عقدت الهيئة العاملة للفتاة، وهي الهيئة الثانية. وكانت تتألف كما يأتى: (الدكتور احمد قدرى ورفيق التميمى ويس الهاشمى واحمد مريود وسعيد حيدر وتوفيق الناطور وعزت دروزه وشكرى القوتلى) اجتماعاً سرىً فى منزل الدكتور احمد قدرى حضره الأمير فيصل - ومعه المشروع الذى جاء به - فعرضه على اللجنة فاقترعت ضده وقالت برفضه فدافع الأمير عنه وقال: أن رفض المشروع معناه إعلان حرب على فرنسا فقالوا إننا مستعدون لإعلان الحرب على فرنسا وإنكلترا معا، وانتهى الاجتماع بإصرار اللجنة على الرفض.

واستدعى الأمير فى الغداة أعضاء اللجنة وقابلهم منفردين فكان يخلو بالواحد منهم ويناقشه ويحاول إقناعه بقبول المشروع، وحينما يراه مصراً على الرفض يطلب إليه أن يكتب تقريراً مفصلاً يبدى فيه رأيه، ويسرد الأسباب التى تبعته على الرفض ثم يتناول تقريره ويصرفه.

وكاشف الأمير رضا باشا الركابى بما وقع بينه وبين الهيئة العاملة من خلاف، فأشار عليه بأن يعمل لإقالتها وإبدالها بهيئة أخرى. فوافق مبدئياً. فدعيت الهيئة العامة لجمعية الفتاة إلى اجتماع سرى فى منزل الركابى باشا رأسه الأمير زيد بالذات، وحضره نحو ٥٠ عضواً من أعضاء الفتاة، وافتتح الجلسة الشيخ كامل القصاب بخطبة نارية حمل فيها على اللجنة الإدارية (الهيئة العاملة) للجمعية واتهمها بالتقصير وبالتفريط فى مصلحة البلاد، وختم خطبته طالباً إقالتها واختيار لجنة جديدة قادرة على القيام بالمهمة الموكولة إليها، ثم تعاقب الخطباء وكلهم يضرب على هذا الوتر، ويتهم اللجنة بالتقصير والتفريط فى حقوق البلاد، ويقتسح اختيار لجنة أكفأ منها وأشد غيرة وحماسة. وحينما انتهوا خطب رفاق التميمى باسم اللجنة العاملة فأعلن استقالتها. وقال إننا فعلنا ما استطعنا فعله فجربوا أنتم أنفسكم، ثم جرت الانتخابات على الأثر للجنة جديدة ففاز نسيب البكرى والركابى وخالد الحكيم وأسعد الحكيم وسعيد حيدر وجميل مردم ومحمد الشريقى.

المناداة بالاستقلال وإعلان الملكية

ولم يطل الأمير الإقامة في دمشق بعد رجوعه. بل غادرها يوم ٢٨ يناير بقطار خاص إلى حلب ف قضى ثلاثة أيام. ثم عاد إلى دمشق ليلة أول فبراير، وفي صباح ٣ منه قصد إلى بيروت بقطار البريد فعاد مساء ٥ منه.

ولقد أراد من رحلته إلى حلب درس الحالة عن كثب، وخصوصا حالة الثورة التركية. كما اتصل بزعماء العصابات العاملة في المنطقة الغربية ونصحهم بالتزام الهدوء والسكينة، وفعل مثل ذلك في دمشق مع زعماء عصابات الجنوب والغرب فهدأت الحالة واستقرت بفضل تدخله.

ورأى أن يكمل عمله بزيارة الجنرال غورو والسعي معه لوضع حد لحالة التقلقل، وذلك بإصدار عفو عام عن رجال العصابات، وإنشاء حكومة وطنية في بيروت تقود البلاد، وتمهد للدور الجديد، دور التفاهم والاتفاق فلم يلق منه تشجيعا. فعاد إلى دمشق وقد زاد اعتقاداً بعدم إمكان التفاهم مع الفرنسيون، وأعلن غداة وصوله بأن سفره إلى أوروبا تأجل لشهر واحد بسبب تغيير الوزارة الفرنسية، فقد سقطت في تلك الأونة وزارة كلمنصو وخلفتها وزارة مليران.

وانقضى شهر فبراير بهدوء نسبي سكنت في خلاله عواصف الاضطرابات والفتن في معظم أنحاء سورية، انصرف فيه الفرنسيون إلى إخماد ثورة كيليكية ومقاتلة الترك. وشاع في أوائل شهر مارس أن الأمير عدل عن السفر نهائيا إلى أوروبا، وأن المؤتمر السوري سيدعى إلى الاجتماع - وقد انفض على أثر جلاء الجيش البريطاني، وأنه سيعلن استقلال البلاد وينادي بالأمير ملكا عليها وأن القصد من هذا التدبير جعل أوروبا أمام حالة واقعة.

وفى الساعة الثالثة بعد ظهر السبت ٦ مارس اجتمع المؤتمر السوري رسميا في دار النادى العربى. وفى الساعة الرابعة وصل الأمير، وبعد أن استقر به المقام قال: إن كاتبى الخاص عونى بك عبد الهادى سيلقى خطاب الافتتاح

فاعتلى هذا المنبر، وألقى الخطاب الآتى:

«أيها السادة:

«فى الوقت الذى قرب فيه حل المسألة التركية حلا نهائيا فى مؤتمر الصلح، رأيت أن أدعوكم مرة أخرى لتقرير مصير البلاد حسب رغائب الأهالى الذين رأوا فىكم الكفاءة للنيابة عنهم فى مثل هذا الوقت العصيب. فقد وعد مؤتمر السلم أن ينظر فى رغبة الشعوب، بل حتم على نفسه أن يقرر مستقبل كل أمة حسب ارادتها ورغائبها تحقيقا للمبادئ السامية التى خاص لأجلها الحلفاء غمار الحرب الكبرى.

«فالرئيس ولسن ذكر فى خطابه فى (مورن فرنون) يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩١٨ المادة الآتية: «كل مسألة سياسية كانت أم اقتصادية أم دولية يجب أن تحسم على قاعدة الأساسات المستندة إلى حرية قبول الشعب ذى العلاقة رأسا بتلك المسألة. لا على القواعد النفعية المادية أو المصالح التى يتطلبها شعب أو أمة أخرى لأجل تأمين نفوذها الخارجى أو سياستها».

«وقد ذكر جميع رؤساء الحكومات المتحالفة أقوالا لا تقل فى معانى استقلال الشعوب عن أقوال الرئيس ولسن فى هذا الصدد. وقد نشرت حليفانا انكلترا وفرنسا منشورا فى ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ أكدت لنا فيه استقلال بلاد العرب المنشود».

«أيها السادة! لما كانت هذه الحرب حرب حرية واستقلال. حربا جاهدت فيها الأمم ذبا عن كيانها السياسى دخل فيها صاحب الجلالة والذى المعظم فى صفوف الحلفاء، بعد أن استوثق من العرب فى الجزيرة وفى سورية والعراق. فقاتلوا قتالا شهد لهم فيه أعظم رجال أوروبا السياسيين والعسكريين، وأثنوا على شجاعتهم وبسالتهم غاية الثناء. ولا بد أن يحفظ التاريخ أعمالهم الجليلة فى إبان الحرب التى استمات فيها الحجازى والسورى والعراقى، وإنى لوأثق بأن الأمة العربية ستنال من المغنم ما ناله غيرها من حلفائنا الذين نالوا الظفر على الأعداء».

«إن هذا الظفر لم يكن عسكريا فقط، بل هو سياسى قبل كل شىء. لأنه انتصار الحق على القوة، والحرية على الاستبداد. فقد انتشرت اليوم فكرة الاستقلال بين الشعوب، وانتقشت على أفئدتها فلن تزول بعد الآن.

«استحق العرب حريتهم واستقلالهم بفض الدم الطاهر الذى سفكوه، وبفضل ما قاسوه من أنواع العذاب والقهر. فالأمة العربية لا تقبل بعد اليوم أن تستبعد. كما إنى أعتقد أنه ليس هنالك أمة تريد استعبادنا. فرحلاتى الرسمية العديدة إلى أوروبا والأحاديث والكتابات التى جرت بينى وبين ساستها لم تبق فى نفسى مجالاً للشبهة والتردد فى نيات حكوماتها الحرة.

«أيها السادة! إننا لانطلب من أوروبا أن تمنحنا ما ليس لنا به حق، بل نطلب منها أن تصدق على حقنا الصريح الذى اعترفت لنا به كأمة حية. تريد حياة حرة واستقلالاً تاماً ونود أن نعيش مع سائر الأمم المحترمة على غاية من اللولاء والمحبة الخالصة. فسياستنا فى المستقبل ستكون سياسة صلح وسلم مبنية على الثقة المتقابلة والمنافع المتبادلة، وبكلمة واحدة، سياسية تتفق مع مصالح الأمة ومنفعة السلم العام. فالعرب لا يستكفون عن تبادل المنافع بينهم وبين الأمم المتمدنة، ولا يرفضون صداقة من يريد صداقتهم - على شريطة أن لا يمس ذلك بكرامتهم، ولا يخل باستقلالهم السياسى التام.

«أيها السادة! إن وظيفتكم اليوم خطيرة، ومهمتكم كبيرة، فأوروبا تنظر إلينا عن كثب، وستحكم لنا أو علينا بالنسبة للخطة السياسية التى سنسير عليها، والأعمال التى سنقوم بها فى المستقبل. فدولتنا الجديدة التى قام أساسها على وطنية أبنائها الكرام هى فى حاجة اليوم إلى تقرير شكلها أولاً ووضع دستور لها يعين لكل من أمرنا ومأمورنا حقوقه ووظائفه فى حياتنا المستقبلية التى أرجو أن يكون ملؤها الجد والعمل والإقدام.

«وقبل أن أختم كلامى فى هذه الجلسة الخالدة أريد أن أذكركم بإخوانكم العراقيين الذين جاهدوا معكم، وأبلوا بلاء حسناً فى سبيل الوطن، وبالواجب الذى يتحتم علينا فى أمر التضامن والتعاقد لنحيا حياة سعيدة قوية، وأقرنكم السلام العربى الخالص. متمنيا لكم التوفيق والنجاح فى مساعيكم الوطنية والسلام عليكم».

«وعقد المؤتمر جلسة يوم ٧ مارس سنة ١٩٢٠ قرر فيها إعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية، والمناداة بسمو الأمير فيصل بن الحسين ملكاً عليها. وفى يوم ٨ مارس سنة ١٩٢٠ جرت البيعة فى دار بلدية دمشق». وتحرير ذلك أن المؤتمر اختار وفداً من أعضائه اجتمع رجاله فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر. فقصد دار الإمارة، وأبلغ الأمير قرار المؤتمر، فأجاب شاكرًا. وفى الساعة الثالثة جاء بموكبه الرسمى فاستقبله أعضاء

المؤتمر والحاضرون بالتصفيق الشديد. فجلس على منصة أقيمت هناك، وإلى يمينه الأمير زيد وبقية الأشراف، وإلى يساره هيئة الحكومة وضباط الجيش، وحضر الحفلة مندوباً انكلترا وفرنسا وقناصل الدول الأخرى.

وجاء رئيس البلدية بالعلم السوري الجديد، وهو علم الدولة الهاشمية في الحجاز - وقد أضيفت إليه نجمة فنشره فاستقبل بالهتاف والتصفيق.

ثم رفعه على دار البلدية، وبدىء على الفور بإطلاق مائة مدفع، ورفعت في ساحة الشهداء لوحة كتب عليها «ليحيا جلالة الملك فيصل».

قرار المؤتمر السوري بإعلان الاستقلال

وأعلن رئيس المؤتمر السوري أن المؤتمر وضع قراراً يتلوه الكاتب. فوقف هذا على شرفة البلدية وتلا القرار وهذا نصه:

«إن المؤتمر السوري العام الذي يمثل الأمة السورية العربية في مناطقها الثلاث الداخلية والساحلية والجنوبية «فلسطين» تمثيلاً تاماً يضع في جلسته العامة المنعقدة نهار الأحد الموافق لتاريخ ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ وليلة الأثنين التالى له الموافق لتاريخ ٧ مارس سنة ١٩٢٠ القرار الآتى:

إن الأمة العربية ذات المجد القديم والمدنية الزاهرة لم تقم جمعياتها وأحزابها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسى، ولم ترق دم شهدائها الأحرار وتثر على حكومة الأتراك إلا طلباً للاستقلال التام والحياة الحرة، بصفتها أمة ذات وجود مستقل وقومية خاصة، لها الحق في أن تحكم نفسها بنفسها أسوة بالشعوب الأخرى التى لا تزيد عنها مدنية ورقياً.

وقد اشتركت في الحرب العامة مع الحلفاء استناداً على ما جهروا به من الوعود الخاصة والعامة في مجالسهم الرسمية، وعلى لسان سياستهم ورؤساء حكوماتهم، وما قطعوه خاصة من العهود مع جلالة الملك حسين بشأن استقلال البلاد العربية، وما جهر به الرئيس ولسن من المبادئ السامية القائلة بحرية الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها على مبدأ المساواة في الحقوق وإنهاء سياسة الفتح والاستعمار، وإلغاء المعاهدات السرية

المجحفة بحقوق الأمم، وإعطاء الشعوب المحررة حق تعيين مصيرها، مما وافق عليه الحلفاء رسمياً - كما جاء فى تصريحات المسيو بريان رئيس وزراء فرنسا بتاريخ ٣ نوفمبر سنة ١٩١٥ أمام مجلس النواب، واللورد غراى وزير خارجية بريطانيا العظمى فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٦ أمام لجنة الشؤون الخارجية. وتصريح الحلفاء فى جوابهم على مذكرة الدول الوسطى التى رفعها المسيو بريان بواسطة السفير الأمريكى فى باريس، وجواب الحلفاء على مذكرة الرئيس ولسن بتاريخ ١٠ يناير سنة ١٩١٧، وبيان مجلس النواب الفرنسى فى ٥ يونيو سنة ١٩١٧، وبيان مجلس الشيوخ فى ٦ منه أيضاً، وما جاء فى الخطاب الذى ألقاه المستر لويد جورج فى غلاسكو بتاريخ ٢٩ منه سنة ١٩١٧.

وقد كان ما قام به جلالة الملك حسين المعظم من الأعمال العظيمة فى جانب الحلفاء، هو الباعث الأكبر لتحرير الأمة العربية وإنقاذها من ريقه الحكم التركى. فخذ لجلالته فى التاريخ العربى أجمل الآثار وأفضلها.

وقد أبلى أنجاله الكرام مع الأمة العربية فى جانب الحلفاء البلاء الحسن مدة ثلاث سنوات. حاربوا خلالها الحرب النظامية التى شهد لهم بها أقطاب السياسة وقواد الجند من الحلفاء أنفسهم وسائر العالم المدنى، وضحى العدد الكبير من أبناء الأمة الذين التحقوا بالحركة العربية من أنحاء سورية والحجاز والعراق. فضلاً عما قام به السوريون خاصة فى بلادهم من الاعمال التى سهلت انتصار الحلفاء والعرب - مع ما أصابهم من الاضطهاد والتغذيب، والقتل والتفريب، تلك الأعمال التى كان لها الأثر الأكبر فى انكسار الترك وجلائهم عن سورية، وانتصار قضية الحلفاء انتصاراً باهراً حقق آمال العرب بوجه عام، والسوريين منهم بوجه خاص، فرفعوا الأعلام العربية وأسسوا الحكومات الوطنية فى أنحاء البلاد قبل أن يدخل الحلفاء هذه الديار.

ولما قضت التدابير العسكرية بجعل البلاد السورية ثلاث مناطق أعلن الحلفاء رسمياً أن لا مطمع لهم فى البلاد السورية، وانهم لم يقصدوا من مواصلتهم تلك الحروب فى الشرق سوى تحرير الشعوب من سلطة الترك تحريراً نهائياً، وأكدوا أن تقسيم المناطق لم يكن إلا تدبيراً عسكرياً موقتا لا تأثير له فى مصير البلاد واستقلالها ووحدتها، ثم إنهم قرروا ذلك رسمياً فى الفقرة الأولى من المادة الثانية والعشرين من معاهدة الصلح مع المانيا. فاعترفوا فيها باستقلالنا - تأييداً لما وعدوا به من إعطاء الشعوب حق تقرير مصيرها - ثم

أرسلوا اللجنة الأميركية للوقوف على رغائب الشعب، فتجلت لها هذه الرغائب في طلب الاستقلال التام والوحدة السورية التامة.

وقد مضى نحو عام ونصف والبلاد لاتزال رازحة تحت الاحتلال والتقسيم العسكى الذى ألحق بها أضراراً عظيمة، وأوقف سير أعمالها ومصالحها الاقتصادية والإدارية، وأوقع الريبة فى نفوس أبنائها من أمر مصيرها، فاندفع الشعب فى كثير من البلاد، وقام بثورات أهلية منتقضا على الحكم العسكى الغريب، ومطالباً باستقلال بلاده ووحدتها.

فنحن أعضاء هذا المؤتمر رأينا، بصفتنا الممثلين للأمة السورية فى جميع أنحاء القطر السورى تمثيلاً صحيحاً نتكلم بلسانها ونجهر بإرادتها، وجوب الخروج من هذا الموقف الحرج استناداً على حقنا الطبيعى والشرعى فى الحياة الحرة، وعلى دماء شهدائنا المراقبة وجهادنا المديد فى هذا السبيل المقدس، وعلى الوعود والعهد والمبادئ السامية السالفة الذكر، وعلى ما شاهدناه ونشاهده كل يوم من عزم الأمة الثابت على المطالبة بحقها ووحدتها، والوصول إلى ذلك بكل الوسائل، فأعلننا بإجماع الرأى استقلال بلادنا السورية يحدوها الطبيعية - ومنها فلسطين - استقلالاً تاماً لا شائبة فيه على الأساس المدنى النيابى، وحفظ حقوق الأقلية، ورفض مزاعم الصهيونيين فى جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود أو محل هجرة لهم.

وقد اخترنا سمو الأمير فيصل ابن جلالة الملك حسين، الذى واصل جهاده فى سبيل تحرير البلاد، وجعل الأمة ترى فيه رجلها العظيم، ملكاً دستورياً على سورية بلقب صاحب الجلالة الملك فيصل الأول، وأعلننا انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة فى المناطق الثلاث - على أن تقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤولة تجاه هذا المجلس فى كل ما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام إلى أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابى على أن تدار مقاطعات هذه البلاد على طريقة الإمبركزية الإدارية، وعلى أن تراعى أمانى اللبنانيين الوطنية فى كيفية إدارة مقاطعاتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة - بشرط أن يكون بمعزل عن كل تأثير أجنبى.

ولما كانت الثورة العربية قد قامت لتحرير الشعب العربى من حكم الترك، وكانت الأسباب التى يستند إليها فى استقلال القطر السورى هى ذات الأسباب التى يستند إليها

فى استقلال القطر العراقى؁ وبما أن ببن القطر بن صلات وروابط لغوىة وتارىخىة واقتصادىة وطبىعىة وبنىسىة تجعل أأ القطر بن لا ىستغنى عن الآخر؁ فنحن نطلب استقلال القطر العراقى استقلالأ تامأ - على أن بكون ببن القطر بن الشقىق بن اتحاد سىاسى اقتصادى.

هذا وإننا باسم الأمة السورىة العربىة التى أنابتنا عنها نحتفظ بصداقة الحلفاء الكرام. محترم بن مصالحهم؁ ومصالح بملع الدول كل الاحترام؁ وإن لنا الثقة التامة بأن ىتلقى الحلفاء الكرام وسائر الدول المبنىة عملنا هذا المستند إلى الحق الشرعى والطبىعى فى الحىة فىما تتحققه فىهم من نبالة القصد وشرف الغاية فىعترفوا بهذا الاستقلال؁ وببلى الحلفاء بنودهم عن المنطق بن الغربىة - والبنىوىة فىقوم البند الوطنى والإدارة الوطنىة ب حفظ النظام والإدارة فىها؁ مع المحافظة على الصداقة المتبادة؁ حتى تتمكن الأمة السورىة العربىة من الوصول إلى غاية الرقى؁ وتكون عضوأ عاملاً فى العالم المبنى.

وعلى الحكومة السورىة التى تتألف استنادأ على هذا الأساس تنفيذ هذا القرار»

كلام الملك

وألقى الملك على الأثر الكلمات الآتىة: «أشكر للأمة نباتها الحسنة نحوى؁ وعلى ما أبأته من حسن الاعتماد؁ وأشهد لله أنى ما قمت إلا بما ببب على؁ وأتمنى أن أوفق لأقوم بكل ما بفل استقلال البلاد وحرىتها؁ ولأعبنى بشؤون الشعب السورى ورقىه؁ وأشهأكم على قولى هذا والله بئر الشاهىبن».

ثم أقدم رجال الدولة للمباىعة فكان الأمىر زىء فى المقدمة؁ وتلا بطرىك الروم الأرثوآكس عهدأ موقعا علىه من بملع رؤساء الطوائف المسىحىة الروحىبن قالوا فىه «إنه نظرا لاتفاق الأمة السورىة على مباىعة سمو الأمىر فىصل ملكا على سورىة فرؤساء الطوائف الروحىبن ببابعون بلالته على الشروط السبعة التى اتفقوا علىها معه فى بلسة بوم الاثنىبن ٧ أكتوبر سنة ١٩١٨ وهى: إطلاعة الله واحترام الأىبان؁ والحكم بالعدل؁ وإجراء المساواة؁ وتوطىء الأمن؁ وتعمىم المعارف؁ وإسناد الوظائف لمستحقىها؁ متعهىبن بالطاعة والاخلاص لبلالته».

تأليف أول وزارة سورية وبيانها

وفى نفس اليوم (٨ مارس) أصدر جلالة الملك مرسوما إلى رضا باشا الركابي بتأليف الوزارة وهذا نصه: «نظرا لما عرفناه من إخلاصكم وأهليتكم فقد عهدنا إليكم بمنصب رئاسة الوزارة، لتشكّلوا هيئتها توصلا للغاية المقدسة التي ينتظرها كل وطنى بفارغ الصبر من إسعاد الوطن ورقيه سياسيا وعمرانيا» وفى يوم ٩ منه تم تأليف الوزارة وهذا نص المرسوم باعتمادها:

«وزيرى السيد رضا الركابي

«نصادق على ما ارتأيتموه فى مذكرتكم رقم ١ بتاريخ ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨ و٩ مارس سنة ١٩٢٠ من تأليف الوزارة على المثوال الآتى:

«رئيس مجلس الشورى: علاء الدين الدروبي. وزير الداخلية: رضا الصلح. وكيل وزير الحربية: أمير اللواء عبد الحميد القلطي على أن يديرها رئيس أركان الحرب يوسف العظمة (كان الأول فى حلب يتقلد منصب الحاكم العسكرى) وكيل وزير المالية: فارس الخورى. وكيل وزير الحقانية: جلال الدين. وزير المعارف: ساطع الحصرى. وكيل وزير التجارة والزراعة: يوسف الحكيم».

«فنأمل أن تصرفوا الجهد فى المحافظة على الحقوق وتوطيد الأمن والراحة فى البلاد، وتوثيق عرى العلاقات الودية بين حكومتنا والحكومات المتحابية، وأخصها حكومات الحلفاء. توصلا لتحقيق أمانى الشعب السورى وأماله فى وحدته وأن تبذلوا غاية الوسع فى بث روح الوثام بين جميع طبقات الأمة السورية على اختلاف مذاهبها ونزعاتها. وإنا نسأل الله أن يقرن أعمالكم بتوفيقه ويتولاكم بعنايته».

وفى يوم ٢٧ منه جاءت الوزارة إلى المؤتمر السورى، ووقف رئيس مجلس الشورى فتلا بيانها وهذا نصه:

«أيها السادة المحترمون»

«هيئة الوزارة سعيدة جدا بكونها أول وزارة وطنية دستورية فى تاريخ سورية، ظهرت أمام أول مجلس ممثل للأمة تقرأ بيانها وتبسط خطتها، فهى لذلك تفخر بتحية هذا المجلس الوطنى الجليل، الذى سيكون له الذكر الخالد فى الأمة جيلا. بعد جيل لأنه كان العرب الصادق عن رغائبها، والمؤيد لحقوقها، والمؤسس لحكومتها الجديدة فى تاريخها المجيد».

«تعلمون أيها السادة أنه عند ما نشبت الحرب العامة، واقتحمتها دول الأرض الواحدة تلو الأخرى قامت الأمة العربية بزعامة رئيسها وأميرها جلالة الملك حسين المعظم، وانضمت إلى جانب الحلفاء تقاتل معهم جنبا إلى جنب وترخص الضحايا الغالية فى الدفاع عن القضية المشتركة. أملا بنيل استقلالها، والتخلص من الاستعباد الذى أناخ عليها مدة طويلة ضاعت فيه مدنيته القديمة وتقوضت دعائم عزها الأئيل، وكان قيامها وانضمامها للحلفاء فى أيامهم الحرجة عندما كانت كفة انتصارهم غير راجحة ضربة شديدة على الآمال الواسعة التى توقعتها المانيا والمتفقون معها من التحاق الدولة العثمانية، بهم وذلك لما للأمة العربية من المقام التاريخى والاجتماعى، وجنى الحلفاء من جراء ذلك فوائد عظيمة اشتد بها أزرهم، وفت فى سواعد خصومهم، وانتهت الحرب باندحار الألمان والمتفقين، معهم وانتصار مبادئ الحق على القوة، وتحررت الأمة العربية بفضل ما قام به جلالة الملك حسين المعظم وأنجاله البواسل من الأعمال العظيمة التى قلدوا بها أعناق أمتهم أطواقا من الشكر والفخر. فهو إذن المؤسس الأول لتاريخ العرب الجديد. الذى فتحت به هذه الأمة عصرها الذهبى الثانى. فنحن نرفع لسدته الملوكانية فروض التبجيل والشكران، ونسجل لجلالته فى تاريخنا فصول الإجلال والامتنان».

«كما أن نجله النايغ صاحب الجلالة الملك فيصل ملك سورية المعظم الذى أقام الدعوى السورية، وأخذ على نفسه الدفاع عنها إلى الدرجة الأخيرة، وواصل الجهاد فى تحرير هذا القطر هو المؤسس الأول للمملكة السورية، وصاحب الفضل الأكبر فى استخلاصها وإنشائها على قواعد الحرية والتجدد، فاجتمعت عليه قلوب أبنائها، وانعقدت آمالهم واتفقت كلمتهم على أنه ملك هذا القطر الذى لا يدافع، وسيده الذى لا ينازع. فنرفع لسدته الملوكية عهدود الطاعة. ونهنىء عرش سورية بالوطنى الباسل والملك العادل. ولا ننسى أن نذكر بلسان الشكر والتبجيل دول الحلفاء العظيمة التى ثبتت أقدامها الراسخة فى مآزق الروع

فأيدت مبادئ الحق ودكت صروح الباطل، ونادت بعهد جديد وعصر مجيد، هو عهد حرمة الحقوق وحرية الشعوب وإنكار سياسة الفتح والاستعمار، وإبطال المعاهدات السرية المجحفة بحقوق الأمم، وإعطاء الشعوب المحررة حق تقرير مصيرها، وقد نلنا بفضل معونتهم ما لا تنساه هذه الأمة.

«على هذه المبادئ النبيلة والأساسات الراسخة انتخبت الأمة السورية أعضاء مجلسكم الموقر لأجل تعيين مصيرها على شكل يوافق أمانيتها، ويؤيد حقوقها التي منحتها إياها الطبيعة ودعمتها مفاداتها وضحاياها الجسيمة في الحرب العامة، وأقربها الحلفاء في وعودهم وعهودهم، واعترفوا باشتراكهم معها بالفخر في هذا النصر، فاتفقت كلمتكم على إعلان استقلال سورية بحدودها المعروفة ضمن المناطق الثلاث التي قضى الاحتلال العسكري الموقت بقسمتها إليها، وعلى المنادة برجل الأمة ومحررها فيصل بن الحسين ملكا عليها، وعلى إنشاء حكومة دستورية مسؤولة أمام مجلس الأمة، ونشرتكم بذلك قراركم التاريخي الناطق بالحزم والحق في الثامن عشر من شهر جمادى الآخرة والثامن من شهر مارس الحاضر، فكان ذلك مبدأ حياتنا الجديدة الحرة، وقد قابلت الأمة بأجمعها عملكم المجيد بالاستحسان والابتهاج، وأقامت المهرجانات والأفراح في جميع أنحاء البلاد فجاء عملها هذا دليلا آخر يثبت بالفعل إجماع الشعب على تأييده هذه الغاية، وتفانيه في سبيل تحقيق أمانيه القومية الشريفة، فنحن نظرى عملكم هذا، ونقدم لكم شكرا وثناء يسجل لكم في تاريخ الأمة».

«واستنادا على هذا القرار الذى خرجت به رغائب الأمة من القول إلى الفعل، وظهر فيه الحزم وصدق العزيمة - عهد إلينا جلالة مولانا الملك المعظم بإدارة المملكة على المبادئ المدنية الدستورية التي اختارها مجلسكم الموقر، فباشرنا العمل، وتسلمنا أزمة الأمور مستعينين بالله، ومعتمدين على مؤازرة الأمة، وموطنين النفس على أن نبذل أقصى الجهد في سبيل المحافظة على الاستقلال التام ضمن الوحدة السورية. لتتمكن أمتنا من الوصول إلى المقام الذى يليق بها بين الأمم الراقية من المدنية والعمران، على نسبة نجابة أبنائها وتاريخها المجيد».

«ولنا ويطيد الأمل بحسن نيات الحلفاء العظام أن يقابلوا حياتنا الجديدة بالسرور والارتياح، ويعاضدوننا في إزالة جميع العراقيل التي تحول دون رقيتنا ونجاحنا. خصوصا

الدولتين العظيمتين بريطانيا وفرنسا، اللتين عرفتا بمحبتهما للعرب وشملتهم معونتتهما الثمينة فى حرب حریتهم، وكانتا أول من وافق على القواعد الصحيحة والغايات النبيلة التى على موجبها جاءت الأمة الأمريكية الشريفة لنجدتهم من عبر الأطلانتیک، ولدينا من وعدهما ما يضمن لنا استمرار ولائهما وبقاء محبتهما المفيدة لنا فى أيام السلم. كما كانت فى أيام الحرب، فلا يكون منهما اليوم إلا ما يأنف مع مبادئهما الشريفة، ويسهل لنا طريق الفلاح وال عمران».

«وفوق ذلك فهما تعلمان علم اليقين اننا لا نرغب إلا الحياة المطمئنة الهادئة فى ظل سلم عام. ولا يمكن أن يستقر ذلك فى سورية مع تجزئتها وحرمانها من الحكم الذاتى، وتتفان أننا نصور مصالح جميع الأمم فى بلادنا، وخصوصا مصالح هاتين الطيفتين العظيمتين، بحيث نفيذ ونستفيد، وعملنا هذا منطبق على الغاية الشريفة التى خاضوا وخضنا معهم لأجلها غمار هذه الحرب الضروس، وشهد لنا بالفضل فيها أعظم رجالهم مرات عديدة، وهو مؤيد ومحقق لوعودهم بحق هذه الأمة».

«فسياستنا الخارجية إذن هى سياسة السلم والولاء مع جميع الدول، وخصوصا مع دول الحلفاء الذين أزرونا فى الحرب، وسيؤازرونا فى السلم أيضا، وصيانة حقوق رعاياهم والاستفادة مما نحتاج إليه من مدنيّتهم. مما يساعد على رقينا، ولا يمس استقلالنا.

«أما إدارتنا الداخلية فتبقى على الأسس الحاضرة إلى أن يصدر القانون الأساسى الذى يضمن لسكان كل مقاطعة من أبناء الوطن من السعى فى سبيل عمران بلادهم، وتنمية ثروتهم، وترقية حالهم، وسنبذل الجهد فى توطيد الأمن العام، وإقامة قسطاس العدل بين الناس على شكل يوصل أصحاب الحقوق إلى حقوقهم بالسرعة المرغوبة، وتقوية الجيش لأجل حفظ الأمن والنظام والدفاع عن الاستقلال التام. ونحن نرى بملء السرور أن هذه الخطة منطبقة على رغائب الأمة التى تلبى دعوة الجنديّة بالحمية، والرغبة للقيام بخدمة الوطن المقدس، وسنعنى بصورة مخصوصة بنشر المعارف، وجعل المدارس فى حالة يمكنها أن تخرج للبلاد رجالا مشبعين بحب الوطن وسلامة الفكر وقوة البنية ومتانة الأخلاق. وسنهتم بإغناء خزائن علومنا بترجمة كتب العلوم والفنون الحديثة، والاستفادة من المعارف الغربية، وسنسى لتحسين حالة البلاد الاقتصادية وإنماء زراعتها وتجارتها وصناعاتها والاستفادة من خزائنها الأرضية، ليكثر الإنتاج وتزداد الثروة العامة فتخف عنا

بذلك ويمرعاة قاعدة الاقتصاد وطأة الغلاء الثقيلة، التي شملت العالم، وأصبحت شغل كبارهم وساستهم الشاغل، ولما كانت هذه الأعمال لا تقوم إلا بالمال، والحكومة لا يمكنها إيفاء هذه الوظائف بدون أن يكون لديها المقدار الكافي منه، وكانت الواردات الحاضرة لا تقابل النفقات المبرمة التي يقتضيها تطورنا الجديد وإنفاذ خطتنا المذكورة، فإننا سنسعى لإيجاد التوازن بين الواردات والنفقات، وسنفرغ قصادى الجهد فى سبيل إنفاق أموال الخزينة فى وجوهها النافعة، بحيث لا يصرف مال جزاف وبدون عمل يقابله. ونحتاج فى ذلك إلى حمية الأمة وإسراعها فى تأدية التكاليف، وإلى سخاء نحن إليه الآن أحوج منا إلى أى شىء كان».

«وسيكون عملنا الآن بالقوانين والأنظمة المدنية العثمانية، وما جرى تعديله أو رفعه منها بعد عهدهم، إلى أن يتيسر لنا تبديلها وتعديلها بصورة تدريجية على شكل يوافق حالة البلاد وأخلاقها ورفقيها، ويلئم المدنية الحاضرة ويصون حقوق الأفراد والجماعات ويساعد على رقينا الحقيقى».

«والحكومة ترجو من المجلس الموقر أن يسرع فى وضع القانون الأساسى وقانون انتخاب نواب الأمة لتباشر إجراء الانتخاب، وجمع المجلس التشريعى بأقرب ما يمكن. وفى الختام نؤمل من الأمة وممثليها الكرام أن يعاضدونا فى مهمتنا الوطنية ونحييكم باحترام». وتكلم بعض النواب على الأثر مؤيدين الوزارة فوافق المجلس على الثقة بها بالإجماع.

صدي إعلان الاستقلال

كان إعلان الاستقلال وإنشاء الملكية على هذا المنوال فاتحة تحول جديد في القضية السورية. إن لم يكن من جهة الأساس، فمن جهة الشكل، فقد أصبحت معالجتها من اختصاص وزارة مسؤولة إلى برلمان وطني يمثل الأمة ويتكلم باسمها، ومعنى ذلك أن البلاد السورية صارت تتمتع من الوجهة الشكلية النظرية بحكومة دستورية ونظام برلماني ديمقراطي، بعد ما أنكرت سلطان الحلفاء، وكانوا يحتلون معظم أجزاء البلاد.

والظاهرة البارزة في الحكومة الركابية، وهي إحدى ممرات التحول الجديد، اعتدالها الزائد، وتكونها من رجال طاعنين في السن، فرئيسها ووزير داخليتها ومثله وزير الخارجية من الشيوخ المجربين. ولئن كانا من المعروفين بالميل إلى الاعتدال والروية. وقد سلكت الوزارة في ابتداء عهدها سبل الاعتدال والحكمة، وعملت على تهدئة الخواطر والتقرب من الإنكليز والفرنسيين. ظنا منها أنها بهذه الطريقة تكتسب ثقتهم وعطفهم فتضمن لبلادها الاستقرار والهدوء، ونظرة واحدة إلى برنامجها تؤيد هذا الاستنتاج.

جلالة الملك والحلفاء

ولم يقصر جلاله الملك من ناحيته في العمل على اكتساب ثقة الحلفاء، والتقرب منهم فلم تكذ تنتهي مراسم البيعة حتى أوفد اللواء نوري السعيد إلى باريس ولندن يحمل كتابين خطيين من جلالتة إلى الحكومتين الفرنسية والإنكليزية بسط فيهما الأسباب التي حملته على قبول البيعة. وقال إن من أخص أمانى السوريين أن يعيشوا على ولاء مع الحلفاء. ولم يغن هذا التدبير شيئاً. فقد أعلن المستر لويد جورج في مجلس النواب البريطاني يوم ١٨ مارس «إن بريطانيا وفرنسا أبلغتا الأمير فيصلنا انهما لا يستطيعان الاعتراف بقرار مؤتمر دمشق، ودعته إلى أوروبا لبسط قضيته»

وكذلك أرسل اللورد كرزون وزير الخارجية البريطانية يومئذ برقية خاصة إلى الملك

ينكر فيها ما تم ويدعوه إلى القدوم لمفاوضته فرد عليه قائلاً:

«انه كان يتمنى أن يتاح له الذهاب إلى أوروبا ليقدّم شكره إلى حكومة جلالة الملك، ولتنوير المجلس الأعلى عن موقف سورية الحقيقي، وختم برقيته طالباً الاعتراف باستقلال سورية»

وأرسل الملك في الوقت نفسه رسالة خاصة إلى الرئيس ولسن ذكره فيها بعهد الحلفاء وفعال العرب في الحرب العظمى، وجودهم فيها بالأرواح والمال استناداً إلى تلك العهود، ويسط له سوء عاقبة تقسيم سورية إلى أربع مناطق إدارية طبقاً لمعاهدة سرية لا نعلم من حقيقتها شيئاً فحنق الشعب. ومع أن الدول أكدت له أن هذا التقسيم وقتى يزول بزوال الحكم العسكرى إلا أنه اضطرب بسبب إشاعة اتفاق فرنسا وبريطانيا على تجزئة البلاد وتقسيمها. فاضطر الشعب، إلى إعلان استقلاله والمناداة بى ملكاً فعاد النظام إلى نصابه، وهذا العمل يطابق وعود الحلفاء. وناشد الرئيس أن يبذل نفوذه لتأييد الحق فى هذه القضية.

ولابد لنا من القول ان الملك فاتح الجنرال غورو حين زيارته له فى بيروت يوم ٤ فبراير بما هنالك من اتجاه إلى إعلان الاستقلال، والمناداة به ملكاً^(١)؛ ومع أن الكولونيل كوس المعتمد الفرنسى فى دمشق كان على علم بما يجرى، بل كان من جملة العاملين على اتمام البيعة. وقد حضر حفلة إعلانها - كما رأيت بصفة رسمية - فقد تنكر الفرنسيون فى بيروت وباريس للملك وحملوا الهيئات الموالية لهم هنا على استنكار ما وقع. كما أوعزوا إلى صحفهم هنالك بالحملة على الحكومة السورية الجديدة، وبالض على عدم الاعتراف بقرار المؤتمر السورى.

ولقد كان مجلس إدارة لبنان أول المحتجين فوضع يوم ١٢ مارس قراراً رفعه إلى الجنرال غورو هذا نصه:

لقد اطلع هذا المجلس على قرار صادر من المؤتمر السورى بمناسبة تتويج سمو الأمير

١- يقول رضا باشا الركابى فى مقالة نشرها بعد وفاة الملك فيصل عن إعلان الملكية ما نصه «ولقد استدعانى الملك يوم عرض عليه القرار الخاص بإعلان الملكية، واستشارنى. فقلت له: هل من ضرورة لهذه العجلة، وبينت أن الحكمة تقتضى الانتظار، وتدعو لأن يؤجل إعلان التصريح إلى أن تمهد السبل هنا وهناك. فقال لى إذا كانت الغاية النفاهم مع الفرنسيين فقد اتفقت معهم على ذلك، ولم تمنع فرنسا فى ما وقع رغبة فى المحافظة على الولاء».

فيصل ملكا على سورية فوجد فيه مسا بحرية لبنان وحقوقه. ولما كان ليس للمؤتمر السوري وللسواه من الحكومات المحلية صلاحية البحث أو التدخل في أمور لبنان وإدارته. فيحتج هذا المجلس بنيابته عن اللبنانيين على كل ما ورد في المنشور المذكور فيما يتعلق بجبل لبنان، ويؤيد استقلاله المطلق المعلن في شهر مايو سنة ١٩١٩ راجيا رفع هذا الاحتجاج إلى المؤتمر العام المؤتمن على مصالح الأمم».

وأرسل بطيريك الموارنة الاحتجاج الآتي إلى الجنرال غورو:

«استنادا إلى الانتداب الذي حولنا إياه الشعب اللبناني لتمثيله والمدافعة عن حقوقه لدى مؤتمر السلام. نحتج بكل قوانا على قرار المؤتمر السوري في دمشق المخالف لأمانى اللبنانيين، ونحن لا نكف عن متابعة المطالبة بكل شدة بحقوقنا المبينة في اللائحة التي قدمناها إلى مؤتمر السلام بتاريخ ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٩ وإذا كان بعض اللبنانيين قد اشتركوا في المؤتمر السوري، فهؤلاء لا يمثلون قطعيا الأمة اللبنانية. وإنما على ثقة بان الحلفاء بنصفون اللبنانيين المظلومين، الذين كابدوا كثيرا من العذاب في إخلاصهم وتفانيهم على مصلحة الحلفاء».

وكذلك حملوا مجلس بلدية طرابلس فأصدر يوم ١٢ مارس قرارا مفاده «أن مندوبى المؤتمر السوري لا ينوبون عن أهل طرابلس، وأنه (أى المجلس) يعترض أشد الاعتراض على ذاك المؤتمر، الذى ألف بطريقة غير قانونية، ويطلب أن تكون سورية الكبرى تحت حماية فرنسا».

وعلاوة على ذلك فقد نشر قلم المطبوعات الفرنسوى في بيروت البلاغ الآتى:

«تواترت الإشاعات بأن اجتماع المؤتمر السوري، والتصريحات التي صارت المجاهرة بها كانت نتيجة اتفاق بين الحكومتين الفرنسية والعربية، ومن البديهي أن هذه الإشاعات ساقطة من نفسها، ولا نصيب لها من الصحة. لأن مثل هذه القرارات هي من شأن مؤتمر السلام. والحكومة الفرنسية هي أبعد من أن يكون لها علاقة بما تم».

فهذه البلاغات والاحتجاجات نيهت رجال المنطقة الشرقية إلى نيات جيرانهم. كما نشطت العناصر المتطرفة، وكانت تنقم على الوزارة ضعفها واستسلامها، وأخذها الأمور باللين والحلم، وعدم اهتمامها بإعداد معدات الدفاع، ثم حدث حادث الخطبة في مساجد

بيروت. فزاد الطين بلة، كما زاد الخواطر هيجانا واضطرابا .

وخلاصة ما وقع أن ولاية الأمور الفرنسيين في بيروت استدعوا خطباء المساجد وأئمتها، وأوعزوا عليهم بأن لا يخطبوا باسم جلالة الملك فيصل، وأن يدعوا للخليفة محمد وحيد الدين السادس العثماني. فأبى عليهم الخطباء ذلك، وأنكروا تدخلهم في الشؤون الدينية. فقبضوا على الشيخ محيي الدين المكاوي - خطيب جامع المجيدية يوم ٥ إبريل ونفوه إلى إرواد. فثارت لذلك تائرة المسلمين، وأقيمت مظاهرة في دمشق احتجاجا على نفيه واعتقاله. فاضطروا إلى اطلاق سراحه، والاعتذار عما بدر منهم ونشروا البلاغ الآتي:

١ - ليس بصحيح ان الحكومة الفرنسية تعرضت للمسائل الدينية الإسلامية. وانما المنع الذي صدر الأمر به موجه ضد الفكرة السياسية التي مشى بموجبها الرؤساء الروحيون في بيروت. مدفوعين إلى ذلك من الشام.

٢ - إن السلطة الفرنسية تحتج بكل شدة على المساعي المبذولة لاثارة عواطف المسلمين الدينية. ففرنسا تحترم جميع الأديان على السواء، ولا ترضى أن يتخذ الدعاء باسم جلالة الملك فيصل حجة لإيجاد الخلافات السياسية».

وتلت هذه حادثة العلم، وذلك أنه على أثر اعلان الاستقلال في دمشق رفع المعتمد العربي في بيروت علم الدولة الجديد على داره، فلم يرق ذلك لممثلي الاحتلال فأرسلوا اليه كتابا يطلبون إنزاله بحجة أن الدول لم تعترف رسميا بالحكومة الجديدة، ولأن حكومتهم لاتزال تعتبر الداخلية (حكومة المنطقة الشرقية) فرفض المعتمد طلبهم ورفع الأمر إلى حكومته فأبلغته بعدم إنزال العلم، وتدخلت عند الحكومة الفرنسية، فتنصلت هذه مما وقع. وهكذا سويت المسألة.

فهاتان الحادثتان، وقد أثارتا الخواطر وما اتهمت به الوزارة من تقصير في إعداد معدات الدفاع، ومن تساهل مع الفرنسيين في نقل الذخائر إلى كيليكية بالسكة الحديد قد خلقت جوا ملتهبا، وجمل بعض العناصر على مناوئتها علنا. كما أخذ بعض أعضاء المؤتمر السوري بمهاجمتها، ووجهوا إليها أسئلة رد عليها وزير النافعة في جلسة يوم السبت ٢٤ إبريل سنة ١٩١٩ وهذا ما قاله موجزاً:

«سألتكم عما تعلمه الحكومة عن الأعمال التي تجريها حكومة الساحل. من إكراهها الأهليين على تختيم مضابط مؤتمركم، وعن مداخلتها في أمور الأهليين الدينية في المساجد فأقول إن حكومتنا قامت بما يجب عليها في هذا السبيل محققة رغبة الأمة. فلفتت نظر المندوب الفرنسي إلى هذه الحوادث أكثر من مرة. وفقا لقواعد حقوق الدول. وقد توصلنا إلى إصلاح كثير من هذه الأضرار نذكر منها قضية السعي لإنزال العلم السوري وقد تبين لنا من المكاتبات الدائرة أن المندوب الفرنسي لم يأمر بإنزال العلم. بل أبلغ معتمدنا هناك أن الأمر متعلق بمؤتمر الصلح، ولا يزال علمنا مرفوعا، وسيبقى كذلك تحقيقا لرغائب الأمة. وأما قضية خطيب الجامع المعتقل فستحل بما يوافق رغائب الأمة إذا لم تكن حلت حتى الآن.

«وسألتكم عن الحشد العسكري في الساحل، وعن التدابير التي اتخذتها حكومتنا، وعن المساعي التي بذلناها في سبيل استقلال البلاد وفي الجواب أقول: إنه تحقق لنا أن إشاعة الحشد لا نصيب لها من الصحة، وإن ما يشاهد ليس سوى عبارة عن استبدال قوى بأخرى. كما تأكد لدينا أن السلطة المحتلة أنقصت قواها عن قبل. أما المساعي التي بذلتها حكومتنا في الاستقلال فلنا الأمل أن تنتهي ببلوغ الأمل المنشود، وأظنكم تسلمون معي بأنه ليس من الموافق بيان التفاصيل. على أننا نقدر أن نؤكد لحضراتكم أن حكومتنا لا تفتقر عن السعي، ولا تدع وسيلة تفوتها في سبيل الحصول على رغائب الأمة. مؤملة أن توضح لمؤتمركم العالي بأقرب وقت نتيجة مساعيها، وبالطبع هي الاعتراف بالاستقلال التام والوحدة السورية.

• ولقد خرجت الوزارة فائزة من هذه المعركة - رغم الحملات الشديدة التي حملت عليها، ورغم الأسئلة المخرجة التي وجهت إلى مندوبيها، فلم يثن ذلك العناصر المعادية لها، ولم يمنعها عن مواصلة العمل في الخفاء لإسقاطها متذرة بما أظهرته من الضعف والعجز، ثم جاء قرار سان ريمو يوم ٢٦ إبريل بمنح الانتداب لفرنسا على سورية، ولأنكلترا على فلسطين والعراق فعزز دعوة القائلين بوجوب التخلص منها، وإنشاء وزارة قوية متجانسة تقود البلاد في المرحلة الدقيقة من تاريخها. واستمال خصوم الوزارة الملك إلى جانبهم وعقدوا اجتماعات سرية في منزل كبير الأمناء حضرها بالذات. فتقرر إسقاطها وعلى أثر ذلك ذهب (كبير الأمناء) يوم ٣ مايو إلى منزل الركابي ولم

يغادره إلا بعد ما انتزع منه استقالة الوزارة. وقد بناها على أسباب صحية.

بلاغان رسميان إلى الملك

وقبل أن نتكلم عن الوزارة الجديدة ننشر نص البلاغ الرسمي الذي أبلغه المسيو مليران رئيس الوزارة الفرنسية إلى جلالة الملك فيصل يوم أول مايو معلنا وضع سورية تحت الانتداب الفرنسي. لانه كان من العوامل في إحداث الأزمة وإقالة الوزارة. ثم نتبعه بخلاصة كتاب اللورد اللنبي قال:

«إن الحكومة الفرنسية مشيرة من جهة إلى بلاغاتها السابقة، ومن جهة أخرى إلى المبادئ العمومية لتحرير الشعوب، والمعونة الودية التي أعلنها مؤتمر الصلح تؤكد اعترافها بأن للأهالي الناطقين بالعربية من جميع المذاهب والساكنين في القطر السوري الحق في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم بصفتهم شعوبا مستقلة، وترى من واجباتها أن تقبل المهمة التي عهد بها إليها مؤتمر الصلح لإعطاء هؤلاء الأهالي مشورتها، ومساعدتها لتحقيق أمانهم المشروعة، وجعلهم ينتظمون أمما. وهذه المساعدة لا بد منها بعد استعباد طويل وخروج من حرب تركت البلاد خرابا. وستضمن استقلالهم من كل اعتداء ضمن الحدود التي يعينها مؤتمر الصلح ناظرة نظر الاعتبار إلى الإدارات الذاتية اللازمة».

وفي يوم ٢٧ ابريل تلقى الملك كتابا خاصا من اللورد اللنبي ينطوى على تبليغ رسمي من بريطانيا عما اتخذته الحلفاء من قرارات بشأن سورية وفلسطين والعراق. وختم اللورد كتابه بدعوة الملك للسفر إلى أوروبا بالحاح «ليتمكن من بسط قضيته وقضية البلاد، ولان حقوق ملكيته لا تتم إلا بواسطة مؤتمر الصلح».

وقد رد الملك على البرقية الأولى ببرقية أرسلها يوم ١٣ مايو إلى المسيو مليران أبان فيها استياء الأمة السورية من تقسيمها إلى شعوب عديدة. في حين أن هذه الشعوب القاطنة في الأراضي السورية تنتمي إلى شعب واحد وتنزع منازع واحدة.

الوزارة الدفاعية وكيف تألف

ما كاد كبير الأمراء يعود من منزل رضا الركابي بكتاب الاستقالة حتى حمل إلى دار الحكومة كتاب اسناد رئاسة الوزارة الجديدة إلى هاشم الاتاسى وهذا نصه:

«عزيزى هاشم الأتاسى

بالنظر لما أحدثته برقية الحكومة الفرنسية الواردة أول من أمس من التأثير الذى نتج عنه وقوع أزمة وزارية - رأينا أن نعهد اليكم لما ثبت لدينا من إخلاصكم ومقدرتكم بتأليف وزارة جديدة، يكون أول همها المحافظة على الأمن والراحة فى الداخل، والدفاع عن حقوق هذا الوطن إزاء كل من يريد به سوءاً، أو يحاول الوقوف فى سبيل استقلاله المقدس من الخارج. فاعملوا على انتقاء من اختبرتم فيهم الصفات المطلوبة للوصول لهذه الغاية النبيلة وارفعوا إلينا ذلك للمصادقة عليه، والله يتولانا بتوفيقه وعنايته لخير هذه الأمة والبلاد والسلام عليكم» فرغ على الفور بياناً بأسماء زملائه وكانوا متفقين عليهم من قبل فصدر المرسوم الآتى:

«وزيرى السيد هاشم الأتاسى

نصادق على ما ارتأيتموه فى تذكرتكم رقم ١ بتاريخ ١٥ شعبان سنة ١٣٣٨ (٣ مايو سنة ١٩٢٠) من تأليف الوزارة على المنوال الآتى:

رئيس مجلس الشورى السيد رضا الصلح. وزير الداخلية هاشم الاتاسى (وكالة) وزير الخارجية. الدكتور عبد الرحمن شهبندر. وزير الحربية يوسف العظمة. وزير المالية فارس الخورى. وزير الحقانية جلال الدين. وزير المعارف ساطع الحصرى وزير التجارة جورج رزق الله.

فنؤمل أن تبذلوا جل مساعيكم فى تحقيق رغبات الأمة باتخاذ أفعال التدابير للدفاع عن استقلالنا المقدس، وحفظ الأمن والراحة، والعمل على تمكين لحمة التضامن بين طبقات الأمة السورية على اختلاف مذاهبها ونزعاتها لتكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وتوثيق عرى الولاء بين حكومتنا وحكومات الدول المتحاببة الفخمة، ونخص منها اللاتى تساعدنا على الوصول إلى غايتنا المنشودة، وفقكم الله لما يريد، وتولاكم بعنايته وحسن توفيقه».

وفى يوم السبت ٨ مايو تقدمت الوزارة إلى المؤتمر فألقى وزير الخارجية بيانها وهو:

«أيها السادة

بناء على استقالة السيد على رضا الركابى تألفت الوزارة التى ترونها فى هذا

المجلس، لتبيين لحضراتكم الخطة التي عزمت على انتهاجها. وقد قبلت أن تقع هذه التبعة العظيمة على عاتقها فى هذه الأيام العصيبة خدمة للوطن المقدس، وهى مستندة فى أعمالها بعد الاتكال على الله تعالى وعلى مؤازرتكم ومؤازرة الأمة الكريمة التى أنايتكم عنها.

إن أساس خطتنا هو:

- ١ - تأييد الاستقلال التام الناجز المتضمن فى جملة ما يتضمنه حق التمثيل الخارجى.
- ٢ - المطالبة بوحدة سورية بحدودها الطبيعية، مع رد طلب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبى منها وهو فلسطين وطنًا قوميا لليهود.
- ٣ - رفض كل مداخلة أجنبية تمس سلطاننا القومى.

هذه غايات وزارتنا. وهى فى الواقع تحقق ما قرره مؤتمركم فى جلسته التاريخية المشهودة. ولأجل الحصول على هذه الغايات لا بد لنا من المحافظة على صداقة حلفائنا الكرام الذين يساعدوننا على تحقيق رغائبنا الوطنية، والاستفادة من كل ما لدينا من الماديات والمعنويات كيما تتمكن من تنظيم قوة عامة فى البلاد تكفل حياتها وانتظامها. ولا يخفى على حضراتكم أن تنظيم القوة يحتاج إلى المال والرجال. أما الرجال فهم متوفرون لدينا. وأما المال فنسعى جهدنا للحصول عليه بطريقة لا تضر بحالة البلاد الاقتصادية. فالأمة التى تجود بروحها فى سبيل استقلال الوطن لا تبخل بمالها لتحقيق هذه الغاية أيضا. وستهتم الوزارة فى خطتها الداخلية اهتماما خاصا بزيادة التشديد فى حفظ النظام والأمن، حرصا على راحة الأهلىن، وتأميننا لسير أعمالهم ونمو ثروتهم. ولما كان الإخلال بالأمن موجبا لعرقلة مساعينا الوطنية المقدسة فى الداخل، وسوء سمعتنا فى الخارج فقد عزمنا على أستعمال الشدة والصرامة فى وجه كل من يعكس صفو الأمن ويعبث بالراحة ويسىء سمعة البلاد.

«بلغكم أيها السادة أن المؤتمر فى سان ريمو اتخذ بعض قرارات ابتدائية تتعلق بنا، وهذه القرارات قد تضمنت الاعتراف مبدئيا باعتبار سورية دولة مستقلة. فنحن نسجل هذا الاعتراف مع السرور، ونتخذة أساسا للحقوق الأخرى التى سنطالب بها.

«نسجل على حليفتنا بريطانيا العظمى تصريحها باستعدادها بالاعتراف بجلالة مليكنا

الأعظم رأس دولة سورية مستقلة. إلا أن هذه القرارات ترمى إلى الانتداب، فنحن لقاء ذلك سنسعى جهدنا لرفع هذا القيد.

«لاشك في أن المؤتمر الذي سيعقد في أواخر هذا الشهر في باريس سيعيد النظر في مقرراته السابقة، ولنا ملء الأمل أن يعود فينصفنا، ولا يهمل وعود حلفائنا لنا. على أننا إن لم ننصف فلنا بقوة شعبنا وعزمنا الثابت أكبر ضامن لتأييد حقنا ونتخذ في الختام هذه الفرصة لنعلن أننا قوم لا نطلب إلا حقنا، ولا نريد التعدي على غيرنا. بل نريد أن نعيش أحرارا في عقر دارنا. مسالمين من يسالمنا. ومحترمين منافع من يحترم منافعنا. وبالله التوفيق».

وخطب بعض النواب مشيرا إلى خطورة الموقف - كما ناقش بعضهم الوزير، واشترط بعضهم أن تعلن الوزارة كونها دفاعية، لمتحها الثقة. فوقف الوزير وقال إن الوزارة دفاعية قامت لأجل الدفاع، وستدافع إلى النهاية. فنالت الثقة الاجتماعية.

تدابير الوزارة وخطتها

افتتحت الوزارة عملها بإصدار قرض داخلي بنصف مليون دينار سوري أقر قانونه مجلس الوزراء يوم ١١ مايو. وخلصته «يعقد قرض وطني في البلاد السورية على مبلغ نصف مليون دينار بفائدة ستة بالمائة، ويرهن مليون دونم من أراضي الدولة العامرة في ولاية حلب ولوائى حمص وحماه المذكورة مواقعها في الجدول المربوط بهذا القانون، تأمينا على رأس المال. بحيث يرهن مقابل الدينار الواحد أربعة دونمات من الأرض ويصرح بذلك في سند الدين. وتكون سندات الدين لحاملها، ويفرز من الواردات السنوية لأراضي الدولة مبلغ أربعين ألف دينار سنويا لتأدية الفائدة السنوية، ولاستهلاك رأس المال الأصلي ويدخل هذا المبلغ في الميزانية العامة كل سنة اعتبارا من ميزانية سنة ١٩٢١ إلى أن يتم استهلاك الدين في ٢٤ سنة».

وأعاد مجلس الوزراء الجديد النظر في قانون التجنيد العام، وقد أهمل أمره في عهد الوزارة السابقة، فعدله تعديلا جعله أوسع وأعم، ووضع له ذبلا نشر يوم ١٧ مايو يقضى بتجنيد جميع سكان المملكة السورية. وجعل مدة الخدمة الفعلية سنة واحدة، وقد ضمنت الوزارة بهذين القانونين الرجال والمال.

حروب الترك فى كيليكية

وعادت العصابات فى هذه الفترة إلى نشاطها، بعد ما ازدادت قوة بمن انضم إليها من الضباط الذين استقالوا من خدمة الجيش. فظهرت فى البقاع وجبل عامل وجبال النصيرية، وفى منطقة انطاكية واللاذقية والجزيرة العليا، فضايقت الفرنسيين وأزعجتهم واشتد ساعد العصابات التركية التى كانت تقاتل فى الشمال، ونالت فوزا كبيرا على الفرنسيين، وهزمتهم فى معارك عديدة، وحاصرت حامياتهم فجاءوا بنجدات جديدة من أوروبا بدل القوى التى أعادوها فى شهر إبريل. يوم اشتد الخلاف بينهم وبين ألمانيا وزحفت قواهم فاحتلت الرور.

وسعى الفرنسيون فى خلال هذه الفترة عند الملك فيصل ليحصلوا منه على إجازة بنقل جندهم من بيروت إلى حلب فالحدود التركية بالسكة الحديد (سكة الحديد من رياق إلى حلب) تسهيلا لمواصلاتهم، وليتسنى لهم ضرب العصابات التركية التى كانت تحاربهم ضربة شديدة، وأبلغ الجنرال غورو الكولونيل كوس مندوبه العسكرى فى دمشق أن يحتج باسمه على منعهم، وأن يبلغ الحكومة السورية أن الفرنسيين إنما جاءوا سورية ليحروها من الترك. فما بالها تمنع المسيرة عن جيوشهم. فاتخذت الوزارة هذا الاحتجاج وسيلة لمطالبة الفرنسيين بدفع نصيب سورية من إيرادات الجمارك، وانتدب الملك الكولونيل طولال الفرنسي - وقد جاء معه من أوروبا فى المرة الأولى فذهب إلى بيروت وحادث الجنرال غورو ثم عاد بعد بضعة أيام يحمل نسختين من مشروع اتفاق، واحدة ليوقعها جلالة الملك والثانية لتوقعها الحكومة وخلصتهما أن الحكومة السورية تسمح بمرور الذخائر والزاد وبعض رجال الجيش مقابل بعض شروط. فعدلت الحكومة الشروط، وجعلتها على المنوال الآتى:

١ - الاعتراف باستقلال سورية استقلالا تاما .

٢ - الاعتراف بوحدة الشعب السورى والمملكة التى يقيم فيها .

٣ - دفع نصيب سورية من حصة الجمارك حسب اتفاق مؤتمر حيقا .

ولما عرضت هذه المطالب على الجنرال غورو رفضها، وقال إنه يكتفى بتصريح المسيو ميلران وأن حكومته لا تسمح له بتغيير شىء مما ورد فيه.

ويقول الركابي في صدد هذا الحادث «إنه أشار على الملك - حينما كان رئيسا للوزراء بأن يسمح للفرنسيين بنقل قواهم بالسكة الحديد، وبأن يرسل جنودا سورية للاشتراك معهم، لأنهم يدافعون عن الحدود السورية، ويؤدون واجبا كان يجب على الحكومة السورية أن تؤديه. وأن الملك وافق مبدئيا على رأيه، ووعدته بتنفيذه، ولكنه عدل عنه في النهاية بتأثير العناصر الأخرى التي أشارت بالاتفاق مع الترك، والمضى في نضال الفرنسيين حتى النهاية لحملهم على الاعتراف باستقلال البلاد تحت تأثير الضغط».

وسافر يوسف العظمة وزير الحربية فى تلك الأيام إلى حلب، ومنها قصد إعران «مدينة صغيرة على الحدود التركية» فاتصل بمندوبى الحكومة الكمالية وباحتهم فى إنشاء تعاون عسكري بين الحكومتين، فوعده بأن يطلعوا حكومتهم على اقتراحاته ويبلغوه الجواب. ولم تقترن تلك الجهود بنتيجة إيجابية. لأن الفرنسيين عقدوا هدنة مع الترك فى تلك الأيام.

الملك فيصل والانتداب

و بمناسبة دخول شهر رمضان فى تلك الأثناء، أدب الملك مأدبة إفطار فى قصره يوم ٢٨ مايو دعا إليها كبار القوم وعظماهم، وبعد الطعام ألقى الخطبة الآتية:

«أريد بهذه المناسبة أن أقول كلمات أعلم أنها تهم الأمة كثيرا. نعم إن هذه الكلمات كانت منتظرة من الحكومة لا منى. لأنى غير مسئول. ولكنى أستسمح رئيس الوزراء وأقول:

«إن الأمة اليوم فى شوق عظيم لمعرفة حالها ومصيرها. فقد بلغنا القرار الذى وضع فى سان ريمو بشأن مستقبل بلادنا بصورة مجملة. فيئس البعض من جراء ذلك. وظن أنه قضى على مستقبلنا، وأن كل سعى نبذله لا يأتى بفائدة. وقال القسم الأعظم من سكان البلاد: لقد قضى علينا، ونحن لا نريد أن نستعبد فلنمت شرفاء.

«هاتان هما الفكرتان السائدتان اليوم. وكلتاها غير مطابقتين للحقيقة. لأنه لم يقض علينا بالفناء لنيأس، ولا قضى علينا بالاستعمار لكى نقول يجب أن نموت شرفاء.

«لماذا قضى علينا؟ من المعلوم أنه اتخذ قرار يعترف باستقلال سورية على ما يقال ويجعلها تحت الانتداب! ولكن ما هو الانتداب؟ وما هى كلفيته؟ وهل يقضى علينا؟ هذا ما لا يزال مجهولا.

«لقد اتخذت الأمة قرارا من قبل أعلنت فيه استقلالها. وقالت إنه يجب على الأمم أن

تعترف به. فكما أننا اتخذنا قرارا يوافق مصلحتنا، فقد اتخذوا قرارا لأنفسهم يلائم مصالحهم. وكل من الفريقين يدعى الحق لنفسه. ولكن ما بينهما من الود لا يجعل أحدهما يعتدى على حقوق الآخر وأن كان كل منهما ينظر إلى مصلحته قبل مصلحة سواه.

«الأمّة السورية أعلنت استقلالها وفقا لمصالحها. أما الدول - فمع اعترافها بهذا الاستقلال - اشترطت لقبوله شروطا تلائم مصالحها أيضا، وعندما أعلننا استقلالنا قلنا باحترام مصالح الجميع، لنكون في تآلف مع الشعوب التي حاربنا معها. ثم إن الدول وضعت شروطا وقالت لنا تعالوا لنؤلف بين مصالحنا ومصالحكم. فيظهر من هذا أنه لا ضيم علينا حتى الآن، وأن أبواب المذكرات مازالت مفتوحة أمامنا، وأنه ينظر إلينا كأمة مستقلة.

«إن كلمة الانتداب لاحت لها ولا معنى صريحا لها. وقد رفضتها الأمّة رفضا باتا، ولا يقبلها أحد يريد الحياة. فهي كلمة مطاطة تفسر طورا بأشد أنواع الاستعمار، وتارة بأخف ضروب المعاونة الودية، التي لا تمس الاستقلال. ومع ذلك فقبولها عار على كل أمة تريد الحياة.

«أرجو من الأمّة أن تعلم أن رئيسها أو حاكمها أو ملكها الذي انتخبته هو على هذا المبدأ. لا يرضى أن يقال إن الملكة التي هو رئيسها تحت قيود مملكة أخرى. فالأمّة التي عاشت قرونا عديدة، ومدنت العالم لا يمكن أن تتقيد بهذه القيود. وأريد أن لا يكون رفض الانتداب مقتصرًا على القول فقط.

«تذكرون جميعكم أنني كنت دائما أقول. ولاسيما بعد رجوعي من أوروبا إن الاستقلال يؤخذ ولا يعطى. أنتم تطالبون منى الاستقلال، وأنا أطلب منكم الوسائل. تذكرون أننا لما كنا تحت سلطة الاحتلال، وكانت الحكومة بدون قوة إجرائية، والأمّة محتاجة إلى القوة - أى إلى الجند أردت أن أظهر للأمّة ضرورة التجنيد، فتطوعت جنديا بسيطا، ولم يكن فى الإمكان حينئذ وضع قانون للتجنيد لحفظ النظام أولا وللمدافعة عند الحاجة ثانيا. فوضعت قانون التجنيد، ورأينا الفرق بين الجند قبلا عندما كان متطوعا، وبقي أكثر من سنة دون أن نتمكن من تنظيم وحدة للاستعراض. فضلا عن الدفاع وبينه الآن. وعلى أنه لم يمر شهران على وضع قانون التجنيد حتى رأينا أن لنا جيشا ولو قليلا، ونظاما، ولو فى حال الطفولية. ولكن الحكومة ترى أن هذا الجيش لا يكفى لحاجة البلاد داخلا وخارجا. ولاسيما

وأن ذلك القانون كان قد استثنى قسما عظيما من الخدمة.

«إن الأمم تنظر إلينا من وجهتين: الأولى نظرة صديق يريد منا أن نظهر بمظهر منظم عظيم، ويخشى وقوع حادث يعكر علينا ويفسح المجال لإظهارنا بمظهر الهمجية. والثانية نظرة فريق ربما يطمع فينا. فالحكومة مجبرة على إيجاد القوة التي تفرح صديقها، وتدافع ولو عن كيانها، وتحافظ على نظامها لاسيما وأن المناطق السورية المحتلة هي فى حالة فوضى. أخشى أن تسرى إلينا وتسىء سمعتنا فى الخارج. فيجب أن تسهر الحكومة على حفظ النظام فى الداخل، وعلى إيجاد قوة تجعلنا محترمين من أصدقائنا وأعدائنا، ولا أعرف لنا عدوا.

«إن الأمة تريد الاستقلال، وترى أن كل وزارة أو حكومة لا تعلن أنها دفاعية لا تصلح لها. فالأمة التى تطلب هذا يجب أن تقدم الوسائل اللازمة له من المال والرجال. يجب أن لا يتسرب اليأس إلى نفس أحد منا. وعلى المفكرين والعقلاء وأرباب الصحف أن يحولوا دون ذلك فنحن سنعيش، ولن يمس استقلالنا بسوء.

«ولاشك أن هذه الأمة التى بذلت عشرات الالوف من الضحايا فى غاليسيا والقوقاس والعجم والروم ايلى خدمة لمصالح غيرها، لا تتأخر عن بذل أضعاف ذلك دفاعا عن كيانها وحريتها، ولو كانت خارجة من حرب طويلة منهكة. ولما كان من غير المستطاع إيجاد جند بلا مال. فقد أصدرت الحكومة قرضا مضمونا يمكنها من إيجاد قوة تضمن حياتها المقبلة فأرجو من الأمة أن تقبل عليه، وتثبت للعالم المتمدن أنها لا تحتاج من الخارج. حتى ولا للمال. فلديها كل شىء عند اللزوم.

«لقد اعتادت الحكومات أن تصدر قروضا عند الأزمات يكون الإقبال عليها مقياسا لحياتها. فأريد أن يصادف هذا القرض إقبالا عظيما. سيما وهو مضمون برهائن عظيمة تعود بالفائدة على حاملى إسناده. فاستنهض الهمم للإقبال عليه، وعلى الجندية، ولاشك فى أنه لن يتأخر عن ذلك إلا من كان عدوا للوطن.

«إن جميع الحاضرين هنا هم أعين هذه الأمة التى تبصر بهم صالحها ونجاحها. فعليهم أن يسعوا لإرشادها إلى هاتين الغايتين الشريفتين. المال والجندية فيكونوا بذلك خير مساعدين لحكومتهم وأمتهم.

«هذا ما أرجوه من الأمة وأوصيها بالانصراف إلى الجد والرزانة فى جميع حركاتها

وسكناتها . أما الذين يقولون بالاستماتة فى سبيل الحياة الحرة والموت الشريف فإنى أقدر فكرتهم، وأعد نفسى فردا من أفرادهم. ومتى دنت ساعة الخطر، فسأكون أول من يموت بيد أئى أطمئنتهم بأنه لم يحكم علينا بالإعدام. فهذا الحكم لم يصدر ولن يصدر. وعلينا أن نستعد ونتروى، وأن لا تكون حركاتنا تابعة للخيلات، بل للماديات والمحسوسات.

«ان مسألة سورية من أعظم مشاكل العالم التى يصعب حلها. فلا يحكم فيها حكما نهائيا بمجرد قول جريدة أو خطبة يخطبها مسؤول أو غير مسؤول. فالحكومة التى رئيسها أمامى أسأله أنا والأمة عن نتيجة أعماله تنتظر اليوم نتائج الأمور فأريد من الأمة أن تثبت إلى النهاية، وأن تنتظر النتيجة برياطة جأش، وتمد حكومتها بالمال والرجال، ولنبدل جهدنا، والتوفيق منه تعالى وأرجو أن نكون فى العام المقبل حول هذه المائدة وقد نسينا هذه الأيام العصبية».

الهدنة بين الترك والفرنسيين

وبينما كان رجال الحكومة السورية يدبرون التدابير ويجمعون القوى أذيع فى دمشق يوم ٥ يونيو سنة ١٩٢٠ نبأ عقد هدنة بين الفرنسيين والترك. فقد أدرك الفرنسيون عجزهم عن الثبات فى الشمال والغرب، وعرفوا أنه ليس فى استطاعتهم التغلب على هذه القوى كلها، فاتصلوا بالترك ثم اتفقوا معهم على عقد هدنة تكون مقدمة لصلح وهذا نص الشروط:

من مصطفى كمال رئيس مجلس الأمة الكبير

إلى رئيس القيادة فى عينتاب

«تم الاتفاق بيننا وبين الفرنسيين بعد مذاكرات على الشروط الآتية:

١ - تعقد هدنة بيننا وبينهم من منتصف ليلة ٣٠ مايو.

٢ - ينسحب الفرنسيون الذين فى بوزانطى وسيس بمعداتهم وذخائرهم إلى خط أطنه - مرسين. ويجلون عن عينتاب، وتنحسب قواهم من داخل المدينة إلى معسكرهم فى خارجها. وينبغى أن يتم الجلاء عن بوزانطى وسيس وعينتاب فى خلال عشرة أيام من ابتداء الهدنة.

٣ - نرد إلى الفرنسيين أسراهم فى خلال عشرة أيام من ابتداء الهدنة، ويردون إلينا من بيدهم من أسرانا، أو من أسرى المسلمين المعتقلين لأسباب سياسية.

٤ - تكون لنا حرية الاتصال بوالى أطنه والموظفين العثمانيين، وينبغى التحاجز (ترك القتال) من صبيحة يوم الاثنين ٣٠ مايو، ويتقدمه وضع التعليمات اللازمة بشرط الجلاء عن بوزانطى وسيس وعينتاب وتبادل الأسرى.

وينبغى أن لا يأتى صباح ٣٠ منه حتى تكون بلغت الخطوط الأمامية هذه الأوامر، وأطلب أن يحافظ عليها بدقة».

تلك هى شروط الهدنة التى عقدت بين الترك والفرنسيين. فمكنت هؤلاء من نقل جنودهم التى كانت تحارب فى الشمال إلى اسكندرونه وقاطمه على حدود حلب، ولم يكد ينصرم شهر يونيو حتى كان عندهم نحو ٥٠ ألف جندى فى تلك المنطقة مجهزين بالسلاح الكامل فضلا عن القوات الأخرى التى كانت محتشدة فى بيروت والجبل والمناطق الأخرى وما كانت تقل عن العشرين ألفا.

وجهز الفرنسيون على الأثر حملة كبيرة زحفت على بلاد الجنوب (صيدا وصور ومرجعيون) لمطاردة العصابات التى استفحل نفوذها فى تلك الجهات، وكانت قد هاجمت صور ومرجعيون، وكادت تحتلها فأحرقوا كثيرا من القرى والضياح ودمروها. وفى يوم السبت ٥ يونيو عقد اجتماع كبير فى مدينة صيدا أصدرت السلطة الفرنسية عنه البلاغ الآتى:

«فى صباح السبت ٥ يونيو اجتمع بناء على دعوة الحكومة فى صيدا أعيان أقضية صيدا وصور ومرجعيون من شيعيين ومسيحيين ودروز، وبلغ عددهم أكثر من ٢٠٠ فألقى عليهم الكولونيل نيجر خطابا شديد اللهجة، وجهه إلى الشيعيين، ثم تلا عليهم الأحكام

قائلا ان الحكومة يسوعها. أن يحكم على وجهاء الشيعيين بهذه الأحكام الصارمة، ولكنهم هم الجناة على أنفسهم. وهذه خلاصة الأحكام:

حكم بالإعدام على صادق حمزة وأحمد المحمود بزة ومحمد التامر وعبد الحميد بزة ويوسف طاهر أدهم خنجر وكثيرين غيرهم.

وحكم بالنفى المؤبد على كامل الأسعد والسيد عبد الحسين شرف الدين والحاج محمد سعيد بزة وراشد عسيران ومحمد الحاج حسن عبد الله وإخوته.

وبعد تلاوة هذه الأحكام قال الكولونيل إن الحكومة أعدمت جميع الثوار الذين حاولوا متابعة حركاتهم أثناء وجود الحملة، وعددهم يقدر بثلاثين. ثم طلب من الحاضرين إعلان قبولهم الشروط الآتية لاسترداد الحملة وهي:

١ - دفع غرامة قدرها مائة ألف جنيه مصرى.

٢ - إرجاع المسلوبات إلى أصحابها.

٣ - إعطاء تعهد خطى للحكومة بالمحافظة على المسيحيين الذين يبقون فى قراهم.

٤ - جمع الأسلحة من أقضية صور وصيدا ومرجعيون.

٥ - تسليم المجرمين أينما وجدوا.

٦ - إلقاء المسؤولية على عواتقهم عن كل أمر يجد، وكل قتيل يقتل فى أحد الأقسية الثلاثة.

وأهل الكولونيل الحاضرين إلى الساعة الثالثة ليتداولوا، ويعطوا الجواب على شروطه. وفى الوقت المعين قدموا تعهدا خطيا ذيلوه بالذيل الآتى ووقعوه بتواقيعهم وهو:

نتعهد بدفع مئة ألف جنيه مصرى للتعويض عن الخسائر التى لحقت بقرى المعتدى عليهم، ونتعهد بأن نساعد الحكومات على جمع الأسلحة من الأهالى ونسلم المجرمين - إذا رأيناهم - ولا نقدر أن نحافظ على مسيحيى الأقسية من هجوم خارجى، وإنما نكون مسؤولين إذا اشتركت قرانا فى هذا الهجوم.

ويما أننا لا يمكن أن نكون فى وقت واحد فى كل مكان لا يسعنا أن نحمل مسؤولية ما يقع على عواتقنا. غير أننا سنبذل الجهد للحيلولة بكل قوانا دون وقوع حوادث جديدة تستوجب المسؤولية.

وفى ١٧ منه نشر فى بيروت البلاغ الآتى:

«لاتزال الحملة العسكرية تواصل أعمالها فى قضاء صور وجميع رؤساء القبائل والقرى فى حدود المنطقة الجنوبية جاوعا مظهرين خضوعهم، ودفعوا الغرامة وسلموا الأسلحة كما تقرر».

«وقد قبض على بعض المتمردين فأعدموا رميا بالرصاص، وامتنعت قريتان فقط عن القيام بالتعهد فأكرهتا بالقوة».

«وقد أعيد تأليف عصابات صادق حمزه وأدهم خنجر فى المنطقة الشرقية، وجاءت هذه العصابات إلى قريتي عديس والطيبة لإكراه الشيعيين المقيمين فيهما على الانضمام إليهما لإثارة فتن جديدة. فلما أبى سكانهما الانصياع لتلك العصابات نهبت القريتين فأرسلت قوات قومندان صيدا بسرعة إلى محل الحادث لنجدتهما».

«وحاولت عصابة قويح فى الشمال من الشيعيين مهاجمة قرية فويانات المارونية، فأرسلت فى الحال قوة كبيرة وبددت شمل العصابة».

ونشرت شركة هافاس يوم ٢٣ منه البرقية الآتية:

أخفقت العصابات التى حملت على جديدة ومرجعون إخفاقا تاما وخسرت أربعمائة قتيل.

وأصاب مثل هذا الفشل عصابات الشيخ صالح حول طرطوس، وفر الشيخ صالح نفسه.

حادث مجلس إدارة لبنان

وبيما كان النضال دائرا بين الفريقين ورجال العصابات فى الجنوب (جبل عامل) وفى الشمال (جبل النصيرية) بأقصى شدته كان الأميرالاي سعيد بك البستاني قائد الجند اللبناني السابق يتردد على دمشق، ويقابل جلالة الملك فيصل بغية إيجاد تفاهم بين دمشق ولبنان. فقد سئم أحرار لبنان المعاملة السيئة التى يعاملهم بها الموظفون الفرنسيون، وفى مقدمتهم الكومندان لابرو متصرف الجبل. فقد كان يتناول على أعضاء مجلس الإدارة

(برلمان الجبل)، ولا ينفذ قراراتهم، كما تناول الليوتنان ماسيت - مستشار الجند اللبناني على قائد الجند العام الأميرالاي سعيد بك، ولم يطق هذا الإقامة على النذل فاستقال وانصرف إلى خدمة القضية الوطنية.

بدأت المحادثات في أواخر شهر مايو بواسطة نجيب الأصفر في بيروت بين كل من سعد الله الحويك أحد أعضاء مجلس الإدارة وإلياس الحويك ترجمان المتصرفية وابن أخيه وبين جميل الألسي ضابط الارتباط العربي في بيروت على قاعدة استقلال الجبل وحياده بعد تكبيره، وقد اشترك فيها أخيراً سليمان كنعان وإلياس الشويرى من أعضاء المجلس والأمير أمين أرسلان. وبعد أخذ ورد تم الاتفاق على وضع مضبطة بطلب الاستقلال التام للبنان على أن يحملها أعضاء مجلس الإدارة ويسافروا بالذات إلى دمشق، ومنها إلى حيفا فباريس. حيث يلاحقون قضيتهم أمام مؤتمر الصلح، وعلى أن تدفع لهم عشرة آلاف جنيه لنفقات سفرهم ريثما يصلون إلى باريس - وقد تعهدت الجمعيات اللبنانية في أميركا بأن تقوم بدفع نفقاتهم مدة إقامتهم هناك، وجمعت الإعانات فعلا - وقد دفع لهم المبلغ المتفق عليه تناوله سليمان بك كنعان باسم قرض من عارف النعماني، بضمانة الأمير أمين أرسلان بعدما كتب عليه سندا، ووزعت الأموال على الذين تقرر أن يسافروا - كما تقرر أيضا بأن تكف العصابات بعد توقيع المضبطة عن مهاجمة الأراضي اللبنانية، وقد نفذ هذا الاتفاق.

وكانت المفوضية العليا على علم بكل ما يجري، وكانت تطلع عليه بواسطة أحد موظفيها، وكان يحضر الاجتماعات السرية في منزل نجيب الأصفر. وقد قدمه هذا إلى أعضاء المجلس طالبا إليهم أن يثقوا به ثقتهم بأنفسهم. بحجة أنه من الناقمين على الفرنسيين، ووعدهم هذا أن يسافر إلى حيفا يوم سفرهم ويرافقهم إلى باريس.

وفي يوم ١٠ يوليو وضعت المضبطة المطلوبة، ووقعها سبعة من أعضاء المجلس هم: سعد الله الحويك وخليل عقل وسليمان كنعان ومحمود جنبلاط وفؤاد عبد الملك وإلياس الشويرى ومحمد الحاج محسن وتخلف يوسف البريدى - وكان متضامنا مع الأعضاء الموقعين بسبب مرضه، وأرسل نسيبه مخول قاصوف للاشتراك في اجتماعاتهم، ووعد بأن يلحق بهم إلى دمشق. ولم يكشفوا داود عمون بالأمر، لأنهم ما كانوا يثقون به ولم يفاتحوا حبيب السعد.

وهذا نص المضبطة الموضوعة:

إن مجلس إدارة جبل لبنان النيابى المؤلف نظاما من ١٣ نائبا، وفى الوقت الحاضر من ١٢ نائبا عاملا بسبب خلومركز أحد نائبي كسروان المستقيل قد وضع نهار السبت الموافق ١٠ يوليو سنة ١٩٢٠ بأكثرية الكبرى القرار الآتى:

إنه لما كان اللبنانيون، منذ أعلنت الدول العظمى حق إنشاء الحكومة الوطنية لشعوب هذه البلاد، قد طلبوا ومازالوا يطلبون تأييد حقوقهم بتأسيس حكومة وطنية مستقلة.

ولما كان استقلال جبل لبنان ثابتا تاريخيا، ومعروفا منذ أجيال طويلة وموقعه وطبيعة أهاليه الموالفة للحرية الاستقلالية منذ القدم، مما يستلزم استقلاله وحياده السياسى - أيضا لوقايته من المطامع والطوارئ، وكان مع ذلك من أهم مصالحه وراحة شعبه الوفاق وصفاء العلاقات مع مجاوريه، وقد دل على ذلك ما أحدثه التقاطع من ثوران الجهلاء لارتكاب الحوادث المؤلة المقلقة المتسلسلة من السنة الماضية إلى هذه الآونة.

فبناء على ما تقدم قد بذل هذا المجلس مزيد الاهتمام توصلا لوفاق يضمن حقوق البلدين المتجاورين سورية ولبنان ومصالحهما ودوام حسن الصلات بينهما فى المستقبل. ويعد البحث فى هذا الشأن وجد أنه من الممكن الوصول إلى ذلك بمقتضى البنود التالية:

١ - استقلال لبنان التام المطلق.

٢ - حياده السياسى، بحيث لا يحارب ولا يحارب، ويكون بمعزل عن كل تدخل حربى.

٣ - إعادة السلوخ منه سابقا بموجب اتفاق يتم بينه وبين حكومة سورية.

٤ - المسائل الاقتصادية يجرى درسها، وتقرر بواسطة لجنة مؤلفة من الطرفين وتنفذ قراراتها بعد موافقة مجلس لبنان وسورية.

٥ - يتعاون الفريقان فى السعى لدى الدول للتصديق على هذه البنود الأربعة وضمانه أحكامها.

ولأجل التمكن من العمل على ذلك بحرية، ويمعزل عن ضغط وتأثير خارجى، ولأجل السعى الناجح فى المراجع الإيجابية لتقرير أحكام البنود الأربعة المتقدم بيانها، والتي هى مطالب الأمة اللبنانية ومصصلحة لبنان الحقيقية المنزهة عن المآرب والأغراض الخصوصية،

وبالنظر لنيابة هذا المجلس عن الشعب اللبناني القانونية والمؤيدة مؤخرا أيضا باصوات أكثرية الشعب الكبرى قد قررت أكثرية المجلس موقعة هذه المضبطة الانتقال والتوجه بالذات لملاحقة ومتابعة تقرير مضمون البنود الآنف بياتها فى أعمال القضية، والمراجع الإيجابية وإبلاغ هذا القرار بكامله إلى المقامات الرسمية، والسعى بالطرق الممكنة.

فؤاد عبد الملك محمود جنبلاط سليمان كنعان خليل عقل سعد الله الحويك
محمد الحاج محسن إلياس شويرى

وتم الاتفاق على أن يسافر الأعضاء منفردين يوم السبت ١٠ يوليو إلى دمشق لئلا يلفتوا الأنظار. فقرر الفرنسيون القبض عليهم فوراً، وأرسلوا قوات رابطة عند نفق حمانا والمسالك الأخرى، وكانت السيارة المقلّة لسعد الله الحويك وابن أخيه إلياس أول ما وصل فلما شاهد الأول هذا الاستعداد قال لابن أخيه «لقد وقعنا» واستقبلهما ضابط فرنسى وقال لهما يجب أن تعودا إلى صوفر لتحصلا على تصريح بالسفر، وأرسل معهما جنديين فالتقيا فى عودتهما بسيارة أخرى فيها اثنان من زملائهما فلما بلغا صوفر أرسلوا منها إلى منزل حبيب باشا السعيد، وجاء الكولونيل نيجر والكومندان لايرو ومدير الأمن العام فحققوا معهم، وقبض أيضا فى اليوم نفسه على الأميرالاي سعيد البستاني والأمير أمين ارسلان وعارف النعمانى وإلياس عقل نجل خليل عقل، وسجنوا منفردين ثم نقلوا إلى السراى القديمة، وفى يوم ١٨ منه بدأت محاكمتهم أمام مجلس عسكري مؤلف من الضباط ديوى وكمنسو ولابير برئاسة الكولونيل بكروسون بتهمة الخيانة الوطنية العظمى، وفى يوم ١٩ منه حكموا عليهم الأحكام الآتية:

خليل عقل نفى عشر سنين مع إعادة ١٤٠٠ ليرة، ودفع ٢٠٠٠ غرامة، ومثله سليمان كنعان مع إبلاغ الغرامة إلى ٢٨٠٠، ونفى سعد الله الحويك ٨ سنوات وإعادة ١٤٠٠ وغرامة ٢٨٠٠ ليرة، ونفى فؤاد عبد الملك ١٠ سنوات وإعادة ٨٠٠ ليرة ودفع ١٦٠٠ ليرة غرامة، ونفى محمد محسن ٨ سنوات وترجيع ١٤٠٠ ليرة وغرامة ٢٨٠٠ ليرة ونفى محمود جنبلاط ٧ سنوات وإعادة ١٣٥٠ ليرة وغرامة ٢٧٠٠ ليرة، ونفى إلياس الشويرى ١٠ سنوات مع إعادة ١٥٠٠ ليرة وغرامة ثلاثة آلاف ليرة، ونفى سعيد البستاني عشر سنوات، ونفى الأمير أمين أرسلان ٦ سنوات ورشيد عقل ٨ سنوات وإلياس الحويك ٩ سنوات مع ترجيع ٣٠٠ ليرة وغرامة ٦٠٠ ليرة.

وأرسل المحكوم عليهم إلى إرود فظلوا فيها حتى أواخر شهر أغسطس سنة ١٩٢٠ ثم أعيدها إلى بيروت، ومنها نقلوا إلى جزيرة كورسيكا. فأقاموا فيها نحو ثمانية أشهر نقلوا بعدها إلى باريس، وظلوا في الاعتقال حتى أواخر سنة ١٩٢٣ فأطلق سراحهم فعدوا إلى أوطانهم.

إلغاء مجلس الإدارة

وأصدر الجنرال غورو يوم ١٢ يوليو سنة ١٩٢٠ وعلى أثر هذا الحادث قرارا بإلغاء مجلس الإدارة هذا نصه:

- ١ - ألغى مجلس إدارة لبنان لعدم استطاعته القيام بوظيفته.
- ٢ - تقوم مقامه لجنة إدارية مؤقتة يرثما يعين النظام الأساسى للبنان الكبير، ويمكن الشروع بالانتخابات النيابية.
- ٣ - يعين أعضاء اللجنة الإدارية فيما بعد.

وأرسل حبيب السعد والمطران مبارك وإميل إده وداود وعمون والدكتور أيوب ثابت برقيات إلى الجنرال غورو يستنكرون فيها أعمال أعضاء مجلس الإدارة - إنهم طلبوا الاستقلال - ويتبرأون منهم، ويضيفون إليهم لقب الخيانة - أى أنهم مثلوا نفس الأدوار التى كان جمال باشا يمثلها فى عهده زمن الحرب - فكان يحمل كبار القوم بالقوة - على إرسال برقيات يكتبها رجاله، وتستهل باستنكار حركات الأحرار وتصرفاتهم، وتختتم بشكره لمعاقبته الخونة وتخليصه البلاد من شرورهم، على أنه لا بد لنا من القول أن المطران مبارك غير رأيه حينما اطلع على المضبطة فى أثناء المحاكمة. وقال لو كنت أعرف أنهم يطلبون هذه المطالب لما أرسلت احتجاجى. وذهب الكومندان ترابو والشيخ يوسف الخازن إلى بكركى صباح الأحد ١١ يوليو - أى غداة القبض على الأعضاء - وما كان البطريرك يعرف شيئاً - لأن أخاه وابن أخيه كتما عنه الأمر، وانقطعا عن زيارته من ابتداء المفاوضات. وقال له إن «الجماعة» اتفقوا مع الملك فيصل، وباعوا البلاد وخانوها، وأن الجنرال غورو يطلب إليك أن تحتج على عملهم فاحتج مع المحتجين. على أنه ذكر الجنرال غورو بأمرهم حينما اجتمع به فى بيروت يوم أول سبتمبر سنة ١٩٢٠ فأجاباه أنه لم يأن

أوان البحث فى قضيتهم، فلم يعد إلى أثارها ثانية. وقد فترت العلاقات بينهما بعد هذا الحادث.

وتنشر هنا نص البلاغ الفرنسوى الذى أذيع فى بيروت يوم ١٢ يوليو عن هذا الحادث بنصه للمقابلة بينه وبين ما أوردها:

«علم من مدة طويلة أن حكومة دمشق تعمل فى المنطقة الفرنسوية على نشر دعوة يراد بها إحباط النفوذ الفرنسوى، ودفع الأهلىن بوسائل منكراة إلى الاحتجاج على الانتداب الفرنسوى، ولقد أحبط ولاة الأمور الفرنسويون ضربا من ضرب هذه المناورات. وتحرير الخير أن جماعة من وسطاء حكومة دمشق الشريفة رشوا ثمانية من أعضاء مجلس إدارة لبنان يـمبلغ اثنين وأربعين ألف جنيه، فحاول هؤلاء الأعضاء أن يبرحوا المنطقة الفرنسوية إلى دمشق ثم يسافروا من أحد موانئ المنطقة البريطانية إلى أوروبا، بناء على إيعاز من الأمير فيصل ليجاهروا فيها - خلافا لعواطف أهل لبنان التى أظهرها وأكدوها تكرارا - بان لبنان غير مستعدة لقبول الانتداب الفرنسوى ويشهروا بذلك.

«فهذا ما تفعله حكومة دمشق التى ما فتئت تظهر عداا ظاهرا منذ أشهر مع أن ولاة الأمور الفرنسويين يظهرن لها الملاينة والمسالة، ولم تخش حكومة دمشق من عواقب تسليم العصابات وإرسالها إلى المنطقة الغربية لمقاتلة جنودنا ولم تحجم عن أن تنشر فى صحف دمشق أقوالا يمجها الذوق عن الجنرال غورو، وأن تحرض الأهالى على رفض مساعدة فرنسا وأن تسيء معاملة مريديها، والذين تحت حمايتها كالأمير مختار عبد القادر. ولقد كان للحادث الجديد اليوم - حادث أولئك الأعضاء وقع عظيم فى بيروت ولبنان - حيث تظاهر الأهالى ضدهم، وهم يستعدون لإقامة مظاهرة كبيرة يوم ١٤ يوليو ضدهم».

وقد زاد هذا الحادث فى نعمة الفرنسويين على حكومة دمشق، لانه كاد يخرج موارنة لبنان من أيديهم، وهم عدتهم التى يعتمدون عليها فى نضالهم للاستيلاء على بلاد الشام بعد ما خذلهم المسلمون على اختلاف طوائفهم، وتخلى عنهم الروم الأرثوذكس والبروتستانت، ووقفوا صفا واحدا أمامهم يعلنون أنهم يرفضون انتدابهم ويأبون التعاون معهم، ولا ريب أن خروج هذه الهيئة عليهم، وهى الهيئة الرسمية الوحيدة التى تمثل لبنان، ومحاولتها السفر إلى دمشق وإعلانها باسم لبنان أنها تطلب الاستقلال التام، وينطوى هذا

ضمننا على رفض الانتداب الفرنسي قذ أقلقهم وجعلهم يعجلون فى ضرب حكومة دمشق، وفى العمل على التخلص منها ليأمنوا الطوارئ، ولكيلا يستهدفوا لحادث مثل هذا.

الإنذار الفرنسي الأخير إلى الحكومة السورية

ومذكرات الملك إلى الحلفاء

وبينما كان ولاية الأمور الفرنسيون يبرقون ويرعدون وصل اللواء نوري السعيد إلى بيروت يوم ١٠ منه مصحوبا بالكولونيل طولا الفرنسي (ضابط الارتباط الفرنسي فى معية الملك، وقد جاء معه من باريس حين عودته فى المرة الأولى) للاتصال بالجنرال غورو والبحث معه فى وضع خطط الرحلة التى يرحلها جلالة الملك إلى أوروبا تلبية لدعوة مؤتمر الصلح، وإتمام المباحثات السياسية. فأبى الجنرال الدخول فى التفاصيل، وسلم الأول إنذارا شفويا حمله إلى دمشق مساء ١١ منه يطلب فيه:

١ - قبول الانتداب الفرنسي بدون قيد ولا شرط.

٢ - إرجاع الجيش السورى إلى الحالة التى كان عليها فى شهر فبراير.

٣ - التعامل بورق النقد السورى.

٤ - احتلال محطات سكة حديد رفاق - حلب وبعليك وحمص وحماء احتلالا عسكريا واحتلال مدينة حلب نفسها.

وقال إنه لا يوافق على سفر الملك إلى أوروبا مالم تحل المسألة السورية حلا نهائيا، وأنه إذا سافر عن طريق غير بيروت فالحكومة الفرنسية لا تحادثه ولا تستقبله.

ولما تلقى جلالة الملك هذا الإنذار أبلغ فى اليوم نفسه (١١ يوليو) البرقية الاحتجاجية الآتية إلى الماركيز باترنودى مانكى قنصل إيطاليا العام فى دمشق بصفتة عميد القناصل، وممثل دولة كبيرة حليفة لإرسالها إلى مؤتمر الصلح العام وإلى جمعية الأمم، ولا يلاغها إلى قناصل الدول فى دمشق لإرسالها إلى حكوماتهم وهى^(١).

«بعد ما حشد الجنرال غورو جيوشه على الحدود الفاصلة بين المنطقتين الشرقية

١- هذه البرقية والبرقيات الأخرى التى تبودلت من ١٠ حتى ٢٧ يوليو هى من محفوظات الأستاذ توفيق اليازجى.

والغربية، وأنشأ قواعد حربية، طلب قبول مطالب فرضها على، وفيها انتهاك صريح لسيادتنا الوطنية، وقد اعترف حتى الآن بجزء منها بطريقة غير رسمية. وقال إنه سيضع العقبات في سبيل سفرى إلى باريس إذا لم تجب مطالبه وإن الحكومة الفرنسية ترفض أن تحادثنى فى القضية السورية إذا سلكت فى سفرى سبيلا غير المنطقة الغربية.

«وإنى ألفت إلى عمله هذا نظر دول الحلفاء وجمعية الأمم راجيا أن يتدخلوا ويحولوا دون سقوط الشعب السورى أمام القوة. فلا يكون فريسة للروح العسكرية، وقد كان القضاء عليها من جملة أغراض الحرب العظمى، وألجأ إلى عدالتهم ليحجبوا الدماء وليصونوا هذه البلاد التى ضحت ضحايا كثيرة فى سبيل قضية الحلفاء من خراب عام، وذلك بأن يؤلفوا لجنة تحكيم دولية تعرض عليها مطالب الجنرال غورو لدرسها وأتعهد وشعبى مقدما بقبول قراراتها والخضوع لها.

فيصل

وفى يوم ١٢ منه أرسل سكرتير جلالتة إلى قنصل إيطاليا العام البرقية الآتية لإبلاغها إلى قناصل الدول فى دمشق ليرسلوها إلى حكوماتهم وهى:

لى الشرف أن أطلعكم على ما يأتى:

١ - فى ليلة ١٢ الجارى جاءت القوات الفرنسية المرابطة فى جرابلس فعسكرت فى جسر الساجور.

وجاءت فصيلة فرنسوية مسلحة بالرشاشات إلى رياق فانضمت إلى بضعة الجنود الفرنسيين الذين نالوا حق الإقامة هنالك باتفاق خاص للمحافظة على مستودع السلطة فى المنطقة الغربية.

ووصل إلى رياق الكابتن هاك الحاكم العسكرى لرحله، فأبلغ سلطاتنا احتلال رياق من قبل الجنود الفرنسية.

٢ - لقد حدثت هذه الحوادث فجأة ومن دون موافقتنا. بل من دون اطلاعنا عليها قبل وقوعها. وهى لا تتفق مطلقا مع التأكيدات التى نلناها بالمحافظة على الحالة الحاضرة.

٣ - رغبة منى فى إنقاذ السلم وفى المحافظة على روابط الصداقة والود حتى النهاية لم اتخذ حتى هذه الساعة أى تدبير فى مقابل هذه الأعمال العدائية.
ويظهر لى بجلاء ووضوح أن الثقة التى وضعناها فى حلفائنا الفرنسيين ستنتهى باحتلال بلادنا كلها، ويت صلات الصداقة والتحالف بيننا وبينهم.
وفى الختام إنى أسف لإبلاغكم بأننى أعتبر الحركة الجديدة للجيش الفرنسي فى داخل منطقتنا عملا عدائيا تقع تبعته كاملة على عاتق مسيبيه.

فيصل

مذكرة إلى الحلفاء

وفى اليوم نفسه أرسل جلالة الملك المذكرة الآتية إلى دول الحلفاء بواسطة الحكومة الايطالية، وعلى يد قنصلها العام فى دمشق وهى:

يا صاحب السعادة

بصفتى رئيسا للشعب السوري حليف بلادكم، والذى جاهد فى سبيل القضية المشتركة أوجه نظركم إلى الحالة الحرجة التى نشأت فى سورية. حيث السلام محفوف بأشد الأخطار.

وإنى أخاطبكم بصفتكم ممثل إحدى دول الحلفاء الكبرى التى اشتركت فى مؤتمر الصلح الذى أخذ على عاتقه مهمة توطيد السلام فى العالم كله، والتى اعترفت فى مؤتمر سان ريمو باستقلال بلادى، ودعتنى إلى القدوم لمحادثتى بصفتى رئيس هذا البلد المستقل. فأقول لكم بصراحة وجلاء إننى بينما كنت أعد المعدات إلى السفر تلبية للدعوة التى وردت إلى تلقيت أنباء مزعجة عن حركة الجيوش الفرنسية بقيادة الجنرال غورو فاثارت شكوكى من جهة نياته السلمية - رغم تصريحاته المتكررة لى بأنه يشعر شعورا وديا نحونا - بيد أن حركاته فى الأيام الأخيرة، وحشده الجيوش على طول خط الحدود، وسلوك سلطات الاحتلال أثبتت لى بجلاء أن أفعاله لا تتفق وأقواله.

هذا من جهة. أما من الجهة الأخرى فإننى أبلغت بصفة شبه رسمية انه يعلق سفرى

إلى باريس على إجابة مطالبه. ويقول إن الحكومة الفرنسية لا تحادثني في القضية السورية إذا لم تجب مطالبه وهي:

- ١ - احتلال الجنود الفرنسية لمحطات سكة حديد رياق - حلب.
- ٢ - الاعتراف بالانتداب الفرنسي لسورية بدون قيد ولا شرط.
- ٣ - قبول التعامل بورق النقد الذي أصدره البنك السوري في المنطقة الشرقية.
- ٤ - إلغاء الخدمة العسكرية الإلزامية في المنطقة الشرقية (مع علمه بأن هذه الخدمة لم تقرر إلا لتوطيد الأمن والنظام).

ولقد اقترحت عليه تأليف لجنة دولية مختلطة تعرض عليها هذه المطالب القاسية التي لا تتفق مع المبادئ التي أعلنها الحلفاء، وتفصل في كل خلاف يقع بيننا، وذلك طبقاً لأحكام اتفاقات ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ المعقودة بين الحكومة الفرنسية وبينى فأجاب على هذا الاقتراح بتعزيز قواه على الحدود، وباحتلال رياق - كما أن القوات الفرنسية في جرابلس احتلت جسر الساجور في طريق حلب. مما يستخلص منه أنه بدأ ينفذ عملياً المطالب التي نكرتها آنفاً قبل أن يطلعني عليها رسمياً.

فرغبة في اجتناب كل عمل عدائي، وفي عدم إراقة دماء في هذه البلاد المسالمة، الحريصة على أن تعيش السلام وراحة، والواثقة من عدالة قضيتها التي أدافع عنها من نزاهة حلفائها والمجلس الأعلى لي الشرف أن أطلع سعادتكم على الحالة أن تستعملوا نفوذكم لوقاية هذه البلاد من حرب لا تولد سوى الخراب والدمار.

فصل

وأبرق في اليوم نفسه إلى الجنرال غورو البرقية الآتية:
إن احتلال رياق مخالف للاتفاقات المعقودة، فاحتج بشدة على هذا العمل غير الودي وأطلب سحب القوة الفرنسية طبقاً لهذه الاتفاقات.

«ولقد أبلغت أن جيوشكم جلت عن جرابلس، وجاءت فعسكرت في جسر الساجور، ولما كنت أجهل سبب هذه الحركة فأننى أطلب ايضاحاً عنها.

فصل

وأرسل إليه يوم ١٢ منه البرقية الآتية:

نقل إلى أمير اللواء نوري ما دار بينكم وبينه من حديث بشأن الخطاب الذي ستوجهونه إلى بواسطة الكولونيل كوس، ولم يصلني حتى الآن.

«إن احتلال سكة حديد رياق - حلب - أعنى المنطقة الشرقية مخالف على خط مستقيم لمذكرة ١٥ سبتمبر الخاصة بجلاء الجيش البريطاني عن البقاع، وللاتفاقات التي عقدت بعد ذلك بين المسيو كلمنصو وبينى مدة إقامتى فى باريس.

فاذا كنتم لا تتقيدون بما جاء فى هذه المذكرة وفى هذه الاتفاقات، فأنا مستعد للعمل فى الدائرة التى يرسمانها.

ورغبة فى اجتناب كل سوء تفاهم فى هذا الموضوع أقبل أن أمنحكم الضمانات اللازمة لسلامة نقلياتكم على سكة حديد رياق - حلب.

فيصل

وفى يوم ١٢ منه كتب الكولونيل كوس إلى جلالة الملك بأن الجنرال غورو كلفه أن يبلغ سموه الملكى أنه بسبب احتلال قوة من الجنود السورية لمجدل عنجر اضطر لاحتلال المعلقة ورياق الواقعتين فى البقاع أيضا. فأرسل جلالته يوم ١٣ منه إلى الجنرال غورو بواسطة الكولونيل كوس قائلا:

لقد اتخذت مجدل عنجر الواقعة بين مدخل وادى الحرير وبين صحراء الديماس ودمشق من جهة، وبين البقاع من جهة أخرى، وبحكم وضعها الجغرافى، مركزا من مراكز اجتماع الجيوش للمحافظة على الأمن فى هذه المقاطعة كلها منذ احتلال الحلفاء، وهى فى الوقت نفسه الممر الطبيعى للقبائل فى غدوها ورواحها بين الشرق والغرب، الأمر الذى يبعث السلطات السورية على التمسك بها والمحافظة عليها.

ولقد عززت القوات المرابطة فيها على أثر الأخبار المزعجة الواردة فى الأيام الأخيرة عن حشد الجيوش على حدود منطقة الاحتلال الفرنسى، ولذلك لا يمكن اعتبار ما جرى سوى تدبير دفاعى رأت الحكومة السورية أن الواجب يقضى عليها باتخاذها من باب الاحتياط فقط.

فاجتتابا لكل سوء تفاهم، ولما كنتم تسوغون احتلال المعلقة ورياق بوصول القوة التي وصلت إلى مجدل عنجر أبلغكم أنني مستعد لتخفيض قواتنا فيها وإعادتها إلى ما كانت عليه من قبل، إذا كنتم تدلون على شعوركم الودى بالجلاء عن رياق والمعلقة المحتلة بجيوشكم.

كيف تم احتلال المعلقة ورياق

فى الساعة السابعة من صباح ١٢ يوليو دخلت قوة عسكرية فرنسية المعلقة ورياق فاحتلتها احتلالا عسكريا، بدون انذار ولم تتعرض للسلطة المدنية، وفى يوم ١٤ منه أذاع الفرنسيون البلاغ الآتى فى بيروت تسويغا لعملهم.

«خالفت الحكومة الشريفة الاتفاق المعقود فى باريس بين المسيو كلمنصو يوم كان رئيسا للوزارة والأمير. إذ كان تقرر أن لا يحتل البقاع جنود فرنسيون ولا شريفين، وأن يكتفى بقوة البوليس اللازمة لتوطيد الأمن وبالرغم عن ذلك احتلت فصيلة شريفية مجدل عنجر. فعلى أثر هذا الاحتلال الذى لا يسوغه مسوغ معقول صدر الأمر إلى الجند الفرنسيى باحتلال رياق والمعلقة.

وفى يوم ١٢ يوليو أرسل الكولونيل كوس إلى جلالة الملك الكتاب الآتى:

« طلبتم منى بتاريخ ١٠ يوليو معلومات عن ماهية الحركات العسكرية التى اقتضت وصول ٧ قطارات مشحونة بالجنود الفرنسية إلى المسلمية. فلى الشرف أن أبلغكم كما بسطت ذلك لمرافقكم من قبل، ان الجنرال غورو أعلمنى أن ما جرى كان عبارة عن إبدال جنود المخافر الأمامية الواقعة أمام جرابلس بجنود غيرها».

وأرسل سكرتير الملك يوم ١٤ منه البرقية الآتية إلى رستم حيدر مندوب العرب فى مؤتمر الصلح بواسطة السفارة الإيطالية فى باريس:

١ - احتل الجيش الفرنسيى رياق من دون إخبار ولا إبلاغ سابق. ولما كانت النية متجهة إلى اتقاء الحرب فلم نقاوم أقل مقاومة. وبالطبع فقد يضطر الجيش السورى فى المستقبل إلى مقاومة كل حركة عسكرية جديدة. لانه من غير الممكن استمرار هذه الحالة.

«تتجمع الجيوش الفرنسية فى صوفر والمريجات وفى ضواحي حلب.

- ٢ - صرح الجنرال غورو أنه وضع شروطاً يريد أن يملئها علينا. وقد بدأ بتنفيذها من دون أن يبلغنا إياها رسمياً، ومع أننا طلبناها منه فلم يرسلها إلينا رسمياً حتى الآن.
- ٣ - تقابل ميولنا ونياتنا السلمية بأعمال عسكرية من الجهة الأخرى.
- ٤ - يعارض الجنرال غورو في سفر الملك إلى أوروبا.
- ٥ - لما كان الجنرال غورو في وقوفه هذا الموقف العدائي يخالف قرارات مؤتمر السلام وسان ريمو فيجب أن يعد مسؤولاً عن كل ما قد يقع في سورية.

نص الإنذار الفرنسي

وفى مساء ١٤ يوليو وصل إلى دمشق الكومندان ماندر يحمل كتاباً خاصاً إلى جلالة الملك مع نص الإنذار فسلمه إياهما. وهذا نص الكتاب:

«ياذا السمو

«أتشرف بأن أرسل مذكرتي المؤرخة ١٤ يوليو، أقدمها إلى سموكم الملكى وأناشد أخلاقكم السامية ووطنيتكم الصحيحة وشعوركم الودى نحو فرنسا أن تقبلوها.

«لقد برهنت فرنسا من جهتها على إخلاصها لسورية بقبولها القيام بمهمة إرشاد الدولة الجديدة وقيادتها بنزاهة. ولذلك أريد أن أظن أن سموكم الملكى سيصغى إلى صوت الحكمة فى معالجة هذه القضية الخطيرة. فلا يتضامن مع حكومة لا تمثل سوى الأحزاب المتطرفة من الشعب.

«ولا أفكر أننى قادر على أن أعول فى تنفيذ الضمانات التى تشرفت بطلبها على سموكم الملكى إذا تولت ذلك الحكومة. فبقاؤها فى مناصبها ينطوى على معنى العداء لفرنسا، وقد بذلت جهدها لجر بلادكم إلى الحرب والقائها فى أتون بلاياها، ولن يعصمها سوى تصرف سموكم الملكى وحده».

وهذا نص الانذار:

«سادت السكينة سورية إبان الاحتلال الإنكليزى، ولم يتعكر صفو الأمن ويبداً الاضطراب فيها إلا لما حلت جنودنا محل الجنود البريطانية، وقد أخذت هذه

الاضطرابات تزداد من ذلك الحين.

ولقد أثرت هذه الاضطرابات فى رقى سورية ونظامها السياسى والإدارى والاقتصادى أكثر من تأثيرها فى سلامة جنودنا وفى الاحتلال الفرنسى فى المنطقة الغربية. فحكومة دمشق تحمل كل التبعة أزاء سكان سورية الذين عهد مؤتمر الصلح إلى فرنسا بأن تمتعهم بحسنات إدارة مؤسسة على الاستقلال والنظام والتساهل والثروة، وإن أمانى الولاء والتعاون التى أظهرتها فرنسا لسموكم بتأييدها حقوق السكان الذين يتكلمون العربية على اختلاف مذاهبهم ويقطنون القطر السورى بحكم أنفسهم بأنفسهم كأمم مستقلة قد أجاب عليها سموكم معترفا بأن لسكان سورية مصلحة كبيرة فى طلب المشورة والمساعدة من دولة كبيرة لتحقيق وحدتهم وتنظيم شؤون الأمة. نظرا للتضعف الذى أصاب البلاد من الإرهاق التركى والأضرار التى نتجت عن الحرب، وتلك المشورة والمساعدة ستسجلها عصابة الأمم عندما تتحقق بالفعل. وقد دعا سموكم الملكى فرنسا إلى القيام بهذه المهمة باسم الأمة السورية.

ولما كنتم تفاوضون الحكومة الفرنسية فى شهر يناير الماضى وكانت العصابات الخارجة من دمشق تجتاح المنطقة لغربية أرسل إلى مسيو كلمنصو البرقية الآتية:

«عندما بلغنى خبر هجوم البدو فى جنوب سورية وشمالها قلت للأمير فيصل إننى اتفقت معه موقتا على بعض المبادئ، وإننى أحافظ أتم المحافظة على كلامى، ولكن يجب أن يقابل خطتى هذه بمثل ما فيه من الإخلاص، وأن يجعل سلطته محترمة على أنصاره، فإذا لم ينفذ هذان الشرطان تنفيذا دقيقا، فالحكومة الفرنسية تستأنف العمل بحرية وتستعمل القوة لتأييد النظام، واحترام الحقوق التى لها من المؤتمر»

والبيان الآتى يوضح جليا كيف أن حكومة دمشق لم تنقطع عن انتهاج خطة معادية ومخالفة تمام المخالفة لسياسة التعاون التى رمى إليها رئيس الوزراء وتعهدتم بتطبيقها.

١- عداة جلى على قواتنا.

إن اصرار حكومة دمشق على رفض السماح للسلطة الفرنسية باستعمال سكة رياق - حلب الحديدية هو عمل عدائى بحت. فالحكومة لا تجهل أن تلك السكة لا بد منها لإعاشة احدى فرقنا الفرنسية فى الشمال، وتمكينها من القتال. وهذه الفرقة تقااتل قوات معادية تابعة لتركيا التى انتزع الحلفاء الظافرون سورية من ريققتها، ودفاعا عن حدود حكومة

سورية الجديدة التي يجب أن تربطنا بها روابط المصلحة وعرقان الجميل.
إن حكومة دمشق هي التي وضعت مبدأ تنظيم العصابات واستخدامها ضد جنودنا المحتلة. وهذا المبدأ أعلنه قائد الفرقة الثالثة في حلب صراحة يوم ١٣ إبريل بالقول الآتي:
«لما كنا لا نستطيع أن نعلن الحرب رسمياً على الفرنسيين يجب علينا أن نملأ البلاد بالعصابات التي تجهز عليهم تدريجاً، وسيقود ضباطنا هذه العصابات، فإذا استشهد أحدهم تعين الحكومة عائلته»

واليك الأدلة الآتية على دقة تنفيذ هذه الخطة:

في ١٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ هوجم موقعنا في تل كلخ بتحريض السلطة الشريفة في حمص، وفي أواخر ذلك الشهر ذبح بدو محمود الفاعور الذي قُلتم لى يا صاحب السو الملكي إنه صديقكم الشخصى - مسيحي مرجعيون وهجم على جنودنا في ٤ يناير رافعا العلم الشريفي.

وفي ٥ منه سنة ١٩٢٠ تحقق وجود الجنود الشريفة بين الذين هاجموا جنودنا تحت قيادة ثريا بك (بركات) في فريق خان ثم في الحمام.

وفي يونيو ثبت وجود أميرالاي ويوزباشى وستة ملازمين و٣١٧ رجلاً من الجيش الشريفي بين العصابات التي كانت تعمل في ساحة مرجعيون، وثبت استعمال معدات مأخوذة من الجيش نفسه، وهي أربعة رشاشات ثقيلة، وثلاثة خفيفة، وخمسون صندوق نخيرة، وظهر أيضاً اشتراك محرصى المنطقة الشرقية في الاضطرابات التي امتازت بمذايح (عين ابل) وفتنة الشيعة في شهر يونيو.

ثم إن منظمي العصابات محترمون كل الاحترام في دمشق. لاسيما صبحى بركات الذي لا يجهل أحد إيساعته إلينا.

وعندما لم تكن العصابات ترسل من المنطقة الشرقية كانت الفتنة تثار في المنطقة الفرنسية نفسها.

وبهذه الأعمال وقعت اعتداءات عديدة على المسيحيين لاسيما في جسر الفرعون في ٢٩ ديسمبر حيث تقع التبعة على الضابطين الشريفيين وأحد بك وتحسين بك.

وقد سوعد الشيخ صالح بطل الفوضى والبغضاء لنا مساعدة مؤثرة مستمرة في جبال النصيرية.

ومن الممكن تعداد كثير من هذه الأمثلة وقد عرضناها على سموكم الملكى فى حينها.

٢ - سياسة حكومة دمشق العدائية

رأى سموكم الملكى إدخال أشخاص مشهورين بعدائهم لفرنسا فى حكومة دمشق، وكان تأثير المحيط شديدا عليكم، حتى أنكم لم تتمكنوا من السفر فى الوقت المناسب تلبية لدعوة مؤتمر الصلح، وقد تألفت الوزارة من أناس من تلك الفئة التى لا تقتصر خطتها على إهانة فرنسا ورفض مساعدتها. بل تتناول المجلس الأعلى الذى منح فرنسا الانتداب لسورية. إن رفض انتداب فرنسا رفضا باتا فى ١٨ مايو الماضى هو خطة عمياء قد تجر نتائجها المصائب على سورية.

٣ - التدابير الإدارية ضد فرنسا

إن التمتع الاقتصادى الظاهر فى رفض ورق النقد السورى الجديد الذى أصدره البنك السورى لحساب فرنسا، ومنع جميع المعاملات التجارية والمالية مع فرع بنك سورية فى المنطقة الشرقية هو دليل جديد على عداة مضر بمصلحة البلاد أيضا. وكذلك منع نقل الحبوب إلى المنطقة الفرنسية مبتدئا من حماه فدمشق فحلب. ثم إن السلطة الشريفة اجتازت حدود المنطقة الشرقية، وتقدمت تدريجا داخل المنطقة لتظهر أنها توسعت توسعا يقصد به إخراجنا. ففى شهر مارس وضع مخفر شريفى فى (الخالصة) ثم رفع العلم الشريفى على (القدموس) بعد ذلك بقليل، وفى إبريل جعلت حكومة حلب (القصير) قضاء شريفيا، ثم نصب قائمقام شريفى فى جسر الشغور.

٤ - أعمال عدائية موجهة رأسا إلى فرنسا

إن من كان صديقا لفرنسا أو مواليا لها فى المنطقة الشرقية يكون مشتبهها به من

السلطة ويعامل معاملة سيئة في أغلب الأحيان. ومن الأدلة الظاهرة على ذلك أن فارس غنطوس ونسب غبريل اللذين ضمننت حكومة دمشق رسميا رجوعهما إلى راشيا أسيئت معاملتهما، ووضعاً في السجن بعد رجوعهما.

وفي ٢٢ يناير هوجم وفد من دروز حوران جاء للسلام علينا أثناء عودته في وادي القرن وقتل عدد من رجاله.

ولدينا أمثلة عديدة على ذلك، ولاسيما في حلب. أما من كان عدو لنا فإنه يحترم في المنطقة الشرقية، ويحمى من كل شيء، ويحل على الرحب والسعة، فقد احتفل بالناداشة احتفالاً كبيراً في دمشق بعد حوادث تل كلخ، ولم يمس بسوء في دمشق أمين محيو الذي نسف مستودع العتاد الحربى في بيروت. ثم إن سموكم الملكى سعى مؤخراً لرجوع كامل بك الأسعد التائر المشهور إلى المنطقة الغربية، وهو قد نفى بسبب فتن البلاد الشيعة وعليه قسم عظيم من تبعتها.

وعدد سكان المنطقة الشرقية الذين أكسبهم عداؤهم لنا عطف الحكومة عظيم جداً. إن بث الدعوة ضد فرنسا في المنطقة الغربية قد ألبسته حكومة دمشق أشكالا خبيثة أرادت السلطة الفرنسية أن تغمض عينها عنها، لأنها قررت اتباع سياسة التساهل إلى النهاية.

وأخر هذه الأعمال وأظهرها شراء القسم الأعظم من أعضاء مجلس الإدارة بائنين وأربعين ألف جنيه مصرى.

وقد أقلت مخافنا القبض على هؤلاء الأعضاء فى ١٠ يوليو بينما كانوا ذاهبين إلى دمشق لبيع بلادهم، منكرين الأمانى التى أعرب عنها مواطنوهم بالإجماع تقريبا منذ عهد بعيد.

إن صحافة دمشق التى تفرط الحكومة فى شد أزرها تواصل دائما حملاتها على كل ما هو فرنسى، وتقبح السلطة المحتلة فى المنطقة الغربية، وترد كل مساعدة تعرضها فرنسا على سورية وتهيننى أقبح إهانة.

٥ - الاعتداد على الحقوق الدولية

بمقتضى هذه الحقوق يجب على قائد جيش الحجاز المحتل قطرا سوريا لابد أن يظل عثمانيا إلى أن يقتضى تنفيذ المعاهدة بتغييره أن لا يعمل بغير هذه الصفة، وأن يحافظ

على الحالة الراهنة وهو حارسها، ولكنه تصرف عكس ذلك متخذاً صفة السيادة العليا، وقد تقرر التجنيد الإجبارى ونفذ منذ ديسمبر سنة ١٩١٩ مع أن البلاد لاتزال بلاداً أجنبية، وهذا العبء الثقيل الذى لا يجدى نفعا قد أكره عليه الشعب حتى فى المناطق التى لها شكل خاص كالبقاع، ونفذ فى أناس مستثنين منه كاللبنانيين والمغاربية المقيمين فى المنطقة الشرقية، ولاقى هذا التجنيد الباطل مقاومة نزيهة أدت فى بعض الأحيان إلى إراقة الدماء. ثم إن المجلس الملقب بالمؤتمر السورى الذى تألف واجتمع بصورة غير قانونية يسن القوانين بل يحكم باسم حكومة ودولة لم يعترف بوجودها. فضلا عن ذلك فقد قدم للقب الملكى لسموكم الملكى بدون حق ولا وكالة مما وضعكم كما عبرتم عن ذلك فى موقف التمرد على مؤتمر الصلح.

ولم تحترم الامتيازات الأجنبية فإن أحد رعايانا الأمير مختار الذى يمثل أسرة كبيرة اشتهرت منذ القدم باتصالها بفرنسا قد أوقف إيقافاً معيباً فى حلب. وليست الاتفاقات السياسية محترمة أيضاً. فإن لواء من الجيش الشريفى أرسل إلى (مجدل عنجر) رغم الاتفاق الذى تم فى ديسمبر الماضى مع المسيو كلمنصو والذى يقضى أن لا تحل فى البقاع قوة شريفية أو فرنسوية.

٦- الأضرار التى أصابت فرنسا وسورية من ذلك

لم تستطع السلطة الفرنسية حتى الآن أن تنظم البلاد التنظيم الذى نتظره منها. لأنها اضطرت إلى صرف قواها وجهودها لقمع الفتن المتوالية، ومواصلة المفاوضات السياسية الجديدة العقيمة مع حكومة دمشق. فهى والحالة هذه غير مسؤولة عن هذا التأخير، بل تتحمل العبء العسكرى والمالى الذى تقضى به الحالة التى أوجدها حكومة دمشق، ولا يمكن أن تؤثر على التكاليف فى الميزانية السورية. سواء بفقد الدخل الذى ينشأ عن استمرار الفوضى أو بالاشتراك فى نفقات السيادة التى تلحق بها فى المستقبل. ولقد بلغت حالة الفوضى التى أوجدها مثيرو الفتن فى البلاد حداً دعا إلى استجلاب قوات كبيرة أعظم عدداً مما يدعو إليه استبدال جنود إنكليزية إبان السكينة. وإن هذه الأسباب تدل دلالة كافية على أنه لا يمكن بعد الآن أن نعتمد على حكومة جاهرت فرنسا بالعداء كل المجاهرة، وأخطأت نحو بلادها خطأ عظيماً بظهورها عاجزة عن تنظيمها وإدارتها.

لذلك ترى فرنسا أنها مضطرة لأخذ الضمانات التي تكفل سلامة جنودها وسلامة السكان، التي نالت من مؤتمر السلم مهمة الوكالة عليهم. فأتشرف بأن أبلغ سموكم الملكي أن هذه الضمانات هي كما يأتي:

١ - التصرف بسكة رياق - حلب الحديدية لإجراء النقلات التي تأمر بها السلطة الفرنسية، ويؤمن هذا التصرف بأن يراقب مفوضون عسكريون فرنسيون جميع ما ينقل في محطات رياق ويعلبك وحمص وحماء وحلب تعضدهم قوة مسلحة مخصصة للمحافظة على المحطة، واحتلال مدينة حلب التي هي نقطة مواصلات هامة لا يسعنا أن نتركها تسقط في يد الترك.

٢ - قبول الانتداب الفرنسي

إن هذا الانتداب يحترم استقلال أهالي سورية، ولا يناقض مبدأ الحكم بسلطة سورية تستمد قوتها من ادارة الشعب، ولا يتضمن سوى معاونة بشكل مساعدة وتعاون من الدولة المنتدبة. دون أن يتخذ مطلقا شكل استعمار أو إلحاق أو إدارة تنفذ رأسا.

٣ - قبول الورق السوري

تصبح هذه العملة عملة وطنية في المنطقة الشرقية فتلغى جميع الأحكام المتعلقة بالبنك السوري في المنطقة الشرقية.

٤ - تأديب المجرمين

الذين كانوا أشد عداء لفرنسا. وهذه الشروط تقدم جملة، ويجب قبولها جملة أيضا بلا أدنى فرق خلال أربعة أيام تبتدىء من نصف ليل ١٥ يوليو (أى ١٤ منه الساعة ١٢ ليلا) وتنتهى فى ١٧ منه الساعة ٢٤ (أى الساعة ١٢ ليلا).

فإذا جاعى علم من سموكم قبل هذا الموعد بقبول هذه الشروط فيجب أن تكون قد صدرت أوامركم فى الوقت نفسه إلى المراجع اللازمة لكى لا تعارض جنودى الزاحفة لاحتلال المواقع المعينة، ثم ان قبول الشرط الثانى والثالث والرابع يجب أن يؤيد رسميا قبل ١٨ منه. أما تنفيذها بالتام فيكون قبل ٣١ منه الساعة ٢٤ (نصف الليل).

وإذا كان سموكم الملكى لا يشعرنى فى الوقت اللازم بقبول هذه الشروط أتشرف بأن أبلغه أن الحكومة الفرنسية تكون مطلقة اليد فى العمل. وفى هذه الحالة لا أستطيع أن أوكد أن الحكومة الفرنسية تكتفى بهذه الضمانات المعتدلة.

ولا تقع على فرنسا تبعة المصائب التي تحل بالبلاد، فهى قد برهنت على تساهلها من

زمن طويل، وفي الآونة الأخيرة فحكومة دمشق هي التي تتحمل جميع أعباء مسؤولية فصل الخطاب الذي لا أنظر إليه إلا أسفاً، ولكنى مستعد له بمتانة لا تتزعزع.

تدابير الوزارة

فوجئت الوزارة بإنذار الجنرال غورو مفاجأة لم تكن تتوقعها، فانقسمت حياله، ففريق من أعضائها قال بقبوله والنزول على أحكامه وفريق قال بالتريث والانتظار. وظهرت على أثر وصول الانذار فكرة تدعو إلى إقالة الوزارة والتخلص منها، وتأليف وزارة قوية برئاسة الهاشمي تقود الأمة في هذه الأزمة، وتواصل الكفاح والنضال فأيد أقطاب حزب التقدم في المؤتمر السوري - وهو الحزب الذي كانت تعول الوزارة على تأييده في بقائها - الفكرة، ولما كوشف الأناسي بها ودعى إلى الاستقالة قال: يجب الاتفاق على انتخاب من يخلفني قبل استقالتي، ولا أتأخر عنها متى تألفت الوزارة الجديدة. وحال دون تبديل الحكومة في تلك الآونة عدم موافقة جلالة الملك عليه. فقد كان يحاول أن يجمع السلطة في يده ويتفرد بالعمل في خلال هذه المرحلة الدقيقة. بعيداً عن تطاحن الأحزاب واختلافاتها.

ولما أدركت الوزارة أنها في مركز ثابت وأنها باقية في الدست لثقة جلالة الملك بها اتخذت سلسلة تدابير نوجزها في ما يلي:

١- إعلان الإدارة العرفية

وكان أول تدابيرها وأجلها إعلانها الإدارة العرفية يوم ١٣ منه، وهذا نص البلاغ الرسمي الصادر بذلك:

«بناء على خطورة الموقف ولزوم اشتغال الأمة بأمر دفاعها فقط قررت الحكومة العسكرية مؤيدة بقرار الوزارة تأييد الإدارة العرفية التي لم تلغ حتى الآن وتطبيقها بحذافيرها ولحصول الاطلاع عليها أدرجنا المواد الآتية:

١ - تؤيد الإدارة العرفية في جميع أنحاء المنطقة الشرقية.
٢ - إن أحكام القوانين والأنظمة الأساسية والملكية المخالفة لهذا القرار تعد معطلة مادامت الإدارة العرفية قائمة.

٣ - يحاكم أمام القضاء العرفي الذين يرتكبون الجرائم الآتية:

- أ - كل من يعيبث بالأمن العام داخلا أو خارجا من مرتكبى جريمة الجنحة أو الجناية. سواء كان فاعلا بنفسه أو ذا مدخل - مهما كانت صفته ومكانته.
- ب - كل من يعتدى على موظفى الحكومة أثناء قيامهم بوظائفهم الرسمية - بشرط أن يكون عمله ذا صلة بالأحوال المتعلقة بالإدارة العرفية.
- ج - كل من له صلة بالجمعيات السرية، ولو كانت مؤسسة قبل إعلان الإدارة العرفية.
- د - كل من يتهم بجنحة أو جناية تمس إحدى القضايا المنظورة أمام القضاء العرفى.
- هـ - كل من يتهم بإفشاء أسرار الحكومة العسكرية إبان إعلان النفير العام، وما يتعلق بالجاسوسية والخيانة العسكرية.
- و - الذين تتصل جرائمهم بجمع الوسائط النقلية وسوق الجند وحشدهم. والموظفون المكلفون بطرح التكاليف الحربية إذا تلاعبوا أو أساءوا استعمال وظيفتهم، والذين يسهلون الفرار للجنود، ويساعدونهم على عدم تلبية أوامر الجندية ويحبذون لهم ذلك.
- ز - كل من يتهم بجريمة تختص بالاعتداء على زوجات الضباط والأمراء العسكريين ومن ينتمى إلى الجندية من الملكيين والأهالى، وكل ذى رحم يتصل بهؤلاء.
- ٤ - للإدارة العرفية الحق أولا: بأن تفتش المساكن التى ترى لزوم تفتيشها، وثانيا أن تطرد إلى خارج البلاد كل من تقبض عليه الحكومة من أصحاب السوابق، والذين لامسكن لهم ولا مأوى فى منطقة الإدارة العرفية. وثالثا بأن تأخذ سلاح الأهلين وعتادهم الحربى وتصادره. ورابعا أن تعطل الصحف فورا إذا سعت لإفساد الرأى العام، وبأن تمنع الاجتماعات.
- ٥ - قضايا الجرح والجنايات العادية تنتظر كما فى السابق أمام المحاكم النظامية.
- ٦ - بما أن القضاء العرفى مكلف بوظائف المحاكم النظامية الجزائية التى ناب منابها. فلا يحق له التدخل فى القضايا التى نظرتها قبل إعلان الإدارة العرفية.
- ٧ - يحاكم أمام القضاء العرفى من تبين أن له مدخلا فى الأحوال التى استلزمت إعلان الإدارة العرفية، وان لم يكن من أبناء المنطقة الشرقية.
- ٨ - يطبق القضاء العرفى أحكامه على قانون الجزاء العسكرى إذا لم يجد ما يطابق الجرم فى قانون الجزاء المدنى.
- ٩ - يحاكم المتهمون بالأحوال التى استلزمت إعلان الإدارة العرفية أمام محاكمها مهما

على رتبهم من دون استحصال مرسوم ملكي.

١٠- ترى محاكم القضاء العرفي المؤسسة حديثا في المنطقة الشرقية قضايا الأركان والأمرء والضباط وإن كانت دون رتبهم.

١١- أحكام القضاء العرفي مبرمة.

٢- الوزارة أمام المؤتمر

ودعا المؤتمر الوزارة لسماع أقوالها، والاطلاع على خطتها، فجاء صباح الثلاثاء ١٣ منه رئيسها ووزيرا الخارجية والحربية، وألقى الأخير البيان الآتي:
أيها السادة:

نرى من الواجب أن نبسط على مسامعكم خلاصة ما يقع في هذه الدقيقة الحرجة نعرفون خطة الوزارة، وتذكرون أننا قلنا في بيانها الذي نال استحسانكم إننا سنحافظ على صلات الصداقة مع جميع الحلفاء، ولا سيما مع فرنسا وإنجلترا، وتعلمون أيضا أننا حافظنا على هذه الخطة ساعين لتحقيقها وتحقيق آمال الأمة التي أعلنتها للعالم على لسانكم أنتم ممثلوها في هذا المؤتمر الموقر.

بدأت المفاوضات وسارت في طريق حسن وتلقينا ما تعلمونه من قرار مؤتمر سان ريمو المعترف بسورية دولة مستقلة ومن التبليغات غير الرسمية من حليفتنا بريطانيا التي تشير إلى الاعتراف بجلالة ملكتنا ملكا على سورية - علاوة على تأييد الاستقلال المذكور.

وعزمنا في المدة الأخيرة على إرسال وفد إلى أوروبا لاتمام المفاوضات وحل المسألة السورية حلا نهائيا يحقق آمال الأمة وسعادتها، ولنبرهن للعالم والدول كلها أننا لا نعادي أحدا ولا نقاوم قرارات مؤتمر السلم ما دامت ضامنة لاستقلالنا وشرفنا. وقد عزم جلالة الملك على السفر بالذات حبا بإنهاء المفاوضات. وكنا واثقين بأننا سننتلقى البشائر بتحقيق آمالنا وفيما نحن سائرون في تنفيذ هذه الخطة العملية نرجو الخير من سفر وفدنا برئاسة جلالتهم حصل ما حصل وحدثت هذه الحوادث المؤسفة التي أبينها لكم.

«لقد أراد الجنرال غورو اعتمادا على قواه العسكرية أن يعرقل أو يمنع سفر جلالة الملك إلى أوروبا لأسباب لا نعلمها. وقد سلم موفدنا بعض الشروط التي قال إنه يطلبها منا ولم نطلع بعد على نصها الرسمي، ولا يمكننا أن ننظر إليها بصفة رسمية ما لم نتلقاها مكتوبة من يد رسمية.

«وليس هذه الشروط مخالفة لمطالب الأمة فقط. بل إنها تخالف روح المقررات التي اتخذت في مؤتمر سان ريمو، وتعبث بها، وقد وقعت عليها فرنسا لأنها تخل بأساس الاستقلال والسيادة التي اعترفت بها الدول لسورية في ذاك المؤتمر. ولقد حشد الجنرال جيوشه على حدود المنطقة الشرقية شمالا وغربا، وربما كانت غايته حملتنا على قبول شروطه ونكر القول بأننا لم نبلغها رسميا حتى هذه الساعة، وفوق هذا فقد أرسل جنوداً لتعزيز القوة الفرنسية في رياق وصرح حاكم زحلة الفرنسي العسكري لقائد المحطة العربي أنه احتل رياق، احتلالا عسكريا، وأعاد الجنرال القوة الفرنسية التي احتلت المعلقة في العام الماضي إليها. وقد أبلغنا الكولونيل كوس أمس عن لسان الجنرال غورو أن احتلال رياق والمعلقة جرى في مقابل تعزيز قواتنا في مجدل عنجر، والحال أن هذه النقطة عسكرية وضعت لتأمين النظام الداخلي في ذلك الجوار منذ ابتداء الاحتلال، وإذا كنا عززناها فما ذلك سوى تدبير احتياطي اضطررنا إلى اتخاذه بعد ما رأينا حشد الجنود على حدود منطقتنا.

«فحكومتنا بعد ما احتجت على معاملة الجنرال غورو التي لا تلتئم مع التحالف، وطلبت إحالة القضية إلى التحكيم الدولي تعلن للأمة وللعالم أجمع من على هذا المنبر ما يأتي:

١ - نحن لا نريد إلا السلم والمحافظة على شرفنا واستقلالنا الذي لا نحتمل أن تشويه شائبة.
٢ - نحن براء من كل تهمة نوصم بها ويراد بها الإيهام بأننا نريد العبث بصلاتنا الودية مع حليفنا وحلفائنا.

٣ - نحن لا نرفض المفاوضات، ونحن مستعدون للدخول فيها وما إن الوفد برئاسة جلالة الملك مستعد للسفر إلى أوروبا. ونحن نقبل كل حل لا يمس استقلالنا وشرفنا، ويكون مبنيا على أساس الحق والاستقلال.

٤ - إننا مستعدون كل الاستعداد ومصممون كل التصميم على الدفاع عن شرفنا وحقوقنا بكل ما أعطانا الله من قوة.

هذا هو الموقف الحاضر أيها السادة وقد بسطناه لحضراتكم، والله معنا إذ نحن لا نريد سوى حقنا والدفاع عن كياننا.

٣- معدات الدفاع والتدابير العسكرية

وكان في مقدمة التدابير العسكرية التي اتخذت تعيين الأمير زيد قائدا عاما للجيش السوري، وياسين الهاشمي قائدا لجبهة مجدل عنجر (طريق دمشق - بيروت) ولامشوق

نفسها، ويحيى حياتى قائدا لمنطقة حمص وحماه. أما فرقة حلب فكانت بقيادة محمد إسماعيل الطباخ، وكانت فرقة درعا بقيادة إسماعيل الصفار. وقد يكون من المفيد هنا أن نتكلم عن تشكيلات الجيش السوري فى تلك الأيام ونظمه ومعداته وأسلحته وذخائره وعتاده وضباطه فنقول:

(لا يخفى أن الجيش السوري الجديد قام على أنقاض جيش الشمال القديم الذى زحف من الحجاز حتى دمشق فحلب على المنوال الذى وصفناه فى المجلد الأول، وكان أول ما فعلته الحكومة السورية الجديدة، وقد تولى رئاسة الجند فيها ياسين الهاشمى (رئاسة ديوان الشورى الحربى) تسريح الجيش القديم والاستغناء عن معظم ضباطه وجنوده على أن يحل محله جيش جديد منظم على الأصول الحديثة يقوده ضباط بلغوا رتبهم العسكرية بالتدرج).

وجدت رئاسة ديوان الشورى الحربى (المدرسة الحربية القديمة) فى دمشق لتخريج الضباط. كما نظمت المصالح العسكرية على منوال حديث. فكانت هناك مصلحة للميرة، وأخرى للتجهيزات، وثالثة للتسليح، ورابعة للمدفعية تشرف عليها كلها هيئة أركان حرب عليا وكان نظام التطوع فى تلك الفترة هو النظام المتبع فى الجيش، ومع أن جلاله الملك كان أول من تطوع إلا أن الإقبال على التجنيد كان قليلا لحالة الأمة الروحية. فقد كانت خارجة من حروب امتدت أربع سنوات ونيف - لاقى الجند فى خلالها الأمرين من قساوة الأنظمة العسكرية وشدتها فتشرب بغضها كما تشربها الأهالى، لما خبروه من مساوئها فى العهد العثمانى.

وتبدل الحال فى شهر فبراير سنة ١٩٢٠ حينما تقرر الأخذ بنظام التجنيد الإجبارى لإنشاء جيش منظم قوى، وكثر فى خلال هذه الفترة ورود الضباط السوريين الذين كانوا فى الجيش التركى ثم سرحوا بعد الهدنة، أو عادوا من الأسر فانضموا إلى الجيش الجديد وساعدوا فى تكوينه وإنشائه.

وكان الجيش السوري فى خلال شهر يونيو سنة ١٩٢٠ أى قبيل وصول وبعد قيام الوزارة الاتاسية واضطلاع يوسف العظمة بعبء وزارة الحربية وأخذه على عاتقه مهمة تنظيم الجيش الجديد، وإعداد معدات الدفاع يتألف كما يأتى:

١- هيئة أركان حرب عليا يرأسها الوزير ورئيس ثان يشرف على الشؤون الإدارية،

وكان يتقلدها يومئذ القائمقام أحمد اللحام.

وكانت هيئة أركان الحرب تتألف من فروع (شعبات) تقلد رئاسة الشعبة الأولى (شعبة الحركات الحربية) القائمقام مصطفى وصفي، وتولى رئاسة الشعبة الثالثة (شعبة المخابرات) البكباشي شريف الحجار، وكان اليوزباشي حسن يحيى الصبان يتولى إدارة القوى العمومية، والقائمقام عارف التوام رئيسا لإدارة التسليح.

وكانت هناك أيضا ثلاث فرق عسكرية نظامية:

فرقة الشام . وفرقة حلب. وفرقة درعا .

وكانت كل فرقة تتألف من ٣ ألوية، وكل لواء يتألف من ٣ أفواج، ولكل فوج سرية رشاشات، ولكل فرقة لواء مدفعي يتألف من فوجين، ويتألف الفوج من بطاريتين.

وكان مجموع القوى العامة للجيش السوري في أواسط شهر يوليو لا يزيد عن ٨٠٠٠ جندي يملكون ١٥ ألف بندقية مختلفة الطراز. لكل منها ٢٥٠ قذيفة، ونحو ٥٠ مدفعا عيار ٥٠ - ٧٠ و٤ مدافع من عيار ١٠٥ و١٠٠ لكل مدفع ٥٠ قنبلة.

وكان يمثل الحكومة العربية في بيروت ضابط من هيئة أركان الحرب في مقدمة مهامه موافاة الحكومة بتقارير مفصلة عن الحالة العامة، وعن تدابير الفرنسيين العسكرية.

وكان مجموع الضباط المستخدمين في القيادة العليا وفي الجيش العامل وفي دوائر التجنيد وفي الأعمال العسكرية الأخرى لا يقل عن ٥٠٠ ضابط من مختلف الرتب بينهم مجموعة صالحة من الأكفاء الذين تمرنوا في الحروب العظمى، وقاتلوا في شتى الساحات والميادين.

٤- دعوة المجلس الحربى الأعلى

وفوجئت الوزارة والملك في تلك الفترة الحرجة بمفاجأة مدهشة، فقد زار ياسين الهاشمي على أثر تعيينه قائدا لمجدل عنجر، والقاء مهمة الدفاع عن دمشق على عاتقه الأمير زيدا، وقال له إنه ليس في إمكانه قبول المهمة الموكولة إليه - كما أنه ليس في استطاعة البلاد الدفاع والوقوف أمام الجيش الفرنسي الزاحف، لان مخازن الجيش فارغة من الأسلحة والذخائر ومعدات القتال مفقودة.

وانطلق الأمير على الفور فقابل جلالته الملك وأطلعته على رأى الهاشمى فاستدعاه فأعاد عليه ما قاله، فدعا هيئة الوزراء اليه واستشارهم فيما يفعل فدافع يوسف العظمة عن خطته وقال انه بصفته وزيرا للحربية يتحمل كل تبعه، ويصر على المقاومة والدفاع. وأخيرا تم الاتفاق على عقد مجلس عسكري يحضره كبار الضباط والقادة للبت فى هذه القضية الخطيرة.

واجتمع هذا المجلس بعد ظهر الجمعة ١٦ منه برئاسة الملك وحضره الوزراء والهاشمى وأحمد اللحام ومصطفى وصفى وشريف الحجار ومصطفى نعمة وحسين يحيى الصبان وعارف التوام، وهم هيئة أركان الحرب فسألهم الملك واحدا واحدا عن مقدار قواهم فأجابوا أجوبة متضاربة فطلب إليهم إبداء رأى حاسم. فطلبوا إمهال مدة ثم اجتمعوا برئاسة مصطفى نعمة (مستشار وزارة الحربية يومئذ) نحو ربع ساعة أعلنوا بعدها أن فى إمكان الجيش المقاومة بضع ساعات إذا كانت الحرب غير جدية، وأما إذا حمى وطيس القتال ولم يوفق إلى دحر العدو وتشتيت قواه فلا يقاوم أكثر من ٥ دقائق.

٥- استشارة الإنكليز ورأى اللورد اللنبى

ومع أن الإنكليز كانوا خلال تلك المرحلة يشيرون على الملك بالتفاهم مع الفرنسيين والاتفاق معهم، وكان معتمدهم فى دمشق (الكولونيل ايستون) يكرر هذه الجمل على مسامع الملك والوزراء فى كل مناسبة ملحا بضرورة الاتفاق، فقد أرادت الوزارة أن تقف على رأى اللورد اللنبى قبل البت فى الأمر فانتدبت اللواء نورى السعيد والأمير عادل ارسلان فسافرا إلى حيفا وقايلا اللورد وكان يزورها يومئذ واستشاراه فأشار بقبول الإنذار والتفاهم مع الفرنسيين. فأرسلا على الفور برقية إلى جلالته الملك بما سمعاه منه.

ولم يكتف اللورد بذلك بل أرسل كتابا خاصا إلى جلالته الملك (لايزال محفوظا بنصه الإنكليزى فى خزانة الدكتور عبد الرحمن شهبندر يشير فيه بالقبول بلا تردد).

٦- رأى الكولونيل طولا والكولونيل كوس

وكان من رأى هذين الضابطين الفرنسيين - وكانا يعملان فى دمشق ويظهران الاخلاص والصداقة لجلالة الملك. وقد أقالهما الجنرال غورو من عملهما بعد دخول دمشق

وأعادهما إلى فرنسا لاعتقاده بعدم إخلاصهما لسياسته - قبول الإنذار لقطع الطريق على الجنرال غورو والمتعطش إلى دخول دمشق واحتلالها عسكريا لينال شرف هذا العمل إطفاء لشهوة الفتح المتأججة في فؤاده، وكانا يقولان لا تترددوا في القبول فقد يتذرع الجنرال بأوهى الأسباب لتطبيق برنامجه الاستعماري ودخول دمشق بجيشه.

الوزارة تقرر القبول

فازاء هذه الاعتبارات المادية قررت الوزارة في جلسة عقدها يوم ١٧ الجاري (أى قبيل انتهاء المدة المضروبة في الإنذار) أن تشير على جلالة الملك بقبوله لعدم إمكان المقاومة ماديا فأرسل جلالته صباح ١٨ منه كتابا إلى الجنرال بواسطة الكولونيل طولا يعلن فيه قبوله شروط الإنذار فجاءه يوم ١٩ منه الجواب الآتى:

«لى الشرف أن أستم كتابكم المرسل بواسطة الكولونيل طولا المنطوى على قبولكم مبدئيا وشخصيا لشروطى. فأذكر سموكم الملكى بأنه ليس المقصود من مذكرة ١٤ يوليو قبولها، وانما المقصود هو تنفيذ أحكامها بأعمال رسمية تعمل قبل ١٨ منه على أن يتم تنفيذ ما ورد فيها بكامله قبل ٣١ منه عند منتصف الليل.

«ولما كنت قد مدتت المدة ٢٤ ساعة إجابة لطلب سموكم الملكى فقد أكون محقا اذا لم أمددها مدة أخرى قبل أن ألقى نبأ القبول رسميا وفعليا من جانب سموكم بأعمال تعملونها وقد أشير إلى ذلك فى الفقرة الرابعة من مذكرة ١٤ منه.

«ولكى أذع لكم وقتا كافيا لقبول المطالب رسميا وتنفيذها فقد قررت أن لا تتحرك جيوشى قبل ٢١ يوليو عند منتصف الليل».

وفى الساعة التاسعة والنصف من مساء ١٩ منه أرسل الجنرال غورو البرقية الآتية وقد سلمها الكولونيل طولا شخصيا إلى الملك:

«ضرب يوم ١٨ يوليو موعدا لقبول أو رفض مذكرة ١٤ منه ثم مدتت هذه المهلة حتى ١٩ منه نصف الليل لا لقبول الشروط رسميا بل للبدء بتنفيذها رسميا مع العلم بأن تنفيذها بكاملها يتم قبل ٣١ منه وبناء على ذلك فلن أمنح أى مهلة بعد التسهيلات التى جرت.

وإذا كان لا بد من إعطاء وقت كاف لأجل قبول الشروط والبدء بتنفيذها فإنني أقرر أن جيوشى لا تتحرك حركة قبل ٢١ يوليو عند منتصف الليل».

وفى يوم ٢٠ منه أرسل الملك إلى الجنرال غورو بواسطة الكولونيل كوس البرقية الآتية: «رغبة فى إنقاذ شعبى من ويلات الحرب، وأملأ فى إنشاء سلم موطن لا يتسنى إدراكه إلا بالاحتفاظ بصداقة الحلفاء ومودتهم، وخصوصاً مودة الحكومة الفرنسية أبلغكم أننى أقبل مطالبكم مع الإيضاحات الواردة فى برقيتكم بتاريخ ١٦ و١٨ الجارى.

«ان المطالب التى تضمنها إنذاركم المؤرخ فى ١٤ الجارى سردت على الوجه الآتى:

١- أن تكون سكة حديد رياق - حلب على أتم استعداد لجميع النقلات التى تأمر بها السلطات الفرنسية.

إن جعل سكة الحديد بهذه الحالة يتسنى بمراقبة حركة النقل فى محطات رياق ويعلبك وحمص وحلب بواسطة مفوضين عسكريين فرنسيين تشد أزهرهم قوة عسكرية تقوم بالمحافظة على المحطة، وباحتلال مدينة حلب ذات المركز الخطير للمواصلات التى لن ندعها تسقط بأيدي الترك.

٢ - إلغاء التجمع العام والامتناع بتاتاً عن التجنيد وتسريح القوى وإعادة تشكيلات الجيش وعدد الجند إلى ما كانتا عليه فى شهر ديسمبر الماضى.

٣ - قبول الانتداب الفرنسى، إن الانتداب سيحترم استقلال الشعوب السورية على منوال يتفق مع مبدأ الحكم بواسطة السلطات السورية النظامية التى تستمد قوتها من الوزارة الشعبية. وهو لا ينطوى بالنسبة للسلطة المنتدبة إلا على إعانة تمنح بشكل مساعدة وتعاون لا يتحول بشكل من الأشكال إلى استعمار أو إلحاق أو إدارة مباشرة.

٤ - قبول النقد السورى، ان هذا النقد سيتخذ نقداً وطنياً للمنطقة الشرقية. وبناء على ذلك تلغى جميع القيود التى وضعت حتى الآن فى هذه المنطقة بالنسبة اليه.

٥ - تسليم المجرمين الذين اشتهروا بأعمالهم العدائية لفرنسا ولن يطول الوقت حتى تدرك حكومة الجمهورية بأن هذه الأزمة الشديدة التى اجتزناها لم تكن سوى نتيجة سوء

تفاهم واسع النطاق بيننا وبين الشعب السوري الذى قاتل جنباً إلى جنب مع الحلفاء
وضحى أنواع الضحايا فى سبيلهم.

فيصل

وفى اليوم نفسه أرسل الكولونيل كوس إلى الملك الكتاب الآتى:

«رجانى الجنرال غورو أن أبلغكم أنه تلقى رد سموكم الملكى المرسل أمس بواسطتى
وأعرب عن ارتياحه إلى الاعتبارات التى بنى عليها.

«وينتظر الجنرال الآن وصول تأييد كتابى مفصل يحرر طبقاً للأسس الواردة فى مذكرة
١٤ يوليو موضحاً وذاكراً الشروط التى أوردتها ومعلناً قبولها. كما أنه يؤيد من جهة أخرى
برقيته المرسلة مساء أمس مؤكداً أن الجيوش الفرنسية لا تتحرك قبل ٢١ الجارى عند
منتصف الليل لأجل احتلال حلب فتبلغها فى اليوم الثالث.

«وينتظر الجنرال أن يتم فى هذا اليوم (٢٠ منه) تنفيذ مضمون الرد بأعمال رسمية
وباتخاذ التدابير التى تدل على التنفيذ وتأييده طبقاً لما أشار إليه صراحة فى إنذاره.

«ويزيد الجنرال على ذلك قائلاً تستطيع سموكم أن تثق من المعاملة الطيبة الحسنة التى
ستعاملكم بها فرنسا ومن عطفها وعدلها. والمكاتبات المختلفة التى جرت حتى الآن
والبلاغات التى أبلغت لسموكم الملكى فى موضوع شروط الإنذار وتطبيقها، ولاسيما ما
يختص منها بتطبيق الانتداب قد بسطت نيات الدولة المنتدبة بسطاً جلياً كافياً».

الاضطرابات فى دمشق

وتناقلت الاسن فى دمشق أن الحكومة قبلت انذار الجنرال غورو وتعهدت بتنفيذه
فقامت المظاهرات الاحتجاجية وعقد المؤتمر السوري جلسة ضحى يوم الخميس ١٥ منه
(أى قبل قبول الانذار رسمياً بيومين) خطب فيها الخطباء فحملوا على الوزارة حملة
شديدة، وتنادوا إلى الدفاع وأقر المؤتمر فى ختام جلسته هذه اقتراحاً وقعه ٤٥ من
أعضائه وأذيع على الجمهور على أن يبلغ إلى الحكومة لتطلع عليه، وتتقيد بما
جاء فيه وهو:

«بما أن مؤتمرنا هذا، وهو أول ممثل للأمة السورية وناطق بلسانها قرر فى جلسته يوم ٧ مارس أن يبقى منعقداً إلى أن يجتمع المجلس النيابى، وبما أن البلاد دخلت اليوم فى طور جديد يستدعى زيادة التضامن والتكاتف وجمع الكلمة حول غاية الوطن المشتركة، وهى الاستقلال التام والدفاع عن شرف الأمة بأسرها نطلب إقرار الاقتراحات الآتية وإبلاغها للحكومة ونشرها على الأمة.

«إن المؤتمر السورى الممثل للأمة السورية فى مناطقها الثلاث يعتبر قراره التاريخى بمواده الأساسية الثلاث وهى:

- ١ - الاستقلال التام والوحدة السورية، ورفض الهجرة الصهيونية.
 - ٢ - ملكية جلالة الملك فيصل على الأساس النيابى الدستورى.
 - ٣ - إبقاء المؤتمر منعقداً يراقب أعمال الحكومة المسؤولة أمامه إلى أن يجتمع مجلس النواب بموجب القانون الاساسى - قراراً واحداً لا يقبل التجزئة.
- «وإن المؤتمر السورى لايعترف - باسم الأمة السورية - بأى معاهدة أو اتفاقية أو بروتوكول يتعلق بمصير البلاد مالم يصادق عليه».

ودعا الملك أعضاء المؤتمر يوم السبت ١٧ منه إلى الاجتماع فى حديقة قصره، ولما تكامل جمعهم وقف فيهم خطيباً وسرد الأسباب السياسية والعوامل العسكرية التى جعلته يجنح إلى سياسة السلم. فهاجت خواطر بعض الأعضاء وتكلموا بلهجة شديدة وذكروه بخطبه الحماسية فى النادى العربى، ويسوء نيات الفرنسيين وعزمهم على تحطيم الاستقلال والقضاء عليه. فتأثر الملك وحاول إنقاذ الموقف بلباقة فاقترح على كل واحد من الأعضاء أن يكتب كتاباً خاصاً إليه يبسط فيه آراءه وعقيدته الخاصة بشرط أن لا يطلع أحداً من إخوانه عليه، ووعد بأن يعمل بما تقترحه الأكثرية، ولا يخرج عن مضمونها، وقال «إننى أعتقد أن الآراء التى تعطى على هذا المنوال تكون صحيحة، لا يؤثر فيها نفوذ ولا إرهاب» فعارضت أكثرية الأعضاء فى الأخذ بهذا الاقتراح، فأهمل ولم ينفذ.

وعقد أعضاء المؤتمر جلسة فوق العادة فى دار المؤتمر صباح الأحد ١٨ منه وكان الأعضاء منقسمين إلى فرق وأحزاب، وكان نواب منطقة دمشق والبلاد المجاورة محتفظين بالصمت بعكس نواب الساحل وفلسطين. وقامت اللجنة الوطنية بمظاهرة كبيرة مشى فيها

كثيرون، وكانوا يرددون أناشيدهم وجاءوا إلى دار المؤتمر وحيوا الأعضاء الوطنيين، ونادوا بسقوط الخونة المارقين.

وعقد المؤتمر جلسة قانونية بعد الظهر قرر فيها استدعاء هيئة الحكومة، واستيضاحها عن الخطة التي قررت السير عليها. سيما ومهلة الانذار تنتهى فى منتصف تلك الليلة (ليلة ١٩ منه).

وعقدت اللجنة الوطنية اجتماعا كبيرا ليلة الإثنين شهدها رجال الأحزاب وممثلوها وعدد كبير من أعيان دمشق، فقرروا بعد سماع خطب ومحاورات إقامة مظاهرة كبيرة يوم الثلاثاء لحمل الحكومة والملك على انتهاج خطة دفاعية، وفعلا خرجت المظاهرة فى الصباح الباكر وسارت حتى ساحة الشهداء، وهناك تعاقب الخطباء ملحين بضرورة الدفاع، ومما زاد فى هياج القوم واضطرابهم ما شاع بينهم وهو قبول الحكومة الإنذار رسمياً.

وعقد المؤتمر جلسة قبل الظهر (ظهر يوم الاثنين ١٩ منه) بدأها سرية، ثم قرر أن تكون علنية، وقال رئيس المؤتمر على الأثر إن رئيس الوزارة أبلغه أن الحكومة غير آتية إلى المؤتمر، وأنها تنتظر عودة الرسول الذى انتدبته إلى بيروت لمفاوضة الجنرال غوروفى تعديل الشروط الواردة فى إنذاره. فلذلك لا يرجى حضورها إلا بعد رجوع الرسول.

وتكلم كثير من الخطباء، ثم وافق المؤتمر على اقتراح السيد الشريقى نائب اللادقية، وقرر طبعه وتوزيعه على الأمة وهذا نصه:

«بما أن المؤتمر السورى قد اطلع على الشروط التى طلب الجنرال غوروفى من الحكومة السورية قبولها والموافقة عليها، وهى احتلال الخط الحديدى مع مدينة حلب وقبول الانتداب الفرنسى بدون قيد ولا شرط، واعتبار الورق السورى عملة وطنية، وإلغاء التجنيد الإجبارى إلى آخر ما جاء فى هذا الطلب، ولما كانت الحكومة الحاضرة قد طلبت اعتمادا من المؤتمر فى ٨ مايو حينما أتت إليه على أثر صدور قرار سان ريمو القائل بانتداب فرنسا لسورية وتجزئتها، وأعلنت فى بيانها الرسمى أنها رفضت هذا القرار، واحتجت عليه، وأنها ستدافع عن كيان البلاد إذا غصب حقها، وأرغمت على الاستعباد، فالمؤتمر الذى قرر استقلال البلاد التام ووحدتها، ووضع المملكة السورية على هذا الأساس، واعتمد الوزارة بعد ما قبلت به وأخذت على نفسها القيام بتنفيذه، وقد استدعاها بعد ورود الإنذار المذكور ليوقف منها على خطتها إزاءه بصورة رسمية فلم تلب الطلب، فهو يعلن للملا أنه لا يحق لأية حكومة كانت أن تقبل باسم الأمة السورية أى شرط من الشروط التى تخالف

قرار المؤتمر التاريخي. فالحكومة الحاضرة إذا خالفت بيانها الرسمي، ولم تقم بواجبها تجاه البلاد، وأرادت أن توقع على صك يخالف قرار المؤتمر. فالمؤتمر يعتبرها بتوقيعها غير شرعية، والصك غير صحيح ويحمل أشخاص الوزارة كل تبعة ومسؤولية تجاه الوطن الطبيعي والشرعي وجهادها المديد وإن كل مداخلة أجنبية في البلاد هي غير مشروعة. سواء وقعت بالقوة أو بموافقة أشخاص لا نيابة لهم عن الأمة تخولهم هذا الحق. ويحق للأمة السورية أن ترفضها في كل وقت، وهو يشهد العالم المتمدن على بيانها هذا ويذيعه للأمة ويرفعه لمعتمدى الدول».

وعقد المؤتمر جلسة ثانية بعد الظهر بدأها سرية، ثم جعلها علنية أعلن رئيسه في أثنائها أنه يجب انتخاب وفد قوامه ٨ من أعضاء المؤتمر و٨ من نواب الأحزاب لمقابلة جلالة الملك وإطلاعه على الروح السائدة بين الأمة.

وانتخب المؤتمر وفده، فانضم إلى مندوبى الأحزاب وقصدوا البلاط الساعة السادسة مساء فهتف لهم الشعب هتافا عاليا، فقابل بعضهم الملك ورئيس الوزارة، وعادوا في الساعة الثامنة إلى المؤتمر فأعلن الرئيس أنه لم يتم شىء نهائى، وأن الوزارة تنتظر وصول جواب الجنرال غورو لتقرير خطتها.

وبدأت الوزارة مساء الاثنين ١٩ منه بتنفيذ أحكام الإنذار فسرحت الجيش، كما قررت تأجيل المؤتمر السوري لمدة شهرين، فجاء في الساعة التاسعة من صباح الثلاثاء ٢٠ منه هاشم الاتاسى ويوسف العظمة إلى دار المؤتمر، ووقف هذا وتلا مرسوما ملكيا بتعطيل جلساته لمدة شهرين، فعارض بعض الأعضاء واحتج آخرون، كما حاول غيرهم الخطابية فأشار إليهم وزير الحربية بلزوم الانصراف فانصرفوا، فأقيمت مظاهرات فى أسواق دمشق، وسادت الفوضى واشتد الهياج، وهاجم الغوغاء فى السهرة قلعة دمشق لأخذ السلاح، ونهبوا المستودعات، وأطلقوا السجناء، فذهب الأمير زيد بنفسه مع قوة مسلحة بالرشاشات إلى القلعة للدفاع عنها أصلت المتظاهرين نيرانا حامية ففترقوا بعد ما قتل نحو ٢٠٠ منهم، وقصد جمهور من الغوغاء البلاط بمظاهرة عدائية ففرقتهم الشرطة قبل وصولهم. وأغلقت دمشق فى تلك الليلة، وبات الناس فى كرب وضيق عظيمين.

الجيش الفرنسي يزحف على دمشق

وعقدت الوزارة اجتماعا بعد ظهر الثلاثاء (٢٠ منه) لوضع نص المذكرة الجوابية المفصلة التي ترسل إلى الجنرال غورو طبقا لاقتراحه الوارد في برقيته الأخيرة فاستغرقت هذه الجلسة نحو ثلاث ساعات. وفي الساعة السادسة مساء ذهب الكولونيل كوس إلى البلاط بناء على برقية تلقاها من الجنرال غورو يسأله فيها عما استقر عليه القرار فسأل عن الرد فقبل انه انتهى ثم سلم إليه بنصه وهو مكتوب طبقا لاقتراح الجنرال فحملة وعاد به إلى داره ووضع على الأثر برقية إلى الجنرال سلمت إلى مصلحة البرق في الساعة السابعة ونصف مساء وقد جاء فيها أن الملك وقع جواب القبول، وأنه تسلمه وأرسله بالبريد.

وقد كان المأمول بعد هذا الرد أن يقف الجيش الفرنسي عن الزحف وأن ينتهي كل شيء. بيد أن عدم وصول البرقية إلى الجنرال في الوقت المعين أي قبل منتصف الليل غير الوضع، فقد تذرع بتأخيرها فأصدر أمره للجيشه بالزحف فتحرك إلى دمشق.

وبيان ما وقع أن موظفي البرق وجدوا الأسلاك البرقية مقطوعة بين دمشق وبيروت حينما أرادوا إرسالها في الساعة الثامنة مساء - أي بعد وصولها بنصف ساعة فحاولوا إرسالها بطريق النيك - حمص - البقاع فاتصلوا بعد عناء طويل بمركز البقاع عند منتصف الليل، وطلبوا من الموظف المختص أن يتسلمها فأجابهم أن ضابطا فرنسويا واقفا على رأسه والمسدس مشهور بيده يأمره بأن يرسل برقية من الجنرال غورو إلى الكولونيل كوس حالا، ويأتى بالجواب فأخذها منه ولما حاولوا إعطاءه البرقية المرسله امتنع عن قبولها فتأخرت رغما عنهم.

وجاء في صباح ٢١ منه الكولونيل كوس ومعه جميل الألتشي مرافق الملك إلى مكتب البرق للبحث عن سبب تأخيرها، فأجيبوا بأنها وصلت في الساعة السابعة والنصف وبما

أنها غير رسمية لأنها مأجورة - وكان معتمدو الدول في دمشق يدفعون أجورا على برقياتهم - وتعد من البرقيات التجارية فقد حفظت لترسل عند حلول دورها، ولما أرادوا إرسالها عند الساعة الثامنة وجدوا الأسلاك مقطوعة، فحاولوا إرسالها بطريق البنك - فامتنع الموظفون في البقاع عن تسليمها، وأحيل الموظف المختص إلى المحاكمة في الديوان العسكرى الوطنى فحوكم يوم ٢٢ منه فأثبت عدم إمكان إيصال البرقية فنيا للاعتبارات التى بسطناها فبرأه.

ويعد ما تم للفرنسيين دخول دمشق، وتألفت الوزارة الدروبية يوم ٢٦ منه أحالت حسن بك الحكيم مدير البرق والبريد العام فى الحكومة الفيصلية، يوم أول أغسطس سنة ١٩٢٠ إلى الديوان العرفى لمحاكمته بتهمة الحيلولة دون ارسال البرقية عن قصد وتعمد، فأثبت فى المحاكمة أنه أستقال فى الساعة الخامسة والنصف من يوم ٢٠ يوليو - أى قبل وصول البرقية بساعتين ونصف، وانسحب من العمل محتجا على الوزارة لنقضها عهدها للأمة يقبولها إنذار الجنرال غورو وقائلا: إن التعاون معها ذل واستحذاء، فبرأه الديوان بعد درس قضيته، وبعد ما سمع شهادة الشهود وعالج القضية من الوجهة الفنية وبنى تبرئته على الاعتبارات الآتية ١- لأنه استقال قبل ورود البرقية بساعين و٢- لأنه لم توجه إليه تهمة من الموظفين المختصين، ولم يشهد أحد منهم بأنه أوحى إليه أو امره بوقفها و٣- لأنه بصفته مديراً عاماً للبرق والبريد لا يطلع على البرقيات الصادرة والواردة، بل يتولى ذلك الموظفون المختصون.

ولما أرسلت أوراق البراءة إلى الوزارة نقضتها طالبة اعتقاله، وإعادة محاكمته فأعيدت محاكمته، وهو غير معتقل، وأعاد الديوان العرفى تبرئته للاعتبارات السابقة، ولأنه لم يقم ما ينقضها وحاولت إعادة محاكمته للمرة الثالثة ثم عدلت عنها لما رأته من إصرار الديوان العرفى على تبرئته فقد أجاب رئيسه أحد الوزراء حينما اقترح عليه أن يصدر حكماً بإعدامه قائلاً إنه يفضل قطع يده على إصدار مثل هذا الحكم، ووقفت القضية عند هذا الحد.

وهناك من يعتقد بأن قطع السلك البرقى فى تلك الليلة بين بيروت ودمشق جرى بإغراء بعض الموظفين الفرنسيين. الذين أرادوا اغتنام هذه الفرصة لدخول دمشق متذرعين بهذه الوسيلة، فكان لهم ما أرادوه.

شروط غورو الجديدة

وفى صباح ٢١ منه طير الملك برقية إلى الجنرال غورو فى بيروت، وقد أبلغ عونى عبد الهادى صورة منها إلى الكولونيل ايستون المعتمد البريطانى بدمشق وهذا نصها:

«على الرغم من المشكلات التى توقعتها مقدما فقد قبلت كتابة ورسمها كل ما طلبتموه فى إنذاركم، وسرحت الجيش العامل طبقا لأحكامه، وألغيت الخدمة العسكرية الإجبارية مما سبب استياء جانب من أبناء شعبي، كما يشهد بذلك قناصل الدول فى دمشق. ولقد دهشت حينما علمت أن جيوشكم تزحف على دمشق رغم قبولى جميع الشروط الواردة فى الإنذار بلا قيد ولا شرط، مما يعد انتهاكا للعهد المقطوعة، وخرقا للحقوق الخاصة وللروح الأذى العام.

«فكل تبعه تنجم عن هذا العمل الغريب تقع على عاتق مسببها، وأطلب منكم فى الختام اتخاذ التدابير اللازمة لسحب جيوشكم بسرعة».

وأرسل الجنرال البرقية الآتية إلى الكولونيل كوس:

«لقد تلقيت الساعة العاشرة من هذا الصباح ثلاث برقيات منكم بالترتيب الآتى:

١ - برقية ٢٠ يوليو الساعة ١٩:٣٠

٢ - برقية ٢١ » » ٢٠:٣٠

٣ - برقية بدون رقم وتاريخ ٢١ منه تؤكد البرقيتين الأوليين بشأن قبول الشروط المنطوية على عقوبات بطرق رسمية، وتطلب منى عدم مواصلة الزحف على دمشق.

٤ - وتلقيت برقية ٢١ منه المرسله فى الساعة ٧:٣٠ المشيرة إلى أن برقيتكم بتاريخ ٢٠ منه لم يمكن إرسالها بسبب قطع سلك التلغراف بين دمشق والزبدانى.

٥ - ولم تصلنى البرقية الحاملة قبول الشروط المطلوبة فى خلال المدة المضروبة، ولذلك بدأ الزحف على دمشق فى هذا الصباح.

وخلافا لما أشرتتم إليه لم يبدأ بإطلاق النار فى مجدل عنجر، وقد ارتد رجال المخافر العربية فى البقاع بطريق دمشق، وربما ارتد رجال مجدل عنجر. وتتسلق جنودنا منذ الساعة ٩ صباحا هضاب لبنان الشرقية. ولذلك لم يعد بالإمكان إيقاف زحفها.

وفى امكانكم أن تنبهوا الأمير بأنه لو لم تنظم الحكومة العربية عصابات السلب والنهب وتأييدها لما تأخرت برقيتكم الخطيرة الشأن بسبب قطع السلك. فحكومة دمشق هي ضحية أعمالها السابقة. ويجب إعلام الأمير أن الزحف سيستمر حتى يصل الجيش إلى مقابل دمشق فإذا لم يجد مقاومة، وإذا تم احتلال حلب والمحطات المذكورة فى الشروط بدون مقاومة فإن الجيش لا يدخل دمشق.

وأؤكد لكم تلغرافى نمرة ٢/٣٥٦ الذى أرسلته مساء أمس، وأبلغتكم فيه أن تبقوا مستعدين للمحادثة مع كل حكومة مستعدة للتعاون بإخلاص مع فرنسا. وأرسل الملك فى اليوم نفسه البرقية الآتية إلى حكومات الحلفاء بواسطة قنصل إيطاليا العام:

«رغم قبولى جميع الشروط الواردة فى إنذار الجنرال غورو المؤرخ ١٤ يوليو، وهى تنطوى على احتلال مدينة حلب الواقعة فى أقصى حدودنا الشمالية، ومحطات حلب وحمص وحماء، وعلى سحب جيوشنا من الحدود وتسريح الباقى منها وإلغاء التجنيد الإجبارى وعلى قبول التعامل بالنقد السورى وعلى الاعتراف بالانتداب الفرنسى لسورية - ذلك القبول الذى أعرب لى عن ارتياحه إليه فى كتابه المؤرخ فى ٢٠ منه والمقدم إلى بواسطة ضابط ارتباطه فى دمشق - فانه أصدر الأمر إلى جيشه بالزحف على دمشق.

«وسيؤدى حتما هذا العمل الشاذ الذى لا يكاد تاريخ الإنسانية والحضارة ينطوى على مثيل له إلى اراقة كثير من الدماء البريئة. خصوصا وهو يقع بعد قبول إنذار باهظ الشروط سرح بموجبه الجيش السورى، وأرسل رجاله إلى بيتهم، ويخشى معه من انتقاض شعبى الذى يلح فى رفض هذا الإنذار.

فألفت نظر حكومتكم والعالم المتمدن إلى هذه الجناية السيئة، ولن تقع تبعثها إلا على عاتق مرتكبيها. ذاك الذى انتهك حرمة العقود الدولية المقدسة»

إعلان الحرب على الفرنسيين

وتبدل الموقف بعد ظهر الأربعاء ٢١ منه فقد ذهب الكولونيل طولا فى الصباح إلى عاليه فقابل الجنرال غورو وأطلععه على قصة البرقية، وأفهمه انه لايد للحكومة فى تأخيرها، وطلب

إليه فى النهاية وقف الجيش الزاحف فأجاب أنه لا يستطيع وقفه بعد كل ما جرى. فعاد إلى دمشق وأبلغ جلالة الملك الجواب فتأثر كثيرا، وأدرك انه كان مخدوعا، ورأى ان مقابلة الشر بالشر هى الوسيلة الوحيدة لإنقاذ البلاد من حرب أهلية تكاد تنتشب فيها بسبب قبول الانتذار. ومما لا ريب فيه أن وقوع الزحف فى صبح ليلة سوداء قضتها دمشق ولم يغمض لها فيها جفن، جعل جلالة الملك يختار هذه السياسة، ويعدل عن خطته السلمية فقد تركب الأهوال ما ليس يركب.

ونادى على الأثر منادى الحرب فى أرجاء دمشق ودوى نذيره، وأرسل جلالة الملك فاستدعى الشيخ كامل القصاب - زعيم اللجنة الوطنية يومئذ - وقال له لقد قررنا الدفاع فأرنا همتك ونشاطك، وجئنا بالقوى التى تقول انها مهياة للزحف، فانطلق يجوب الأحياء كما انتشر الخطباء فى كل ناحية يحثون الناس على الدفاع، فأشرق وجه دمشق بعد القلوب وعادت إليها حركتها - بعد جمود قاتل، وتراخض الناس إلى محطة السكة الحديد للسفر إلى ميدان القتال بميسلون، والاشتراك بالدفاع، ومعظمهم بلا زاد ولا سلاح. وأذيعت على الأثر المناشير الثلاثة الآتية:

١ - منشور الملك

إلى أبناء الوطن

عملنا للمحافظة على السلم حتى لا نفتح على الأمة باب التعلل والاحتجاج، وحافظنا على شرفنا فى كل مواقفنا مع الفرنسيين، وآخر ما فعلناه فى هذا الباب أننا قبلنا شروطا لندفع بها عادية القوم، ولنحافظ بها على كتلة سورية عربية، متمتعة بالحرية والاستقلال ولكن الجنرال غورو الذى لا يهنا له بال حتى يرى شرف هذه الأمة معرضا للإهانة والاحتقار حنث بيمينه، وخالف الأصول المعترف بها، وتعامى عن سماع الواجب، وأمر جيشه بمهاجمة الجيوش العربية المرابطة على الحدود فإلى معاضدة هؤلاء الأبطال الذين يعرضون مهجهم للدافع عن الوطن المقدس ندعو كل فرد من أفراد الأمة إلى السير إلى الأمام حيث الشرف والمجد والدين والوطن.

٢ - منشور القيادة العامة

إن أمارات السوء التي ظهرت جليا موشحة بتجاوز العدو واختراقه الحقوق الولائية والبشرية أُنذرتنا بخطر الاستعباد وبطشه الأبدى وإيقاد نيران حرب تكون وبالا على الألوف من الأبرياء لهدم أمانى الأمة السورية والقضاء على مبادئها القويمة التي قامت تجاهد وتسعى لتضمن فوزها فى معترك الحياة.

لقد حان الوقت الذى يحتم على شبان هذا الوطن وشيوخه أن يستبسلوا أمام هذا الاعتداء الفعلى، وأن يظهرُوا منتهى الغيرة والإقدام رابطى الجأش. ساهرين على تنفيذ تلك المبادئ المقدسة - رغما عن ممانعة هذا العدو ومعاكسته لنيلنا هذه الغاية فى الحياة. إن الأمة السورية التى تعرف شرفها ومقامها والتى تتمتع بذكاء أبنائها ودهائهم، وتعتمد على أخلاقها القومية يستحيل أن يندرس مجدها فى أى وقت وأمام أية قوة، مهما تراكمت المصائب، واشتدت فداحة الظلم والجور عليها فلا بد أن يأتى اليوم الذى نعلن فيه ظفرها وانتصارها على غاصبها، ويستحيل أن تموت هذه الإحساسات، ويقتل هذا الشعور. فتخديرا للعزائم الوطنية وتوهينا لها قد تاتى طيارات العدو المحتل وتطلق فى سمائنا لاستكشاف الأماكن والحركات العسكرية، وإلقاء الرعب والإرهاب فى قلوب الذين لا يدركون أن تأثير الطيارات لا يكون إلا على الذين يخافونها، ولربما ترمى قذائفها على المباني العسكرية وإذا رأت جموعا وجماهير محتشدة لتثبيط العزائم والمعنويات القومية التى لا تتزلزل أمام هذه الترهات والأوهام - قد يكون تأثير أعمالها بسيطا فيضمحل ويتوارى معها متى تفرقت الجموع المجموعة، وانتشرت فى الأرض بلا خوف ولا وجل. وليعلم الشعب بأسره أن المدافع والطيارات والبنادق والأسلحة لا تقضى على آمال الأمة إذ إن تأثير الطيارات على الماديات المجردة فقط، وليس لها أى تأثير على الاحساس والوجدان أمام ثبات الأمة وإقدامها على اقتحام المصاعب والعقبات التى يضعها العدو الفاجر فاه ليبتلعنا إذا زلت بنا القدم - كما أن الحكومة قد اتخذت الحيطة والتدابير الممكنة لمنع تجول الطيارات واعتلائها فى آفاقنا، ووضعت المدافع والرشاشات السريعة فى مواضع متعددة لصدّها والتنكيل بها فعسى أن تكفل الأعمال بالفلاح والنجاح، وما النصر الا من عند الله.

٣- منشور الحكومة

«إن الحكومة العربية السورية حبا للسلم، وحقنا للدماء البريئة لم ترغب أن تدخل غمار الحرب. فقبلت ما عرضه عليها الجنرال غورو من الشروط المصحوبة بالإذار، وأرسلت إليه قبل انتهاء الموعد جواب موافقتها. كما أبلغكم ذلك كبير الأمناء إلا أن الجنرال غورو نقض العهد - مع الأسف وبادأنا بالعداء فعلا، فأصبحت الأمة بعد الاتكال عليه تعالى والاستمداد من روحانية نبيه مضطرة للدفاع عن كيانها وحياتها وشرقها، ملقية تبعه ما ينجم عن الحرب من الويلات على الجنرال غورو. لذلك فإنني أوصي جميع أبناء الوطن ورجال الحكومة أن يقوموا بواجباتهم الوطنية بعزم وقوة متوكلين على الله القدير، ومنعا لهذا الاعتداء الفظيع، وما النصر الا من عند الله يؤتيه من يشاء»

استئناف المفاوضات ومطالب جديدة

وعاد الملك ثانية - بعد ما خمدت ثورة عاطفته - فأرسل إلى الجنرال غورو يوم ٢١ منه البرقية الآتية:

«على الرغم من قبول جميع الشروط الواردة في مذكرة ١٤ الجاري، وعلى الرغم من زحف الجيش الفرنسي وتقدمه نحو دمشق، ورغبة في حقن دماء تسيل بلا طائل أطلب منكم في الدقيقة الأخيرة أن تصدروا أمركم إلى الجيش بإيقاف أعماله للدخول في محادثات تدور على القاعدة المبينة في برقيتكم المبلغة اليوم. يسافر اليوم إلى طرفكم أحد أعضاء الحكومة، ومهمته التعاقد معكم باسمها» وغادر دمشق في اليوم نفسه (٢١ منه) ساطع الحصرى وزير المعارف وجميل الألسى المرافق العسكرى لجلالة الملك إلى عالية لمقابلة الجنرال غورو والبحث معه في إيقاف زحف الجيش، فسلم الجنرال الوزير المذكورة الآتية وقد حملها الملك وهى:

إنه وأن تكن طرق التنفيذ المنصوص عليها فى الإذار لم تنفذ خلال المدة المضروبة، ولما كان الأمير قد اتخذ تدابير التنفيذ فالجنرال غورو مستعد لوقف زحف الحملة على دمشق بالشروط الآتية:

١- تنشر حكومة دمشق منشورا ألحقت مسودته بهذا البيان يوضح الأسباب التى حملت

الجيش الفرنسي على الزحف وعلى التوقف.

٢ - تستقر الحملة في الأماكن التي بلغتها وتحدها من الشرق بمسبل التكية، وتظل هنا ريثما يتم تنفيذ شروط الإنذار كاملة، تلك الشروط التي قبلها الأمير، وتخفف تدريجياً بالنسبة لتنفيذ الشروط.

٣ - تظل سكة حديد رفاق - التكية في خلال هذه المدة تحت مطلق تصرف الفرنسيين.

٤ - تسترجع الحكومة إلى دمشق القوات العسكرية الشريفة المرابطة غربى وشمالى مسبل التكية وفى المنطقة نفسها، بما فى ذلك قوات البقاع، وذلك رغبة فى سلامة الجيش الفرنسي، ويجعل الدرك الباقى فى هذه المنطقة تحت أمر السلطات الفرنسية المحتلة.

٥ - تمتنع حكومة دمشق من الآن عن مد يد المساعدة للعصابات التى تعمل فى المنطقة الغربية، وخصوصاً للشيخ صالح.

٦ - إن الاضطرابات التى نشأت عن أعمال العصابات التى أوصلت الحالة إلى هذا الحد وحوادث ٢٠ يوليو فى دمشق، وقد أثبتت خطر تسليح الشعوب تسليحاً عاماً، إن هذه الاعتبارات تجعل من الواجب على الجنود المسرحين أن يسلموا أسلحتهم إلى المستودع العسكرى على أن ينزع سلاح الشعب تدريجياً.

٧ - تقيم فى دمشق لدى الحكومة بعثة فرنسية مفوضة تمنح الاختصاصات الآتية:

أ - اختصاصات مؤقتة.

تقوم بمهمة المراقبة على تنفيذ الشروط التى قبلتها الحكومة.

ب - اختصاصات دائمة.

تدرس طريقة تطبيق الانتداب فى المنطقة الشرقية - أى تعاون فى تنظيم وفى قيام الوزارات بالخدمات العامة.

توضع هذه البعثة تحت إشراف رئيسها (الكولونيل كوس) وتؤلف من الفروع الآتية:

فرع عسكرى

فرع مالى - للضرائب والمحاسبات العامة وأملاك الدولة والمساحة والبريد.

فرع إدارى - لأعمال الإسعاف والصحة.

فرع اقتصادى - للزراعة والمناجم والأشغال العامة.
فرع للحقانية والشرطة.
فرع للتعليم العام.

٨ - فى حالة عدم تنفيذ شرط من هذه الشروط، أو فى حالة الاعتداء على الجيش الفرنسى فى أى جهة من الجهات تسترد الحملة حريتها المطلقة فى العمل.
وأبرق الكولونيل كوس يوم ٢٢ منه إلى الجنرال غورو البرقية الآتية:
تلقى الأمير إعلانا بهدنة تنتهى يوم ٢٣ منه عند منتصف الليل، وحيث إنه لم يصله حتى الآن أى اقتراح من قبلكم، فهو يطلب إبلاغه بسرعة الشروط المقترحة مع مهلة كافية لإعطاء الجواب.

قبول شروط الإنذار الأخير

ودعا الملك الوزراء إلى القصر الملكى، وأطلعهم على شروط الإنذار الجديد واستشارهم فيما يرونه. فأشاروا عليه بقبوله وعدم المعارضة، ويقول أحد الثقات ان يوسف العظمة كان فى جملة الوزراء الذين أشاروا على الملك بقبول الإنذار فلما سمع منه ذلك قال له:
- ولماذا كنت تصر على الحرب؟
- كنت أعمل «مناورة» على الفرنسيين
- يجب أن نموت بعد أن وصلت الحالة إلى هذا الحد.
- إذن أنت تأمرنى أن أموت.
- يجب أن نموت شرفاء.

أول بلاغ رسمى عن القتال

وفى يوم ٢٢ نشر فى دمشق البلاغ الرسمى الآتى:
«حالمًا أعلن الدفاع عن البلاد ووقفت قواتها التى كانت راجعة من مجدل عنجر غربى

خان ميسلون فصدمتها القوات الفرنسية المتقدمة، وفي طليعتها خمس دبابات فتبادلت مدفيعتنا والدبابات النار فحططنا ثلاث وأكرهنا الأخيرتين على التقهقر والانسحاب بسرعة.

وكان قطار عسكري فرنسوى يسير من رياق إلى جهة حمص فاقتلعت قواتنا الوطنية قضبان سكة الحديد قرب القصير فهوى القطار وانفجر ما فيه من مواد حربية ولم يرد علم بعد عما أصاب ركابه.

وبينما كانت دورياتنا فى بعلبك تتجول للمحافظة على الأمن تعرضت لها قوة فرنسوية، ولكنها انهزمت تاركة مركبة نقل، وسبعة قتلى وثلاثة جرحى.

وحامت طيارة اليوم فوق مواقعنا (٩) فأكرهتها مدفيعتنا على الانسحاب فارتدت نحو الغرب.

وزحفت قوة فرنسوية نظامية مؤلفة من كتيبتين إلى يحفوها فقابلها الوطنيون وردوها إلى رياق بعد ما كبدها خسارة»

وعاد الملك فأرسل يوم ٢٣ منه البرقية الآتية إلى الجنرال غورو:

«نحن نأبى الحرب بيد أن قبولنا لمذكرتكم الأخيرة يعرضنا لحرب أهلية، ويجعلنى أنا وكل عضو من أعضاء الحكومة عرضة للتهلكة. نحن على استعداد لتنفيذ إنذار ١٤ يوليو بكامله، وقد نفذنا حتى الآن أربعة بنود من بنوده وتتعهد بشرفنا بأن ننفذه بإخلاص إذا جلا الجيش الفرنسوى عن الأماكن التى احتلتها»

ولما لم يرد جواب من الجنرال الذى كان مصمما على متابعة الزحف إلى دمشق أدرك رجال الحكومة أنه لا بد من القتال والمقاومة فذهب يوسف العظمة إلى ميسلون لملاقاة الجيش الفرنسوى، وتقلد ياسين باشا الهاشمى قيادة موقع دمشق والأمير زيد القيادة العامة للجيش، ولكن الجيش كان مسرحا.

معركة ميسلون

كانت الخطة العسكرية التى وضعها يوسف العظمة للدفاع عن دمشق تقضى بإنشاء سلسلة من الحصون حول قرية مجدل عنجر المطلة على سهول البقاع والمسيطرة على طريق رياق - دمشق السلطانى، وبحشد قوات من الجند لمنع الجيش الفرنسوى من التقدم نحو

العاصمة، وكان مجموع القوات المرابطة فى هذا الخط حينما اجتمع المجلس الحربى يوم ١٦ يوليو يقدر بثلاثة آلاف جندى نظامى مسلحين ببطاريتين من المدافع: بطارية جبلية وبطارية صحراوية يقودهم أميرالالاي تحسين الفقير، وقد حل فى قيادة هذه المنطقة محل ياسين الهاشمى الذى أبى تولى القيادة - كما رأيت - لاعتقاده بعجز الجيش عن المقاومة والثبات لنقص معداته وأسلحته وفقده النظام.

ولقد سرحت هذه القوى حينما صدر الأمير بتسريح الجيش يوم ١٧ منه. فارتدت المدفعية إلى دمشق تاركة خطوط الدفاع الخلفية، كما تفرق المشاة عائدين إلى بيوتهم ومنازلهم وبلدانهم، لأن الخطة التى ساروا عليها فى تسريح الجيش تقضى بإلغاءه إلغاء تاماً، وعدم الإبقاء على شىء منه، ولذلك تفرق رجاله المدربون هنا وهناك، ولم يبق من مجموع قوات مجدل عنجر عندما نودى بالحرب يوم الأربعاء ٢١ منه سوى ٦٠ جندياً جمعوا من هنا وهناك وحشدوا فى ميسلون للدفاع والمقاومة. ولا نشك فى أن تسريح الجيش على هذا المنوال كان من جملة العوامل التى أطمعت الجنرال غور، وجعلته ينتقل من تشديد إلى تشديد آخر، ولو اكتفوا بسحب الجيش إلى خارج المنطقة وأبقوه فيها على أن يسرح نهائياً بعد الاتفاق على جميع الشروط وتنفيذها لما حدث ما حدث.

وانتشرت الدعوة للتطوع فى دمشق يوم الأربعاء (٢١ منه) ونفخ فى بوق الحرب بعد ما كان الجيش الفرنسى قد اقتحم منطقة مجدل عنجر ووادى الحرير، وتقدم باتجاه ميسلون وتبعد عن دمشق ٢٨ كيلو متراً فقط من جهة الغرب.

ورأى قواد الجيش العربى أن يصمدوا لجيش الجنرال غواييه فى ميسلون وأن ينازلوه فيها، فبدأوا من يوم الأربعاء بانثناء خط دفاع وبياعداد معدات القتال، وتنظيم المتطوعين القادمين من دمشق، وقام بهذه المهمة الخطيرة البكباشى شريف الحجار مدير الاستخبارات العسكرية فى الجيش، والاستاذ فى المدرسة الحربية، فقد وصل إلى ميسلون مساء ذاك اليوم على رأس ٣٠٠ فارس وتوالى وصول المتطوعين فبلغ عددهم مساء الجمعة ٢٣ منه ثلاثة آلاف يحملون بنادق مختلفة الأنواع والأحجام. ونظم شريف الحجار الأسلحة قبل الاشتباك فى المعركة فوضع حملة البنادق الإنكليزية فى جانب، كما وضع حملة البنادق الألمانية فى جانب آخر، ومثلهم حملة البنادق العثمانية.

وعبئت هذه القوى فى منطقة ميسلون ووهادها وجبالها تعبئة محكمة، وأقامت فى انتظار وصول العدو، وجاء يوسف العظمة صباح السبت ٢٤ منه ليشتترك فى القتال. وانشئت مصلحة للتموين (منزل) فى دمر بقيادة لطفى الرفاعى لإمداد الجيش المحارب بالمؤن والماء - كما أنشئت مصلحة للصحة.

وظلت القوى الفرنسية تتقدم من دون مقاومة حتى أشرفت على منطقة ميسلون مساء الجمعة، فحطت رحالها وأقامت تنتظر الصباح للبدء بالعمل، وعند شروق فجر السبت ٢٤ منه أخذت المدفعية الفرنسية تطلق نيرانها بشدة على أماكن المتطوعة فثبتوا وكانت المدفعية السورية تجيبها بمقدار لقلّة العتاد، وكان هناك نحو ١٠ طائرات ترافق الجيش الفرنسى فى زحفه، وعدد كبير من الدبابات يمهد له، وفى الساعة ١٠ صباحا بدأ مشاتهم بالزحف إلى الأمام فصمد لها المتطوعة، وأصلوها نارا حامية، ووقف يوسف العظمة عند الساعة الحادية عشرة على احد التلّول ويديه منظار يراقب حركة القتال، فحاول مرافقه العسكرى ياسين الجابى أن يحمله على التراجع وعدم تعريض جسمه لرصاص الأعداء فأبى فجاءته رصاصة من رشاشة فى صدره وتلتها رصاصات أخرى فوق مضرجا بدمه.

واستمر القتال بين الفريقين حتى الظهر فأسكتت المدفعية الفرنسية المدفعية السورية كما زحزح المشاة فغادروا أماكنهم تاركين نحو ٨٠٠ شهيد - أى أنهم فقدوا فى هذه المعركة أكثر من الربع. وقدرت خسارة الفرنسيين بثلاثمائة قتيل.

وهذا بيان القوات الفرنسية التى كانت تقاتل فى ميسلون كما جاء فى بلاغ فرنسى رسمى:

«الاي المشاة ٤١٥ وَاي رماة الجزائريين الثانى، ولواء سنغالى من الرماة الإفريقيين وَاي من السباهى المغاربة، وخمس بطاريات ميدان، ومثلها جبلية، وبطاريتان من عيار ١٥٥ ويبلغ مجموع القوة نحو تسعة آلاف جندى تعززها طائرات ودبابات مع كمية من الرشاشات، وكانت بقيادة الجنرال غواييه. وقد تطوع فى هذه الحملة عدد كبير من اللبنانيين الموارنة، بينهم بعض المتعلمين للقيام بأعمال الاستطلاع والترجمة والتجسس وأداء خدمات أخرى.

الانسحاب من ميسلون

وتم انسحاب المتطوعة والضباط العرب من ميسلون عند الساعة الواحدة بعد الظهر وارتد المشاة إلى سهول الديماس يقودهم شريف الحجار، وقد حاول أن يقف بهم عند قدسيا، وينشئ خط دفاع للمقاومة، ولكنه اضطر إلى الانسحاب لضعف القوى الأدبية وفقد النظام، ولأن الذين التقوا حوله لا يزيدون عن ٢٥ جنديا فعاد في المساء إلى دمشق.

جلالة الملك في الميدان

قصد جلالة الملك صباح السبت ٢٤ يوليو دمر ومنها إلى الهامة حيث كان مقر الجيش فوقف يرقب أخبار القتال الدائر في ميسلون، ونحو الساعة الحادية عشرة ركب الأمير زيد ومعه الدكتور أحمد قدرى سيارة قاصدين ميسلون، وما كادا يتوسطان صحراء الديماس حتى حلفت فوقهما طائرة فرنسية رمتها برصاصها فأوقف الأمير السيارة ونزل منها واستلقى على ظهره وأخذ يطلق عليها الرصاص من بندقيته، وأمر الدكتور بالنزول فنزل استعداداً للدفاع، ولكن الطائرة تركتهما وانصرفت عنهما، وكان هنالك عدة طائرات فرنسية تروح وتغدو للاستطلاع، وفيما هما على تلك الحالة مر بهما سائق سيارة يوسف العظمة وهو يسوق السيارة وهي خالية ويقول بأعلا صوته لقد انكسرنا، وما كاد يتقدمان قليلا حتى شاهدا المتطوعين عائدين فرجعا إلى الهامة ورافقا الملك إلى منزل الأمير زيد في المزة، وقصد الدكتور قدرى دار الحكومة لإبلاغ الوزراء ما وقع وإبلاغ البلدية أن تكون على استعداد، فمر بطريقه بدار المعتمد الفرنسي فاستدعاه وقال له قل لجلالة الملك أن لا يقيم بعيداً فعاد إلى المزة وقص على جلالة الملك ما وقع فتقرر أن يقصد الكسوة وسار إليها فعلا عند الأصيل، وكان من رأى قناصل وإيطاليا وأمريكا وانكلترا أن يظل جلالته في دمشق فيخرجه الفرنسيون بالقوة إذا شاءوا.

وكانت الخطة التي يميل جلالة الملك إلى اتباعها في هذا الدور تقوم على الانسحاب مع هيئة الحكومة إلى درعا وإنشاء خط دفاع هنالك، وجمع القوى ومواصلة النضال، بيد أن سقوط ميسلون بسرعة وتشتت قوى المتطوعة، وعدم استطاعتها الوقوف طويلا في وجه الفرنسيين وتخلف بعض الوزراء عن اللحاق بجلالته حال دون تنفيذ هذه الخطة، يضاف إلى ذلك أن الكولونيل طولاً وزميله كوس كانا يعملان حتى تلك الساعة ليظل جلالته على عرش سورية ساعين لإقناع الجنرال غورو بأن ما وقع هو من فعل العناصر المتطرفة، ولا تلبث أن تنفض وتذوب بعد الاحتلال.

الجيش الفرنسي في دمشق

مشى الجيش الفرنسي من ميسلون بعد ظهر السبت بحذر وببطء فبلغ المزة في المساء فحط رحاله ونزل في جوارها. وزاره في المساء اللواء نوري السعيد قائد موقع دمشق والقائم مقام جميل الأتشي مرافق الملك، واتصلا بقائده وأركان حربه وأبلغوهم ان في استطاعة الجيش أن يدخل دمشق في أى وقت أراد.

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر الأحد ٢٥ منه بدأت جيوش الحملة تدخل دمشق - وكانت مقفلة الأسواق. عابسة مقطبة تندب شهداءها ورجالها وآمالها وقد لبست ثوب الحداد - فوزعت في ثكناتها، ووقف الأهالي على برازق الأرصفة مطرقين عابسين، مقطبين كأن على رؤسهم الطير.

تأليف الوزارة الدروبية

ووقع الملك في صباح الاثنين ٢٦ منه، وكان لا يزال في الكسوة مرسوما بتعيين علاء الدين الدروبي رئيس مجلس الشورى في الوزارتين الركابية والأتاسية ووزير الداخلية في الأخيرة رئيسا لوزارة جديدة تحل محل الوزارة الأتاسية المستقيلة.

فألف هذا وزارته على الفور من عناصر عرفت بتأييد الانتداب الفرنسي وموالاته. وقد أرادوا من هذا التدبير، ومن اختيار هؤلاء أن يكونوا واسطة للتفاهم بين الملك والفرنسيين وهذه أسماء الوزراء: عبد الرحمن اليوسف للشورى، وعطا الأيوبي للداخلية وبيديع المؤيد للمعارف، وجميل الأتشي للحربية، وفارس الخورى للمالية، ويوسف الحكيم للزراعة، وجلال الدين للعدلية - أى انها كانت تضم معظم أعضاء الوزارة السابقة فرئيسها وثلاثة من أعضائها كانوا فيها.

وتبدل الموقف حينما أذاع الجنرال غواييه قائد الحملة الفرنسية البيان الآتسى:

«بما أن الأمير فيصلا جر البلاد إلى شفا الخراب والدمار فقد جرد من سلطة الحكم وصدر الأمر بدفع عشرة ملايين فرنك تعويض الخراب وسد الخسارة التي أصابت المنطقة الغربية من جراء العصابات، ونزع سلاح الجيش السوري عامة»

احتجاجات الملك وندابيره

ولما طلع الملك على هذا البلاغ أرسل إلى الجنرال غورو يوم ٢٧ منه الاحتجاج الآتى بريقيا:

«احتج على التصريح الذى صرح به قائد حملتكم إلى حكومتى بتاريخ أمس وأتصل من كل تبعة أردتم أن تحملونى إياها، وأعتبر جميع المكاتبات التى تدور بينكم وبين حكومتى أو التعليمات التى تصدرونها إليها مباشرة وبدون وساطتى ملغاة، وغير مشروعة أمام جمعية الأمم».

«وأكرر لكم بهذه المناسبة تصريحى السابق، وقد أعربت فيه عن رغبتى فى اجتناب كل نزاع، وفى عدم معارضتى لوجود البعثة التى يوكل إليها تحديد أسس الانتداب، وقد رضيت به فى الأول والآخر».

وأرسل فى اليوم نفسه إلى اللورد كرزن وزير الخارجية البريطانية البرقية الآتية بواسطة اللورد اللنبى:

سيدى

أرسل إليكم طى هذا صورة تبليغ من قائد جيش الاحتلال الفرنسوى، وقد احتججت عليه، وتجدون صورة هذا الاحتجاج طيه أيضا. وأنا أنكر كل ما جاء فى التبليغ المشار إليه وأضع المسؤولية كلها سواء كانت مادية أو غير مادية على السياسة التى جرى عليها جيش الاحتلال الفرنسوى منذ الاحتلال وعقد الهدنة مع تركيا. وإنى موقن من زمان طويل أن الغرض الأسمى هو إخراجى بحيل ووسائل من هذه البلاد، وحملى على مغادرة العرش الذى أسسته بمساعدة حكومة صاحب الجلالة البريطانية، وبذلك يتأرون منى لصلاتى الودية مع بريطانيا العظمى. وسأبقى على هذه الحال فى دمشق منتظرا مشورتكم لى، ومحتجا على كل مشاكسة ومعاكسة، وأرجو أن لا يطول انتظارى طويلا، فإذا لم

تصلنى إشارة منكم بما أفعل، فأنا لا أرغب البقاء فى هذه البلاد مهانا ذليلا، ولا أطيق الذم الذى يوجه إلى أمتى من غير حق. وقد طلبت رسميا من القائد الفرنسوى أن يبلغنى رسميا بأن أغادر البلاد أو يعاملنى طبقا لحالة (شروط) الانتداب».

وأرفقه أيضا بالكتاب الآتى إلى اللورد النبى:

سيدى اللورد

كما أخبرتكم قبلا بعد تسريح جيشنا، وإخلاء مراكزنا الحربية فى مجدل عنجر، والفائدة التى نجمت عن هذا الاحتلال للجيش الفرنسوى بتقدمه إلى وادى القرن، وبعد تسلم البلاغ النهائى من الجنرال غورو وجوابى بقبول كل الشروط التى تضمنها البلاغان، وطلبى منه أن يسحب جنوده من الأماكن المحتلة بلا حق، لايستطع إنزال العقوبات بأولئك الذين اتهموا باشتراكهم مع السكان فى الزحف إلى الساحة ليحولوا دون تقدم الجيش الفرنسوى عند دخوله دمشق. وإنى وحكومتى نرفض رفضا باتا أن نشهر حربا على فرنسا أو نثير نزاعا مع الفرنسيين. ولقد لقي الجنرال غورو حينما أراد اقتحام دمشق رجالا غير مسلحين وغير ممرنين تقدموا رغم إرادتى وكدت أواجه حربا أهلية داخلية لو سلمت بتقدمه إلى خان ميسلون. كما وقع عند قبول الشروط الأولى، ولم يقبل الجنرال غورو طلبى بإيقاف الزحف، بل هاجم رجالا غير ممرنين ومسلحين فكانت مجزرة استعملت فيها جميع أنواع آلات الحرب الحديثة والدبابات والطائرات وزهقت ١٥٠٠ روح ثم تقدم ودخل دمشق بدون مسوغ شرعى، وقد انسحبت إلى الضاحية خشية وقوع حرب فى الشوارع لو بقيت فى داخلها. وعدت إليها بعد احتلال الجنود الفرنسيين الذين استعملوا جميع أنواع الدسائس والافتراء.

ولقد أساء الينا الجنرال بنكته فيما وعدنا به من عدم التقدم إلى دمشق، وبنقضه عهده وقد اعتمدنا عليه فسرحنا جيشنا، وأخلينا مواقعنا العسكرية عند مدخل وادى الحرير».

مطالب الفرنسيين الجديدة

وأبلغ الجنرال غوابيه أيضا الحكومة السورية مذكرة تنطوى على المطالب الآتية:

١- دفع عشرة ملايين فرنك غرامة حربية باسم تعويض.

٢ - نزع سلاح الجيش السوري وتحويله إلى قوة بوليس وتسليم أسلحته ومعداته ومدافعه إلى الجيش الفرنسي غنيمة حربية.

٣ - تسليم كبار المذنبين ليحاكموا أمام المحاكم العسكرية.

٤ - انتهاء حكم الملك فيصل.

٥ - نزع سلاح الأهالي، وذلك بتقديمهم عشرة آلاف بندقية للجيش الفرنسي.

فقبلت الوزارة هذه الطلبات وتعدت بتنفيذ أحكامها، ودفعت الغرامة وسلمت الأسلحة وسرحت الجيش، وأخذ الفرنسيون جميع معداته وأسلحته، وفرضوا مثل هذه الغرامات (مالا وينادق) على جميع المدن السورية الداخلية تقريبا، فدفعت حمص وحماه وحلب غرامات كبيرة وسلمت مقادير وافرة من الأسلحة.

خروج الملك

وفى مساء ٢٧ منه سلم الكولونيل طولا رئيس البعثة الفرنسية بدمشق إلى الملك فيصل الكتاب الرسمي الآتي:

«أتشرف بإبلاغ سموكم الملكى قرار الحكومة الفرنسية. وهى أنها ترجو منكم مغادرة دمشق بأسرع ما يستطاع بسكة حديد الحجاز مع عائلتكم ويطانتكم، وسيكون تحت تصرف سموكم والذين معكم قطار خاص يبرح محطة الحجاز بدمشق غدا ٢٨ يوليو الساعة الخامسة صباحا»

ولما تلقى جلالته الملك هذا البلاغ أرسل على الفور إلى الجنرال غورو الكتاب الآتى:

«أبلغنى الكولونيل طولا بكتاب مؤرخ ٢٧ الجارى قرارا للحكومة الفرنسية، يدعونى إلى مغادرة دمشق بقطار خاص فى الساعة الخامسة من صباح غد، فلى الشرف أن أصرح لكم اننى لا أعترف للحكومة الفرنسية بحق نزع الاختصاص الذى منحنى اياه مؤتمر الصلح رسميا لإدارة المنطقة الشرقية حين احتلال سورية، وتقسيمها إلى ثلاث مناطق ثم تأيد عمليا بتاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩ بالمذكرة التى قدمها المستر لويد جورج إلى المسيو كمنصو وإلى».

«وما أنا بمعترف للحكومة الفرنسية بأى صفة فى نزع اللقب الذى لقبنى به الشعب السورى، والقوة وحدها هى التى تستطيع نزعه، ولكنكم تعلمون أنه لا عمل لها فى الحقوق الخاصة.

«وغنى عن البيان أن دخول جيوشكم إلى دمشق بعد معركة قصيرة مع الشعب واحتلال دور المصالح العامة عسكريا هو خرق لمقررات مؤتمر السلام، وبالأخص لمبادئ جمعية الأمم التى أُلغت الحرب، ووضعت قواعد لحل الخلافات بطريق التحكيم الدولى.

«وكذلك فإن احتلالكم لعاصمة البلاد عمل خطير الشآن وغير عادل، لأنه وقع بعد تسريح الجيوش السورية طبقا لإنذاركم المؤرخ ١٤ الجارى وقد قبلته بكامله، ذلك القبول الذى أظهرتم ارتياحكم إليه فى كتابكم يوم ٢٠ الجارى وأقمتونى شاهدا لعطفكم على الشعب السورى.

«نعم انكم طلبتم فى الفقرة الثانية من ذلك الكتاب تأكيدا مفصلا لقبول شروطكم، لا جوابا بالقبول، لأن هذا كان فى يدكم، على أن تأخير وصول هذا التأكيد المفصل، وقد سلمته إلى معتمدكم الكولونيل كوس قبل انقضاء الموعد بست ساعات لا يسوغ لكم سوق جيوشكم إلى دمشق خصوصا، وقد أبلغتم قبل انقضاء الموعد المضروب للإنذار باثنتى عشرة ساعة أننى بدأت بتنفيذ شروطكم بجد، وفى مقدمتها تسريح الجيش السورى.

«ولقد استخرجتم من هذه الحالة - وهى تثبت ما عانيته بسبب قبول الانذار - حجة للزحف على بلادى، فاستقبل عدد قليل من الجند أقيم لحفظ الأمن والنظام، جيشكم كحليف فلم يحل هذا دون اعتقال ضباطكم لهؤلاء كأسرى حرب مع أن حالة الحرب غير موجودة.

«وأذركم أيضا بالكتاب الذى أرسلتموه إلى مع وزير المعارف، مندوبى لديكم وما انطوى عليه. فقد اعترفتم بأننى غير مسؤول عن تأخير وصول البرقية المفصلة، وقد أشير إليها أنفا وفى نفس الوقت الذى اعترفتم فيه هذا الاعتراف فرضتم علينا شروطا قاسية جديدة، يستحيل على حمل شعبى على قبولها، فوضعتمونى بذلك بين أمرين كلاهما مخطر ومخيف: إما قبول شروطكم الجديدة، وفى ذلك الثورة على جيشى وحكومتى فتتذرعون بها للتدخل واحتلال دمشق، وإما الرفض وفى هذه الحالة تزحف الألوف المؤلفة من جيوشكم المسلحة بجميع أدوات التدمير الحديثة، وتتنصر على شعب حمل على أن يكون ضدها وتدخل دمشق. وقد وقع الشق الثانى.

«ولو كانت الشعوب تعيش اليوم كما كانت تعيش فى القرون الوسطى يوم كان الحق للقوة، وكان السيف هو الحكم فى الاختلافات لكان تصرفكم منطبقا على القوانين القائمة ولكن الحرب العظمى وقد خضنا عمارهما فى جانب الحلفاء لنفوز باستقلالنا قد بلغت غايتها بإقرار مبدأ الحق وسحقت الروح العسكرى. وإذا لم تكن مبادئ مؤتمر الصلح التى أعلنت حرية الشعوب وحقها فى أن تحكم نفسها بنفسها ليست لغوا من القول، وإذا ظل عهد جمعية الأمم - وقد وقع عليه الحلفاء والأعداء - وهو يلغى الحرب بين الشعوب واستعباد الأمم، باقيا ومحترما فالقوة العسكرى الفرنسية التى احتلت المنطقة الشرقية وقد عهد إلى إدارتها، ذلك الاحتلال الذى لا يمكن إلا أن يعد أداة للإرهاق، ويجب أن يعتبر كذلك.

«وختاما فإن تصرفاتكم تخالف اتفاق سايكس - بيكو وقد وقعت عليه الحكومتان الفرنسية والإنكليزية سنة ١٩١٦، والاتفاقات المعقودة فى أواخر سنة ١٩١٥ بين الحكومة الإنكليزية من جهة وجمالة والذى ملك الحجاز من جهة أخرى، والمادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم، وقرارات مؤتمر سان ريمو، والتعهدات التى تعهدت إلى بها الحكومة الإنكليزية، ونص معاهدة الصلح المعروضة على تركيا، والاتفاقات المعقودة بين المسيو كلمنصو رئيس الوزارة الفرنسية السابق وبينى، وتخالف فى النهاية القوانين العامة ومبادئ الأخلاق الدولية»

فصل

احتجاج الحكومة السورية الرسمى

وفى يوم السبت ٢٤ منه أبلغ معتمد الحكومة العربية السورية فى مصر احتجاج حكومته إلى دول العالم والحلفاء على أعمال الجنرال غورو وهذا نصه:

«بعد أن قبل الملك فيصل والحكومة السورية شروط الجنرال غورو التي نشرت في الصحف حبا بحقن الدماء وسحب جيشه إلى الداخل أمر الجنرال غورو جنده بالزحف على دمشق، فاحتج الملك فيصل على هذا العمل مستصرخا العالم المتمدن، ومعلنا تنصله من كل تبعة تنشأ عن مخالفة الجنرال غورو للوعود الرسمية».

وفى يوم ٢٥ منه أذاع المعتمد في الصحف المصرية البيان الآتي:

«أخبرتني حكومتى السورية بقبولها الشروط التي اشترطها الجنرال غورو على جلالته الملك فيصل في الأسبوع الماضي، ومنها سحب الجنود العربية المخيمة في حدود المنطقة الشرقية، وتسريح باقى الجيش الموجود في دمشق وغير ذلك من الشروط التي نشرتها الصحف وقبلها جلالته الملك، حبا بحقن الدماء، ومحافظة على السلام واعتمادا على وفاء الجنرال غورو بالعهود، وعدم زحف جيشه إلى المنطقة الشرقية. وقد اغتتم جنابه فرصة انسحاب الجيوش العربية من الحدود إلى الداخل فأمر بزحف الجنود الفرنسية إلى دمشق - رغما عن الاتفاق الذى تم بينه وبين الحكومة السورية.

«وبما أن هذا العمل الذى هو خرق للعهود وتآباه العدالة والقوانين الدولية ويترتب عليه من النتائج ما لا يتفق مع حب السلام فإنى باسم الحكومة السورية أحتج عليه وأستصرخ العالم المتمدن لافتا نظره إلى ذلك، والحكومة تتنصل عن كل تبعة تنشأ عن مخالفة الجنرال غورو للعهود الرسمية التي ألزم بها نفسه»

الأمير فيصل يغادر دمشق

وازدهم القصر الملكى بالمودعين من كبار القوم وقد جاوا لإظهار عاطفتهم نحو جلالته الملك، ومما قاله لوفد كان فيه كاتب هذه السطور «لقد كان فى إمكانى أن أعمل ما عمله الخديو توفيق فأستعين بالإنكليز وأتفق معهم، ولكنى لم أفعل ذلك لأننى واثق من حقى ومن فوز الأمة فى النهاية».

وقال يومئذ «أنا ذاهب الآن إلى درعا، ولا أعلم إلى أين أتوجه بعد ذلك إلى الجنوب أم إلى الغرب. لقد طلبت ثقة البلاد دفعات. فكانوا يقولون أنه يحرص على المقام، وأنه عقد اتفاقات سرية، وكنت أقول لهم ثقوا بى ولا تعصوا أمرى لعلى أبلغ بكم نهج

السبيل، فلم أقدر على الإسماع. وقد رأيت الخطر بعيني، وفعلت ما لا رأى لى بفعله. وقد يجعل الله بعد عسر يسرا.

«كلنا وطنيون وفيينا المتعقل والمتهور، ولما جئت إلى هذه البلاد، ورأيت بعض الإخوان يتنادون بالحركة العربية نصحت لهم بالأناة والنبر. ثم عدت فوجدت بعضهم قتيلا والآخر شريدا. أنا ذاهب الآن وقد ضاعف همتي ونشاطى ما رأيت، وستسمعون صوتى إن حييت ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ويختار».

وغادر جلالته دمشق فى الساعة الخامسة من صباح ٢٨ يوليو. وقد اختاروا لسفره هذا الوقت لئلا يخرج الناس لوداعه فودعه بعض كبار القوم، وسافر معه بعض رجاله، ولما وصل درعا التقف حوله شيوخ حوران فأقلق ذلك الفرنسيين، فخافوا العواقب وطارت إحدى طياراتهم على الأثر، وألقت على درعا وبقية القرى الحورانية المنشور الآتى:

من الجنرال قائد القوات الفرنسية إلى أهالى درعا وضواحيها

«إن الأمير فيصلا كان قد تلقى أمرا بأن يترك دمشق ويسافر رأسا إلى بلاده، وقد تعهد بإطاعة هذا الأمر. أما وقد بلغنا على العكس مما تعهد به أنه بقى فى درعا وشرع فى مخادعة الأهالى ليدفعهم إلى أعمال سيئة العواقب ومضرة بمصالح البلاد التى لم يبق له فيها أقل علاقة. فقد كتب له أن يتابع سفره بلا تأخير».

«فنحن الآن ندعو عموم الأهالى أن يكلفوه بأنفسهم بترك بلادهم حالا. إذ إن إقامته بينكم تجعل بلادكم هدفا للقنابل. والآن نعطيكم مهلة عشر ساعات ليتوجه الأمير فى ختامها إلى بلاده. وإذا مانع فى ذلك يجب عليكم، ارجاع قطاره إلى الشام».

وأرسل علاء الدين الدرورى رئيس الوزراء الجديدة برقية إلى الملك فيصل يقول:

«تبلغ السلطة العسكرية جلالتم الخروج من حوران، وقد وضعت تحت تصرفكم قطارا فإن لم تفعلوا فقد تضرب طياراتها قرى حوران» فرد عليه كبير الأمناء قائلا:

«يقيم جلالته الملك فى جزء من البلاد التى بايعته، ويتابع عمله فى إسعاد الوطن وتخليصه من المحن والمصائب التى لحقت به وهو لا يرى أن يتضرر أحد بسببه»

وفعلا غادر جلالته درعا بقطار خاص صباح أول أغسطس قاصدا حيفا. لأنه رأى أن

الأفضل لمصلحة الأمة والبلاد التوسل بالوسائل السياسية بدلا من المقاومة. وقد استقبل استقبالا رسميا في حيفا، ومما يستحق الذكر للعتة والاعتبار أنه طلب شايا حينما مر قطاره بمحطة العفولة (إحدى محطات سكة الحديد بين درعا وحيفا) وهي داخلة فى منطقة الاحتلال الانكليزى فشربه ودفع ثمنه، وهى أول مرة يدفع ثمنا لشاى يشربه فى أراضى مشمولة بالحماية البريطانية منذ الثورة.

ولما بلغ حيفا أرسل برقية إلى والده يطلب منه مالا. لانه غادر دمشق وهو لا يملك شيئا فأرسل اليه حوالة بخمسة وعشرين ألف جنيه على البنك العثمانى تسلمها، واستطاع بواسطتها أن يواصل سفره إلى أوروبا.

وأقام جلالتة فى حيفا حتى يوم ١٨ منه. ففى صباحه غادرها إلى بورسعيد فودعه الكولونيل ستانتون باشا حاكمها العسكرى. ويقال إنه أشار عليه بأن يقصد الحجاز بدلا من أوروبا. ولما بلغ القطار الرملة جاء السير هربرت صموئيل المندوب السامى لحكومة فلسطين يومئذ من القدس وحياه رسميا باسم الحكومة البريطانية. وبلغ بورسعيد فى المساء فأقام يومين، وفى صباح ٢٠ منه ركب الباخرة ستروبي إلى ايطاليا فنزل ميلانو ومنها قصد كومو فى إيطاليا ليواصل نضاله ودفاعه، وسافر معه إحسان الجابرى وساطع الحصرى ونورى السعيد وتحسين قدرى.

أحكام النفى والإعدام تصدرها المحاكم الفرنسية

بعد ما استتب الأمر للفرنسيين فى دمشق، وبعد أن فرضوا الغرامات المالية الباهظة على المدن السورية وتقاضوها، التفتوا إلى مطاردة رجال العهد الفيصلى فاجتمع المجلس العسكرى التابع للفرقة الثالثة من الجيش الفرنسى فى الشرق فى دمشق يوم ٩ أغسطس وأصدر الحكم الآتى:

«بعد جلسات ومقررات المفوض العسكرى قرر بأن: كامل القصاب وعلى خلقى وأحمد مريود والأمير محمود الفاعور وفؤاد سليم وصبحى الخضرا وصبحى بركات ومنح هارون وعونى القضماني وشكرى الطبايع وعمر شاكر وسليم عبد الرحمن وعمر بهلوان وعثمان قاسم وسعيد حيدر وعبد القادر سكر وخليلى بكير وحسن رمضان وعادل أرسلان ومحمد

اسماعيل ورشيد طليح وعونى عبد الهادى وإحسان الجابرى والدكتور أحمد قدرى ورفيق التميمى وتوفيق اليازجى ورياض الصلح وخير الدين الزركلى ومحمد على التميمى وبهجت الشهابى ونبيه العظمة وشكرى القوتلى وعيد الحلبي وياسين دياب وخالد الحكيم هم مجرمون بالاتفاق والتحريض والذسائس، لكونهم عملوا بالاتفاق مع أعداء الحكومة الفرنسية لتسهيل مقاصدهم وأعمالهم، فلذلك قرر المجلس العسكرى ادانتهم والحكم عليهم جميعا بعقوبة الاعدام وبمصادرة جميع أملاكهم وبمقتضى وطبقا للمادة ٢٠ من قانون الجزاء العسكرى وقانون ١٩ مايو سنة ١٩١٨ ونظرا للمادة ١٣٩ من قانون العقوبات العسكرى والمادة ٩ من قانون ٢٢ يوليو سنة ١٨٦٧ قرر المجلس أن يؤدى المحكوم عليهم نفقات المحاكمة، على أن تستوفى من إدارة أموالهم، وتدفع رأسا إلى خزينة الحكومة الفرنسية، وحكم أيضا بالاعدام على كل من صادق حمزه ومحمود أحمد البزة ورياض محمد حسن فرحات وعبد المجيد محمد البزة ومحمود فرح سليمان وموسى يورقلى والشيخ عبد الله عز الدين وطرفه الحاج فياض شراره ومحمد سويدان وأدهم خنجر وعلى حرب ومحمود قاسم وعبد الحسين سرور ونمر بليوز ومحمد تامر وسعيد يوسف تامر وبمصادرة أملاكهم.

وحكم بالنفى على كل من كامل الأسعد وعبد اللطيف الأسعد وحسن يوسف ونصر الله صعب والحاج محمد برى والسيد عبد الحسين شرف الدين ومصادرة أملاكهم.

وقبض بعد ذلك فى دمشق على كل من أحمد اللحام وياسين الجابى وسليم طبنج وعبد الفتاح المدفعى وعارف الجراح وياسين الحواصلى ومحمد غصوب من ضباط الجيش السورى وأرسلوا منفيين إلى إرواد، كما توارى معظم ضباط ذلك العهد خوفا من الانتقام.

مذكرة الملك فيصل إلى الحكومة الانكليزية

واستقر الملك ومن معه فى مدينة كومو الإيطالية حيث وافاه الجنرال حداد باشا معتمده الخاص فى لندن يومئذ. وفى كومو أعد الملك مذكرة طويلة بسط فيها الحوادث التى تعاقبت على البلاد العربية بعد الحرب بسطا وافيا، وحملها حداد باشا نفسه إلى المستر لويد جورج يوم ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٠ مع الكتاب الآتى:

الفندق الكبير

قصر «ايستى» إيطاليا ١١ سبتمبر عام ١٩٢٠

لحضرة المستر لويد جورج رئيس الوزارة الإنكليزية المحترم

أرفع اليكم طيه المذكرة التى وضعتها عن القضية العربية. ثم أقول:

عندما غادرت سورية، كنت أرغب أن أذهب توا إلى سويسرا، لمخابرتكم منها عن الوقت الذى تجدونه مناسباً لمقابلتى فى إنكلترا.

على أننى عندما وصلت إلى هنا (إيطاليا) علمت أنكم فى «لوسرن»، فرأيت أن لا أذهب إليكم مخافة أن لا تكون الفرصة سانحة عندكم لمقابلتى.

والآن، وقد عدتم إلى بريطانيا، فإنى أقدم إليكم مذكرتى بواسطة الجنرال حداد باشا، الذى أضع أنا ووالدى كل ثقنتنا به.

وإنى لأمل أن تطلعوه بسرعة على رغبتكم فى مقابلتى شخصياً فى إنكلترا، لأن لدى تصريحات شفوية عظيمة الأهمية - وخاصة فيما يتعلق بالموقف الجديد - أرغب فى إطلاعكم عليها.

وفوق هذا أريد أن أضيف إلى ذلك أن والدى ملك الحجاز، قد عهد إلى مرة أخرى بمهمة تمثيله فى القضية العربية عامة، وكلفنى ترأس الوفد الذى عينه، لتقديم تشكراته للملك جورج، لتفضله بإرسال الهدايا له، كما أبرق لكم بذلك من بورسعيد.

فيصل

نص المذكرة

إن الأعمال غير الشرعية التي قامت بها فرنسا في سورية قد اضطرتني للسفر إلى أوروبا موفدا من قبل والدي الملك حسين - لأعرض القضية العربية مرة أخرى أمام حكومة صاحب الجلالة.

فالأعمال التي قامت بها فرنسا لا يمكن تطبيقها على اعترافاتها السابقة فيما يتعلق بأغراضها وغاياتها في الحرب. وأعتقد من جهتي أن في هذه الأعمال خرقا لمعاهدة فرساي التي يصير الفرنسيون على تطبيقها بحذافيرها.

فقد أخذت فرنسا من العرب المنطقة الوحيدة التي تضم المدن العربية - خلا الجزيرة العربية - وجعلت موقف عائلتنا أمام العالم الإسلامي عامة، والعالم العربي خاصة موقفا لا يمكن لعائلة احتماله.

فعائلتي هي العائلة الحاكمة أو القائدة في جزيرة العرب.

ولما كان والدي هو زعيم هذه العائلة. فقد اعترف به زعيما للحركة العربية الرامية للفرز بالاستقلال.

وقد حمل العرب أسلحتهم ضد الأتراك اعتمادا على بعض العهود التي قطعها الملك حسين لهم.

وهذه العهود التي قطعها والدي كانت مؤسسة على العهود التي قطعها له بريطانيا العظمى.

وستطلعون في هذه المذكرة على الحوادث التي أدت إلى احتلال دمشق بالجيش الفرنسي. وأظن أن تفاصيل هذه الحوادث لابد أن تعطيكم فكرة صريحة واضحة عن الغايات التي كانت ترافق أفكار الجنرال غورو منذ مغادرته باريس قادما إلى سورية.

وهذه الغايات هي حديث البلاد العربية اليوم.. وأعتقد أنها تمس مصالح بريطانيا الحيوية في كل شيء.

يدرك كل عربي اليوم أن غايات الجنرال غورو منحصرة في احتلال المنطقة التي تعهدت بريطانيا بتأسيس حكومة عربية مستقلة فيها، احتلال عسكريا، بأية حجة من الحجج.

وبما أن فرنسا قد أدركت أن عائلة الشريف هي زعيمة الحركة العربية، وأنها تعمل بموجب التعهدات التي قطعتها بريطانيا لها، فقد قررت أن تضرب هذه العائلة ضربة قاضية، وأن تتخلص من العثرة التي وجدها أمامها - وهي أنا - فقامت تنشر النفوذ الفرنسي وتعلو به، وتقضى على النفوذ الإنكليزي في الشرق الأدنى في آن واحد.

ففي اليوم الذي وقعت فيه الحوادث في دمشق، قامت الصحف الباريسية تهاجم عائلتنا مهاجمة متتابعة.

فبعد أن اعترف بوالدي، وبعض أفراد العائلة، وزعماء العرب الأبطال المناضلين في سبيل الحرية، قامت الصحف الفرنسية تعمد إلى عبارات السب والإهانة، حتى أن إحدى الصحف نشرت مقالا قالت فيه «العائلة الهاشمية التي كان وصولها إلى الملك في دمشق من «اختراع» الإنكليز».

وعلى هذا فإن أغراض الحكومة الفرنسية، والأهداف التي ترمى إليها، قد تحققت أخيرا. فقد احتل الجنرال غورو دمشق، وثلاث مدن أخرى، وأصبح العالم أمام «الأمر الواقع».

ولست أتكلم أنا الآن لدوافع وأسباب شخصية. فأنا ليس لي مطامع خاصة. وأعتقد أن كل إهانة، وظلم، وسباب يصيبني، إنما يضاف إلى مفاخر العرب الوطنية التي أظهرها خلال الحرب.

أنا أعتقد - من كل وجهة من وجهات النظر أن احتلال دمشق كان غير شرعي. فقد أيد مؤتمر الصلح في اجتماعاته الأولى إيكال أمر إدارة المنطقة الشرقية إلى وهي الإدارة التي كنت تسلمت زمامها منذ الهدنة تحت سلطة الجنرال اللنبي، كما اعترف بذلك ضمنا في ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٩ في المذكرة التي أرسلها مستر لويد جورج للمسيو كلمنصو، ولمتلئ الدول العظمى، وإلى شخصيا.

إذن فليس لأي قائد فرنسي الحق في أن يسلبني هذا المركز. وأن يخرق حرمة استقلال سورية. ثم ان مركزي بصفتي رأس حكومة سورية، قد أعلن وفق رغائب الشعب، واعترفت به بريطانيا العظمى، على أثر القرار الذي اتخذته مجلس مؤتمر الصلح في سان ريمو.

فإذا روعيت معاهدة فرساي، وما تضمنته من مبادئ «الحق فوق القوة» والعدول عن

التدابير العسكرية، وحق الشعوب فى الاستقلال والحرية، وكان قرار عصبة الأمم ليس قراراً فارغاً لا قيمة له، يجب أن يعتبر عمل فرنسا تدبيراً جائراً لا مبرر له.

يدعى الجنرال غورو أنه إنما ينفذ الانتداب فى الاعمال التى قام بها، فما هو هذا الانتداب.

هل صادقت عليه عصبة الأمم والمجلس الأعلى.

إن الشروط التى أرسلها الجنرال إلى من جهة، والتصرفات التى تبدو من الجانب الفرنسى من جهة أخرى، إنما هى شروط وتصرفات محتمل يريد فرض شروطه بقوة السلاح.

وهذا تدبير يناقض المبادئ التى كانت الدول المحالفة تحارب من أجلها، كما يناقض معاهدة السلام «المادة ٢٢، الفقرة الرابعة من قرار عصبة الأمم» التى تنص على وجوب اعتبار رغائب الشعوب فى قضية الانتداب. وهذا ما لم يطبق فى سورية.

والجهد الوحيد الذى بذل فى هذا السبيل فى سورية كان من جانب حكومة الولايات المتحدة، التى أرسلت لجنة عام ١٩١٩، لتتعرف مطالب الشعب فى هذا الصدد.

وقد أعلن اللورد اللنبى إذ ذاك أن هذه اللجنة هى الوحيدة التى توفد إلى سورية، وأن مؤتمر الصلح سيعتمد على تقريرها عندما يبحث فى تقرير مصير هذه البلاد.

والعدل والإنصاف يقضيان بإذاعة ونشر هذا التقرير الذى بقى سرا مكتوما حتى الآن.

إن ما يفهمه الجنرال غورو من الانتداب - الانتداب الذى يفرضه بثمانين ألفاً من الجند يحملون أحدث أنواع القتل والتدمير لا يتفق قط والتصريحات الإنكليزية - الفرنسية فى ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨، التى تنص على رغبة هاتين الحكومتين فى مد يد المساعدة لتشكيل الحكومات الوطنية المحلية فى البلاد العربية، وعدم رغبتهما فى فرض الأنظمة الخاصة فى هذه البلاد، كما تنص على أن رغبة هاتين الدولتين الوحيدة هى السعى والمساعدة فى تأمين أعمال الحكومة العربية، وتنفيذ الأنظمة التى تقرها بنفسها بحرية.

وأعتقد أننى لست فى حاجة هنا لأن أؤكد وجود التناقضات بين كلمات الحكومة الفرنسية سنة ١٩١٨، وأعمال الجنرال غورو سنة ١٩٢٠.

وعلى كل حال لم يكن من المنتظر، ولم يكن من العدل أن يطبق الانتداب على دمشق والمدن الأربع، لأن في هذا التدبير ما يناقض العهود التي قطعتها بريطانيا للعرب تناقضاً صريحاً.

لقد أشرت في حديثي إلى المسائل المتعلقة بمؤتمر الصلح، والانتداب، وإلى قرار عصبة الأمم «وتصريحات إنكلترا وفرنسا عام ١٩١٨، لأبين أن عمل فرنسا لم يكن مشروعاً في أى وجه من الوجوه.

غير أن قضية العرب ليست متعلقة بأى قرار من قرارات مؤتمر الصلح، أو قرار أية دولة من الدول، خلا إنكلترا.

فنحن قد تفاوضنا مع إنكلترا لا سواها، والعهود التي قطعت لنا إنما هي عهود قطعتها لنا إنكلترا، وقد قال والدي في كتاب بعث به في أكتوبر عام ١٩١٨ إلى المفوض السامي في القاهرة ما يلي:

«أما ما يتعلق بقضيتنا، والبحث فيها في مؤتمر الصلح فإنني أقرر وأقول منذ الآن إنه ليس لي علاقة بالمؤتمر، أو أية سلطة أخرى. واعتقد أنه من الأفضل أن لا تبلغ إلينا مقررات المؤتمر بواسطة المؤتمر. لأنني أكون ناكراً لرحمة الله إذا أنا قبلتها».

وقد أراد صاحب الجلالة والدي أن يقول إن إنكلترا هي التي قطعت العهود لا سواها وإن على إنكلترا نفسها أن تسعى لأن ترى عهودها منقذة.

وإذا أنا حضرت مؤتمر الصلح - رغم أتى أقدر الشرف الذي أولانى إياه صاحب الجلالة البريطانية - فإنما فعلت ذلك، لأن السلطات البريطانية هي التي طلبت إلى أن أفعل ذلك.

ولئن سافرت إلى باريس في شهر أكتوبر السابق، وسعيت للمفاوضة مع الحكومة الفرنسية وعدت لسورية احمل أحسن الرغائب للتفاهم مع الفرنسيين، وعملت لجعل الشعب هادئاً ولأحول بينه وبين مهاجمة الفرنسيين عندما كانوا ضعفاء في سوريا، وكانت المصاعب تكتنفهم من كل حذب وصوب، ولم يكن لديهم سوى حامية كانت تتألف بعض الأحيان من ألف رجل - فما فعلت هذا كله إلا كي أستطيع أن أقول ذات يوم للدولة التي أعطتني كلمتها إنى نفذت التعليمات التي تلقيتها منها بكل دقة وكل إخلاص.

فقد كانت الكتب الرسمية التي تصلني من اللورد اللنبي تصر على ملححة أن لا أتخذ موقفا عدائيا من الفرنسيين، حتى أنني تلقيت برقية من اللورد كرزون، قبل احتلال دمشق بثلاثة ايام، يطلب إلى فيه بإلحاح ان لا أتخذ أى موقف عدائى.

ولهذا كله لم أفكر قط فى محاربة الفرنسيين ومقاومتهم، الأمر الذى كان يجعل موقفهم فى سورية صعبا للغاية لو أقدمت عليه.

وفوق هذا، فقد كنت أقبل دواما شروطهم - رغم أنها مستحيلة - آملاً أن أسافر فيما بعد إلى أوروبا، وأسوئ المسألة فيها.

وكتبى التى أرسلتها إلى الحكومة الإنكليزية من باريس، تبرهن على أنني كنت أرفض أن أخطو خطوة واحدة بدون استشارتها.

وإنى لفخور أن أقول بإنى كنت مخلصا للمبادئ التى وضعها والدى، وهو أن أفاوض حكومة واحدة، وهذه الحكومة هى بريطانيا.

والآن وقد خطت فرنسا خطوة جعلت كل أمل فى التفاهم والصلح مستحيلا، فقد جئت باسم والدى أطلب من إنكلترا أن تقوم بعودها.

لقد كانت الحركة العربية موجودة قبل الحرب. فقد وضع العرب نصب أعينهم دوما استعادة استقلالهم، وتجديد عظمة المملكة العربية والخلافة الإسلامية السابقة.

فالظن إذن بأن الحركة العربية قد نشأت عام ١٩١٥، ظن خاطيء.

وكل ما فى الأمر أن زعماء العرب وجدوا فى نشوب الحرب فرصة لتحقيق أمانهم، فقاموا بحركتهم.

فقد حث الألمان السلطان - خليفة الإسلام - على إعلان الحرب المقدسة، أملين من وراء ذلك ان يتحد العالم الإسلامى على الحلفاء. وكانت إنكلترا - بلا ريب هى العدو الكبرى.

وقد أدركت بريطانيا ما يمكن ان يصيب المسلمين من أخطار هذه الحرب، وعرفت أن هناك فتورا فى قلوب العرب من الترك، فدخلت فى المفاوضات مع والدى الملك حسين.

واعترف قبل أى شىء أن أساس الاتفاق مع والدى شريف مكة، هو الاعتراف باستقلاله لأنه رفع السيف فى وجه الترك، ولأن هذا العمل هو أعظم عمل سياسى تستفيد منه الدول

المتحالفة في العالم الإسلامي.

وقد أعلن والدي على أثر هذه العهود بأن الجهاد ضد الترك ليس من الأعمال غير المشروعة، لأنهم يقومون بأعمال تناقض مصالح الإسلام الحقيقية.

وقد نجحت عائلتي في اقناع العرب بهذه النظرية، بمساعدة بريطانيا. وأسست سياستها مع العرب على أساس الوعود التي قطعتها إنكلترا لوالدي.

وبهذه الوسيلة حمل العرب سلاحهم تحت علم خليفة النبي، رغم أنه كان المطلوب منهم محاربة السلطان الذي كان إلى ذلك الحين خليفتهم.

وقد رافقهم النجاح في ثورتهم، فسقطت مكة دفعة واحدة بين أيديهم. وذاعت الأنباء بين جميع الأقطار الإسلامية، ففشلت خطة ألمانيا فشلا مريعا.

وهكذا قام والدي وعائلته، وأتباعه وأكثريّة الشعب العربي بالقسم الذي يتعلق بهم في الاتفاق.

فقد قدموا كل المساعدة لجيوش الجنرال اللنبي، وكانوا عاملا هاما في نجاح الحلفاء في المعركة.

وقد جئت الآن باسم والدي أسأل بريطانيا أن تقوم بتنفيذ القسم الذي يتعلق بها في الاتفاق.

أنا لا أود أن أعود هنا إلى ذكر الاقتراح الذي عرضته إنكلترا على والدي من أول الأمر، وهو أن يظل شريف مكة «حياديا» فنحن لو ظللنا حياديين لفرزنا من إنكلترا بنفس العهود في منح الجزيرة العربية استقلالها.

ومع هذا فقد خرجنا للحرب، فقاتلنا وخسرنا عددا كبيرا من رجالنا المقاتلين، وعرضنا أنفسنا لخطر مهاجمة ابن سعود الذي كان يستطيع ان يهاجمنا بالنظر لضعفنا، وبفضل الأسلحة التي فاز بها من إنكلترا.

لقد فعلنا هذا كله.. ومع هذا فقد قطعت علاقتنا اليوم مع البلاد العربية، وأصبحت حالتنا أسوأ مما لو كنا لم نذهب للحرب، وظللنا «حياديين» كما اقترحت علينا إنكلترا في أول الأمر لقاء الاعتراف باستقلال المملكة العربية.

لقد كنا نعتقد فى ذلك الحين أن حملنا السلاح إلى جانب إنكلترا ومحاربتنا معها بدلا من البقاء حياديين سيفيد القضية أكثر مما أفادها، وسيجعل إنكلترا تؤكد تنفيذ عهدها كل التأكيد، والعهد التى قطعتها إنكلترا لوالدى هى عهد صريحة واضحة. لا لبس فيها ولا غموض.

فقد طلب والدى فى كتاب أرسله فى ٢٤ يوليو عام ١٩١٥ ما يلى:

أولا - يجب أن تعترف إنكلترا باستقلال البلاد العربية التى يحدها شمالا مرسين وأطنه حتى الدرجة ٣٧ من خط العرض، الذى يمر على بيره جك، وماردين، حتى حدود العجم، وشرقاً الخليج الفارسى، وجنوباً المحيط الهندى - خلا عدن - وغرباً البحر الأحمر، والبحر المتوسط حتى مرسين، وعلى إنكلترا أن توافق على إعلان خليفة عربى للمسلمين.

ثانياً - على دولة الشريف العربية أن تعتبر إنكلترا الدولة المفضلة فى جميع المشروعات الاقتصادية... الخ.

وفى ٣٠ اغسطس عام ١٩١٥ كتب المفوض السامى فى مصر إلى والدى كتابا يعبر له فيه عن السرور الذى شعر به عندما رأى العرب ينظرون إلى مصالحتهم مع مصالحتنا إنكلترا ويؤكد له أن الحكومة الإنكليزية ترحب بأن يستعيد الخلافة الإسلامية رجل عربى من العرب الخالص. أما فيما يتعلق بالحدود فقد قال المفوض السامى فى كتابه ان البحث فى مثل هذه التفاصيل سابق لأوانه.

وفى ١٩ سبتمبر عام ١٥ أجب والدى على هذا الكتاب، بكتاب طويل ينقض فيه غموض جواب المفوض السامى، ولهجة الباردة المترددة فيما يتعلق بنقطة الحدود الهامة.

وقد أشار والدى فى كتابه هذا إلى أن مصالحتنا اتباع ديانتنا تتطلب تصريحاً واضحاً فى هذا الموضوع. لأن حياة الملكة العربية العتيدة متعلقة بالحدود المذكورة.

وفى ١٤ نوفمبر عام ١٩١٥ أجب المفوض السامى والدى قائلاً: إن منطقتى مرسين واسكندرونة، والمناطق الواقعة فى غرب دمشق وحمص وحملة و حلب، لا يقال ولا يمكن أن يقال إنها عربية صرفاً، وإنه من الواجب استثنائها من الحدود المذكورة.

أما فيما يتعلق بالأراضى التى تستطيع إنكلترا أن تعمل فيها بحرية ما تريده دون استشارة فرنسا حليفاتها، فقد أضاف السير هنرى مكماهون قائلاً:

«ان لى السلطة باسم بريطانيا العظمى أن أعطى العهود والتأكيدات التالية:

«إن بريطانيا العظمى على استعداد للاعتراف وتأييد استقلال العرب فى البلاد المحددة فى اقتراح الشريف.

أما ما يتعلق بولايتى بغداد والبصرة فإن العرب سيعترفون بمركز ومصالح بريطانيا فيهما. على أن يكون لها الحق فى أن تتخذ فيهما التدابير الإدارية لحفظهما من الاعتداء الخارجى»

وفى كتاب آخر مؤرخ فى ٢٥ أكتوبر عام ١٩١٥ أضاف المفوض السامى إلى سابق تصريحاته أنه «من المفهوم أن العرب قد وافقوا على اختيار بريطانيا وحدها فى مهمة الاستشارة والإرشاد، واستخدام الإنكليز وحدهم - إذا احتاجوا إلى مستشارين فنيين لتنظيم شؤون المملكة».

فأجابته والذى بكتاب مؤرخ فى ٥ نوفمبر عام ١٩١٥ يقول: «إنه رغبة فى تسهيل الاتفاق، وخدمة المسلمين، واعترافا بموقف إنكلترا ومزاياها، يتنازل عن إصراره فى ضم مرسين وأدنه إلى المملكة العربية، ولكنه يقول إن حلب وبيروت ومرقا ببيروت إنما هى عربية محضة.

أما ما يتعلق بالعراق فقد قال والذى إنه قسم من المملكة العربية، وإنه كان مركز الخلافة فى العصور السابقة، وأن العرب بأجمعهم يعلقون عليه اهتماما خاصا، ولا يمكن أن ينسوا تقاليدهم، وينسوا البلد الذى كان مركزا لأكثر خلفائهم».

ثم أضاف إلى ذلك قائلا: «وعلى هذا لا يمكننا إرضاء الشعب العربى وإرغامه على التنازل عن العراق بأى حال من الأحوال»

على أنه رغبة منا فى تسهيل الاتفاق، نستطيع أن نوافق على ترك العراق تحت الإدارة الانكليزية «وهى محتلة بالجيوش الإنكليزية» وذلك لقاء مبلغ من المال يدفع كتعويض، بالنظر لما يتطلبه تأسيس كل مملكة جديدة من مال».

أما ما يتعلق بالإدارة والمستشارين والموظفين، فقد أشار والذى إلى ما كان قاله فى رسالة سابقة. وهو انه لا يعارض فى ذلك، وخاصة ان المفوض السامى قد صرح أن كل هؤلاء لا يكون لهم أى دخل فى الشؤون الداخلية.

وفى ١٤ ديسمبر عام ١٩١٥ أجاب المفوض السامى بكتاب قال فيه: «أما ما يتعلق بولايتى بيروت وحلب فإنه سيتخاطب بشأنهما مع والدى فى وقت آخر، وصرح أن الحكومة الإنكليزية مستعدة أن تعطى كل ضمانات المساعدة والتأييد للمملكة العربية، ولكن مصالهما معا تتطلب إدارة ثابتة حبية فى ولاية بغداد. كما أن المحافظة على هذه المصالح تحتاج إلى سرعة، لا تسمح الظروف الحاضرة فى المفاوضة بشأنها.

وفى أول يناير عام ١٩١٦ كتب والدى إلى المفوض السامى يقول: «أما ما يتعلق بالعراق، والتعويض الذى أشرنا إليه لقاء فترة الاحتلال، فإننا نترك تقدير المبلغ لحكمة بريطانيا وعدلها تقوية لثقتنا ببريطانيا، وإخلاصنا فى مفاوضة حكومتها».

أما ما يختص بالأقسام الغربية ومرفئها فان نفس الشعور السابق يجعلنى أتجنب ما يمكن أن يسىء إلى تحالف بريطانيا وفرنسا.

ومتى انتهت الحرب، فإننا سنسألكم فى أول فرصة «عن تلك الأقسام التى غضبنا النظر عنها، والآن تركناها لفرنسا حليفكم»

ويتحدث والدى بعد هذا عن وجود فرنسا، ويقول إن وجودها فى أى مكان كان ليس من الحكمة فى شىء.

ثم يضيف إلى ذلك قائلا:

«إن الشعب البيروتى لن يرضى حتما بمثل هذا الانفراد، ولا بد أن يضطربنا لاتخاذ تدابير جديدة قد تجعل إنكلترا إزاء اضطرابات، ومشاكل لا تقل عن اضطرابات ومشاكل اليوم».

ثم شرح بإسهاب لماذا يعتقد باستحالة السماح لفرنسا أو لأية دولة سواها، بقطعة واحدة من تلك المنطقة.

وفى ٢٥ أكتوبر عام ١٩١٦ كتب المفوض السامى، مقدرا الدوافع التى دفعت والدى لبحث هذا الموضوع باهتمام، وقال إنه كتب الملاحظات الكافية على ملاحظاته المتعلقة ببغداد. الأمر الذى سينظر فيه باهتمام تام عندما تغلب الجيوش التركية على أمرها، ويعود السلام إلى نصابه.

وأما ما يتعلق بالأراضي الشمالية، فقد شكر المفوض السامي والدى على رغبته فى تجنب كل ما مَن شأنه أن يضر التحالف الإنكليزى والفرنسوى.

ويعد هذا أود أن أعود هنا لذكر الشروط التى اتفق عليها بين والدى والمفوض السامى وهذه هى:

١ - تأسيس مملكة عربية تمتد من الخليج الفارسى إلى حدود كيليكية - بما فيها حلب وحمص وحماة ودمشق - حتى حدود مصر، على أن تكون هناك «إدارة خاصة» فى ولايتى بغداد والبصرة بالاتفاق مع الشريف فى نهاية الحرب.

٢ - رغبة من والدى فى أن لا يخلق شيئاً من المشاكل بين الحلفاء خلال الحرب، فإنه «يغض النظر» عن لبنان وبيروت، ومرفئها، ويتركها لفرنسا، على أن يعاد البحث فى أمرها بعد الحرب.

وليس هناك أية رغبة - حتى ولا من جانب إنكلترا - أن تترك مملكة داخلية كبرى دون منفذ بحرى على الشاطئ، بين اسكندرونه وصيدا.

٣ - تتعهد إنكلترا بتأييد المملكة العربية ومساعدتها بالاستشارة، والمحافظة عليها من الهجمات الخارجية، على أن لا تستخدم المملكة مستشاريها وموظفيها من أية دولة غير إنكلترا.

وما كان من المنتظر أن تطلب الحكومة البريطانية من العرب أن يعذروها فى عدم قيامها بتلك العهود. بحجة أنها لا تتفق ومعاهدة سايكس - بيكو أجاب والدى على ذلك بهذه الملاحظات:

١ - إن العهود التى قطعتها الحكومة البريطانية على نفسها هى سابقة لهذه المعاهدة، ولذلك فإن ما جاء فى معاهدة سايكس - بيكو مناقضاً لتلك العهود، يجب أن يعتبر لاغياً باطلاً.

وعند ما لفت والدى النظر إلى هذه المعاهدة السرية التى اطلع عليها بواسطة جمال باشا - الذى اطلع عليها من الأرمن - أجابه المفوض السامى بهذا الكتاب:

«لقد اطلع البلاشفة فى وزارة الخارجية فى بتروغراد على سير المفاوضات والمحادثات

الاحتياطية «لا المعاهدة» بين إنكلترا وفرنسا وروسيا التي جرت في خلال الحرب، لتجنب المصاعب بين الدول التي تحارب تركيا.

وقد شوه جمال الغرض الأساسى من هذه المفاوضات والمحادثات - إما عن جهل وإما عن خبث - فلم يذكر الشروط المتعلقة بالموافقة على تأسيس الحكومات الوطنية المستقلة والمحافظة على مصالحها، وجعل أن نجاح الثورة العربية، وانسحاب روسيا قد أحدثا موقفا «مختلفا»

وعند ما تلقى والدى هذا التصريح الواضح طلب أن لا يكون فى معاهدة سايكس بيكو ما يقف معارضا للعهود المقطوعة للعرب.

وفينا فلم يفوا

لقد زرت أوروبا مرتين من قبل، ولكنى لم أسأل قط عما تم فى فلسطين والعراق. فقد كنت أعمل مع والدى حسب ما نعتقد أنه حسن تجاه إنكلترا. لقد أطلعت الجنرال حداد - الذى تركته فى إنكلترا - على الخطيئات التى ارتكبت للفت نظركم إليها.

وقد كان من نتيجة هذه الأخطاء أننا أخرجنا من سورية والعراق، وهما بين السنة الهيب.

أما ما يتعلق بفلسطين، فقد تركت التعليمات مع مندوبى للاطلاع على وجهة نظر الحكومة البريطانية بهذا الشأن التى أعتقد أنها ستكون موافقة على جميع الأعمال.

وأنا أت الآن للمرة الثالثة للحكومة البريطانية باسم والدى، وأنا على ثقة بأن تلك التعهدات ستكون موضع نظر وعناية واهتمام الحكومة.

فالعرب يعتقدون أن «الإنكليزي» يحافظ على تنفيذ كلمته، ويعلقون أملهم على «كلمة الإنكليزي» ويعتقدون أنه ليس فى التقاليد الإنكليزية ما يعتبر المعاهدات كأوراق مهمة لا قيمة لها.

وأنا لا أطلب من الحكومة الإنكليزية شيئا ليست مستعدة للقيام به. فقد قال مستر لويد جورج فى اجتماع حضرته فى دونتج ستريت «ولقد قامت القوى العربية بالعهد التى قطعتها لبريطانيا، ويجب علينا نحن أن نقوم بعهدنا».

وأخيرا فىنى أسأل الحكومة الإنكليزية - إذا كان من العدل أن يعامل رجل حالف انكلترا وعمل تحت لوائها، وقاد الثورة نحو النجاح، وكان رأيه الوحيد أن يظل مخلصا لبريطانيا وحليفاتها - أن يعامل بمثل هذه المعاملة، لأنه كان مخلصا نحو بلده، أمينا لإنكلترا.

وانتقل الملك بعد ذلك إلى الكلام عن احتلال فرنسا للساحل، وعمما صحبه من اضطرابات فى جبل لبنان ومرجعيون وتل كلخ واللاذقية واسكندرونة وحارم وجسر الشغور. فوصفه وصفا مناسبا ثم قال:

ولم يكد نبأ هذه الاضطرابات يصل إلى مسامعى، حتى أرسلت على الفور رسلا إلى تلك الأنحاء، لتهدئة الشعب، وإقناعه بأن يكون صديق الفرنسيين. وقد حدث إذ ذاك أن الترك والأكراد أفلحوا فى إقناع أحد زعماء العشائر البدوية بمشاركتهم فى العمل فى إخراج الفرنسيين من أوقفه. فجاء هذا الزعيم يستشيرنى فنصحته بأن لا يفعل، فسار على نصيحتى.

وقد عرضت نفسى بهذا العمل لانتقاد شعبى نفسه، الذى بدأ يعتقد أنى أخونه مع الفرنسيين.

وقد عرف الفرنسيون أنفسهم الغاية من سياستى. فأرسل إذ ذاك رئيس دائرة الجنرال

غورو السياسية، مذكرة إلى الجنرال قال فيها: «إن لجنة الدفاع الوطنى التى كانت قبل وصول الأمير فيصل تدير شؤون - الحكومة، وما زالت حتى الآن تنشر فى البلاد أفكار الاستقلال التام قد قررت هذه اللجنة محاربة الأمير فيصل إذا كان هذا قد وقع معاهدة مع فرنسا».

«وقد كانت الاستقبالات فى دمشق هذه المرة، أقل حماسة مما كانت عليه فى أى وقت آخر. وذلك لأن الجمهور يتنبأ أو يشعر بأن الأمير فيصلا قد باع سورية إلى فرنسا.

«وهذه اللجنة لاتزال مستمرة فى المعارضة، ويظهر أنها لا ترغب فى مشاركة الأمير فى غاياته ومراميه - الزائدة أو الناقصة فى الإخلاص، للتقرب منا».

هذا وأعتقد أن كل من يعرف طبيعة المنطقة الشرقية وصعوبة المواصلات، وطبيعة العشائر المشاغية، يدرك صعوبة العمل فى تهدئة الخواطر الثائرة، والحيلولة دون رغبة هؤلاء، فى مهاجمة الفرنسيين فى المنطقة الغربية.

ومما يجب ذكره هنا أنه عندما كانت حامية الفرنسيين فى أقصى مراتب الضعف، وكان عدد رجالها لا يزيد عن الألف، فى ذلك الحين، زرت حلب زيارة شخصية لأوقف العصابات الذاهبة لمشاركة الترك الوطنيين فى محاربة الفرنسيين فى كيليكية.

وازداد استياء الشعب فى كل مكان، ورأى الناس أنه انقضى ثمانية عشر شهرا على إعلان الهدنة، ولم يظهر شيء يدل على أن هناك رغبة فى العمل فى إجابة رغائبهم. وكان الشعب من ناحية أخرى يرى الفرنسيين يطبقون سياسة استعمارية محضة. كما كان الترك يرسلون دعواتهم إلى المدن ويحرضون الرأى العام ضد الحلفاء الذين يقومون بهذه الأعمال، ويطبقون مثل هذه السياسة بالرغم من محاربتهم إلى جانبهم، ويقولون إن سورية والعراق سيقسمان إلى قسمين، وأنه من الأفضل لهم ولصحتهم أن يسيروا إلى جانب الترك لمعارضة أنانية السياسة الأوروبية بقوة السلاح.

وكل ما كنت أستطيع عمله فى هذه الظروف هو أن أقنع كل واحد بأنهم إذا صبروا وانتظروا فإنهم واصلون إلى ما يرضيهم.

وفى ٨ مارس عام ١٩٢٠ أعلن شعبي بواسطة مندوبيه الذين اجتمعوا فى دمشق استقلال سورية، وانتخابى ملكا عليها. وقد قال هؤلاء المندوبون فى أنفسهم إنه إذا كان الحلفاء مخلصين فى أعمالهم ووعودهم، فإنهم يعترفون بهذا القرار الناشئ عن رغبة

الشعب العامة، والذي يضع وعود الحلفاء موضع التنفيذ، ويبرهنون بذلك على كذب الترك فى ادعاءاتهم.

أما إذا كان الأمر على النقيض من هذا، ولم يؤيد الحلفاء عمل الشعب السورى وقرار مندوبيه، يظهر صدق الترك فى كل ادعاءاتهم وأقوالهم وتحذيراتهم.

لقد قيل عن المؤتمر السورى، الذى مثل الشعب السورى حق التمثيل إنه مؤتمر غير قانونى. مع أن هذا المؤتمر قد انتخب بأفضل الوسائل المشروعة، وكان - حسب أوامرى وطلبى - يمثل الشعب السورى بكامله كل التمثيل.

فقد جرت الانتخابات على الدرجة الثانية وحسب القوانين التركية القديمة، فانتخب ٨٥ مندوبا من مختلف الجهات. أضفنا إليهم ٣٥ مندوبا عن زعماء القبائل ورؤساء الأديان.

وقد جاء الأعضاء من المنطقتين الشرقية والغربية، وكان هؤلاء يمثلون مختلف المذاهب والديانات. وأرسل لبنان ثلاثة مندوبين، كان انتخابهم لإطلاع اللجنة الأميركية على رغائب اللبنانيين وأمانيتهم.

ويعد أن نزلت عند قرار المؤتمر، وقبلت العرش، أعلنت السياسة التى يجب أن تسير عليها الحكومة الجديدة، وعينت عناية خاصة أن لا ألعب بعواطف الشعب الوطنية، وأن لا أخدعه، مع انه كان فى وسعى إذ ذاك - إذا أردت - أن أكون محبوبا من الشعب إلى أقصى حد.

وقد أسرع بعد هذا إلى الشروع فى تنظيم الإدارة والحكم بشكل يتفق وطبيعة البلاد فألفت حكومة، كان للمسيحيين من يمثلهم فيها، وكان موقف الوزارة فى العمل موقفا صعبا إلى حد كبير.

وذلك لأن الفرنسيين كانوا مسيطرين على السواحل، وكانوا يتقاضون الرسوم الجمركية، التى كانت المورد الأساسى فى الخزينة، ولا يدفعون حصتنا إلا بصورة متقطعة، كما أنهم لا يدفعون إلينا سوى قسم ضئيل من هذه الحصة. وهذا ما جعل حكومتى تواجه صعوبات جمة منذ تأليفها، وتقع فى حيرة شديدة لشدة حاجتها للمال.

ثم ازداد سوء الحال بعد ذلك، وأخذ الفرنسيون يطبقون سياسة جائرة فى الشؤون الجمركية. فأضروا التجارة، وأوقعوا أضرارا لا حد لها بأسواق دمشق. وهذا ما كانوا

يرمون إليه من وراء سياستهم هذه.

وهكذا بدأت المملكة الجديدة الجديدة حياتها تحت هذا الكابوس، فأخبرت وزارة الخارجية الإنكليزية بواسطة الجنرال حداد باشا، عن الأسباب التي أدت للقيام بهذا العمل، وإعلان الاستقلال والملكية. فأجابتنى الوزارة المذكورة بعد مقررات «سان ريمو» أن انكلترا تعترف باستقلال حكومة سورية، وتعترف بى ملكا عليها.

أما فرنسا فقد رفضت أن تتخذ مثل هذا القرار، وتعترف بالاستقلال وبي، وذهب الجنرال غورو فوق هذا إلى لبنان، وأخذ يخطب خطبا ضد حكومتى، مثيرا اللبنانيين للاحتجاج على مقررات المؤتمر السورى.

وعندما عدت للمرة الثانية لقضية البقاع، وطلبت إلى الجنرال غورو أن يجلو عن البقاع أجابنى جوابا غريبا قال فيه: «كيف تريد أن أنسحب من البقاع، وأنا لا أستطيع أن أمنع الضباط الذين يصرون على التقدم» فأجبتة: «إذا كان الجنرال غورو يجد أنه من الصعوبة منع ضباطه - وهم الذين يسرون على نظام الجندية - فكيف أستطيع أنا أن أمنع رجال القبائل الذين لا يعرفون شيئا عن النظام».

وكان موقف فرنسا يزداد غموضا يوما بعد يوم، وقد استطاعت بعد عقد الهدنة مع مصطفى كمال أن ترسل قسما كبيرا من جيوشها إلى هذه البلاد، وأخذت تحشد الجند والمصفحات والطائرات الخ..

لقد كنت دوما أفكر فى السفر إلى باريس لبحث هذه المشكلة مع الحكومة الفرنسية، بيد أن ازدياد خطورة الموقف يوما بعد يوم، جعلنى أعتقد أن وجودى فى سورية ضرورى للغاية.

فقد كان وجودى فى سورية، أكثر ضرورة فى ذلك الحين من وجودى فى أوروبا، وقد اعترف الجنرال غورو بذلك فى كتاب بعث به إلى حكومته، كما اعترف اللورد كرزون بمثل هذا فى الخطاب الذى ألقاه فى مجلس اللوردات - رغم أنه صرح برغبته فى أن يرانى فى المستقبل القريب فى لندن.

وإذ ذاك سرت حسب الآراء التى أبرق إلى بها الجنرال حداد من لندن، وقررت أن أذهب إلى أوروبا حالا - كما تريد وزارة الخارجية الإنكليزية - وكان موقف الجنرال غورو يتضح شيئا فشيئا، ويقوى عزمى على السفر بأسرع ما أستطيع.

فقد فكرت انه قد يكون من الممكن - إذا سافرت لأوروبا - أن أصل إلى حل للقضية كلها. وكتبت إلى الجنرال غورو في ٩ يوليو، أطلب إليه أن يهيئ لي أسباب سفرى فأجابني بأن لديه بضعة شروط يريد أن يعرضها علىّ قبل مغادرة سورية، والا فان الحكومة الفرنسية لن تدخل معى فى أية مفاوضة.

ومنذ تلك اللحظة أخذت الحوادث تمر بسرعة..

فقد أصبح لدى الجنرال غورو قوى كافية لسحق كل معارضة نحاول أن نبديها، وأعتقد أن نهابى إلى أوروبا قد ينهى القضية فحال دون سفرى، وتحركت الجيوش الفرنسية فى ١١ - ١٢ يوليو. وأخذت تتقدم من جرابلس نحونا فاحتلت جسر الشغور ثم دخلت رياق مزودة بالأسلحة والمدافع لتقوية الحامية المعسكرة فيها.

وقد حدث كل هذا فجأة وبطرفة عين دون إخطارى بشىء. وكان من الواضح أن الجنرال غورو يعد العدة للقيام بحملة عامة على منطقتى.

وفى ١٤ يوليو تلقيت من الجنرال غورو إنذاره المعروف.

وإنه لمن المستغرب أن يدعى الجنرال غورو فى هذا الإنذار أنى وضعت له العراقيل فى محاربة العدو المشترك مصطفى كمال، ورفضت السماح بنقل الذخائر إلى جيشه.

فالذخائر لم يعترض أحد على نقلها. ولم يوقفها أحد، أما الجيوش فكل ما فعلته فى هذا الصدد هو انى طلبت إليه أن يعترف بما اعترفت به انكلترا - فيما يتعلق بالحكومة العربية - وأن يقوم بالتعهدات التى قطعتها حكومته لنا قبل أن ينقل جيوشه على الخطوط الحديدية. وأوضحت له بصراحة أنه يستحيل علىّ تهدئة الشعب إذا لم يجب هذه المطالب.

وقد طلبت إلى الجنرال غورو أن يعترف بالحكومة وبيى. لأنى كنت أعرف عن ثقة أن حكومته تركت له هذا الأمر يقرره حسب ما يراه.

ويجب أن أضيف إلى هذا أن الجنرال غورو كان يرسل الذخائر إلى جيوشه فى القطارات، وقد أدركت الآن أن ما قالته الصحف المحلية عن غايات الجنرال غورو فى إرسال هذه الذخائر كان صحيحا لا ريب فيه.

فالجنرال غورو لم يكن يرغب فى نقل الجند والذخائر لمحاربة العدو المشترك مصطفى

كمال بل لمهاجمة منطقتي.

أما أنا فقد أظهرت شعوري نحو مصطفى كمال بصراحة وجلاء قبل أن تجلو الجيوش الفرنسية عن جرابلس.

فقد أرسلت إلى الجنرال غورو اذ ذاك كتابا أشرت فيه إلى النتائج الخطيرة التي يؤدي إليها فتح الباب للترك لإثارة القلاقل والاضطرابات في سورية والعراق، واقترحت عليه أن أرسل إليه جيوشى لتتعاون مع الجيوش الفرنسية في سبيل احتلال المناطق التي قرر مؤتمر الصلح أن تكون من منطقتي.

غير أن الجنرال غورو لم يوافق على هذا الاقتراح. وأعتقد أن رجلا يقترح محاربة الترك لا يمكن أن يتهم في «وضع العراقيل» أمام الجيش الفرنسي المحالف لمحاربة العدو المشترك. وقد ذكر الجنرال غورو - استنادا إلى القلاقل التي اتهمني بإثارتها - ست حوادث قال إنها وقعت بمعرفتي، ولم يذكر قط أن ثلاثا منها قد وقعت خلال غيابي في أوروبا، وكانت المخابرات - حين وقوعها - مقطوعة بيني وبين سورية.

والحقيقة أن هذه الحوادث الثلاث، سواها قد وقعت على أثر الأعمال التي كان يقوم بها الموظفون الفرنسيون... وهي الأعمال التي كنت لفت إليها نظر الجنرال غورو مرارا عدة، وأرسلت إليه كتابين بشأنهما.

أما الكتاب الأول فيبرهن على شدة إخلاصي ورغبتى في العمل مع الفرنسيين بروح المودة، ويدل على أنني عندما ألفت الحكومة الجديدة، كنت واضعا هذه الرغبة نصب عيني. وأعتقد أن التهمة التي ألصقت بحكومتي، بأنها تشجع العصابات، وتحثها على دخول المنطقة الغربية، تثير استغراب كل رجل كان في سورية خلال تلك الشهور. ومما يجدر ذكره هنا أن الفرنسيين أنفسهم سلحوا العصابات المسيحية في مختلف الجهات لإثارة القلاقل في منطقتي.

وقد تبودل كثير من الرسائل بين الضباط السياسيين الفرنسيين وبعض الأهلين، بشأن استخدام بعض متطوعة الأكراد - بالراتب الذي يريدونه - لتأليف العصابات وإثارة القلاقل في سورية، وعلى الحدود الكردية في العراق تملأ صحائف صفراء من تاريخ سورية الحديثة.

إذن... فقد كان من الطبيعي - فى بلاد هذه حالتها - أن ترتكب بعض الجرائم الشخصية ضد بعض الجند الفرنسيين.

وعندما كان يقع مثل هذه الجرائم فى إحدى النواحي لم تكن نجد جهدا من الجانب الفرنسي للبحث عن المجرمين، بل كان كل ما فى الأمر أن يحرق الفرنسيون أقرب قرية وأن يحجزوا غلالها، ويسوقوا ماشيتها، ويتركوا سكانها فى شقاء وتعاسة لآحد لهما.

وإنه لمن سوء حظ سورية أنها بعيدة وأن شعبها جهل كيف يلفت نظر العالم المتمدن ويطلعه على جلية الامر. ولو لم يكن الحال كذلك، ولو استطاع السوريون أن يسمعو صوتهم للعالم المتمدن لأثارت هذه الأعمال والاضطهادات عاصفة شديدة فى العالم الأوروبى «تنسف» فرنسا من سورية إلى الأبد.

على أن هذه الأخبار إذا لم تصل إلى أسماع أوروبا وأميركا، فقد انتشرت فى كثير من الانحاء العربية، وكان كره الفرنسيين يزداد يوما بعد يوم.

أما التهمة الثالثة التى وجهها الجنرال غورو إلى حكومتى، فهى رفض هذه الحكومة إدخال العملة الجديدة على أساس الفرنك.

وإنى لأجيب على هذه التهمة ان الجنرال غورو ليس لديه قوة شرعية لإبدال العملة فى البلاد، بعملة سواها، وهو إذا فعل هذا فإنما يكون مستعملا سلطة «الحاكم» المطلق... الأمر الذى لاحق له فيه.

ثم إن رفض العملة الجديدة لم يكن من حكومتى، بل من الشعب أجمع.

ويدعى الجنرال غورو فى إنذاره أن حكومتى قد عاملت أنصار فرنسا معاملة سيئة، وكرمت - من ناحية أخرى - أعداء فرنسا.

وعلى ذلك أجيب أن هؤلاء الأنصار الذى قيل إنهم عوملوا معاملة سيئة، كانوا من المتأمرين على الأمن، الساعين لإثارة النعرات الدينية بين مختلف المذاهب، لقاء الأموال التى دفعها لهم الفرنسيون.

أما هؤلاء الذين يدعوهم الجنرال غورو «أعداء فرنسا» فإنهم من الرجال الوطنيين المخلصين، يحاربون الذين هم مقاصد فرنسا، وإنه من المضحك أن يدعى هؤلاء «أعداء

فرنسا» وأن يعاملوا معاملة سيئة بالنسبة لهذا العداء.

فقد كان هؤلاء يرغبون أن يعيشوا تحت الحكم العربى، وكان قسم كبير منهم يقيم فى المنطقة الغربية، وهى المنطقة التى لا سلطة لى عليها.

ولم يكن فى وسعى فى أى حال من الأحوال أن أحنق الشعور التى تولد فى النفوس، وشجعته تصريحات الحلفاء المختلفة فى كثير من الظروف.

وهناك تهمة مضحكة أخرى فى إنذار الجنرال غورو - وهى تهمة لا ظل لها من الحقيقة - وهى ادعاؤه أننا رشونا المجلس اللبنانى بمبلغ ٤٢ ألف ليرة إنكليزية ليطلب الاستقلال بدون مساعدة فرنسا، واتهام أعضاء المجلس بالخيانة لأنهم طالبوا بهذا الاستقلال، وهذه التهمة مضحكة لأسباب عديدة:

١- لم يكن لدى الحكومة السورية مال تتمكن معه من دفع شىء.

٢- إن المادة الخاصة بلبنان الكبير، قد كانت دوما خارجة عن السياسة التى كنت أتبعها. ولم أكن أعتقد أن أمرا كهذا يقابل بالارتياح بين سكان الأراضى المقترح إلحاقها بلبنان، وقد أرسلت لكم طيه ترجمة قرار المجلس، وهو القرار الذى نفى من أجله كثير من أعضائه.

وإنى أعرف السبب الذى حدا بالجنرال غورو للوم الحكومة السورية فى هذا الشأن، وهو محاولة هؤلاء المنفيين السفر إلى فرنسا وعرض شكواهم عن طريق المنطقة الشرقية، بعد أن حالت فرنسا دون سفرهم من المنطقة الغربية.

واتهم الجنرال غورو الصحف الدمشقية بأنها تهاجم السياسة الفرنسية، ونسى أن الصحف التى تساعدنا فرنسا لم تترك فرصة تمر دون أن تهاجمنى وتهاجم القضية العربية مهاجمة شديدة، وتحمل على السياسة الإنكليزية فى الشرق الأدنى، وتحاول الانتقاص من قيمتها.

وقد طلبت مرارا عديدة إلى السلطات الفرنسية أن توقف صحفها عن التهجرات، فلم تصغ إلى طلبى، ولهذا لم يكن فى وسعى أن أمنع صحف دمشق عن الجواب.

ثم بالرغم من لهجة الجنرال غورو القاسية فى إنذاره غير المشروع، فقد بذلت كل جهد لأقنع حكومتى بالموافقة عليه.

فقد كنت أعرف أن رفضه سيؤدي حتما إلى مصيبة.

وتلقيت في تلك الظروف الحرجة - والضغط يشتد حولي - برقية من اللورد كرزون فأعلمت الكولونيل كوس بموافقتي على شروط الجنرال غورو، وطلبت إليه في نفس الوقت أن يمدد مهلة الانذار حتى أتمكن من تنفيذ الشروط. فمددها ٢٤ ساعة بناء على طلبى. وفي ١٩ يوليو طلبت مهلة أخرى، لأتمكن - هذه المرة من إبدال الموظفين الذين يترددون في قبول الشروط.

وفي اليوم الذى أجيب فيه طلبى، أعلمت الجنرال غورو أن الجيوش العربية التى كانت تحتل مراكز مجدل عنجر القوية، والفرق التى كانت ترابط على الحدود، قد انسحبت بناء على أوامرى إلى دمشق، وبدأت منذ ذلك اليوم أسرح الجيوش فى العاصمة، بناء على تأكيد الفرنسيين بأن الجيوش الفرنسية لن تتقدم. وقد كان القناصل فى دمشق شهودا على هذا التأكيد.

أريد أن أؤكد هنا أن موافقتي على شروط الجنرال غورو، إنما كانت مؤسسة على اعتمادى الذهاب إلى أوروبا، لأعرض القضية أمامكم، ليأخذ العدل مجراه، بناء على عهدكم المقطوعة.

وفي ٢٠ يوليو أغلقت المؤتمر، وكنت مضطرا لاتخاذ هذا التدبير، بعد أن رأيت أعضاءه يرغبون فى معارضة مطالب الفرنسيين بقوة السلاح.

وفي الساعة الخامسة والخمسين دقيقة من هذا اليوم نفسه، أعطيت الكولونيل كوس جوابى المفصل، وموافقتي على شروط الجنرال غورو بأجمعها، فوصله الجواب قبل ست ساعات ونصف من نهاية مهلة الانذار.

ولكن الجنرال غورو يدعى أن برقية الموافقة لم تصله إلا فى صباح اليوم التالى - أى فى ٢١ يوليو.

ويجب أن أذكر هنا أن موافقتي على شروط الجنرال غورو قد جعلت موقفى فى دمشق صعبا إلى أقصى حد.

فقد أدى تسريح الجيوش العربية، إلى قيام حركة فى دمشق ضد الحكومة. وكان

الشعب يؤثر أن يحارب على أن يوافق على مثل هذه الشروط.

ولم تنته الحركة إلا بعد سقوط مائة وعشرين من القتلى، وثلاثمائة جريح.

وفى صباح ٢١ يوليو نقل إلى أن الجيوش الفرنسية تتقدم نحو دمشق، وأنها أسرت فرقة صغيرة من الجيش العربي التي تركت في البقاع لتجمع الأسلحة والذخائر من السكان، وتعود بها إلى دمشق.

وقد كانت هذه الفرقة الأسيرة، تحمل أوامر بأن تعامل الفرنسيين كحلفاء. فكانت النتيجة أن وقعت أسيرة في أيدي هؤلاء الحلفاء دون أن تبدي أقل مقاومة.

ولم أكد أطلع على هذه الأنباء حتى أرسلت الكولونيل طولاً إلى الجنرال غورو، أطلب إليه أن يقوم بوعدده، ويأمر بانسحاب الجيوش الفرنسية.

وفى اليوم التالي أرسل إلى الجنرال غورو كتاباً يطلب فيه أن أوقع على شروط أخرى وقد أرسلت إليكم طيه هذا الكتاب وتلك الشروط لتطلعوا عليها.

وقد أجبني الجنرال على هذا الكتاب بأن هذه الشروط الجديدة، لم تكن موجودة في الإنذار، وأنا قد نفذت القسم الأكبر من الشروط الأولى، وأنا مستعد لتنفيذ القسم الآخر إذا انسحبت الجيوش الفرنسية.

ولو قبلنا الشروط الجديدة، لما بقيت لي ولا لوزرائي أية سلطة في البلاد.

وفوق هذا لم أكن أثق بأن الجنرال غورو لن يبعث بشروط جديدة إذا قبلت هذه.

وبينما كنت أسعى لتسوية هذه المشاكل بروح المسالمة والود وصلتني أخبار جديدة عن تقدم الجيش الفرنسي، فخرجت الجموع من دمشق، دون نظام ودون أسلحة، للمدافعة عن المدينة.

ولم يزد عدد هؤلاء الذين تجمعوا في خان ميسلون عن الالفى رجل. وقد اشترك مع هؤلاء مائتا رجل من رجال القبائل المسلحين، وهم بقايا الجيوش المدرجة - فعهد إليهم بالمحافظة على الأسلحة والذخائر، وكان من الطبيعي أن يذهبوا ضحية المصفحات والطائرات الفرنسية.

وقد كان بين هؤلاء الذين سقطوا صرعى في ميسلون بعض رفاقي في معارك فلسطين

وانى لاحنى رأسى احتراماً لجميع هؤلاء الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل الاحتجاج على اعتداء لم يعرف له التاريخ مثيلاً.

لقد وثقت بكلمة الجنرال غورو، واعتمدت على وعده بأن لا يسمح للجيش الفرنسوية بالتقدم. فأخليت المراكز من الجند، وسرحت قسماً كبيراً من الجيش... وأجبت - انا الرجل الأعزل - بأنى أرفض الحرب.

وقد كنت أعرف أن موافقتى على الشروط الجديدة لابد ان تثير حرباً أهلية فى دمشق، فأعطيت الجنرال غورو عهداً صريحاً بأن أنفذ شروط ١٤ يوليو بكاملها. وطلبت إليه لقاء ذلك أن يوقف تقدم الجيش نحو دمشق. فكان جوابه لى إطلاق النار على النظاميين والمتطوعين.

وبالرغم من هذا كله فقد أمرت النظاميين الذين نجوا من القنابل أن يتركوا السلاح. وقد فنيت فرقة من الجنود الشجعان - تحت قيادة البطل يوسف العظمة - وهى فى مكانها. تم تكلم بعد ذلك عن ما جرى بعد حوادث ميسلون، وهى مطابقة لما نشرناه، فاكثفينا به وناشد فى الختام إنكلترا أن تفى بعهودها للعرب.

اتفاق فرنسا وإنكلترا

على الحدود بين سورية ولبنان وفلسطين والعراق

ونختم هذا الفصل بنشر نص الاتفاق الذي عقد بين إنكلترا وفرنسا يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ لتحديد الحدود النهائية بين الأراضي المشمولة بالانتداب الفرنسي والانتداب الإنكليزي وهو:

أنابت الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية الوزيرين المفوضين الواضعين اسميهما أدناه ليحلا جميع الأمور التي لها علاقة بالانتداب الذي منح لبريطانيا العظمى على فلسطين والعراق وفرنسا على سورية ولبنان في المجلس الأعلى الذي اجتمع في سان ريمو، وقد اتفقتا على الشروط الآتية:

١- تعينت حدود المناطق التي شملها الانتداب الفرنسي - أي سورية ولبنان وحدود المناطق التي شملها الانتداب البريطاني - أي فلسطين والعراق كما يلي:

من الشرق نهر الفرات وجزيرة ابن عمر إلى حدود ولايتي ديار بكر والموصل القديمة، ومن الجنوب الشرقي حدود هاتين الولايتين القديمة إلى غاية رومالين كوى، ومن هنا خط يمتد من المنطقة التي يشملها الانتداب الفرنسي فيتترك فيها جميع الأراضي الواقعة في حوض نهر الخابور الغربي، ويمر باستقامة نحو الفرات، فيجتازه بالبوكمال ويمتد باستقامة إلى أمتار فجنوب جبل الدروز، ومن هنا يمتد إلى جنوب نصيب. الواقعة على خط حديد الحجاز، فسمح الواقعة على بحيرة طبرية سائراً إلى جنوب خط السكة الحديدية وموازياً له، وتبقى درعا وما حولها في المنطقة التي يشملها الانتداب الفرنسي، ويبقى ذلك الخط في وادي اليرموك ضمن المنطقة الفرنسية، ويسير بصورة ملاصقة وموازية لخط السكة الحديدية. كي يصبح في الأماكن أن يمد في وادي اليرموك سكة حديدية واقعة في الأراضي المشمولة بالانتداب البريطاني، وستوضع التحوم في سمخ بصورة يمكن معها للفريقين المتعاقدين الساميين ان يبني مرفأ ومحطة للسكة الحديدية ليتمكننا من استعمال بحيرة طبرية بحريا.

ومن الغرب يسير الخط من سمخ مارا داخل بحيرة طبرية، فأول وادى المسعدية. حيث يسير مع مجرى هذا النهر فى وادى جرابا، إلى نبعه، ومن هنا يتصل بطريق القنيطرة وبانياس بالمكان المعروف بالسكك، فيسير مع الطريق التى تبقى فى المنطقة الفرنسية لغاية بانياس، ومن هنا يسير نحو الغرب حتى يصل إلى المطلة، وتبقى المطلة فى المنطقة البريطانية.

وسيوضع لهذا الجزء من الحدود تفصيلات دقيقة، يمكن معها تسهيل المواصلات بين جميع أطراف البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي كصور وصيدا والمناطق الواقعة إلى الغرب وإلى الشرق من بانياس.

وتفصل التخوم بالمطلة بمفرق الماء فى وادى الأردن وحوض نهر الليطاني، وتسير جنوبا مع وادى الأردن. فوادى فرعم، ووادى كركرة. اللذين يبقان فى المنطقة البريطانية فوادى اليلاونه، ووادى العيون والزرقاء التى تبقى فى المنطقة الفرنسية، ويصل الحد إلى شاطئ البحر المتوسط فى مينا رأس الناقورة، وتظل فى المنطقة الفرنسية.

٢ - تؤلف بعد التوقيع على هذه المعاهدة بثلاثة أشهر بعثة لتدرس الحدود بين المناطق المشمولة بالانتداب الفرنسي والمناطق المشمولة بالانتداب البريطانى التى بينها فى المادة الأولى. وتتألف هذه البعثة من أربعة أعضاء. تعين الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية اثنين منهم، وتعين الاثنين الآخرين الحكومة المحلية المشمولة بالانتداب الفرنسي، والحكومة المحلية المشمولة بالانتداب البريطانى بعد مشورة الحكومتين المنتدبتين.

إذا وقع خلاف بين أعضاء هذه البعثة يعرض على مجلس جمعية الأمم، ويكون قراره قطعيا.

وتقدم تقارير البعثة النهائية عن الحدود الثابتة التى عينت أخيرا، وترتبط معها المصورات الضرورية الموقع عليها من قبل أعضاء البعثة. وتوضع ثلاث نسخ من هذه التقارير والمصورات. تحفظ النسخة الواحدة بين سجلات مجلس جمعية الأمم، وتحفظ النسختين الأخرين الحكومتان المنتدبتان.

٣ - توافق الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية على ترشيح لجنة خاصة مهمتها درس الخطط التمهيدية التي تعينها الحكومة الفرنسية المنتدبة لأجل مصلحة الرى فى البلاد المشمولة بانتدابها، لئلا يقلل إبرازها لحيز الفعل ماء دجلة والفرات فى الموضع الذى يدخلان به المنطقة العراقية المشمولة بالانتداب البريطانى.

٤ - توافق الحكومة البريطانية بالنظر إلى مكانة جزيرة قبرص من الوجهة الجغرافية والعسكرية بالنسبة إلى خليج الاسكندرونة على أن لا تفاوض أحدا بخصوص التنازل عنها، أو تسليمه إياها قبلما توافق فرنسا على ذلك.

٥ - أ - توافق الحكومة الفرنسية على وضع ترتيب حرٌ يبين كيفية استعمال خط السكة الحديدية الواقع بين طبرية ونصيب استعمالاً مشتركاً.

تضمن سير هذا الترتيب وانتظامه إدارتا السكة الحديدية المؤلفتان فى منطقتى الانتداب البريطانى والفرنسوى بأسرع ما يمكن - أى بعد تنفيذ الانتداب على سورية وفلسطين، وتسمح هذه الاتفاقية بصورة خاصة لإدارة السكة الحديدية البريطانية أن تسيّر قطاراتها ذهاباً وإياباً بين هاتين المنطقتين وفقاً لمصالحها. وتتقل البضائع التجارية إلى المنطقة المشمولة بالانتداب الفرنسوى بواسطتها، وتعين هذه الاتفاقية الشروط المالية والإدارية والفنية اللازمة لسير القطارات البريطانية، أما إذا لم يتم الاتفاق خلال ثلاثة أشهر من تنفيذ الانتداب بين الإدارتين المذكورتين أعلاه فستعين جمعية الأمم حكماً يفصل الخلاف، وعندئذ تنفذ شروط هذه الاتفاقية التى حازت رضا الطرفين.

يعمل بموجب هذه الاتفاقية إلى أجل غير مسمى، وتصحح أحياناً بمقتضى الأحوال.

ب - يمكن للحكومة البريطانية أن تمد خطاً من الأنابيب الحديدية بجانب السكة الحديدية، ولها الحق فى نقل جنودها على هذه السكة الحديدية دائماً.

ج - توافق الحكومة الفرنسية على تعيين بعثة خاصة تدرس الأراضى، ويعد درسها إياها تعيين الحدود فى وادى اليرموك حتى نصيب بطريقتى فنية، يمكن معها بناء الخط الحديدى البريطانى، وخط الانابيب الموصل بين فلسطين وبين سكة الحجاز

ووادى الفرات فى المنطقة المشمولة بالانتداب البريطانى. وتبقى السكة الحديدية الحالية المارة بوادى اليرموك داخل الأراضى المشمولة بالانتداب الفرنسى، ويجب على بريطانيا العظمى إحقاق حقها هذا فى مدة لا تتجاوز عشر سنوات.

د - تتألف البعثة التى ذكرناها أعلاه من عضو بريطانى وعضو فرنسى يضاف إليهما نواب عن الحكومات المحلية بصفة مستشارين فنيين. هذا ان رأت الحكومة البريطانية والحكومات الفرنسية لزوما لذلك.

هـ - إذا اقتضى الأمر لأسباب فنية أن يمر خط السكة الحديدية البريطانية ببعض الأماكن المشمولة بالانتداب الفرنسى توافق الحكومة الفرنسية على مرور هذا الخط بتلك المناطق، وتقدم للحكومة البريطانية أو لعمالها المساعدات اللازمة.

و - إذا شاعت الحكومة البريطانية العمل بموجب الحق الممنوح لها بالفقرة الثالثة من هذه المادة - أى أن تمتد سكة حديدية فى وادى اليرموك تنفذ الحكومة الفرنسية الشروط التى اشترطتها على نفسها بالفقرة الأولى والثانية من هذه المادة غب مرور ثلاثة أشهر من إنشاء السكة.

ز - توافق الحكومة الفرنسية على اتخاذ التدابير الفعالة لحمل الحكومات المحلية المشمولة بالانتداب الفرنسى، لتصادق على هذه الحقوق الممنوحة للحكومة البريطانية.

٦ - تم الاتفاق على هذه الشروط التى تسهل أعمال الحكومة البريطانية مقابل عقد الاتفاقية الفرنسية البريطانية بخصوص الزيت فى سان ريمو.

٧ - لا تضع الحكومة البريطانية، ولا الحكومة الفرنسية موانع فى منطقتى انتدابهما لجمع الموظفين اللازمين لإدارة خط السكة الحجازية أو لاستخدامهم.

تمنح جميع التسهيلات الضرورية لمرور جميع المستخدمين فى الخط الحديدى الحجازى بمنطقتى الانتداب البريطانى والفرنسى لئلا تتأخر أعمال هذا الخط.

توافق الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية عند اللزوم على أن تعقدتا اتفاقية مع الحكومات المحلية. خلاصتها استثناء جميع مهمات هذا الخط ومعداته من الرسوم الجمركية عندما تمر بإحدى مناطق الانتداب.

٨ - يعين خبراء واختصاصيون من قبل حكومة سورية وفلسطين غب مرور ستة أشهر من إمضاء هذه المعاهدة. مهمتهم فحص أحوال مياه نهر الأردن الأعلى ونهر اليرموك وتوابعهما لاستخدامها لأجل الري، ولأجل توليد الكهرباء وتعيين المقدار اللازم للأراضى الواقعة تحت الانتداب الفرنسى.

تزود الحكومة الفرنسية الأخصائيين الذين تعينهم لدرس هذا المشروع بالتعليمات اللازمة لمنح فلسطين الماء الزائد خدمة لمنافعها العامة.

إذا لم يحصل الاتفاق المطلوب بنهاية هذا الدرس، تعرض المسألة على الحكومتين البريطانية والفرنسية لتدرسها وتقررا فيها قرارا نهائيا.

تشارك إدارة فلسطين بقدر ارتفاعها من هذه الأعمال فى دفع نفقات بناء الترع والخلجان والسدود والخزانات والأحواض والأقبية وخطوط الأنابيب الحديدية... الخ وتشارك فى جميع الأعمال التى من شأنها إنبات الحراج وتنشيط تربيتها.

٩ - توافق الحكومتان البريطانية والفرنسية عملا بنص المادة ١٥ والمادة ١٦ من نظام الانتداب الفلسطينى، وعملا بنص المادة الثامنة والمادة العاشرة من نظام الانتداب العراقى، وعملا بنص المادة الثامنة من نظام الانتداب اللبناى السورى، وعملا أيضا بموجب الحق العام المعطى من قبل الحكومات الوطنية للمدارس المحلية بخصوص التربية والتعليم على السماح للمدارس التى تخص أناسا من التبعة الفرنسية، أو من التبعة البريطانية على المتأبرة فى إدارة هذه المدارس فى منطقتى انتدابهما، ويسمح بتعليم اللغة الفرنسية واللغة الإنكليزية فى هذه المدارس.

لا تعنى هذه المادة بحال من الأحوال منح رعايا إحدى الدولتين المشار إليهما حق فتح مدارس جديدة فى الوقت الحاضر فى منطقة انتداب الدولة الأخرى.

ج، بيچ

مارينج

٢

الثورة العراقية الكبرى

عوامل الثورة ومقدماتها

بينما كان النضال على أشده بين العرب والفرنسيين في الشام، وقد حشد هؤلاء قواهم ليضربوا الضربة الكبرى، كان العراق يتمخض عن ثورته الكبرى على الإنكليز الذين جاوعه زمن الحرب، واحتلوا مدنه وأنشأوا فيه نظام حكم غريب شاذ عموه بالسيوف والحراب.

والعوامل التي حفزت السوريين إلى منازلة الفرنسيين، وقد قاتلوا وإياهم الترك، واشتركوا في تدمير سلطنة الاتحاديين هي نفس العوامل التي حفزت العراقيين إلى قتال الإنكليز ومنازلتهم. فقد كان العراقيون يرجون أن يبر هؤلاء بوعودهم وينجزوا عهودهم للعرب، فيأخذوا بيدهم ويساعدوهم في إنشاء دولتهم الكبرى، فلما أدركوا أن الأمر بالعكس، وأن القوم يعملون على استعمار العراق وإذلال أهله والعرب كافة نهضوا للدفاع عن حقوقهم نهضة عرب الشام. ومعنى ذلك أن العوامل الأصلية للحركتين واحدة، مع وجود اعتبارات محلية وظروف خاصة لا بد من مراعاتها وحسبان حسابها.

ومن تحصيل الحاصل القول بأن الحركة العربية قامت في دورها الأول على أكتاف العراقيين قيامها على أكتاف السوريين، فقد كان الشبان من هؤلاء وهؤلاء يعملون جنباً إلى جنب في الأستانة وبيروت ودمشق وبغداد والبصرة، ويؤلفون الجمعيات وينشرون الصحف باسم استقلال العرب ووحدتهم، لا باسم قطر من أقطارهم، ولا إقليم من أقاليمهم، ولئن كثر عدد الضحايا من السوريين خلال ذلك الدور فما ذلك إلا لأن عدد المشتغلين بالقضية منهم كان أكثر. وتبدل الحال في خلال الدور الثاني. فقد أتاح احتلال البصرة ثم بغداد لضباط العراق وشبانه من الذين كانوا في الجيش العثماني، وتخلفوا عن الانسحاب معه يوم انسحب، أو سقطوا في أسر الإنكليز أو انضموا إليهم - الاشتراك في الثورة الكبرى في الحجاز وقتال الترك في سبيل الاستقلال الذي وعد به العرب، فكان عددهم أكثر. نعم لا ننكر أن بعض الفلسطينيين تطوع في الجيش العربي بعد احتلال القدس إلا أن كفة العراقيين في جيش الثورة كانت الراجحة، وإن ظلت خسارة السوريين من جهة الكيفية لا الكمية

الأرجح. فقد أودت مظالم جمال باشا بنخبة ممتازة من خيرة رجالهم وكتابهم ومفكريهم - وكل هؤلاء لا يعوضون، ولا يمكن تلافى الخسارة الناجمة عن فقدهم، ولم يقصر الفريقان. ولم يتوانيا. فبذل كل ما فى وسعه لخدمة القضية العامة - قضية العرب الكبرى. ومات ضحاياهم سواء فى عالية أو دمشق، أو حول المدينة المنورة، أو حول معان، أو فى صحراء الشام وحوارن باسم العرب وفى سبيل استقلالهم - لا بأى اسم آخر. ولا بد لنا من التنبيه إلى أمر آخر وهو أن كلمة عراقى وسورى لم تعرف إلا يوم دخل الحلفاء بلاد العرب فى زمن الحرب فبذروا هذه البذرة لتفريق الكلمة وإيقاع الشقاق. لاعتقادهم أن بقاء العرب متحدين متفقين يحول دون تحقيق مطامعهم فى بلادهم، ويقضى على خططهم الاستعمارية فأتوهم من هذه الناحية - الناحية الإقليمية - وأغروا السورى بالعراقى، كما أغروا هذا بالحجازى، وضربوا هذا بذاك فتنبه العرب أخيراً، إلى ما يراد بهم، وأحبطوا كيد الدساسين، ونهضوا يقاتلون العدو المشترك، وتقلد العراقيون من رجال الثورة ومن غيرهم المناصب الكبرى فى الحكومة الفيصلية بالشام، وهم من مؤسسيها. كما اشتركوا فى أعمال ذلك الدور من أوله إلى آخره. سواء فى داخل الحكم أو خارجه، وساعدهم هذا الاشتراك فى أعمال لحكومة وتقلدهم المناصب العليا على إعداد الثورة العراقية وتهيئة أسبابها ونشر الدعاية لها. فهم واضعو أساسها، وهم النافخون فى ضرامها.

حروب الإنكليز في العراق

يشبه موقف الإنكليز في العراق موقف الفرنسيين في الشام من وجوه كثيرة. فهم ما برحوا منذ استقروا في الهند يطمعون في استصفاء هذا القطر، ويرغبون في امتلاكه. ولما زلزلت الدولة العثمانية في الحرب البلقانية وظن بعضهم بمصيرها الظنون دارت مفاوضات رسمية في شهر ديسمبر سنة ١٩١٢ بين الإنكليز والفرنسيين. لم تلبث أن اقتترنت بالنجاح التام، فقد اعترف هؤلاء بالعراق منطقة نفوذ بريطانية مقابل اعتراف الإنكليز بما للفرنسيين من حقوق ومصالح في الشام. ولم يجدا أى صعوبة في الاتفاق على اقتسام هذين القطرين العربيين. اللذين وحدت بينهما الطبيعة وجعلت كل واحد منهما متمما للآخر. واغتنم الإنكليز فرصة اشتراك الدولة العثمانية في الحرب العظمى. فهاجموا العراق على الفور فبزوا فرنسا من هذه الناحية - وقد كان لها من مشاغها الكبرى يوم اكتسح الألمان بلادها في أوائل الحرب، ودكوا حصونها ومعقلها، ما لا يدع لها وقتا للتفكير في إرسال مثل هذه الحملة. بعكس الإنكليز الذين كانوا في مأمن من مثل هذه الغارة تشن على بلادهم. ولئن اعتمد الإنكليز على قواهم المادية في احتلال العراق، وفي طرد الترك منه. فقد اعتمد الفرنسيون على المعاهدات السياسية التي حملوا الإنكليز إبان الحرب على توقيعها معهم، وقد رأيت أن هؤلاء بذلوا الجهد لحمل الفرنسيين على التنازل عن سورية مقابل تعويضهم ببنيجيريا فلم ينجحوا، ولم يسع الإنكليز إلا مجاراتهم - ولو كان في ذلك نقض للعهد المقتطوع للعرب - لان الفرنسيين أقوى من العرب وأنفذ في المقامات الدولية. واعتمد الفرنسيون على القوة - بعد الحرب - في تنفيذ تلك العهود، ولم يحجموا عن منازلة الحلفاء الذين كانوا يقاتلون وإياهم جنبا إلى جنب. فتم لهم ما أرادوه.

الحرب بين الترك والإنكليز في العراق

بدأ الإنكليز غارتهم على العراق في شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ ففى يوم ٧ منه وصلت قوة من جيوشهم بقيادة الجنرال دلاين إلى «الفاو» فاحتلتها بلا مقاومة. كما احتلت عبادان. ثم تقدمت إلى سينة فاحتلتها أيضا، وفوجئت صباح ١١ منه بهجمة هجمتها قوة عثمانية كبيرة وصلت من البصرة فصدتها.

ووصل يوم ١٣ منه الجنرال باريت القائد العام لحملة العراق على رأس قوة جديدة، ودارت أول معركة شديدة بين الإنكليز والعثمانيين يوم ١٤ منه فى قرية سيحان. وقد احتشد فيها ثلاثة آلاف من هؤلاء ثلثهم من رجال العشائر العراقية، فحمل عليهم الجنرال دلاين، ثم ارتد فى المساء وثبت الترك فى مواقعهم. على أنهم ما لبثوا أن ارتدوا ولم يجد الإنكليز أحدا هنا حينما عادوا إلى الهجوم يوم ١٧ منه.

وبدأ العثمانيون بالجلء عن البصرة منذ صباح ٢١ منه وفى صباح ٢٢ أشرفت الحملة البريطانية البحرية على البصرة، ووصلت الحملة البرية بعد الظهر، واحتلتها رسميا يوم ٢٣ منه. فنزل الجند فى الثكنات، واستقبل الجنرال باريت والسير برسى كوكس (قنصل بريطانيا العام فى الخليج الفارسى يومئذ) أعيان البلاد. فقرأ بيانا باللغة العربية حوى ذكر الأسباب التى أدت إلى الاحتلال، وبيان ما يجول فى صدر الحكومة البريطانية من العواطف الودية نحو العرب.

واستقر الإنكليز فى البصرة فأنشأوا فيها حكومة، واتخذوها قاعدة لأعمالهم العسكرية الكبرى فى العراق، وبعد ما أتموا إعداد معداتهم تحركوا يوم ٣٠ ديسمبر قاصدين إلى القورنة لمنازلة قوات الترك - بقيادة صبحى بك، وإلى البصرة وقائدها العسكرى - فدار قتال يوم ٧ منه فى المزيرعة انتهى بطرد الترك. وفى يوم ٨ منه عبر الإنكليز دجلة لمهاجمة القورنة الحصينة، وهددوا مواقع العثمانيين فيها من الخلف ومن الجناح. فأرسل صبحى بك فى منتصف تلك الليلة كتابا إلى القائد الإنكليزى يقترح فيه التسليم بشرط أن يخرج جنوده بسلاحهم فأبى هذا قبول الشرط. فاستسلم الجند بلا قيد ولا شرط وعددهم ١٢٠٠ جندي و٤٢ ضابطا ورد الإنكليز إلى صبحى بك سيفه اعترافا ببسالته.

ولما وصلت هذه الأخبار إلى الأستانة عزل جاويد باشا القائد العام لجيش العراق،

وعين سليمان عسكري بك، وهو من صناديد الاتحاديين وأبطالهم خلفا له. فبلغ بغداد في أواخر شهر ديسمبر مع حاشية كبيرة، وقوى عسكرية وأخذ يخطب وينادي بأنه لا بد له من استرداد البصرة وإلقاء الإنكليز في البحر، وتحرير سواحل الخليج الفارسي والزحف على الهند والاستيلاء عليها.

وبدأ عمله العسكري فحشد قواه في الناصرية للزحف على البصرة، كما حشد قوة أخرى في جوار المزيبة وعران للزحف على الأهواز، والأحداق بجناح الجيش البريطاني الأيمن، وحمله على التقهقر. ونشط الموظفون الترك في العراق خلال هذه المرحلة نشاطا زائدا فاستثاروا حمية السكان من العرب والكردي، وحملوهم على التطوع في الجيش ومشاركته في الدفاع عن الوطن، فتسنى لهم حشد نحو ١٠ آلاف مقاتل في الشعبية.

وزحف الإنكليز يوم أول يناير سنة ١٩١٥ للاستطلاع في شمال عران ثم ارتدوا إلى القورنة، واستأنفوا الزحف في ٢٠ منه فتقدموا إلى المزرعة على ضفة دجلة اليمنى فصدتهم سليمان عسكري بك ودارت معركة بين الفريقين انتهت بارتداد الإنكليز بعدما جرح سليمان بشظية قنبلة، وتحول الموقف بعد هذه المعركة وبعد التدابير العسكرية التي اتخذها الترك، فأصبحوا مهاجمين بعد ما كانوا مدافعين.

ودارت معارك عديدة بين الفريقين في هذا الميدان كانت معركة الشعبية يوم ٤ ابريل أعظمها شأنًا، فقد هجم سليمان على المعسكر البريطاني المحصن في الشعبية بعشرين ألفا من المحاربين، ومعظمهم غير مدربين معهم ١٥ مدفعا فردوه وهزموه بعد ما قتلوا نحو ثلاثة آلاف من رجاله، وأسروا نحو ألف. فلجأ إلى الناصرية وانتحر فيها. فحل محله في القيادة أميرالالاي حليم بك. وكان الترك قد خندقوا في عران وحصنوها. ولم يلبث هذا أن ارتد أمام البريطانيين يوم أول يونيو تاركًا المراكز العسكرية بين يدي الجنرال تونسن القائد الجديد للحملة العراقية، فطارده هذا بأسطوله النهري حتى أدركه في العمارة يوم ٢٠ منه، فاستقبله حليم بك نفسه مع عاصم بك متصرف اللواء وأربعة ضباط كبار مع ٤٠ ضابطا صغيرا، واستسلموا إليه بلا حرب ولا قتال. وقد كان في إمكانهم أن يأسروه لأنه كان وحيدا.

وعينت حكومة الأستانة أميرالالاي نوري الدين بك قائدا للعراق بعد انتحار

سليمان عسكري واستسلام حليم. فوصل في شهر يونيو، وبدأ كما بدأ سليمان عسكري فحشد القوى في محل حصين يدعى السن. ويبعد عن كوت العمارة نحو ١٢ كيلو مترا من الشرق. فانضمت إليه القوات التركية المتراجعة من سوق الشيوخ ومن الناصرية، وقد احتل الإنكليز الأخيرة بعد معركة دامية يوم ٢٤ يوليو وأسروا فيه ١١٠٠ أسير تركي.

وسير الترك نجدات قوية للدفاع عن العراق، وألّفوا لجنة لتحصين مدينة بغداد نفسها استعدادا للدفاع عنها. ووقعت المعركة الأولى بين نور الدين بك والجنرال تونسنند صباح ٢٧ سبتمبر في السن، واستمرت نحو ٢٠ ساعة، واشترك فيها الأسطولان النهريان (الإنكليزي والتركي) وانتهت بفوز الإنكليز. فجلا الترك عن خطوطهم عند الفجر، وانسحبوا إلى خطوط الدفاع الجديدة التي أقاموها شمالا على خط سلمان باك - طيسفون - وخسروا في هذه المعركة ١٧ ألفاً بين قتيل وجريح و١٢٨٩ أسيرا مقابل ١٢٢٩ قتيلًا وجريحًا من الجيش الإنكليزي. ونظم الترك قواهم تنظيمًا جديدًا في سلمان باك استعدادًا للقاء الإنكليز، وتلقوا نجدات جديدة، وحصنوا مواقعهم تحصينًا زائدًا.

وبدأ الجيش البريطاني الزحف على سلمان باك يوم ١٦ نوفمبر بعد استعدادات امتدت ستة أسابيع. وفي يوم ٢١ منه هجم على قلب الجيش التركي وعلى جناحه الأيسر. كما انصرفت قوة منه إلى مشاغلة الجناح الأيمن، وكان الإنكليز يرمون إلى الإحداق بالترك، وقطع خط رجعتهم على نهر «ديالي» ففازوا يادىء بدء، واستولوا على الخطوط الأمامية وغنموا ٨ مدافع وأسروا ١٧٠٠ أسير ومزقوا فرقة كاملة للترك. ووصلت والمعركة دائرة فرقة تركية بقيادة خليل بك (عم أنور باشا) فتعزز مركز الترك ورجحت كفتهم فاستردوا الخطوط الأمامية، وضربوا الإنكليز ضربة شديدة. فبدأوا بالانسحاب ليلة ٢٢ منه فطاردهم نور الدين، وكاد يحدق بهم يوم أول ديسمبر في أم الطبول. لولا أن أدركته قوة إنكليزية وفي يوم ٣ ديسمبر بلغ الجنرال تونسنند كوت الإمارة وفي يوم ٦ منه أدركه الجيش التركي وفي ٧ منه ضرب الحصار عليه.

ووصل إلى بغداد في أواخر شهر نوفمبر المارشال فون درغولتز الألماني فتقلد قيادة الجيش التركي في العراق، وبدأ فأنشأ خط دفاع في الفلاحية شمالي «كوت العمارة» المحصورة لرد القوى البريطانية الزاحفة لإنقاذ الجيش المحصور وصدّها. ورغم ما بذله

الإنكليز من جهود، وما بذلوه من مال (١) مما جاعوا به من قوى فقد عجزوا عن بلوغ الكوت وانقاذ الجيش المحصور. فسلم يوم ٢٩ ابريل سنة ١٩١٦ بعد ما أتلّف سلاحه، معداته وبلغ عدد رجاله ١٣٥٠٠ جندي عدا الضباط فأرسلوا إلى الأناضول.

وحل خليل باشا محل الجنرال فون درغولتز في قيادة الجيش التركي المحارب، ومات هذا يوم ٦ ابريل بالحمى فحسر الترك قائداً حكيماً مجرباً.

ويدلا من أن يوجه الترك اهتمامهم إلى قتال الإنكليز في ميدان دجلة اتجهوا نحو فارس فأرسلوا فيلقاً بقيادة على إحسان باشا إلى خانقين لمنازلة القوى الروسية التي بلغت فآدى مهمته على الوجه الأكمل، وطرد الروس من الأراضي التركية، وأطمع الترك هذا الفوز فأوغلوا في ايران واحتلوا كرمينشاه وهمدان وأعلنوا انهم يعدون المعدات للزحف على طهران ومنها إلى أفغانستان فالهند لضرب انكلترا ضربة قاضية.

واغتنم الإنكليز الفرصة فأرسلوا حملة كبيرة إلى البصرة بلغ عددها ٤٠ ألف جندي تولى قيادتها الجنرال مود. فبدأ الهجوم على الترك في إمام محمد يوم ٩ يناير سنة ١٩١٧ فاحتل خطوطهم الأمامية فقاوموه مقاومة شديدة، ودارت معارك هائلة في هذا الميدان انتهت يوم ٩ فبراير باستيلاء الإنكليز على خطوط الترك، فتقدم الإنكليز على ضفاف الفرات، وعبروا دجلة ليلة ١٦ منه، وهاجموا الفلاحية على الضفة اليسرى فاحتلوها يوم ٢٢ منه. كما اجتازوا الفرات. ولم يأت يوم ٢٥ منه حتى تضعضع الترك، وفقدوا كل أمل بالانتصار فارتدوا يوم ٢٧ منه إلى سلمان باك، وتحصنوا فيها فطاردهم الإنكليز فلم يقووا على الثبات، فانسحبوا ليلة ٦ مارس إلى ديالة فهاجمهم الإنكليز فجلوا عنها إلى بغداد، فلحق بهم الجنرال مود ودخلها فجر ١١ مارس سنة ١٩١٧.

وواصل الإنكليز الأعمال العسكرية، فاحتلوا سامرا يوم ٢٢ إبريل ثم تقدموا نحو شرقاوط وكان الترك قد تحصنوا فيها وأنشأوا خطوط دفاع محكمة.

وسير الإنكليز القوى لاحتلال المدن العراقية الواقعة على الفرات فاحتلوا الرمادي في الغرب يوم ٢٩ سبتمبر - كما احتلوا تكريت يوم ٦ نوفمبر، واحتلوا أيضا كركوك

١ - كان من جملة التدابير التي لجأ إليها الإنكليز يومئذ انهم انتدبوا الكابتن لورانس. وكان يعمل في دائرة المخابرات بالقاهرة للسفر إلى العراق ومقابلة خليل باشا وتهيئة الأسباب لاجراج الجيش البريطاني المحصور في كوت الإمارة مقابل مليون جنيه رشوة تدفع له. ولما أجاب بالرقض وعده بزيادة المبلغ فأجاب بالرقض أيضا، وقد انتقد بعض مؤرخي لورانس تصرفه هذا التصرف المخالف لقواعد الأخلاق.

وأخرى فى الشرق فى أواخر إبريل.

واستؤنف القتال فى هذا الميدان بعد انقضاء فصل الصيف فاحتل الإنكليز الفتحة والبلاليج وشرققاط والجرفاق قرب الموصل، فأطلق ذلك الترك فقرروا الجلاء عن هذه، وبينما كانوا يخلونها مرتدين إلى نصيبين، وقد جلا عنها قائدهم العام على إحسان باشا عقدت الهدنة بين تركيا والطفاء يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ فعاد هذا إلى الموصل ثانية وأمر الموظفين الترك باستئناف عملهم.

ووصل إلى الموصل ظهر يوم ٢ نوفمبر الكولونيل ليجمان مدير المخابرات فى الجيش البريطانى فقابل على إحسان باشا ودعاه إلى زيارة القائد البريطانى فى جوار اليوسف (جنوبى الموصل) فأجاب الدعوة وعاد إلى مقره، وفى الغداة جاء الكولونيل ليجمان إلى دار الحكومة ومعه جندى بريطانى فأنزل العلم التركى، وأنذر على إحسان باشا بوجوب السفر حالا، وتقدمت فرقة الجنرال «واكهوب» فاحتلت الموصل.

ودارت مفاوضات رسمية بين الباب العالى وممثل انكلترا السياسى فى الآستانة حول مصير الموصل، فأرسل هذا بلاغا إلى الحكومة التركية ألح فيه بسحب القوات التركية من الموصل فى الحال، عملا بمواد الهدنة، لأن الحملة البريطانية محتاجة إلى احتلالها للدفاع عن نفسها أزاء جيش الجنرال نورى باشا (شقيق أنور باشا) المرابط فى أنزيبجان قال:

«وإذا أصر الترك على عدم الجلاء فالحملة البريطانية تطرد على إحسان باشا وتأسره وتحتل المدينة بالقوة» فوافقت الحكومة التركية على الجلاء مشترطة أن يكون الاحتلال العسكرى البريطانى وقتيا، وأن يظل فيها الموظفون الترك يؤدون أعمالهم كالسابق باسم السلطان.

وغادر الموصل على إحسان باشا يوم ٥ منه بسيارة إلى نصيبين تحميه مدرعات بريطانية خوف اعتداء العربان عليه، وتولى الكولونيل ليجمان إنشاء الحكومة الجديدة فى الموصل، وقد تولى رياستها، وفى يوم ١٢ منه انتهى الحكم التركى فى الموصل وفى العراق، فانتهى بانتهائه دور الأعمال العسكرية، ودخل هذا القطر فى قبضة الجيش البريطانى بعد حروب هائلة امتدت أربع سنوات.

العراق زمن الهدنة

كان عقد الهدنة بين الترك والحلفاء في موندروس يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ فاتحة دور جديد في العراق، ابتداء بإنشاء نظام حكم شاذ وغريب، وانتهى بإعلان الثورة العراقية الكبرى يوم ٣٠ يونيو سنة ١٩٢٠ وقد خاضها العراقيون دفاعاً عن حقوقهم وطلباً لاستقلالهم.

كان العراقيون يرجون أن يتاح لهم بعد ختام الحرب وحلول عهد السلام إنشاء حكومة عربية مستقلة في بلادهم، تتحد مع الحكومات العربية في الشام والحجاز، وتحيي مجد العرب، طبقاً للوعود التي قطعها الإنكليز للحسين باسم العرب عامة، وللعراقيين أنفسهم في أثناء الحرب خاصة، فقد كان هؤلاء في أول الحرب يعطفون على الترك كإخوانهم أهل الشام، ويرون أن مصلحة العرب هي في التضامن معهم وتأييدهم فتخرج الدولة ظافرة من حربها، ولا تسقط بلادهم في قبضة الاستعمار الأوروبي، وتبدل موقفهم حينما بدأ جمال باشا ينفذ سياسته في الشام وقد ذهب ضحيتها عدد غير قليل من العراقيين، وحينما ظهرت نيات الاتحاديين إزاء العرب. وهي ترمي كما قلنا إلى القضاء على مفكريهم ورجالهم. يضاف إلى هذا ما ارتكبه الترك أنفسهم من مظالم في العراق خلال الحرب العظمى. فقد فعل خليل باشا هنا ما فعله جمال باشا في الشام، وذلك أنه سير في شهر أغسطس سنة ١٩١٦ قوة كبيرة إلى الحلة بقيادة أميرالاي عاكف بك الألباني فدمرها تدميراً، وسبى نساءها، وأرسل رجالها إلى الأناضول منفيين، وكانوا قد فعلوا مثل ذلك في كربلاء من قبل مايو من تلك السنة. فقتلوا وشنقوا عدداً من رجالها. لأنهم لم يقدموا الجنود المطلوبة للدولة، وقد استوفينا الكلام على هاتين الحادثتين في مكانهما.

وعود الإنكليز للعراقيين

وننشر هنا نص الوعود الرسمية التي قطعها الإنكليز للعراقيين في أثناء الحرب العظمى وفي زمن الهدنة. مبتدئين بمنشور الجنرال مود، وهو أولها. فقد صدر يوم ١٩ مارس سنة ١٩١٧ وهذا نصه:

يا أهالى ولاية بغداد

إننى باسم مليكى المعظم، واسم شعوبه التى يحكم عليها أوجه إليكم الخطاب الآتى:
إن الغرض من معاركنا الحربية هو دحر العدو وإخراجه من هذه الأصقاع. فإتماما
لهذه المهمة وجهت إلى السلطة المطلقة على جميع الأطراف التى تقاثل فيها جنودنا.

إن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بصفتهم قاهرين أو أعداء. بل بصفتهم محررين
فقد أخضع مواطنوكم منذ أيام هولاء لظالم الغرباء. فخربت قصوركم وزوت حدائقكم
وأنت أشخاصكم وأسلافكم من جور الاسترقاق. لقد سيق أبناؤكم إلى حروب لم ينشدها،
وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم وبدوها فى أصقاع شاسعة. تكلم الترك من أيام مدحت
باشا عن الإصلاح. أفليس دثور العراق وأقفاره برهاننا على بطلان هذه المواعيد.

إنها ليست أمنية جلاله مليكى المعظم وأمنية شعوبه فقط، بل هى أيضا أمنية الأمم
العظمى المتحالفة معها حكومة جلالته أن تعودوا كما فى السابق. وقد كانت أراضيكم
مخصصة، وكان العالم يتغذى باللبان آداب أجدادكم وعلومهم وصناعاتهم، وقت كانت بغداد
إحدى غرائب الدنيا.

«لقد ارتبط قومكم بمتلكات جلاله مليكى المعظم بعروة المصالح الوثقى فقد تبادل تجار
بغداد وتجار بريطانيا من مائتى سنة المنفعة والصدقة. أما الألمان والأترک الذين نهبواكم
أنتم وذويكم فقد انخذوا بغداد مدة عشرين سنة مركزا يهجمون منه على نفوذ البريطانيين
وحلفائهم فى إيران والبلاد العربية، ولذلك لم تستطع الحكومة البريطانية السكوت عما
يحدث فى وطنكم حاضرا أو مستقبلا، ولا تتسامح قياما بواجب مصلحة الشعوب
البريطانية ومصلحة حلفائها فى أن يرتكب الترك والألمان ما ارتكبه مرة ثانية فى بغداد.

ويجب عليكم يا أهل بغداد، يا من جئنا نحميكم من الظلم والغزو، ونضمن حرية
تجارتكم، ويامن سنتالون ما يستوجب أدق اهتمام الحكومة البريطانية أن تعلموا أن هذه
الحكومة لن تفرض عليكم أنظمة أجنبية عنكم. فأمنيتها الوحيدة أن تحقق ما تطمح إليه
نفوس فلاسفتكم وكتابكم مرة أخرى. ولسوف يسعد أهالى بغداد ويتمتعون بالغنى المادى

والأدبى بفضل نظامات توافق قوانينهم المقدسة وأطماعهم القومية.

لقد طرد العرب فى الحجاز الترك والألمان الذين بغوا عليهم، ونادوا بعظمة الشريف حسين ملكا عليهم، وعظمته يحكم مستقلا حرا، وهو متحالف مع الأمم التى تحارب دولتى تركيا والمانيا، وهذا شأن أشرف العرب وأمراء نجد والكويت وعسير.

لقد ذهب كثيرون من أشرف العرب ضحية فى سبيل الحرية على أيدي أولئك الحكام الغرباء الذين ظلموهم. وانكلترا وحلفاؤها مصممون على أن لا يذهب دماء هؤلاء الأبطال هدرا، وأمنية إنكلترا وحلفائها أن تسمو الأمة العربية مرة أخرى، وتستعيد عظمتها ومجدها وأن تعمل لإدراك هذه الأمنية متحدة متفقة.

يا أهل بغداد تذكروا أنكم تألتم ٢٦ جيلا أذاكم الظلمة والغرباء الذين سعوا دائما إلى الإيقاع بين البيت ورب البيت كى يستفيدوا من شقاقكم. فهذه السياسة مكروهة عند بريطانيا وحلفائها لأنها إغراد بالعداوة، ولا يستقيم معها حال، ولا يستقر معها سلام، وأنا مأمور بأن أدعوكم بواسطة أشرافكم وشيوخكم الطاعنين فى السن وممثلكم إلى الاشتراك فى إدارة مصالحكم الملكية، لمعاضدة ممثلى بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش - كما تتضمنون إلى ذوى رحمكم شمالا وشرقا وجنوبا وغربا فى تحقيق أطماعكم القومية.

صدر من مركز رئاسة الجيش البريطانى ببغداد فى ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ الموافق ١٩ مارس سنة ١٩١٧.

٢

ولما عقدت الهدنة بين الحلفاء والألمان يوم ١١ نوفمبر دعا السير وليم مارشال القائد العام للجيش البريطانى فى العراق. وقد حل محل الجنرال مود المتوفى بالحمى أعيان بغداد وتلا عليهم البيان الآتى:

«حينما دخل بغداد المرحوم السير ستانلى مود على رأس جنوده المنصورة قبل ثمانية عشر شهرا. كان أول عمل قام به هو إصداره منشورا إلى أهالى بغداد، وبواسطتهم إلى

سائر سكان العراق. وكان ما حواه تأميننا فى الحاضر ورجاء فى المستقبل، ولا بد أن كثيرا من الحاضرين يذكرّون كلمات الجنرال مود، وعندهم أيضا صور من منشوره. فقد قال لكم أن الجيش البريطانى جاءكم منقذا لا فاتحا، وأنه لا يوجد تحت الحكم البريطانى تعرض لديانة أى رجل كان، ولا لأعماله الخاصة، ولكن عدالته شاملة يتساوى فيها كل أحد، ويكون فيها مجال لسعى الجميع. وقد وعدكم أيضا أن نبذل قصارى جهدنا فى تنشيط التجارة وزيادة التقدم، وأن نسخر أنفسنا لرفع منار الحرية ولإنقاذ منافعكم المادية. ولكن الجنرال مود كما تعلمون أيها السادة لم يجد سعة فى عمره لإنجاز هذا الوعد. فقد وضع الأساس وبقى على اتمام البناء، وفى هذا اليوم الذى يقع فيه على حسب التقريب ذكرى مرور سنة على وفاته، تلك الوفاة التى جاءت فى غير أوانها أتيت لأذيع بينكم نبأ انتهاء القتال مع الجيوش التركية بصورة ظافرة. ففى خلال بضعة الأشهر الأخيرة تبدل شكل الحرب بعد قتال شديد، تبدا فجائيا. فبلغاريا أمضت بدون قيد شروط الهدنة، والنمسا سلمت تسليمًا كاملا، والجيوش الألمانية تنسحب انسحابا تاما. كما أن تركيا طلبت الصلح. وقد علمتم أن الجيوش البريطانية تقدمت فى أيام قلائل من الناصرة إلى دمشق، ومنها إلى حمص وحماه ولم يكن التقدم فى سورية وحدها، بل لنا نصيبنا على دجلة بعد أن مزقنا الجيش التركى وأسرناه بأجمعه. فأصبحنا الآن فى موقف يجعل مقادير الموصل بيدنا، وبذلك تكون الحرب قد انتهت فى هذه البلاد، ويمكننا اليوم أن نبين أن الوعود التى أعطيت مرارا يجب أن تتجز فى أول فرصة ممكنة، وبمثابة عربون فى الوقت الحاضر يدل على نياتنا الصنة أبلغكم ما يأتى:

١ - يسمح لأسرى الحرب المعتقلين فى الهند بالرجوع إلى أوطانهم ماعدا الذين من الجيش التركى.

٢ - تطلق الحرية التامة للتجارة، وتخفف تضييقات الحصار فى داخل الأراضى المحتلة.

٣ - يخفف التضييق أيضا على العمل الشخصى.

٤ - يسمح بنقل الجثث التى تدفن فى كربلا والنجف بشروط مناسبة.

٥ - تفتح الطريق من جديد للزيارات المنظمة للأماكن المقدسة.

٦ - يعطى راتب شهر مكافأة للموظفين الدائمين من الأهالى فى دوائر الحكومة الملكية من

الذين لا يخدمون فعلا فى صفوف الجيش، وقد قاموا بوظيفتهم حق القيام.

٧ - يختار بعض المسجونين فى السجون الملكية ويطلق سراحهم.

٨ - يوزع طعام وألبسة على فقراء بغداد والمدن الأخرى، وتخفف القوانين الحالية بعض تخفيف.

ولا أجد أيها السادة ما أقوله غير ماقلته، وأطلب إليكم أن تعتقدوا أن التضييقات والإزعاجات التى لا بد من وقوعها بسبب وجود الجيش بين ظهرانكم لم تنشأ عن رغبتنا فيها، وإنما اقتضتها الضرورة العسكرية، وأعدكم باسم جلالة الملك الإمبراطور أن أقوم بإزالة ما يدعو إلى الشكوى بالسرعة الممكنة.

٣

وزا فد من علماء النجف الحاكم السياسى، يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وكلفوه أن يبلغ القائد العام للجيش البريطانى فى العراق تهانيهم بما ناله الحلفاء من نصر فى ميدان سورية وفى البلقان، وذكروه بما للعرب من حقوق. فأرسل إليهم ردا باسم القائد العام هذا نصه:

«يود القائد العام منكم أن تذكروا علماء النجف وأعيانها وتجارها بما هو معروف عند كل أحد. وهو أن بريطانيا العظمى تحارب ألمانيا لأجل صيانة العهد التى لا يحل نقضها، وتأمين حرية الشعوب الصغيرة التى تتوقف سعادتها على رعاية العهد، والنتيجة الحاضرة للفوز الذى أحرزته جنود الحلفاء فى الشرق الأدنى هى تحرير الشعوب التى قاست العذاب من جور الدول الوسطى وحلفائها. وقد أذعنت بلغاريا للصلح بعد ما هزمت فأجليت جنودها عن ألبانيا وصربيا والجبل الأسود، وعلى حسب ما تقتضيه حقوق الشعوب. فالمناطق التى يسكنها اليونانيون تعطى لليونان، والتى يسكنها الصربيون تعطى لصربيا، ويتخذ الحلفاء هذا المنهج الذى يسيرون عليه فى معاملة الشعوب الأخرى قاعدة لهم فى سياستهم نحو العرب، وكما أن الصربيين اشتروكو فى استرداد بلادهم. فالعرب أيضا حاربوا جنبا إلى جنب مع الحلفاء لتحرير قطر عربى.

وفى يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٨ نشرت السلطة البريطانية المحتلة فى العراق نص المنشور الذى أذاعته الحكومتان الإنكليزية والفرنسوية عن الغاية من مواصلتهما الحرب فى الشرق الأدنى.

تلك هى نصوص الوعود الرسمية التى نشرها الإنكليز فى العراق خلال الحرب العظمى وعلى أثر عقد الهدنة. وقد وعدوا فيها العراقيين بالحرية والاستقلال، وأعلنوا أنهم ما جاعوا فاتحين ولا مستعمرين. بل محررين ومنقذين يضاف إليها الوعود الرسمية التى قطعوها للعرب ومنشورات الشريف، وقد كانت تذايع فى العراق وكلها ترمى عن قوس واحدة، وتبشر العرب بقرب تحريرهم وإنقاذهم.

٤ خيمة الآمال

وبينما كان العراقيون ينتظرون أن تبر لهم إنكلترا بما وعدت به، وتنشئ حكومة عربية مستقلة فى ربوعهم، على منوال الحكومة الفيصلية فى الشام، وقد اشترك العراقيون اشتراكا فعليا فى إنشائها، وكانوا من أوتادها، كما كانوا من أوتاد الثورة العربية الكبرى، خابت آمالهم بالمنشور الذى نشره الكولونيل ولسن الحاكم السياسى العام للعراق فى يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ وهو:

«أذيع على أهل العراق من وقت إلى آخر أن سياسة الحكومة البريطانية تسعى دائما إلى تنشيط روح الوطنية والاستقلال فى جميع البلاد التى يمتد إليها النفوذ البريطانى، والنفع الذى يعود على أهالى البلاد من إنعاش هذا الروح هو عظيم جدا، ولكنه لا يمكن للذين لم يحصلوا على اختبار عملى فى الأمور إحراز كل ذلك مرة واحدة، بل يرقون إليه تدريجا، ولا ريب أن الطريق المثلى التى يخطو بها الأهالى أول خطوة هى اشتراكهم فعلا فى إدارة أمورهم المحلية الخاصة ثم يرتقون مع الزمان إلى أمور أوسع نطاقا، وطبقا لهذه الخطة تقرر أن ينشأ فى بغداد من أول شهر يناير سنة ١٩١٩ المقبل «مجلس بلدى» للنظر فى أمور البلدية. ويتألف هذا المجلس من رئيس ونائبين ثانيين، ومن كاتم أسرار ومعاون كاتم أسرار، وكل من هؤلاء يكون موظفا لدى الحكومة، ويكون أيضا فى المجلس عشرة أعضاء غير رسميين يعينهم الرئيس، وستة أعضاء غير رسميين آخرون ينتخبون على طريقة تشرح فيما بعد. ويرتأى أن ينظر هذا المجلس عند تأليفه فى رسوم البلدية، وإيرادات بلدية بغداد تحت رعاية الإدارة الملكية ونظارتها، ويزود بسلطة مالية ثانية يمكنه معها أن يصادق على صرف مبلغ نهايته ٥٠٠ روبية فى السنة، ويمكنه أيضا التصديق على مبلغ قدره ١٥٠ روبية فى الشهر لكل شأن من الشؤون. وتكون هذه السلطة ثابتة على كل حال لما خصص فى الميزانية لهذا الشأن. وعلى المجلس الذى أعطى هذا المقدار من

السلطة المالية أن يعنى فى الأمور الآتية: النظافة والصحة العامة والمستشفيات وإسعاف الفقراء والطرق والمتنزهات والأسواق والحرف، وتخطيط الدور والأبنية والنجارة الهندسية والأمور الأخرى المتعلقة بالبلدية. وقد وضعت قوانين العمل وصودق عليها وحدد فيها عدد الجلسات التى يعقدها المجلس فى كل شهر. والطريقة التى تتبع فى المناقشات، ويكتب محضر المجلس باللغتين الإنكليزية والعربية وينشر من وقت إلى آخر ليطلع عليه العموم. وينشأ مثل هذا المجلس فى جميع المدن العراقية الكبيرة، ويكون عرضة للتغيير حسبما تقتضيه الحالة المحلية. وهذا العمل يكون عربوناً يدل على نيات الحكومة البريطانية الحسنة نحو أهالى العراق. الذين يؤمل منهم أن ينتهزوا هذه الفرصة السانحة ويبادروا بروح الإخلاص لخدمة الوطن المشترك».

ولقد نبه هذا البيان أفكار العراقيين الذين كانوا يطمعون أن تبادر السلطة البريطانية إلى إنشاء حكومة عربية وطنية فى بلادهم إلى ما يراد بهم، فأدركوا أن الإنكليز عازمون على حكم العراق حكماً عسكرياً استعمارياً مباشراً، ظهرت مقدماته بتعيين ضابط عسكري لكل مدينة من مدنها باسم الحاكم السياسى. فكان حاكم الموصل ضابطاً عسكرياً برتبة كولونيل وهو لنجمان، ومثل ذلك حكام البصرة والنجف وكربلاء وبقية المدن الأخرى وعلى رأسهم الكولونيل ولسن الحاكم العام، وهم إما من ضباط المستعمرات الذين ألفوا الحكم والسيطرة، أو من ضباط الجيش الذين لم يمارسوا الشؤون المدنية، وقد انتفخت أوداجهم غروراً وصلفاً فازدروا الناس واحتقروهم وأوصلوا أنواع الأذى إليهم. ولم يكتفوا بذلك، بل اصطفوا طائفة ممن لاخلق لهم قريوهم إليهم، وأدنوهم منهم فأمعنوا فى الإرهاق. يضاف إلى هذا وهذا أن الجانب الأكبر من موظفى تلك الحكومة كان من الهنود الذين جاؤا مع الحملة، ومن النصارى واليهود والأجانب الذين مالوا للاحتلال، وكانوا عوناً له فى تنفيذ سياسة رامية إلى إذلال العرب أصحاب البلاد الشرعيين واضطهادهم. وقد أقصوا عن أبواب الحكومة وحيل بينهم وبين إدارة بلادهم فاستأوا ونقموا وأخذوا يفكرون فى الوسائل التى يتوسلون بها لإنقاذ بلادهم من الحالة التى صارت إليها فى عهد الاحتلال، وقد خيب كل أمل، وقضى على كل رجاء.

الاستفتاء السرى

وزاد فى استيائهم ونفرتهم ما أصدره الحاكم السياسى للعراق يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩١٨ من تعليمات سرية إلى الحكام السياسيين فى المدن والأقاليم بأن يلقوا على الرؤساء والعلماء وذوى الرأى أسئلة وجهها اليهم وهى:

- ١ - هل تريدون تأليف حكومة عربية مستقلة تحت حماية بريطانية تضم البلاد الواقعة من شمالى الموصل إلى خليج فارس؟.
- ٢ - هل تريدون أن يرأس الحكومة أمير عربى؟.
- ٣ - من تختارون لرئاسة هذه الحكومة؟.

وأضاف إلى تعليماته مادة تقضى على الحكام بأن يسعوا لحمل الشعب على انتخاب السربرسى كوكس معتمد إنكلترا فى خليج فارس رئيسا للدولة العراقية الجديدة.

ولجأ الحكام إلى الحيلة فى إلقاء الأسئلة والحصول على أجوبتها، وسعوا كثيرا ليناوالو الأجوبة الموافقة. إلا أن افتضاح أمرها وشيوع خبرها أحدث رد فعل، وبعث جمهرة من المفكرين فى المدن والأقاليم على مقاومة الحركة وحلم على الاجتماع لوضع خطة ثابتة يسار عليها ويعمل لتحقيقها. ولا ريب أن حادث الحلة هو الذى نبه الرأى العام العراقى إلى ما يحيكه الإنكليز فى الخفاء. وبيان ما وقع هو أن حاكم الحلة السياسى استشار أحد المقربين إليه فى طريقة إلقاء الأسئلة، فاختر له سبعة من الأعيان كلفه أن يلقبها عليهم فيجيبوا عليها كما يريد، على أن يتم ذلك سرا ومن دون اطلاع أحد. وانتشر الخبر فى المدينة وعرف الوطنيون ما هنالك. فكتبوا إلى الحاكم كتابا وقعه كثيرون قالوا فيه إنهم علموا بأنه عازم على استفتاء سبعة من المدينة، وأنهم يطلبون عطف الحكومة على حقوقهم المكتسبة بسؤالهم عن آرائهم، وحمل رئيس البلدية الكتاب إلى الحاكم فأبى تسلمه، وأسرع فجمع السبعة الذين اختارهم فأجابوه الأجوبة التى لقتهم إياها. وقالوا إنهم يختارون السربرسى كوكس حاكما للعراق. ولم يكتفوا بذلك، بل لطفوا الكتاب الذى حملة رئيس البلدية إلى الحاكم بالأوجال، وأرسلوا كتاب السبعة إلى دار البلدية، وأمروا رئيسها بأن يأتى بالناس منفردين اليه ويحملهم على توقيع كتاب السبعة فنفذ أمرهم ووقع عليه كثيرون، وأبى آخرون توقيعه. ولما شاع ذلك أصدر حجة الإسلام محمد تقى الشيرازى كبير مجتهدى الشيعة فتوى بعدم جواز انتخاب غير مسلم للحكم على المسلمين وهذا نصها:

«ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب أو يختار للإمارة أو السلطنة على المسلم غير مسلم»^(١).

وقصد الحاكم السياسى العام، النجف فى الأسبوع الأول من شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ وعقد مجلسا كبيرا ضم لقيفا من العلماء والوجهاء والأعيان وأكثر رؤساء القبائل. فتكلم طالبا منهم أن يفصحوا عن آرائهم فى نظام الحكم الذى يختارنه لبلادهم فطلب السيد علوان الياصرى من زعماء القبائل إمهالهم ليتمكنوا من إمعان النظر فى هذا الأمر الخطير ويتفقوا على صيغة جواب يجيبون به.

واجتمع هؤلاء فى الغداة فى دار الشيخ جواد الجواهرى فتبدلت الآراء، وأقر الجميع فى الختام خطبة موجزة ألقاها الشيخ عبد الواحد آل الحاج سكر. وقال فيها:

«لسنا اليوم أيها السادة أكفاء للجمهورية، ولسنا فرنسا أو تركيا أو انكليزا فنختار أميرا فارسيا أو تركيا أو إنكليزيا. وإنما نحن عرب فيجب أن نختار أميرا عربيا وحيث ان البيت الشريفى فى مكة أكبر بيت فى العالم العربى فإننا نرغب أن تكون لنا حكومة عربية مستقلة يرأسها أحد أنجال جلالة الحسين».

وتكررت الاجتماعات فى النجف على الأثر، وأدت إلى وضع جواب مطول لا يخرج فى معناه عما ذكر، ولما أرسل إلى الحكومة رفضته، وأخرجت زعماء القبائل إلى بلادهم بحجج تافهة، ثم دعتهم إلى الكوفة وكلفتهم أن يجيبوا منفردين على الأسئلة الثلاثة فأجابوا طالبين انشاء حكومة عربية تحكم العراق بحدوده الطبيعية يرأسها أحد أنجال الحسين وأجاب النجفيون بعد ذلك بمثل هذا الجواب.

أما فى الكاظمية وهى من المراكز الكبرى فى العراق، وتأتى بعد النجف فقد عقد فيها اجتماع خطير يوم ٨ يناير سنة ١٩١٩ للإجابة على هذه الأسئلة أقر المجتمعون فى ختامه الجواب الآتى:

«بناء على الحرية التى منحتنا إياها الدول العظمى، وفى مقدمتها الدولتان الفخيمتان إنكلترا وفرنسا. وحيث إننا ممثلوا جمهور كبير من الأمة العربية العراقية المسلمة فإننا

١ - هذا نص السؤال الذى وجه إليه «مايقول شيخنا وملادنا حضرة حجة الاسلام والمسلمين أيده الله فى العالمين الشيخ مرزا محمد تقى الحائرى الشيرازى مع الله المسلمين بطول بقائه فى تكليفنا معاشر المسلمين بعد أن منحتنا الدولة المفخمة البريطانية حق انتخاب أمير لنا نستظل بظله ونعيش تحت رايته ولوائه. فهل يجوز لنا انتخاب غير المسلم للإمارة والسلطنة علينا، أم يجب علينا اختيار المسلم بينوا توجروا».

نطلب للعراق حكومة عربية إسلامية يرأسها ملك عربي مسلم هو أحد أنجال جلالة الملك حسين. على أن يكون مقيدا بمجلس تشريعي وطني والله ولي التوفيق».

وعهدت السلطة في بغداد إلى القاضيين الإمامي والحنفي بأن ينتدب كل منهما خمسة وعشرين رجلا من أبناء طائفته للاشتراك في اجتماع تعقده الحكومة لاستطلاع رأى أهالي بغداد. كما دعت عشرين من اليهود، وعشرة من المسيحيين. فعقد هذا الاجتماع يوم ٢٢ يناير، ووضع بأكثرية الآراء القرار الآتي:

«لما علم أن الغاية التي ترمى إليها كل من دولتي بريطانيا وفرنسا في الشرق هي تحرير الشعوب وإنشاء حكومات وطنية وتأسيسها تأسيسا فعليا بكل من سورية والعراق حسب ما يختاره السكان الوطنيون. فإننا ممثلو الاسلام من الشيعة والسنة من سكان مدينة بغداد وضواحيها. بما أننا أمة عربية وإسلامية فقد اخترنا أن تكون بلاد العراق الممتدة من شمالي الموصل إلى خليج العجم دولة واحدة عربية يرأسها ملك عربي مسلم هو أحد أنجال سيدنا الشريف حسين. مقيدا بمجلس تشريعي وطني مقره بغداد عاصمة العراق».

وقد ختم هذا الدور بالقبض على سبعة من الوطنيين الذين قاوموا خطط السلطة وتدابيرها. فأخرجوا من العراق. وأرسلوا إلى الآستانة منفين بطريق الهند ومصر فكانوا طليعة المنفيين الذين كثر عددهم بعد ذلك. «بين هؤلاء الذين نفوا رجلاً كبيراً وقليلاً خطيراً هو شاعر شعراء العرب في القرن العشرين «الزهاوي»».

الجمعيات السرية ومضابط التوكيل الوطنية

ولقد أراد الإنكليز بإقصاء هؤلاء القضاء على الروح الوطنية. وإخماد الحركة الجديدة وبت الرعب والإرهاب. فخاب أملهم. إذ سلكت الحركة سبيلا آخر، ودخلت دورا جديدا هو دور التنظيم. وقد ساهم فيه العراقيون الذين كانوا في دمشق. فقد توفرُوا في خلال هذه الفترة على العناية بقضية وطنهم الأصلي بعد ما ظهرت نيات الحلفاء، وبعد ما تبين أن الفرنسيين يسعون لاستتصاف الشام سعى الإنكليز لامتلاك العراق عملا بما بينهما من عهد مكتوبة، لم يبق مجال لانكارها أو تجاهلها.

أ - جمعية العهد

فقد بدأ هؤلاء فبعثوا جمعية العهد القديمة من مرقدتها، بعد ما أضافوا إليها كلمة العراقى تمييزا لها عن العهد السورى، وقد جاء فى المادة الأولى من برنامجها الجديد ما نصه:

«إن غايات الجمعية الأساسية هي ما يأتى:

- (أ) استقلال العراق استقلالاً تاماً ضمن الوحدة العربية، وداخل حدوده الطبيعية وهي: يقسم العراق إلى ثلاث مناطق الأدنى والأوسط والأعلى، ويمتد من حدود الفرات الواقعة شمالى دير الزور، وضمنه دجلة الممتدة من قرب شمالى ديار بكر إلى خليج البصرة، ويشمل ضفتى دجلة والفرات من الشمال واليمين المحددة بالمواقع الطبيعية.
- (ب) طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا العظمى، على أن تكون هذه المساعدة بالثمن، وأن لا تمس استقلال العراق التام.
- (ج) إنهاض الشعب العراقى ليبارى أرقى الأمم الغربية.
- (د) السعى لخير الأمة العربية عامة.

واتصل مركز العهد فى دمشق بفروع العهد القديمة المؤسسة فى الموصل وبغداد والبصرة، وأخذ يرسل إليها منشوراته ورسائله السرية فتوزعها، ويصدر إليها التعليمات بما يجب عمله لتنمية الحركة الوطنية، ومقاومة الاحتلال. وهكذا تم الاتصال بين العراقيين فى الشام ووطنهم الأصلي. كما ساعد وصول بعض ضباط الثورة الذين سرحوا بعد

انتهاء الحرب على تعزيز الروح الاستقلالية، بما نشره من دعايات، ورووه من روايات. وكان من جملة أعمال هذه الجمعية المبرورة فى ذلك العهد أنها وضعت مضابط وقعها أعيان البلاد وزعماءها، انتدبوا فيها الأمير فيصلا للدفاع عن قضية العراق وحقوقه، وكان يومئذ فى أوروبا يمثل العرب أمام مؤتمر الصلح، ويعمل لقضيتهم. ولما زارت اللجنة الأميركية دمشق فى شهر يونيو سنة ١٩١٩ قابلها وفد جمعية العهد العراقية، وقدم إليها باسم العراق المطالب الآتية:

١ - استقلال العراق من ديار بكر إلى خليج فارس بحدوده الطبيعية المعروفة، مع قبول بعض التعديلات المتفق عليها بين الفرس والترک.

٢ - تأسيس حكومة دستورية مدنية ملكية فى العراق. ملكها الأمير عبد الله أو شقيقه الأمير زيد.

٣ - تحتج الجمعية احتجاجا شديدا على الفقرة الخاصة بالانتداب من المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم، وترفضها رفضا باتا، ولا تعترف لأى دولة كانت بحقوق أو تقاليد سياسية أو اقتصادية أو تاريخية فى البلاد العربية المنسلخة عن تركيا.

٤ - ترى الجمعية الاستعانة بأميركا فيما تحتاجه البلاد من المساعدات الفنية والاقتصادية على أن لا تمس المساعدة المذكورة استقلال البلاد السياسى التام.

٥ - رفض مهاجرة العناصر الأجنبية كالهنود واليهود إلى البلاد العربية.

٦ - تطلب الاستقلال التام لسورية كلها ورفع الحواجز السياسية بين سورية والعراق، تلك الحواجز التى تضر بوحدة العرب، وترفض ما تدعيه فرنسا فى سورية من الحقوق والتقاليد.

وهذا نص ما جاء فى تقرير لجنة كراين الأميركية عن العراق:

«استحالت على اللجنة زيارة العراق فى مثل هذا الظرف، بعد أن سئلت بالحاح القيام بهذه الزيارة. وتلقت فى دمشق وطلب شكايات عن السلطات الإنكليزية المحتلة بأنها تضيق على السكان حريتهم السياسية فى الخطابة والعمل، وأنها تنوى فتح باب المهاجرة للهنود بصورة تؤذى سكان العراق فى حقوقهم ومصالحهم.

وقدمت هيئة فى حلب بيانا وأفيا إلى اللجنة يشبه برنامج المؤتمر السورى الدمشقى

هذه خلاصته:

- ١- يجب أن يكون العراق مستقلاً استقلالاً تاماً بما فيه ديار بكر ودير الزور والموصل وبغداد والمحرة.
- ٢- تكون الحكومة ملكية دستورية نيابية.
- ٣- يكون الملك أحد أنجال الملك حسين فإما عبد الله وإما زيد.
- ٤- الاحتجاج على المادة «٢٢» من عهد جمعية الأمم.
- ٥- رفض تدخل أى دولة أجنبية فى البلاد.
- ٦- طلب المساعدة الاقتصادية والإدارية من أميركا بعد نيل الاستقلال أو الاعتراف به.
- ٧- الاعتراض على المهاجرة كلها، ولا سيما هجرة الهنود واليهود.
- ٨- أن يكون لسورية الاستقلال التام.
- ٩- أن لا تتدخل فرنسا فى سورية.

ومما يلاحظ أن هذه الشعوب القديمة تطلب اتباعاً لتقاليدها حدوداً واسعة. ليس فى الامكان الحصول عليها مثل دير الزور فى سورية وديار بكر فى أرمينية والمحرة فى العجم. وجاء بطيريك السريان الأرتوذكس «النساطرة» من دير زفران - الواقعة قرب ماردين - فقابل اللجنة فى حمص وقال إن (٩٠) ألفاً من قومه قتلوا سنة ١٩١٥ ولما جاء الإنكليز سنة ١٩١٨ كانوا جميعاً مستعدين للدخول فى حكمهم والخضوع لهم. ولكن وصول رسل الأستانة لاستثارة الأكراد ونهوض العرب للمطالبة باستقلالهم زاد الحالة سوءاً. فلذلك يطلب ضم المقاطعة التى يقطنها شعبه إلى العراق تحت الوصاية الأميركية أو البريطانية. هذا وقد وضع المستشارون الثلاثة فى اللجنة تقويماً عاماً عن البحث الذى قامت به، وراعت اللجنة فى التعليمات جميع الشؤون والاعتبارات المحلية والوطنية والجنسية والدينية. كما راعت السياسة العملية، ومبدأ حاجة العالم إلى السلام الدائم - اهـ.

ب - جمعية حرس الاستقلال

أنشئت هذه الجمعية فى بغداد فى شهر نوفمبر سنة ١٩١٩ ومؤسسوها هم على البزركان، وجلال بابان، وشاكر محمود، والحاج محمود رامز، ومحيى الدين العسكرى،

والشيخ محمد باقر الشيباني وجاء في المادة الأولى من منهاجها.

«تأسست في بغداد جمعية سرية سياسية باسم «حرس الاستقلال» وجاء في المادة الثانية: تسمى الجمعية المذكورة وراء استقلال البلاد العراقية استقلالاً مطلقاً. وجاء في الثالثة: «تعترف الجمعية بإسناد منصب الملكية في هذه البلاد إلى أحد أنجال جلالة الملك حسين على أن يكون ملكاً دستورياً ديمقراطياً» وجاء في الرابعة «على الجمعية أن تتخذ أقصى ما يمكن من التدابير على طريقة التدرج لإحراز الغاية السياسية المذكورة في المادة الثانية» وجاء في الخامسة «يجب على الجمعية أن تفرغ قصارى جهدها في سبيل ضم المملكة العراقية إلى لواء الوحدة العربية» وجاء في السادسة «على الجمعية أن تتعاون وتتآزر بكل قواها مع الجمعيات والأحزاب التي تشترك معها. سواء في مبدئها المقرر في المادة الثانية، أو في سياستها المنصوص عليها في المادة الخامسة» وجاء في السابعة «يجب على الجمعية أن تبدأ قبل كل شيء بتوحيد كلمة العراقيين على اختلاف مللهم ونحلهم، وأن تبذل أقصى ما يمكن من الجهود للقضاء على كل بواعث الافتراق في الدين والمذهب».

وظهر نزاع بين جمعية حرس الاستقلال وبين حزب العهد العراقي نشأ عن اختلاف في المبادئ، وكانا يعملان في الخفاء، لأن السلطة البريطانية ما كانت تسمح بإنشاء الأحزاب ولا بإصدار الصحف، ولا بعقد الاجتماعات في ذلك العهد. فقد أنكر حراس الاستقلال على العهد الفقرة الخاصة بطلب مساعدة إنكلترا ونصها «طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا العظمى، على أن تكون هذه المساعدة بالثمن، وأن لا تمس استقلال العراق التام» وطلبوا إلغائها، لأنها لا تتفق مع مبادئهم، ولأن في استطاعة العراق أن يطلب هذه المساعدة من أية دولة أراد.

وبلغ خبر هذا الخلاف مقر جمعية العهد في دمشق. فانتدب جميل المدفعي وإبراهيم كمال من أعضائه فجاء بغداد لحل الخلاف والتوفيق بين الجمعيتين، ووفقاً إلى إنشاء هيئة إدارية مشتركة للجمعيتين تديرهما وتتولى شؤونهما. على أن يظل الشيخ سعيد النقشبندی معتمداً سياسياً في بغداد لجمعية العهد العراقي، وعاد الخلاف بين أعضاء الهيئة الإدارية الجديدة بعد سفر المندوبين، فضعف شأنهما.

وأعيد بعد ذلك إنشاء جمعية حرس الاستقلال، وتألقت لجنتها الإدارية في هذه المرحلة

من عارف حكمت وشاكر محمود وجلال بابان وعلى البزركان، واتخذت المدرسة الأهلية الجديدة، وقد أنشأت في تلك الفترة، مقرا لها تعقد فيه اجتماعاتها السرية. واتسع نطاقها في خلال هذه المرحلة. فأنشأت لها فروعاً في الكاظمية والنجف والحلة والشامية، وغيرها وتولى رئاستها السيد محمد الصدر.

جـ جمعية الشبيبة

وتألفت في تلك الفترة أيضاً جمعية سرية ثالثة قوامها عدد من الشبان للمساهمة في العمل للاستقلال. لم يطل الأمر على قيامها حتى انضمت إلى جمعية حرس الاستقلال واندمجت فيها.

الفرات مهد الثورة

للفرات مقام خاص في العراق، نشأ عن وضعه الجغرافي والقومي والديني، وتشمل كلمة الفرات المنطقة الممتدة من حدود دير الزور حتى خليج البصرة، فجميع سكان ذلك السهل الفسيح الرحب - ولا يقلون عن مليونين - فراتيون لهم طابع خاص وأداب خاصة وتقاليد خاصة تميزهم عن بقية المناطق العراقية الاخرى. ولعل في مقدمة هذه الميزات ائتمارهم بأوامر رؤسائهم، وانقيادهم إلى المجتهدين العلماء الاعلام - والفراتيون من الشيعة الإمامية في الغالب، ويكثر السلاح في بلادهم، فقل أن يخلو بيت في الفرات من بنديات تدربوا على استعمالها، كما ألفوا بذل الأرواح تلبية لأوامر رؤسائهم وشيوخهم. ولا يزال معظمهم على الفطرة، ويعولون على العصبيتين الدينية والعنصرية.

ولم تكن العلاقات الودية بين الترك والفراتيين على ما يرام في العهد العثماني، لأن هؤلاء كانوا يسيئون الظن بهذا الفريق القوي من رعاياهم، ويعتقدون أنه يفضل الفرس عليهم، ولذلك كانوا يضطهدونه ويقصونه عن أبواب الحكومة، وعن الوظائف الحكومية مما أدى إلى جفاء فنفور استغله الإنكليز زمن الحرب العظمى لمصلحتهم. فوقاهم كثيرا من الولايات والخطوب.

وترك الإنكليز الفرات وشأنه في ابتداء زحفهم. فلم يدنوا منه. ولم يسيروا إليه جندا، ولم يتدخلوا في شؤونه، فأنشأ الفراتيون حكومة في كربلاء، وأخرى في الحلة والنجف على أثر انسحاب قوات الترك منها في سنة ١٩١٥ - ١٩١٦^(١).

١- حدث في الحلة حادثان خطيران الأول سنة ١٩١٥ وخلصته كما كتب إلينا أحد الفضلاء المحققين هو أن الأهالي لستقلوا كلف الجندي وغيرها قتمردوا على الحكومة التركية، وقد يجوز أنهم أسعوا إليها وإلى بعض موظفيها. فأرسلت قوة بقيادة القائم مقام عاكف بك لإخضاعهم فقابلوها بالسلاح وقتلوا نحو مائة من رجالها فارتدت عنهم.

ورأت الحكومة التركية أن تتغاضى عنهم. لتلا تشير عليها مشكلة جديدة. وكانت في حرب مع الإنكليز. ولما استراح بالها من جهة هؤلاء وانتصرت عليهم في الكوت، وأسرت الجنرال تونسنند رأت أن تصفى حسايها مع الحلبيين فسيرت حملة كبيرة في يونيو سنة ١٩١٦ بقيادة عاكف بك نفسه. فلما عرفوا بقرب وصولها وبعدها قواها خافوا واضطربوا ونزح بعضهم إلى النجف وغيرها من مدن العراق مع عائلاتهم، ولذلك لم تجد القوة حين وصولها سوى عدد قليل. كما أنها لم تلق مقاومة فطلب قائدها إلى الباقيين بأن يخرجوا منها فخرجوا، وبعد ساعات أمرهم بالرجوع على أن يبقوا ثلاثة أحياء وهي (جبران والكاف والجامعين) خالية من مجموع =

وأبقى الإنكليز للفراتيين حكومتهم حتى ختام الحرب العظمى، وكانت تحكم البلاد حكما شعبيا، على أنهم ما لبثوا يعد الهدنة أن مدوا شباكهم فى الفرات، فاتصلوا بالشيوخ والرؤساء، وأخذوا يوجهون إليهم الدعوات لزيارة العاصمة (بغداد) فيجزلون ويهدونهم الهدايا الثمينة، ويمنونهم الأمانى المعسولة، وتدرجوا من ذلك إلى العمل لبسط نفوذهم السياسى، وإدخال البلاد فى حظيرة الطاعة، وبدأوا فعينوا الكابتن مارشال حاكما للنجف بعد ما مهدوا لذلك مع الرؤساء. ولما قصد هذا مقر عمله رافقته المس بل السكرتير الشرقى لدار المندوب السامى فى بغداد وقدمته إلى العلماء، وأثنت كثيرا على أخلاقه ومزاياه. وقالت ان مهمته تنتهى عند النظر فى الشؤون العسكرية، وأنه سيتجنب التدخل فى الشؤون الإدارية، وستبقى على ما كانت عليه.

وجاءوا للحاكم مارشال بترجمان وسكرتير وحاشية تتألف من ٢٠ حارسا «شبان» وفعلا مثل ذلك فى الألوية الأخرى فعينوا الكابتن بلفور للحلة والكابتن رايلى للديوانية ثم تدرجوا فى التدخل فى الشؤون الإدارية واستخدموا بعض العناصر لتخدير الأعصاب واستمالة الجمهور متظاهرين بحسن النية، وكونهم لا يضمرون للعراق شرا.

ورأى العقلاء بعد ما تم للإنكليز بسط نفوذهم السياسى والإدارى على الفرات والقبض على مرافقه أنه لا بد من القيام بعمل واسع النطاق لدفع الخطر - وكانت فكرة الحرية والاستقلال وإحياء المجد العربى قد تغلغلت فى أدمغة المفكرين من أبناء هذا الوادى الخصيب، فبدأوا بعقد الاجتماعات السرية فى المشخاب وأبى ضحير والديوانية عاملين على إزالة الحزازات القديمة من بين العشائر، وعلى توحيد الصفوف وجمع الكلمة، حتى

= الاحياء التسع، ثم وجه مدافعه نحو الأحياء الخالية فدمرها، وبعد ذلك دخل المدينة وأباحها لجنده. ثم دعا بعض رؤساء الأحياء فسجن منهم نحو ثلاثين، وأمر بصلبهم فصلبوا وينهب دورهم فنهبت، وبأسر المتزوجين وسبى نسائهم فأسروا وسببت نساؤهم، وتفان فى تعذيب السكان وقتل من ضعفائهم عددا بلغ ١٠٩ مع الذين صلبوا ثم أمر بإحراق دور كل متمرد على الحكومة من الدور الواقعة فى الأحياء الثلاثة فأحرق من الحلة نحو ألف دار، وجند معظم أبنائها فأرسلوا إلى ساحات الحرب وبقي فى المدينة يتربص الفرص لضرب النجف، وبينما هو كذلك انتصر الإنكليز على العثمانيين فى دجلة فجاءت إشارة إلى القائد بإرسال معظم جنده إلى ساحة الوغى، ثم سحبت الحكومة بقية الجند لتستعين به فى حربها. وفى ليلة سقوط بغداد أيرقت إلى موظفى الحلة بوجوب إخلائها والسفر إلى المسيب، فأرسل المتصرف إلى بعض الرؤساء وأخبرهم بعزمه على الانسحاب وطلب اليهم أن يتولوا محافظة بلدهم بأنفسهم. ثم انسحبت الحكومة فى اليوم الثانى وبدأ الاهلون المتشردون يعودون إلى بلدهم بالتدريج، فلما عادوا إليها نهبوا دور الحكومة ومخازن أطعمتها واسترجعوا بعض منهبواتهم منها، وبقيت الحلة يتولى أمرها سكانها.

ولا يختلف عصيان كربلاء فى أسبابه عن عصيان الحلة، فقد كانت قوة الحكومة ضعيفة، وروح الشعب والتمرد ظاهرة فى الاهلين بسبب هذا الضعف، حتى أن الكربلايين حملوا على دور بعض الموظفين فنبهروها فاستعانت السلطة بقوى جديدة، فلم يكتب النصر لأحد الطرفين - على الرغم من تسليط الحكومة مدافعها على المدينة وضربها، ثم تصالح الفريقان.

إذا جاء يوم العمل برز الكل كتلة واحدة، وكان النجفيون روح الحركة، وكانوا يشتركون في كل اجتماع يعقد ويديرونه.

رفض التعاون مع السلطة

ولم يطل بالحاكم السياسى للنجف المقام حتى بدأ فعين مجلس إدارة اللواء الشامية برئاسته اختار لعضويته السيد نور الياصرى والسيد علوان الياصرى والحاج عبد المحسن شلاش والسيد هادى زوين والسيد عباس الكليدار والسيد هادى نقيب الأشراف والشيخ عبد الواحد الحاج سكر والسيد محسن أبا طبيخ والشيخ علوان الحاج سعدون والشيخ سليمان الظاهر ومحمد العبطان وعبادى آل حسين والحاج عبد الرحيم، ولما تناول هؤلاء كتب التعيين استغريوا هذا التصرف من الحاكم. فاجتمعوا وتداولوا مليا وقرروا بعد استشارة العلماء عدم التعاون مع السلطة، ورفض قبول العضوية وأرسلوا كتابا إلى الحاكم قالوا فيه «إن هذا التعيين لا ينطبق على المبادئ الصحيحة للحكم الوطنى، فيجب أن يفسح المجال للشعب فى مجالس كهذه لعقد اجتماعات عامة، وبحرية تامة يقرر فيها ما يجب اتخاذه فى قضية الحكم الوطنى».

أول هيئة وطنية

وعقد على أثر الرفض اجتماع كبير فى النجف حضره العلماء والزعماء وانتخبوا الشيخ جواد الجواهرى والشيخ عبد الكريم الجزائرى والشيخ عبد الرضا والشيخ راضى والسيد نور الياصرى والحاج عبد المحسن شلاش والسيد عبد المحسن الياصرى للمداولة مع السلطة ومطالبتها بتحقيق رغبة الشعب فى إنشاء حكم وطنى، واختاروا الشيخ محمد باقر الشيببى سكرتيرا لهذه اللجنة.

اختيال الحاكم مارشال

وتصرف الكابتن مارشال تصرفات شاذة أملت النجفيين، ولسنت موضع الكرامة من نفوسهم فكان يجبر الناس على الوقوف له على الأقدام حين مروره، وكان يعاقب كل من لا يقف. إلى غير ذلك من التصرفات المؤلة، فاجتمع عدد من الشبان وقرروا اغتياله وإنقاذ البلاد منه. وقد نفذوا قرارهم فعلا. فذهب بعضهم بعد ما تزيوا بزى الحراس (شبانه) إلى دار الحاكم، ودخلوا عليه موهمين حراسه انهم يحملون كتابا رسميا له، وأطلقوا عليه

الرصاص، وقتلوه وسلبوا الحراس أسلحتهم.

وجاء على الأثر الكابتن بلفور حاكم الكوفة على رأس قوة كبيرة، وضرب نطاقا حول النجف، وأعلن حصارها، وأنه لا يسمح لأحد بالدخول إليها والخروج منها ما لم يسلم إليه سكانها القتلة، وعددهم أحد عشر وهم: كاظم صبي وعباس على وكريم حاج سعد وأخواه احمد وراضى وحاج نجم البقال ومحسن أبو غنيم وعباس الخليلي وثلاثة آخرون.

وبعد حصار استمر ٤٥ يوما ذاق النجفيون في خلاله الأمرين سلموا عشرة من المطلوبين فشنقوا من دون محاكمة، واستطاع عباس الخليلي النجاة فقصده طهران.

وقبض بسبب هذه الحادثة على ٧٠ من أعيان النجف وعلماؤها وألقوا في غياهب السجن. نذكر منهم الشيخ محمد جواد الجزائري والسيد محمد على بحر العلوم والسيد إبراهيم البهبهاني وغيرهم، ولم يطلق سراحهم إلا بعد مدة، ودمرت السلطة في الكوفة والنجف دور كل من السيد عبد المحسن أبو طيبيخ والسيد نور الياسرى ومرزوق العواد وعبد الواحد الحاج سكر وعبد المحسن شلاش وكاظم الحاج سكر.

الفراتيون يوكلون الحسين

ووضع الفراتيون ثلاث مضابط يطلبون فيها ملكا للعراق من أبناء الحسين وأرسلوها إلى الحسين وهذا نصها:

الى ملك العرب الحسين بن على

السلام عليك ورحمة الله، أما بعد فإن الطغاة في الحرب العظمى، أذاعوا على سكان العراق في هذه الأيام منشورا عاما فحواه انهم لم يحاربوا إلا لتحرير الشعوب، وأن يكون لكل شعب من الشعوب حق تقرير مصيره بنفسه وإدارة شؤونه من قبله، ولم يكن لهم نية الفتح والاستعمار، وبناء على هذا طاف الحاكم الملكي في العراق، واجتمع بكافة الزعماء والرؤساء والعلماء طالبا إليهم أن يبدوا رأيهم في النقاط التالية:

١ - في حدود المملكة العراقية، وما إذا كانت الموصل جزءاً من العراق أم لا؟.

٢ - في الحكومة التي يرغبون فيها، أو الأمير الذي يملكونه في البلاد؟.

وبعد المداولات والمذاكرات أبلغوا الحاكم السياسى البريطانى العام فى العراق بأن الموصل جزء لا يتجزأ من العراق، وطلبوا إليه تأسيس حكومة عربية دستورية. على أن يكون أحد أنجال جلالتكم ملكا على العراق، كما يبلغكم تفصيله المنسوب من قبل عموم

العراقيين الشيخ محمد رضا الشيبى.

ووقع على الأولى علماء الدين فى العراق، وعلى الثانية زعماء القبائل ورؤساء العشائر العراقية، وعلى الثالثة الشبان.

وحمل هذه المضايظ إلى مكة الشيخ محمد رضا الشيبى. وقد اتصل بالإنكليز أمره قبل سفره فحاولوا القبض عليه وانتزاع المضايظ، وكان يضعها فى داخل جلد مصحف ويطوف بها على الناس لتوقيعها، فقصد الزبير واختفى فيها أياما ثم صحب قافلة للبدو إلى نجد، معلنا أنه ناهب إلى الحجاز لقضاء فريضة الحج، ولم يطمئن إلا بعد وصوله إلى حائل فنزل ضيفا على أميرها فأكرمه، وسهل له السفر إلى المدينة المنورة من دون أن يعرف شيئا عن مهمته، وقوبل بالحفاوة الزائدة حين وصوله إلى طيبة، وبالغ الأشراف والعلماء والضباط العراقيون فى إكرامه. ثم سافر إلى مكة، واجتمع فى وادى فاطمة بالأميرين على وعبد الله فرحبا به، ولم يطلعهما على تفاصيل مهمته، بل أبقى كل شىء مكتوما حتى قابل الحسين فسلمه المضايظ، وبسط على مسامحة ما يعرفه فأكبر ما سمع وسر كثيرا، وقال ساكون عند حسن ظن العراقيين إن شاء الله. وبعد ما أدى فريضة الحج ذهب إلى دمشق وكانت مركز الحركة فى تلك الأيام، واتصل بالأمير فيصل ورجال العراق النازلين فيها، فقابلوه بالحفاوة فانضم إليهم وعمل معهم لخدمة العراق. ثم عاد وإياهم إلى بلاده بعد يوم ميسلون.

وأرسل الحسين المضايظ إلى الأمير فيصل فى باريس.

العصابات فى دير الزور والموصل

كان احتلال رمضان شلاش ورجاله لدير الزور يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩١٩ باسم الحكومة الفيصلية فى الشام، وبمساعدة الضباط العراقيين فى الجيش العربى من جملة العوامل التى ساعدت على نمو الحركة الوطنية فى العراق. كما كان من جملة الأسباب التى عجلت فى إعلان ثورته، فقد اتخذتها جمعية العهد مقرا لأعمالها، ومركزا لنشر دعايتها لوقوعها على الحدود فكانت ترسل النشرات والصحف والتقارير فتذاع فى المدن العراقية وتنتشر بين طبقات الشعب.

ولما استقر قرار هذه الجمعية على إضرار الثورة فى العراق أوعزت إلى بعض الضباط العراقيين فى الجيش بأن يستقيلوا ويقصدوا دير الزور للاشتراك فى تأليف العصابات التى تقرر تأليفها لمنازلة الإنكليز وبث الفوضى والإرهاب. فيحملهم ذلك على تغيير سياستهم. فرحل كثيرون، وقصد الدير يومئذ ثلاثة من أقطاب جمعية العهد فى سورية وهم: جميل المدفعى وعلى جودت الأيوبى وتحسين على لإزالة ما حدث بين مولود مخلص حاكم الدير العسكرى ورمضان شلاش من خلاف، ولإنشاء مركز قوى للثورة وتنظيم العصابات. فقاموا بهذه المهمة وهاجمت أول عصابة عراقية سكة الحديد بين سامراء وشرقاط فى أواخر شهر مارس سنة ١٩٢٠.

عصابة جميل المدفعى

وألف جميل المدفعى عصابة قوية فى الفدعم على الخابور، قادها بنفسه، وزحف بها لمنازلة الإنكليز فمر بالقبائل العربية النازلة فى نصيبين داخل الحدود التركية فاستتفرها فنفرت، وانضمت إليه، ومعظمها من قبيلة شمر، وأيدته قبائل الزيدية فى جبل سنجار وقدمت له الطاعة، ولما وصلت إلى تلعفر أرسل كتابا إلى موظفيها وضباطها قال فيه:

«لامناص لكم من الانضمام إلى القوة الزاحفة بعددها الكثيرة وعددها الوافر، وأنتم بين أمرين فإما أن تشاركوا معها فى الحرب، وإما أن تقدموا لها الميرة والمؤن، ويجب

عليكم أيضا أن تعتقلوا الموظفين البريطانيين ليكونوا رهينة بيدنا فلا يفرج عنهم حتى يفرج الإنكليز عن ياسين باشا الهاشمي المعتقل في فلسطين».

وقبضت العصابة يوم ٤ يونيو على الميجور باولو معاون الحاكم السياسي لتلعفر بينما كان يتجول في ضاحيتها فرأى سيارتين فركض نحوهما فأطلقت عليه الرصاص فقتل كما قتل ضابط عراقي الكابتن استورات قائد الدرك، وتحصن الموظفون البريطانيون في تلعفر بدار الحكومة مع الجند، وأطلقوا نيران بنادقهم ورشاشاتهم على الثوار، وعرض عليهم هؤلاء التسليم مرارا فأبوا فنسفوا دار الحكومة بالديناميت فقتل كل من كان فيها، ووصلت سيارتان مدرعتان وسيارات نقل فالتقى بها الثوار عند مدخل المدينة وحطموها وقتلوا من فيها.

وأرسل المدفعي قوة من رجاله في الغداة لمهاجمة القوافل العسكرية بين الموصل والشرقاط، وكانت هناك عصابات أخرى تعمل في ذلك الجانب، جاءت من دير الزور لمهاجمة السكة الحديد وتعطيلها، وعرقلة النقلات الإنكليزية، وقامت بما يترتب عليها. وفي يوم ٦ منه غادرت العصابة تلعفر إلى الموصل فداهمتها في الطريق قوة إنكليزية جهزها قائد الموصل وأرسلها على الفور فصمد لها الثوار. وقسم الإنكليز قواتهم إلى قسمين تفرغ قسم منهم للثوار واتجه القسم الآخر إلى تلعفر لاحتلالها وقطع خط مواصلات هؤلاء فلم يخف ذلك على قائدهم فشرع بالانسحاب وسبق الإنكليز إلى تلعفر فوجدها خالية وقد نزح عنها سكانها، فاتجه إلى الخابور وعاد إلى دير الزور.

إعلان استقلال العراق

وقرار المؤتمر العراقي العام

وبينما كانت العصابات العراقية تعمل فى الشمال وتنازل الإنكليز، وتهاجم معاقلهم كان رجال السياسة فى دمشق يدرسون مشروعا جديدا يرمى إلى جعل أوروبا أمام حالة راهنة ويقوم على إعلان استقلال سورية والعراق فى وقت واحد، فينادى بالامير فيصل ملكا على الشام، وبالامير عبد الله ملكا على العراق.

ولما اختمرت هذه الفكرة، وتم الاتفاق مقدما على تنفيذها أرسل توفيق السويدي بصفته رئيسا للمؤتمر العراقي^(١) فى دمشق كتابا إلى رئيس المؤتمر السوري يوم ٤ مارس سنة ١٩٢٠ ونصه:

« إلى حضرة رئيس المؤتمر السوري الأكرم

« لما كانت الثورة العربية لا ترمى إلى تحرير قطر دون سواه من الأقطار العربية، ولما كان العراقيون عضوا عاملا فيها فقد قاموا بما يحب عليهم من الخدمة للقضية العربية فى الحرب الماضية حتى وصلوا مع إخوانهم السوريين إلى سورية، التى تربطها بقطرهم العراقى روابط اقتصادية وجنسية وسياسية، وبما ان المؤتمر السوري لم يهمل مقررات المؤتمر العراقى

١- تألف المؤتمر العراقى من الأعضاء الآتية أسماؤهم مع حفظ الالاقاب:

مندوبو مقاطعة بغداد وجنوبى العراق - جعفر العسكري وسعيد الشبخلى وتحسين على واسماعيل نامق وسامى الأورقلى وفرج عمارة وناجى السويدي وتوفيق السويدي ويونس وهبى وحامد صدر الدين وأحمد رفيق ونورى قاضى ورشيد الهاشمى وصبح محمد ورضا الشيببى ومحمد أديب وعزت الكرخى وعبد اللطيف الفلاحى وتوفيق الهاشمى ومحمد البسام.

مندوبو الموصل وشمالى العراق: جميل المدفعى وعلى جودت وعبد الله الدليمى ومكى الشربتلى وإبراهيم توحلة وثابت عبد النور وأسعد الصاحب

المرتبطة بسورية فى قراراته السابقة، لذلك قرر المؤتمر العراقى المنعقد فى دمشق فى جلسة ٤ مارس سنة ١٩٢٠ أن يرجو من المؤتمر السورى الاشتراك معه فى تقرير مصير البلاد المحررة وفقا لرغائب الأمة وبيانات الحلفاء ومبادئ الرئيس ولسن فلى الشرف أن أبلغكم الكيفية»

رئيس المؤتمر العراقى

توفيق السويدى

واختار المؤتمر خمسة من أعضائه للاتصال بحزب الاستقلال العربى فى دمشق، لتحديد علاقات المؤتمرين «المؤتمر العراقى والمؤتمر السورى» وتقرير الأسس التى تبنى عليها قراراتهما، وهذا نص قرار المؤتمر العراقى. وقد تلاه فى حفلة البيعة بدار بلدية دمشق يوم ٨ مارس رئيسه بالذات:

قرر المؤتمر العربى العراقى العام الذى يمثل الشعب العراقى تمثيلا قانونيا فى جلسته المنعقدة فى دمشق الشام^(١) يوم ٨ مارس سنة ١٩٢٠ و١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٣٨ اعلان القرار الآتى:

باسم الشعب العربى العراقى

خاضت الأمة العربية غمار الحرب الماضية فى جانب الحلفاء لرفع نير الأجانب عن عاتقها واسترجاع سالف مجدها، واستئناف مهمتها الطبيعية فى تمدين الشرق، وتحقيق آمالها القومية بالوحدة والاستقلال التام أسوة بغيرها من الشعوب التى نالت استقلالها، وهى دونها حضارة ورقيا. وكان الحلفاء الكرام قد قطعوا لها العهود على الأخذ بنصرتها فى هذا السبيل، وأعلنوا بلسان رؤساء حكوماتهم ومجالس نوابهم أن لا غاية لهم من الحرب إلا استقلال الشعوب وترك الخيار لها فى بت مصيرها، وتعيين شكل حكومتها. فأبرمت بريطانيا العظمى مع جلالة الملك حسين تلك المعاهدة المعروفة التى اعترفت فيها باستقلال العرب من جبال طوروس وشمالى ولاية الموصل إلى خليج فارس والأوقيانوس الهندي والبحر الأحمر، وأيد الرئيس ولسن ذلك بما أعلنه من المبادئ السامية، التى وافق عليها الحلفاء قاطبة، واتخذوها أساسا للصالح الدائم كما جاء فى بيان اللورد غراى وزير خارجية إنكلترا أمام لجنة الأمور الخارجية فى ٢٣ اكتوبر سنة ١٩١٦ وتصريح المسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسية

١- عقد المؤتمر فى منزل نورى السعيد فى حى الشهداء بدمشق

فى ٣ نوفمبر سنة ١٩١٦ وردود الحلفاء على مذكرة الدول الوسطى التى أرسلت على يد السفير الأمريكى فى باريس وجوابهم على مذكرة الرئيس ولسن فى ٢٢ مايو سنة ١٩١٧ وبيان مجلس النواب الفرنسى فى ٥ يونيو سنة ١٩١٧ وبيان مجلس الشيوخ فى ٦ منه وتصريح المستر لويد جورج فى غلاسكو يوم ٩ يونيو سنة ١٩١٧ وما شاكل ذلك من البيانات القائلة بتحريم الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها، وترك الخيار لها فى بت مصيرها، وإلغاء المعاهدات السرية المجحفة بحقوقها.

وقد كان لجلالة الملك حسين الأول وأنجاله أصحاب السمو الأمراء العظام الفضل الأكبر فى تحرير الأمة العربية وإنقاذها من نير العبودية والذل، وإحراز النصر المشترك على الأعداء فى الشرق فأبلاوا فى الحرب أحسن بلاء، وقادوا الأمة من نصر إلى نصر ثلاث سنوات متواصلة أراقوا فيها دماء زهرة أبناء العراق وسورية والحجاز، وكانوا موضع إعجاب الحلفاء والأعداء على السواء، وذلك فضلا عما تحملته الأمة فى الاقطار العربية المختلفة من المصائب والأهوال، وما قامت به من جليل الأعمال تأييدا لقضيتها الحق، وانتصارا لجلالة الملك وحلفائه الكرام.

وقد أسفر هذا الجهد المشترك المتواصل عن اندحار الأعداء وجلانهم عن العراق ودخول الجيوش البريطانية إليه بصفة حلفاء ومحررين، فأعلنوا حينئذ أنه لا مطمع لهم فى البلاد، ولا غاية إلا استقلال الأمة وترك الخيار لها فى بت مصيرها وتقرير شكل حكومتها.

على أن الحرب العظمى قد وضعت أوزارها منذ نحو عام ونصف، والبلاد لاتزال تئن تحت رزء الاحتلال الأجنبى، الذى ألحق بها أضرارا جسيمة مادية وأدبية، وأوقف سير أعمالها ومصالحها الاقتصادية والإدارية بشكل كاد يزلزل موقفها السياسى، فعيل صبر الشعب من هذه الحال، وانتقض فى أماكن مختلفة على الحكم العسكرى الأجنبى مطالباً باستقلاله التام.

فنحن أعضاء هذا المؤتمر الذى يمثل الشعب العربى العراقى تمثيلا قانونيا صحيحا رأينا الآن أن نجهز بإرادته ونخرج البلاد من هذا الموقف الحرج والحال المبهم المضطرب، واستنادا إلى حق الأمة الطبيعى فى الحياة الحرة والاستقلال التام، وإلى المبادئ السامية التى أعلنها الحلفاء العظام أكثر من سبعين مرة خلال الحرب الماضية، وإلى الرغائب التى اعربت عنها الأمة العربية العراقية فى ٦ ربيع الثانى سنة ١٣٣٧ بوثائق رسمية وقعها الأمراء والرؤساء

والزعماء والمفكرون وسائر طبقات الشعب، وإلى ما شاهدناه وتشاهدنا كل يوم من عزم العرب العراقيين على نيل استقلالهم التام، والتوسل بكل الوسائل الممكنة التي تؤدي إليه. وبصفتنا ممثلي الشعب المكلفين بالإعراب عن إرادته أعلننا الآن بإجماع الآراء استقلال البلاد العراقية المسلوخة عن تركيا بحدودها المعروفة من شمالي ولاية الموصل إلى خليج فارس، استقلالا تاما لا شائبة فيه، وأيدنا استقلال سورية التام، وأعلننا اتحاد العراق بها اتحادا سياسيا واقتصاديا، ونادينا بحضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله ملكا دستوريا بلقب صاحب الجلالة ملك العراق، وعهدنا في نيابة الملك إلى صاحب السمو الأمير زيد المعظم، وأعلننا انتهاء حكم الاحتلال العسكري الحاضر على أن تقوم مقامه حكومة وطنية مسؤولة أمام الشعب.

وإننا باسم الأمة العربية العراقية التي أنابتنا عنها وعهدت إلينا تقرير مصيرها نعلن محافظتنا على صداقة الطفاء الكرام، وعزمنا على احترام مصالحهم ومصالح جميع الدول الأجنبية في بلادنا. راجين منهم أن يعترفوا بهذا الاستقلال ويجلوا عن بلادنا العراقية ليحل محلهم فيها الجند الوطني، والإدارة الوطنية فتتمكن دولتنا حينئذ من أن تكون عاملا من عوامل الرقي في العالم المتمدن.

هذا وإن الحكومة العراقية التي تتشكل عاجلا مكلفة بتنفيذ قرارنا هذا .

تحريرا في ٨ مارس سنة ١٩٢٠ و ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٣٨

وقد وقع قرار المؤتمرين وقعا حسنا في العراق يؤيد ذلك الكتاب الذي أرسله رئيس المؤتمر العراقي يوم ٦ يونيو سنة ١٩٢٠ إلى رئيس المؤتمر السوري ونصه:

كتب إلينا أخيرا فريق من رؤساء قبائل العراق الكبيرة، وطائفة من العلماء والمفكرين في تلك البلاد يطلبون منا النيابة عنهم في الإعراب لكم عن ارتياحهم العظيم إلى ما قرره المؤتمر السوري وأعلنه من استقلال سورية، والمناذاة بصاحب الجلالة فيصل بن الحسين ملكا عليها، وعن مشاركتهم للأمة السورية في الأفراح التي نشأت عن ذلك. وهم يشكرون المؤتمر بنوع خاص على ما درجه ضمن بيانه الخطير من الاهتمام بمصير العراق وتأييده قضيته. مما كان له وقع كبير جدا في نفوس سكان العراق. وقد جاء في أحد كتبهم ما نصه:

«الآن وقد قرأنا كتابكم المؤرخ في ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨ وهو الكتاب الذي كان لمضمونه دوى هائل في أنحاء القطر العراقي لا يسعنا أن نصف لكم مبلغ الفرح الذي عم هذه

الربوع بعد أن اطلعت الأمة على موقف سورية، ذلك الموقف الخطير الذي قوى عزائم بنى قومكم، وليتكم تشهدون المشاهد التي تمتعت بها الأماكن المقدسة على أثر ما جرى عندكم من قرار المؤتمرين السوري والعراقي، فإنها وايم الحق من أعظم المشاهد وأكبرها. فقد سرت روح النشاط في مناطق العراق كلها، فها هي هائجة مائجة تتمخض بمولود شرف ومجد، وسيكون قرة عيون العرب في جزيرتها، فبشراكم نهوض بنى قومكم ووحدتهم، ورجاؤنا أن تعربوا للمؤتمر السوري والأمة السورية النجيبة عن مشاركتنا لها في أفراحها بنيل استقلالها وشكرها على تأييد قضيتنا»

هذا ما جاء في بعض رسائل إخواننا زعماء الأمة العراقية، وذوى الشأن فيها، وممن نعتقد أن لهم القول الفصل في القضية العراقية. فنحن نيابة عن هؤلاء الأبطال نرفع إلى المؤتمر الموقر أخلص التهاني وأجزل الشكر - أهـ

الانتداب للعراق

الاتفاق بين بغداد والفرات على إعلان الثورة

وبينما كان العراقيون ينتظرون حلا شريفا لقضيتهم فوجئوا يوم ٢٥ إبريل سنة ١٩٢٠ بإعلان قرار مؤتمر سان ريمو. وهو يقضى بانتداب بريطانيا لقطرهم، وزاد في استيائهم البلاغ الرسمي المنشور في بغداد يوم ٣ مايو سنة ١٩٢٠. وفيه تعلن إنكلترا قبولها لقرار مؤتمر الحلفاء في سان ريمو «بوضع العراق تحت انتدابها لتدريبه على أساليب الحكم الذاتي».

ورأى العراقيون بعد هذا القرار أنه لامناص لهم من النضال لاسترداد حقوقهم. فأوفد الفراتيون الحاج عبد المحسن شلاش والسيد هادي زوين إلى بغداد للاتصال برجالها والاتفاق معهم على خطة نهائية للعمل يشترك الكل في تنفيذها. فاتصل القادمان برجال جمعية الحرس وتم الاتفاق على عقد اجتماع كبير في منزل حمدي باشا البابان. فعقد يوم ٣ شعبان سنة ١٣٣٨ و حضره من أعيان البغداديين السيد محمد الصدر ويوسف السويدي والشيخ أحمد الشيخ داود وجعفر جلبى أبو التمن ورفعت الجادرجى وفؤاد الدفتري والشيخ عبد الوهاب النائب والشيخ سعيد النقشبندی والسيد محمد المصطفى الخليل. فبسط السيد هادي زوين باسم الفرات الحالة في بلادهم وذكر استعدادهم للعمل. وطلب إلى البغداديين تحديد موقفهم فقال جعفر جلبى أبو التمن: إن قادة بغداد مستعدون للعمل على أن يكون بنسبة ما يبيده العلماء ورؤساء القبائل، وأعلن أنه سيسافر قريبا إلى كربلاء ليدرس الحالة بنفسه فقال الحاضرون إنهم يضعون ثقتهم فيه، وينيبونه عنهم. فيكون ممثلهم لدى العلماء وأهل الفرات. وقد غادر بغداد يوم ١٣ شعبان إلى كربلاء.

وعقد بعد منتصف ليلة نصف شعبان اجتماع سرى بكربلاء في منزل الإمام محمد تقى الشيرازي كبير علماء الشيعة في العراق حضره جعفر جلبى مندوب بغداد ومندوبو النجف وقبائل الشامية. فدرسوا الموقف، واتفقوا في النهاية على إعلان الثورة، وأقسموا الأيمان بالقرآن العظيم أنهم لا يتأخرون عن تلبية نداء دينهم ووطنهم، وأنهم يجازفون بكل مرتخص

وغال في سبيل إنقاذ وطنهم تحت طاعة إمامهم الميرزا محمد تقى الشيرازى. الذى يقدمهم إلى ما فيه صلاح دينهم وديانهم.

وبعد الاتفاق على هذا القرار الخطير تفرق المجتمعون عند الفجر، وعاد أبو التمن إلى بغداد لإطلاع إخوانه على ما جرى، وقد كان محل ثقة الفراتيين واعتمادهم، وكانوا يعولون على رأيه ويثقون بإخلاصه وإيمانه ووطنيته.

وفى مساء ٢٠ شعبان عقد اجتماع فى منزل حمدى باشا فى بغداد لسماع أقوال أبى التمن العائد من الفرات. فقص على زملائه ما شهده فى اجتماع كربلاء، وأبلغهم ما تم الاتفاق عليه. فقر قرارهم على المباشرة بنشر الدعوة لإنشاء حكومة وطنية فى العراق.

واغتتمت اللجنة التنفيذية لجمعية الحرس فرصة حلول شهر رمضان، فقررت أن تقيم مساء كل خميس حفلة فى مسجد لنشر الدعوة للحركة الوطنية.

وأقاموا الحفلة الأولى فى آخر ليلة جمعة من شعبان، فكان الإقبال عليها قليلا فى أول الأمر. لأن الناس لم ينجسوا إلى الغاية منها، على أن الأمر تبدل فى الحفلة الثانية فكثرت الإقبال والازدحام، وشعرت السلطة البريطانية بما هنالك. فعمدت إلى الحيلة فدعت الأنسة بيل بعض الشبان المتحمسين لشرب الشاي فى منزلها ليلة الجمعة (أى ليلة إقامة الحفلة) لمنعهم من الاشتراك فيها، وأبلغتهم أنها تود أن يزورها مساء كل خميس لشرب الشاي معها. ففطنوا إلى غايتها، ولم يعودوا إلى تلبية دعوتها.

وأقيمت الحفلة الثانية فى حى الميدان (من أحياء بغداد) وكانت فى كل مرة توجه باسم الحى الذى تقام فيه، وكانت تتعدد فى الاسبوع الواحد أحيانا، وكان الزعماء يحضرونها فيقابلون بالهتاف، وكانت خطب الخطباء تدور حول مطالبه الطفء بإنصاف العرب ورد حقوقهم إليهم.

مندوبو بغداد وطلباتهم

قبضت السلطة العسكرية البريطانية على الشاب عيسى افندى الموظف فى الأوقاف. لأنه ألقى قصيدة حماسية فى أحد هذه الاجتماعات، ونفته إلى البصرة فأضربت بغداد احتجاجا وقررت لجنة الحرس إقامة مظاهرة سياسية كبيرة. وخطب على البزركان أحد رجالها فى

اجتماع عقد في جامع الحيدرخانة. طالبا من الشعب انتخاب ١٥ مندوبا من بغداد والكاظمية لمفاوضة الحكومة في المسائل السياسية الجوهرية، وفي مقدمتها إلغاء الإدارة العسكرية وإنشاء حكومة وطنية، فانتخبوا على الفور وهم: السيد أبو القاسم والشيخ أحمد الشيخ داود والشيخ أحمد الظاهر وجعفر جليبي أبو التمن ورفعت الجادرجي والشيخ سعيد النقشبندى وعبد الرحمن باشا الحيدري وعبد الوهاب النائب وعلى البركان والسيد عبد الكريم السيد حيدر وفؤاد الدفتري والسيد محمد الصدر والسيد محمد مصطفى الخليل ويوسف السويدي والحاج ياسين جليبي الخضيرى. وما كاد الجمهور يفرغ من انتخابهم حتى ظهرت سيارتان مدرعتان في الشارع وأطلقتا النار فأصيب أخصر ومات. فاحتفل الشعب احتفالا عظيما بتشييع جنازته وسماه فقيد الوطن، وأرسل حاكم بغداد السياسي والعسكري على أثر هذا الحادث فدعا أبا التمن والشيخ أحمد الشيخ داود والشيخ مهدي البصير وعلى البركان إلى مقابلته فقابلوه يوم ٨ رمضان. فقال لهم إنه مسؤول أمام حكومته عن المحافظة على النظام في داخل مدينة بغداد وإنه وإن كان يعدم مسؤولين عما حدث في الليلة الماضية من مشاغبات واضطرابات، إلا أنه لا يود أن يناقشهم الحساب، وإنما يرجوهم أن يكفوا عن خطتهم، وعن العبث بالأمن. فقالوا له إن عدم إنجاز بريطانيا لوعودها هو السبب في نقمة الشعب، وإن إنشاء حكومة وطنية هو السبيل الوحيد لتهدئة الأفكار.

كتاب المندوبين إلى الحاكم ورده

وأرسل المندوبون الخمسة عشر في الغداة (٩ رمضان) كتابا إلى الحاكم الملكى العام يطلبون تحديد وقت للاجتماع والبحث. فضرب يوم ١٤ منه موعدا لهم وأرسل فدعا ٢٠ عينا بغاديا للاشتراك في المباحثات التى ستبور بينه وبين المندوبين. وهذه أسماء العشرين: السيد محمود الكيلانى والسيد داود الكيلانى وعبد المجيد الشاوى وعبد القادر الخضيرى ومحمد حسن جليبي الجواهرى والشيخ شكر قاضى الجعفرية وصالح الحلى والحاج على الأوسى وعبد الجبار خياط وخسرو قومجيان . وساسون حسقيل وعززه مناحيم دانيال ويهودا زلوف ومحمود جليبي الشابندر ومحمود جليبي الاطرقجى والسيد جعفر عطيفة وجميل صدقى الزهاوى وعبد الكريم آل جليبي ومحمود جليبي الاسترابادى والحاج عبد الحسين آل جليبي. ولم تخف الغاية من دعوة هؤلاء على مندوبى الشعب. فدعوهم مقدما إلى اجتماع عقده

فى منزل رفعت الجادرجى للاتفاق على توحيد الخطة واتفقوا جميعا على مطالبة الحكومة بما يأتى:

١ - انشاء مجلس تأسيسى (جمعية وطنية) تضع الدستور وتقرر شكل الحكم.

٢ - إطلاق حرية الصحافة.

٣ - رفع الحواجز الموضوعية فى طريق البرق والبريد بين العراق والبلاد المجاورة

وأقفلت بغداد يوم الاجتماع، واحتشدت الجماهير حول السراى، وجاء الحاكم العام وحوله حاشيته وخاطب الحاضرين قائلا:

أيها السادة:

اجتمعنا اليوم لنصغى إلى اقتراحاتكم، وللمداولة معكم بخصوص مطالبكم. ولى كلمة يتلوها عليكم حضرة حسين افندى افنان فاسمعوها.

ثم وقف هذا فألقى الخطبة الآتية:

اتصل بى أن بعضا من حضراتكم يريد أن يقدم لى فى هذا اليوم مطالبه بخصوص مستقبل العراق لعرضها على حكومة جلالة ملك بريطانيا. فلا حاجة لى أن أبين لكم سرورى من هذه الفرصة التى يتاح لى فيها أن أرحب بحضراتكم، وأشرح لكم بقدر ما لى من السلطة شرحا إجماليا ماهية سياسة حكومة جلالة الملك بإزاء هذه المسألة.

لابد أنكم قرأتم تصريحات الحكومتين البريطانية والفرنسوية التى سبق نشرها فى اليوم الثامن من شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ ولا بد أنكم قرأتم المادة الثانية والعشرين من عهد جمعية الأمم، وقد وقع عليه معظم أمم العالم من سنة. ومن باب التذكير أتلوها على مسامعكم مرة أخرى (ثم تلاها).

فهذه التصريحات تبين لكم سياسة حكومة جلالة الملك وتوضح مراميها. تلك السياسة التى لم تنحرف الحكومة البريطانية عنها قيد شبر فى وقت من الأوقات. وأصرح لكم أن حكومة جلالة الملك ترغب فى تأسيس حكومة وطنية فى العراق. وقد أرادت تنفيذ ذلك فى أسرع وقت ممكن. على أنه حصل تعطيل حال دون تحقيق إرادتها وكنت أشد الناس أسفا على هذا التأخير الذى حدث بدواع وأسباب لم يكن فى وسعنا تلافئها. فإن طول الحرب الحاضرة

والصعوبات التي حالت دون عقد الصلح، واختلال النظام في البلاد المجاورة للعراق. سواء من جهة إيران، أو من جهة تركيا أو سورية - كل هذه الاضطرابات عاقتنا عن تاليف حكومة ملكية بالسرعة التي كنا نتمناها، وأملى أن تعتقدوا أنه لم يكن بوسعنا قط اجتناب هذا التأخير، وأكد لحضراتكم أن الذين يسعون إلى تأسيس حكومة ملكية بصورة مستعجلة بالحض على استعمال العنف وتهيج البسطاء من الأمة يجنون على وطنهم مهما كانوا مدفوعين إلى أعمالهم هذه بدافع الوطنية أو بعوامل أخرى. ولا أمل بتأسيس حكومة ملكية كما تريدون قبل أن يستتب الأمن العام، وتتثبت أركان النظام في هذه الآونة التي تتطور فيها البلاد. وليعلم أولئك الذين يحرصون على الإخلال بنظام البلاد الحالي، ويثيرون خواطر الأهلين ويهيجونها على السلطة أنهم إنما يثيرون عوامل تستطيع الحكومة اتخاذ التدابير لمقاومتها، ولا تتأخر عن اتخاذها إذا اقتضت الحال. وقد تؤثر على وضعية ونظام الإدارات الوطنية التي نقترح تأسيسها، وبصفتي رئيساً مؤقتاً للحكومة الملكية الحاضرة أذكركم، وأبلغكم أن كل تحريض على العنف أو الإخلال بالنظام سيقابل بالحزم والعزم من السلطتين العسكرية والملكية. واعلموا أن القوة هي في جانبنا، واننا قد عزمنا على توطيد دعائم النظام في هذه البلاد إلى أن تؤسس الحكومة الملكية التي تنشدها. ولن أتردد في الاستعانة بالسلطة العسكرية لاستخدام القوة الكافية لتوطيد النظام، ولن تقصر السلطة المذكورة في امدادى بالقوى التي تكفل صون النظام وتمنع العبث به. وأملى أن لا أضطر إلى إعادة هذه التحذيرات عليكم، وأن لا تقضى الظروف المقبلة باستخدام الجنود، أو باتخاذ التدابير الخصوصية حفظاً للنظام العام.

وأتكلم الآن عن حكومة العراق المقبلة. فأقول إن الحكومة البريطانية وطدت العزم على وضع نظام للحكومة العراقية المقبلة في أقرب وقت ممكن بعد استشارة الرأي العام في ذلك. وقد دارت مكاتبات كما يعلم أكثركم بيني وبين حكومة جلالة الملك وكبار رؤساء الحكومة الملكية هنا توصلنا إلى إنشاء حكومة ملكية مؤقتة. تقوم بعبء الإدارة إلى أن تتم مذاكرات الحكومة مع الأهلين، ويوضع نظام ثابت للحكومة الجديدة. وقد طبعت الإدارة الملكية هنا دستور هذه الحكومة المؤقتة. وكانت رامية إلى حكومة جلالة الملك، وكان في النية نشره. غير أن حكومة جلالته لم يكن في وسعها التصريح لى بنشره - كما تقدم - قبل انتهاء مفاوضات الصلح مع تركيا. أو على الأقل تقرير شيء منها. ومع هذا فلا بأس من أن أقول لكم بوجه الإجمال إن ما ننويه هو تشكيل مجلس للأمة برئاسة رئيس عربي إلى أن يرفع دستور العراق إلى المجلس

التشريعي المنوى تشكيله أيضا، ونعتقد بضرورة إعطاء البلاد متسعا من الوقت إلى أن تستقر أمورها، وإعطاء الأهلين فرصة لتأسيس فكرة صحيحة تنشر بواسطة المجلس التشريعي بعد تشكيله، وليس هنالك خير يرجى من الإسراع في أمور كهذه.

هذا وأذكركم بأن العراق يختلف عن سائر الممالك بأنه لم يتأثر بويلات الحرب - مع أن رحاها دارت فيه، وها هي الأخبار تأتي عن الحالة في سورية والقفقاس وقسم من إيران وتركيا.. وحتى من فلسطين، وكلها تدل على الغلاء وسوء الإدارة. وقد استحوز الفقر على أهالي تركيا وسورية وبلغ استياء الأهالي هنالك ما بلغ.

إننا لننكث عهدنا إذا تراخينا في إدارة شؤون الحكومة قبل أن يحين الوقت لتسليم زمامها إلى الحكومة الوطنية التي ننوى تشكيلها في المستقبل، فلا تغرنكم الظواهر، فقد كانت العراق تحت سيطرة حكومة أجنبية مدة مائتي عام ومهما، سلمت النيات فلا يمكن تأسيس حكومة وطنية في لحظة واحدة، بل لابد من التدرج في هذا السبيل، وإلا فالفشل مؤكد، وأعتقدوا بأنني وجميع رجال الحكومة متشربون روح الرغبة في تنفيذ البيان الذي تلوته عليكم، غير أننا لا نستطيع القيام بالأمور المستحيلة، وأعلموا أن مصالحنا موحدة وما يهمكم يهمنا.

وأشكركم في الختام لاستماعكم أقوالى، ويسرنى معرفة اقتراحاتكم وسأرفعها إلى حكومة جلالة الملك المهتمة بمصالح العراق.

ووقف السيد محمد الصدر يتكلم باسم الحاضرين فقال إن حركتهم سلمية لا يقصد منها إثارة القلاقل، وإن كل ما يطلبونه هو إنشاء حكومة وطنية حسب تصريح الحلفاء يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨، وإن الأمة انتدبتهم للدخول مع السلطة المحتلة في مفاوضات تمهيدية لإنجاز هذا الأمر. وهي تنتظر بفارغ الصبر تحقيق أمانيتها العادلة، قال: وأرى أننا متفقون على المبادئ الأساسية لأن المنافع المتبادلة تقضى بذلك، وأن كل ما نطلبه الآن هو عقد مؤتمر وطني يمثل الأمة، وتشترك جميع المدن العراقية في انتخابه، وتكون مهمته وضع أسس الدولة الجديدة وتحديد علاقاتها بالحكومة البريطانية، وإطلاق حرية المطبوعات والمراسلات، ثم قال إن هذا الذي نطلبه قد اتفق عليه بين مندوبى الأمة، والذين اختارتهم الحكومة، ثم سلم يوسف السويدي إلى الحاكم الملكي نص المطالب مكتوبة وهي:

إلى سعادة الحاكم الملكي العام المحترم

تعلمون أن الشعب قد انتدبنا في مظاهراته التي أقامها ليلة ٧ رمضان الحالى الموافق ٢٦ مايو للنيابة عنه فى مطالبة السلطة المحتلة، ومفاوضة رجالها بشأن تنفيذ ثلاثة مطالب جوهرية يرى جمهور الشعب ومعظم قادة أرائه اليوم ضرورة تطبيقها وتنفيذها حالا. وهى. أولاً:

١ - الإسراع فى تأليف مؤتمر يمثل الأمة العراقية ليعين مصيرها، ويقرر شكل إدارتها فى الداخل، ونوع علاقاتها بالخارج.

٢ - منح الحرية للمطبوعات ليتمكن الشعب من الإفصاح عن رغائبه وأفكاره.

٣ - رفع الحواجز الموضوعية فى طريق البريد والبرق بين أنحاء القطر أولاً، وبينه وبين الأقطار المجاورة له والممالك الأخرى ثانياً. ليتمكن الناس هنا من التفاهم مع بعضهم، ومن الاطلاع على سير السياسة الراهنة فى العالم.

فبصفتنا نواباً عن أهل بغداد والكاظمية نطلب إليكم أن تصادقوا على تنفيذ هذه المطالب الثلاثة بكل سرعة ممكنة، وأن تهتموا حالا بمراجعة حكومة الملك فى ما تلزمكم مراجعتها فيه لأجل تنفيذ المطالب المذكورة. ولا يغرب عن بال سيادتكم ما فى قبول هذه المطالب وإحلالها محل الإجراء والتنفيذ من صيانة الأمن وحفظ النظام والسلام العام. وإننا لنتنهن هذه الفرصة فنقدم إلى سعادتكم فائق الاحترام والإكبار.

ثم وجه السويدي الكلام إلى الحاكم قائلاً: إن ما ذكرتموه فى خطابكم عن مستقبل البلاد ينطبق كل الانطباق على مطالبنا. فقد قلتم إنه قد تقرر استقلال سورية والعراق باتفاق فرنسا وبريطانيا، وقلتم إن هذا الأمر لا يتم إلا بانتخاب مجلس عال يمثل العراق ويرأسه رئيس عربى لكى تجرى التشكيلات الإدارية بمعونته. وذكرتم أنكم ترغبون أن يتم هذا الأمر بأسرع ما يكون، وإن موانع عاقتكم عن تنفيذه. ونحن نبدي أسفنا العظيم لذلك، ونقول لم هذا التأخير؟ فان حياة كل فرد من الأمة تتوقف على تحقيق ذلك، والأمن مستتب فى البلاد. فلا داعى لتأخير إنشاء الحكومة الوطنية التى هى مطمح أنظار الجميع.

ثم دار البحث على المجلس التشريعى واختصاصاته، وطريقة انتخابه فقال الحاكم إنه سينتخب وفق القواعد الانتخابية التى تتألف بمقتضاها مجالس التشريع. وقال أيضاً إنه سمح قبل أيام لأحد الوطنيين بإصدار جريدة هى (جريدة الاستقلال) وإن قانون المطبوعات التركى هو الذى سينفذ. وقال الحاكم فى الختام إنه لا بد من انقضاء شهرين قبل إجابة طلبات الأهلىين.

الفرات يشارك بغداد

وحدث فى النجف ما حدث فى بغداد. فقد قابل الوفد النجفى المفوض حاكم لواء الشامية السياسى يوم ٢٦ رمضان، وسلمه كتابا يحتوى على المطالب الآتية: ١- الإسراع بجمع المؤتمر العراقى لتقرير شكل الحكم الذى ترغب فيه الأمة العراقية. ٢- إطلاق سراح المنفيين. ٣- إفساح المجال للأمة لإظهار رغائبها المشروعة. وذلك بالسماح بعقد الاجتماعات. فدعاهم إلى العمل لتسكين الهياج. فقالوا إن ذلك يكون بقبول طلبات الشعب.

وألف أهل كربلاء وفدا منهم قوامه الميرزا عبد الحسين الشيرازى والسيد محمد على الطباطبائى والشيخ محمد الخالصى والشيخ صدر الدين المازندراني والسيد عبد الوهاب الوهاب والحاج محمد حسن أبو المحاسن والشيخ عمر الحاج علوان لمقابلة الحاكم وتقديم هذه الطلبات إليه. وأصدر العلامة الشيرازى بهذه المناسبة المنشور الآتى:

إلى إخواننا العراقيين

«السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته:

«أما بعد فإن إخوانكم المسلمين فى بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها من أنحاء العراق قد اتفقوا فى ما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية وقد قامت جماعة كبيرة بتلك المظاهرات - مع المحافظة على الأمن. طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق - إن شاء الله - بحكومة إسلامية، وذلك بأن يرسل كل قطر وناحية إلى عاصمة العراق وفدا للمطالبة بحقه متفقا مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق عن قريب إلى بغداد. فالواجب عليكم بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانكم على هذا المبدأ الشريف. وإياكم والإخلال بالأمن والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض. فإن ذلك مضر بمقاصدكم، ومضيع لحقوقكم التى صار الآن أوان حصولها بأيديكم. وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التى فى بلادكم فى نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا تنالوا أحدا منهم بسوء أبدا. وفقكم الله جميعا لما يرضيه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.»

وقام الكربلائيون بمظاهرات سلمية فى صحنى الحسين والعباس ألقىت فيهما الخطب السلمية. فأُتلق ذلك الحكومة وأزعجها. فأرسلت يوم ٤ شوال سنة ١٣٢٨ و ٢١ يونيو سنة

١٩٢٠ قوة كبيرة جاء على رأسها الميجوربولى حاكم الحلة. فضرب نطاقا حول المدينة. فعلم بذلك العلامة الشيرازى، فأرسل يدعو الحاكم إلى زيارته. ويسأله عن السبب، فامتنع عن القدوم وأرسل اليه الكتاب الآتى:

«بعد تقديم مراسم التحية والسلام نعرض لحضرتكم أن قسما من قواتنا قد وردت لهذه الانحاء لأجل حفظ الأمن وإلقاء القبض على عدد من الأشرار. الذين يقصدون الإفساد ونهب الأموال وإلقاء الرعب فى قلوب الأهلىن وان قواتنا هذه لا تتعرض للصلحاء الأبرار. فنرجو أن تطلعوا العموم على هذه المسألة. لكى يرتفع الرعب والاضطراب عنهم، وفى الختام نقدم لحضرتكم فائق الاحترام»

فرد عليه بالكتاب الآتى:

«الى حاكم سياسى الحلة الميجوربولى هداه الله.

«قرأنا كتابك، وتعجبنا غاية العجب من مضمونه، حيث إن جلب العساكر لمقابلة الأشخاص المطالبين بحقوقهم المشروعة الضرورية لحياتهم من الأمور غير المعقولة، ولا تطابق أصول العدل والمنطق بوجه من الوجوه، ويحتمل أن الاشخاص الذى يقصدون الاستفادة من إيجاد الخلاف بين أهالى العراق والإنكليز هم الذين غشوكم لينالوا بواسطة ذلك مقاصدهم. وفى الليلة الماضية أردت ملاقاتكم لدفع الشبهة من نفسكم كى لا تغفلوا عن هذه النكتة. ولكنكم امتنعتم عن ذلك وإن نظرياتنا فى أمور المملكة أصلح وأنفع من سوق الجيوش، واستعمال القوة الجبرية وأدعوكم عجلة لأبلغكم أن توسلكم بالقوة فى مقاومة مطالب الأمة واستدعاءاتها مخالف للعدل وإدارة البلاد. وان امتنعتم عن المجيء فى هذه المرة فتصبح وصيتى للأمة بخصوص مراعاة السلم ملغاة من ذاتها، وأتراك الأمة وشأنها. وبهذه الصورة تقع مسئولية كل نتائج السوء عليك وعلى أصحابك.

«وفى الختام لى الامل أن تؤثر نصايحى فيك. كى لا يقع ما يفسد النظام والأمن. وكى لا تكونوا سببا لإراقة دماء الأبرياء».

فلم يحمل ذلك الحاكم على تغيير سياسته. فأرسل غداة وصول هذا الكتاب إليه فاستدعى نخبة من أهالى كربلاء هم الشيخ محمد رضا نجل الشيرازى والسيد محمد على الطباطبائى والشيخ هادى كموته وعبد الكريم العواد وعمر الحاج علوان وعثمان الحاج علوان ومهدى قنبر

وأحمد قنبر والسيد أحمد البير والشيخ كاظم أبو أذان ومحمد شاه فترددوا في إجابة دعوته لأنهم أدركوا أن وراعاها النفي. فآلح عليهم العلامة الشيرازي بالذهاب فقبض عليهم الحاكم فور وصولهم، وأرسلهم يوم ٢٥ شوال منفيين إلى جزيرة هنجام. فأنزعج هذا التدبير الفرات كله وأقامه وأقعد، وكان من جملة العوامل التي عجلت بالثورة^(١).

١- قفلت الحكومة البريطانية في سنة ١٩١٩ في كربلاء ما فعلته الآن. فقد اعتقلت يوم ٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٧ خمسة من رجالها وهم السيد محمد علي الطباطبائي والسيد محمد مهدي المولوي والشيخ عمر الحاج علوان والشيخ عبد الكريم العواد والشيخ طليغ الحسون ومحمد علي أبو الحب وبنقتهم إلى الهند. فكتب العلامة الشيرازي يوم ٨ منه كتابا إلى الحاكم العام للعراق استنكر فيه هذا التصرف، وطلب إطلاق سراحهم فآجابه بالكتاب الآتي:

بغداد في ٩ - ٨ - ١٩١٩

حضرة آية الله العظمى حجة الاسلام الميرزا محمد تقي الشيرازي دامت بركاته. لي الشرف أن أعرض لكم أنه وصلنا كتابكم المؤرخ ٨ ذي القعدة تذكرون بكل أسف أن الاعمال التي أقدمت عليها حكومة بريطانيا العظمى لإجراء واجبات وظائفها ولحفظ أحكام القوانين والأنظمة أوجبت استيلاء وتشويش العلماء الأعلام دامت بركاتهم في كربلاء. وكنت أعتقد أن في تجارب الأربع السنوات الماضية قد ثبت لدى حضرتكم والمتعلقين بكم بأن الحكومة البريطانية اعتنت بصيانة وسلامة العتبات المقدسة أكثر من أية دولة أخرى.

كانت كربلاء منذ مدة طويلة بؤرة للاغتشاشات والثورات بين الأهالي والحكومة. وكما لا يخفاكم بأن هذه الثورات كانت تحدث أضرارا وخسائر وتلفيات كثيرة من قبل الجنود التركية على الأهالي والمدينة. لاسيما أن شرف العلم والعلماء كان غير مضمون في تلك العصور. مما أدى إلى تيقظ الحكومة البريطانية واهتمامها بتمثل هذه الأصول المخالفة للعادات البريطانية. لقد حصلت لنا اطلاعات كافية في مدة الاثني عشر شهرا الماضية تثبت أن بعض الأشخاص في كربلاء يقومون بتشويش الأذهان وينشرون أخبارا غير مرضية. وغايتهم من ذلك تشويش أفكار الناس ضد الحكومة البريطانية. وكنت منتظرا من مدة طويلة انتهاء هذه الإشاعات غير المرضية بعد إعلان الصلح. لكني ألاحظ أن الأمر قد انعكس، وأن بعض الجاهلين قد زادت جسارتهم وكثر سعيهم في تشويش الناس. فلذا لاحظت أن من الواجب القبض على بعض الأفراد وأن الأشخاص الذين قبض عليهم هم أربعة من أهالي المدينة الذين لم يكن أية علاقة معكم، ولا مع العلماء الأعلام والروضات المطهرة. والذنان اللذان من السادة - وإن لم يكونا من ذوي الأهمية إلا أنهما ينتران الإشاعات الكاذبة ضد الإنكليز وهو باعث لتشويش أفكار الأهالي، ونظرا لإقداماتكم فقد عزمنا على تسريح السيد محمد علي الطباطبائي وإرساله إلى سامرا على أن يسكن هناك ولا يخرج منها بدون إجازة منا. فنرجوكم اشعاره بهاذ الأمر تحريريا عند وصول كتابنا هذا إليكم مع إخباره بأن يبقى هناك سكتنا وأن لايتدخل في أمور الناس، وإذا تخلف عن التقيد بهذا الأمر فإننا بكامل حريتنا ننفية عن هذه المملكة إلى محل لايمكن فيه من إحداث أي تشويش.

وأما السيد محمد مهدي المولوي فإن له اليد الطولى في تشويش أفكار العموم، وبما أنه هندي الأصل فقد استحسن إرساله إلى وطنه الأصلي. حتى يعيش بكامل الحرية لأنه لايمكن إبقاؤه في كربلاء. حيث وجوده موجب لعدم أستراحة الناس فيها.

لنا وثيق لرجاء أن بعض الأشخاص في كربلاء قد انتبهوا واحترزوا من بعض أعمالهم التي توجب عليهم المسئولية، وإن حكومة بريطانيا ترغب في إعطاء الناس الرفاهية التامة، لكنها لا تود أن يستعمل بعض الأشخاص هذه الحرية والرفاهية لأغراض تولد لاغتشاشات وتشويشات بين الناس. وقد قدمت هذه الرسالة بواسطة النائب محمد حسين خان المعروف بالخدمة لدينا. وفي الحقيقة أنه الرجل الوحيد الذي يعتمد عليه. وقد زودته ببعض معلومات شفوية ليعرضها على حضرتكم والسلام. وفي يوم ٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٨ أطلق سراح المنفيين من الكريلاندين فعادوا إلى بلدتهم.

فريق من زعماء الثورة العراقية



جعفر أبو التمن



يوسف السويدي



العلامة الشيرازي



هبة الدين شهرستاني



عبد المحسن شلاش



علوان الياسري



رضا الشيبلي



علي البتروكان



الشيخ أحمد الشيخ داود

فتوى جديدة

وأصدر الحجة الشيرازي يومئذ الفتوى الآتية: «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين. ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم».

مظاهرات الخلة

وأقيمت في الوقت نفسه مظاهرة وطنية في الخلة لتأييد الطلبات الشعبية، وأعلن الناس أنهم يضعون ثقتهم في رؤوف الأمين والسيد حسن القزويني فأسرعت الحكومة فاعتقلت الأول مع خمسة من إخوانه الأحرار وفتتهم إلى هنجام. وأقامت الموصل مظاهرة كبيرة لتأييد مطالب الأمة. وانتخب أربعين مندوبا قابلوا حاكم الموصل، وقدموا له المطالب كتابة.

السلطة تنشئ حكومة مدنية

وفي يوم ٢٠ يونيو أذاع الحاكم العام البلاغ الرسمي الآتي:

ترى مقدما حكومة جلالة الملك التي استؤمنت على تنفيذ الانتداب أن هذا الانتداب يعني إنشاء حكومة عراقية تضمن استقلالها جمعياً الأمم، وتخضع لانتداب بريطانيا. ويضع هذا الانتداب على عاتق بريطانيا تبعة حفظ الأمن في الداخل وسلامة المملكة في الخارج، ويقضى عليها بوضع نظام أساسي تستشير العراقيين في وضعه - مع ملاحظة حقوق الطوائف المختلفة في العراق ورغائبها ومنافعها، ويحتوى على شروط من شأنها ان تسهل ترقية العراق وتقدمه، وتجعله قادرا بعد زمن على أن يقف على ساقيه، ويحكم نفسه بنفسه. فتنتهى عندئذ مدة هذا الانتداب.

وقد عهدت حكومة جلالة الملك إلى السير برسي كوكس بتنفيذ هذا المشروع، وسيعود إلى بغداد في الخريف ليتسلم زمام منصبه، ويتقلد منصب الممثل الأعلى للحكومة البريطانية في العراق فينقضى بتسلمه عهد الإدارة العسكرية الحاضرة.

وخول السير برسي كوكس الحق في إيجاد هيئات وطنية وهي:

١ - مجلس شورى برئاسة رئيس عريى.

٢ - مجلس مؤسسين. ويمثل العراق كله. وينتخب العراقيون أعضائه بتمام الحرية، ويعد القانون الأساسى بالاشتراك مع مجلس الشورى.

وأرفق الحاكم العام هذا البيان ببيان آخر هذا نصه:

أشاع بعضهم إشاعات مؤداها أن الحكومة البريطانية على وشك سحب قواها العسكرية من العراق. مما يفضى إلى الإخلال بالأمن العام. فأنا السير أرنولد تالبوت ولسن نائب الحاكم الملكى العام فى العراق أنشر لأجل إفادة العموم. أن الحكومة البريطانية من حيث هى مسؤولة عن السلم الداخلى والأمن الخارجى فى هذه البلاد لا تفكر فى سحب قواها العسكرية - بعضها أو كلها، ولا يزال لديها قوى من جميع الأسلحة تكفى لحفظ النظام الداخلى والأمن الخارجى كفاية تامة. ولا أحجم عن أن أطلب من السلطات العسكرية المساعدة اللازمة عند الحاجة.

وأرسل مندوبو بغداد يوم ٣٠ يونيو كتابا إلى الحاكم العام العسكرى طلبوا فيه الإسراع بعقد مجلس المؤسسين. وقالوا إنهم لا يرون موجبا لتأخير دعوته إلى الخريف. فأذاع الحاكم يوم ٩ يوليو البلاغ الآتى:

أعلنت بمنشور صادر يوم ١٧ يوليو سنة ١٩٢٠ موافقة حكومة جلالة الملك على إنشاء مؤتمر عام ينتخبه أهالى العراق. وحيث إنه لا بد من وضع قانون للانتخاب ينتخب بموجبه الأعضاء فقد فوضت حكومة جلالة الملك الحاكم الملكى العام أن يدعو ممثلى الرأى العام فى جميع المقاطعات ليلبحثوا بالاشتراك مع الهيئات الإدارية فى الطريقة التى يجب اتباعها فى انتخاب أعضاء هذا المجلس الذى سيعقد قريبا. وفى إعداد الوسائل الضرورية للانتخاب، وإعداد سجلات بأسماء الذين يحق لهم الاشتراك فى الانتخاب. وحيث إن فى العراق أفرادا مثله فى مجلس الأعيان والنواب العثمانيين، ولهم سابق خبرة فى شؤون الانتخاب والمصالح العامة، فقد دعا الحاكم العام هؤلاء إلى الاجتماع فى بغداد فى زمن غير بعيد. فتنألف منهم لجنة تشترك مع الحكومة الملكية فى وضع المشروعات الانتخابية.

وينتخب أعضاء اللجنة المذكورة أحدهم للرئاسة عليهم، ويدعون آخرين من المقاطعات التى توفى نوابها أو لم يحضر نواب عنها.

ورد مندوبو الشعب على الحاكم العام يوم ١٢ يوليو بالكتاب الآتى:

لا يخفى على حضرتكم أننا طلبنا فى كتابنا المؤرخ ٢٠ يونيو سنة ١٩٢٠ من جناب الحاكم العسكرى والسياسى لبغداد الإسراع بعقد المؤتمر العراقى العام، وذلك جوابا على المنشور المؤرخ ١٧ يونيو، والقاضى بعقد المؤتمر المذكور فى الخريف، ولم نتلق حتى الآن جوابا على كتابنا المذكور. ولما كانت جريدة العراق الصادرة يوم ١٢ يوليو نشرت منشورا من سعادتكم وردت صورته إلى بعضنا مع مذكرتكم الخصوصية (وهنا أوردوا خلاصة المنشور) ولما كان هذا المنشور يدل على أن حكومة بريطانيا استحسنت اقتراحنا الخاص بالتعجيل بعقد المؤتمر فاستحقت بذلك الشكر والامتنان، واستوجب اطمئنان الأفكار رأينا أن من الواجب عرض الاقتراحات الآتية - طبقا لرغائب الأهلىين وهى:

لا يخفى على حضرتكم أن الحقوق الدولية والأساسية تقضيان بتنفيذ قوانين الدولة التى انفصلت عنها البلاد حربيا، إلى أن يبيت فى مصيرها نهائيا. فعلى هذا يجب أن تكون أحكام القوانين العثمانية نافذة فى هذه البلاد إلى ذلك الوقت. لذلك نرى أن الأفضل أن تستند المشروعات كلها إلى مستند قانونى لتطبيق على أساس قويم. وعملا بهذا المبدأ يمكن الأخذ بقانون انتخاب أعضاء المجالس العمومية فى تأسيس لجنة تحضيرية يكون رئيسها منها - كما ورد فى المنشور المذكور، لتقوم بالمشروعات المدرجة فيه، وأن ينفذ ما هو ملائم من أحكام قانون مجلس النواب العثمانى فى تأليف المؤتمر العراقى. ليكون الأمر موافقا لرغائب الأهلىين، ومطابقا لقرار الدولتين الفخمتين فرنسا وإنكلترا. اللتين أعلنتا فيما سبق أنه لا يخطر فى بالهما إرغام سكان البلاد السورية والعراقية على قبول نظامات وقوانين معينة. فرجاؤنا أن يصادف طلبنا هذا قبولا من حضرتكم. وهذا ما نعرضه عليكم بالنيابة عن مندوبى بغداد والكاظمية، واقبلوا منا فائق الاحترام.

السيد محمد صدر الدين

يوسف السويدي

وتألفت اللجنة الانتخابية من ١٩ عضوا هم شيوخ البلاد العراقية ونوابها فى العهد العثمانى، واجتمعت رسميا يوم ٦ أغسطس. فافتتح الحاكم العام اجتماعها بخطبة قال فيها:

«لقد دعيت هذه اللجنة لتساعد في سن قانون الانتخاب لتجرى بمقتضاه انتخابات المؤتمر العام الذى تريد حكومة جلاله الملك عقده بأسرع ما يمكن، وعند ستروح الفرص المناسبة، ولا يخفى عليكم أن على هذا المؤتمر أن يسن قانونا أساسيا لهذه البلاد باستشارة الحكومة الملكية، وأصرح الآن أن الترتيبات الانتخابية التى سترونها ستكون مؤقتة لها مقصد واحد وهو الانتخاب للمؤتمر العام الأول، وعلى هذا المؤتمر أن يبت فى شأن قانون الانتخاب المؤقت، وموافقته لاحتياجات القطر.

«ومن المعلوم أن قانون الانتخاب العثمانى لا يمكن تطبيقه على الأحوال الحاضرة من دون تعديل. لان فيه مواد لا توافق الأحوال الحاضرة، فهو مثلا يشترط على المرشح للانتخاب أن يحسن اللغة التركية. أما هذا المجلس فيمثل أكثر مناطق العراق وطوائفها، وبما أن هنالك مناطق لم يحضر مندوبوها بسبب وفاة بعضهم، وتغيب آخرين فعلى حضراتكم أن تقترحوا طرقا لانتخاب من يقوم مقامهم فى هذه اللجنة، التى تتوقع الحكومة الملكية أن تستمد منها كل معونة، لا فيما يختص بالغرض الذى دعيت لأجله، بل فى أمور مهمة أخرى يمكن حدوثها، وأغتنم الفرصة فأشكر لكم إجاباتكم دعوتى لمساعدتى فى هذا العمل، وإنى واثق فى أننا سننال بالتعاون المشترك أمينتنا التى تتوخاها حكومة جلاله الملك وهذه الأمنية هى تأسيس حكومة وطنية فى العراق».

وانتخب السيد طالب النقيب لرئاسة اللجنة بأكثرية الآراء، وعقدت هذه اجتماعا آخر قررت فيه دعوة السيد محمد الصدر ويوسف السويدى وجعفر أبى التمن وعبد الرحمن باشا الحيدرى إلى الانضمام إليها، فأبلغهم الحاكم الملكى القرار فاستقال الثلاثة وقبل الأخير فساعت استقالتهم السلطة، وقررت إعلان الإدارة العرفية، ومنع المظاهرات، وتمزيق شمل المننوبين، وفعلا هاجمت فجر ١٢ أغسطس منازل يوسف السويدى وجعفر أبى التمن والشيوخ أحمد الشيخ داود وعلى البزركان، فقبض على الثالث، وأرسل إلى البصرة حالا، وسجن فيها أياما ثم نفى إلى هتجام، وقوبلت الشرطة بالنار حينما هاجمت منزل السويدى فاضطرت إلى استقدام نجدات فتخلص وقصد إلى اليوسفية، وكانت الثورة تضطرم فيها، وخرج الثانى والرابع متنكرين من بغداد، ولحقا بالفرات، ولجأ عارف حكمت مع بعض أعضاء جمعية الحرس إلى كربلاء، وقبض على جلال بابان وعارف السويدى والسيد محمد مصطفى الخليل من المننوبين، وجعفر الشيببى ونورى فتاح من رجال العهد والحرس، وأرسلوا إلى البصرة،

ومنها إلى هنجام، وأذاع قائد بغداد العسكري يوم ١٣ منه البيان الآتي:

«اعتاد بعض المفسدين منذ شهر رمضان أن يحتفلوا بتلاوة قصة المولد فى لىالى الجمع ظاهرا لمقاصد دينية، ولكن فى الباطن لتتهييج الأفكار ضد الحكومات، ولبث روح الفساد، ولكى لا يجد الناس مجالا لسوء الظن بأن السلطة المحتلة تريد الممانعة فى المذاكرة العلنية الحرة فقد اجتنبت حتى الآن التدخل فى الموضوع. ولكن المحركين أساعوا استعمال الحرية المنووحة، وضللوا العامة ضلالا مبيها، فلهذا وجب علينا أن نعلن منع إقامة هذه الحفلات وكل اجتماع يعقد لأغراض سياسية يعرض القائمين به لأشد العقاب إلا إذا كان مطابقا للقانون العثمانى فى هذا الموضوع، وبإذن من حاكم بغداد العسكرى والسياسى، ولقد أُلّف مجلس عسكرى للنظر فى أمثال هذه الجرائم التى تقع ضد الأمن العام».

وفتش رجال الشرطة دار يوسف السويدى بعد الانتهاء من إطلاق الرصاص ويعد خروجه، فعثروا على أوراق سياسية قبض بموجبها على عبد المجيد كنه، وحوكم أمام محكمة عسكرية بتهمة الاشتراك فى تأليف عصابة مسلحة تسعى إلى قتل كل مخالف لمبادئ حزبها فحكمت عليه بالإعدام شنقا، ونفذ الحكم فيه ليلة ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٢٠ وقبض على أخيه عبد الحميد ونفى إلى جزيرة هنجام.

إعلان الثورة أين أطلقت الرصاصة الأولى

بينما كانت المناقشات دائرة في بغداد على هذا المتوال بين مندوبيها والسلطة البريطانية كانت نيران الثورة تتأجج في الفرات، وكان القتال على أشده بين الثوار والإنكليز.

بدأت الثورة في الفرات يوم ٣٠ يونيو- أى قبل أن يطارد الإنكليز أحرار بغداد، ويمنعوا عقد الاجتماعات السياسية بمدة ٤٤ يوماً. وقد عجل في اضطرارها اعتقال نجل العلامة الشيرازى وصحبه الأحرار، ونفيهم إلى جزيرة هنجام على المنوال الذى بسطناه من قبل. مما كان له أسوأ وقع في نفوس العراقيين عامة. والفراتيين خاصة. فأرسلوا احتجاجات شديدة اللهجة إلى الحكومة مطالبين بإطلاق سراحهم فردت عليهم بأنها اعتقلتهم لأنهم عبثوا بالأمن، وأن الضرورة تقضى بإبقائهم في خارج العراق فى الوقت الحاضر.

ودعا حاكم أبى صخير رؤساء الشامية إلى مقابلته فامتنعوا، وقالوا إنه لما كانت الحكومة قد اعتدت على مقام أكبر زعيم دينى فى العراق فقبضت على نجله وتسعة من إخوانه ونفتهم إلى هنجام، كما نفت غيرهم من الأحرار فهم يخشون على أنفسهم إذا جاؤا لمقابلته.

وتتابعت الاجتماعات خلال هاتيك الأيام فى أبى صخير وعفك، وقرر رجال القبائل إضرام الثورة، وتداولت الأيدي نص كتاب أصدره أحد أنجال الإمام الشيرازى يحض فيه على الجهاد.

وكان مكتب الثورة فى النجف - وقد أسسه الشيخ محمد رضا الشيببى والشيخ باقر الشيببى والسيد سعيد كمال الدين وأخوه حسين كمال الدين والسيد علوان الياسرى والشيخ عبد الكريم الجزايرى والشيخ أحمد صافى وعبد الحميد زاهد يبيت الدعوة للحركة الوطنية، وكان على صلة وثيقة برؤساء القبائل، وكانوا يأتون النجف بحجة الزيارة فيجتمعون برجال المكتب فى داخل صحن الإمام. وكان المكتب أيضا على صلة برجال بغداد ودمشق. فلا يكاد يفوته شىء مما يحدث هنا وهناك. وكان شديد الحذر فى مراسلاته يتخذ أغرب الطرق لإخفاء رسائله ومناشيريه. وقد اتخذ له مقرا فى وسط المسجد العلوى

«الصحن» فى مكتبة عبد الحميد الزاهد، وكان يضع فى داخل جلود الكتب والمصاحف مناشيره ورسائله. ومما يستحق الذكر أن المكتب، وما كان يخفى عليه ما تعده السلطة من معدات فى الفرات وتتخذة من تدابير عسكرية شديدة أنشأ صلوات مع بعض مسلمى الهندو المجندين فى الجيش البريطانى. فكانوا يطلعونه على حركة الجيوش وتنقلاتها فيذيعها على الرؤساء والشيوخ ليأخذوا حذرهم.

وأرسل المؤتمر العراقى فى دمشق العلم الذى اتخذه شعارا للدولة العراقية الجديدة مع بدوى - وكان البدو واسطة الاتصال فى تلك الأيام بين الشام والعراق - فكان أول علم دخل النجف فصنع المكتب نماذج منه سرا، ووزعها على القبائل فى الفرات.

ولما قبضت السلطة فى كربلاء على الميرزا محمد رضا الشيرازى وإخوانه عقد المكتب اجتماعا فى جامع الهندى «النجف» للاحتجاج. فاعتقلت السلطة على الأثر السيد سعيد والسيد حسين كمال الدين والسيد أحمد الصافى والسيد ضياء الخراسانى وعبد الحميد زاهد وفتشت بيوتهم وبيوت غيرهم. فزاد ذلك فى استياء الناس. فاستغل قادة الحركة الفرصة وطبعوا مناشير بالدعوة إلى الثورة، وزعت فى الشامية والشطرة والمشخاب والعمارة، وخطب خطباء المساجد داعين علنا إلى الانتفاض والثورة طلبا لحقوق بلادهم.

وتدخل شيخ الشريعة الأصهبانى، وكاتب الحاكم السياسى فى بغداد طالبا إطلاق سراح نجل الإمام الشيرازى وإخوانه وبقية المعتقلين الآخرين، وتعهد بأن يبذل قصاره فى سبيل تهدئة خواطر الناس إذا أوجب طلبه. وبأن يستخدم نفوذه فى حفظ النظام بشرط أن تسرع الحكومة فى تحقيق أمانى الشعب وإجابة مطالبه. فأجابه الحاكم العام على كتابه بالبرقية الآتية يوم ٢٢ شوال بواسطة حاكم لواء النجف قال:

«أنا لا أقدر أن أتدخل مداخلة شيخ الشريعة بشأن المنفيين. لأن أكثرهم معروفون بالفساد وسوء الأخلاق. على أننى قد أستطيع أن أتدخل بشأن اثنين أو ثلاثة منهم، فليسمهم بأسمائهم لألتمس من القائد العام إطلاق سراحهم. وأعتقد أنه يقبل ذلك إذا كان جناب الشيخ يسعى لتوطيد الأمن فى الشامية. لاعتقائى أنها لا تجرؤ على مخالفته، وليعلم جنابه أن قبائل الرميثة مشغولة بقتالنا فعلا».

فساعت البرقية وما انطوت عليه من عبارات قاسية الشيخ. فأرسل على الفور إلى الحاكم

البرقية الآتية:

«أخذنا برقيتكم المؤرخة ٢٢ شوال، ونقول لكم إننا لم نشفع أبداً في رجال معروفين بسوء الأخلاق، وإنما شفّعنا في الأحرار الأبرياء الذين سجنوا وأبعدوا لغير ما جرم. على أن الحكومة إذا كانت تعتبرهم جناة مجرمين فعليها أن تسلمهم إلى القانون ليجرى حكمه فيهم، وتكون أنثى قد استراحت من شرهم، وتخلصت من التهم والظنون السيئة. ثم إن الميرزا محمد رضا نجل آية الله الشيرازي بين المنفيين. فهل تستطيع الحكومة أن تقول إنه معروف بالفساد. ولولا اهتمام والده بالسكينة العامة، وبالنظام والأمن لرأينا الحالة على غير ما هي عليه الآن. فإن معالجة الحالة الحاضرة بالإصلاح أمر غير مقدور»

وبينما كان هذا يجرى في بغداد وكربلاء والنجف أصدر الميجور رايلي حاكم الديوانية - وقد امتاز بين الحكام السياسيين بشدة الوطأة والضغط - أمراً إلى اللفتاننت هيات حاكم الرميثة باعتقال الشيخ شعلان أبي الجون - شيخ قبيلة الطوالم. وهم بطن من بني حجيم - ويرسله مخفورا إلى الديوانية. فدعا الشيخ إلى مقابلته فجاء بعد ما قال لزميله الشيخ غثيث الحرجان قبل ذهابه إنه غير آمن من كيد السلطة وبطشها، وإنه يجب الاستعداد لإنتقاه إذا لزم الأمر وقال له إذا أرسلت إليك بطلب جنيتها، فاعلم أن المطلوب هو رجال لاجنيتها.

واستقبل اللفتاننت هيات الشيخ شعلان حينما جاءه وذلك يوم الجمعة ١٣ شوال و٣٠ يونيو استقبالا سيئا وويخه وعنفه، وأسمعه كلاما مرا، وأبلغه أن الحكومة عازمة على نفيه فحذره هذا من سوء العاقبة ونصحه وأشار عليه بالتريث خوف النتائج السيئة فلم يصغ إليه وأمر بوضعه في السجن لإرساله إلى الديوانية فقال الشيخ لرجل جاء معه اذهب فبلغ الأهل أنى مسجون اليوم ومنفى غدا وإننى فى حاجة إلى عشرة جنيتها فليسلوها حالا. فأسرع عشرة من قومه فبلغوا الرميثة عند الأصيل، وقصدوا دار الحاكم فقتلوا شرطيين، وهجموا على السجن وأنقذوا شيخهم وعادوا به إلى مقره. فكانت تلك الرصاصة أول رصاصات أطلقت فى الثورة العراقية وكانت إعلانا لها.

وأعلنت الثورة فى النجف يوم الأحد ٢ يوليو فقد تجمهر الناس حينما وردت الأخبار من الرميثة بوقوع ما وقع فى صحن المسجد العلوى، ورفعوا العلم العربى. وقاد كل شيخ قبيلته، وأسرع إلى الجهاد فى سبيل الله والوطن.

فى ميدان الرميثة

وأرسل اللفتنانت هياث فأبلغ حاكم الديوانية الحادث، وقال له إن رجال الشرطة تخلوا عنه وولوا منهزمين، وطلب إرسال نجدات فأرسل إليه ١٥٠ جنديا من الهنود بلغوا الرميثة يوم ٢ يوليو.

وسار الميجور رايبلى نفسه مساء ٣٠ يونيو على رأس قوة من الفرسان مسلحة بالرشاشات إلى منازل قبيلة بنى الأقرع، وكان شيخها الحاج سعدون الرسن فى الرميثة - وتبعد عنها نحو خمسة عشر كيلو مترا. فبلغها فجر يوم أول يوليو فهاجمها وأحرق مضافة الشيخ. فأهاج ذلك رجاله فانبهروا لمقاومة المهاجمين وأصلوهم نيرانا حامية، فارتدوا إلى الديوانية خاسرين.

وخرب الثوار عدة أماكن من السكة الحديد جنوبى الرميثة يوم أول يوليو وهاجموا قطارا للاستطلاع وصل فى تلك الأثناء من البصرة فى طريقه إلى بغداد يخفره جنود من الهنود، ويقوده الميجور كرناندر، وأطلقوا عليه رصاصهم فنجوا بصعوبة وعاد إلى البصرة لأنه أدرك صعوبة بلوغ بغداد.

وسير حاكم الحلة يوم ٢ منه قوة كبيرة إلى الرميثة بقيادة الكابتن براك تتألف من ٤ ضباط إنكليزيين و٣٠٨ من الجنود معهم ١٥٨ عاملا من عمال السكة الحديد بقيادة ضابطين إنكليزيين و٦٠ هنديا لإصلاح السكة وإنشاء جسر على الفرات لعبوره، بدلا من الجسر الذى خربه الثوار، فبلغت الرميثة يوم ٣ منه بعد مقاومات شديدة، وكان الثوار يزعجونها برصاصهم، وقد فتكوا ببعض رجالها. وأسرع قائد الحملة حينما بلغ الرميثة فتولى القيادة واحتل خندقين من خنادق الثوار، فحفروا خنادق غيرها، وضربوا الحصار عليها وما كانت حاميتها تملك سوى مؤونة يومية، ولذلك بدأ ضباطها يحسبون حساب المستقبل ويخشون سوء المصير.

وسيرت الحملة قوة فى الغداة إلى قرية البوحسن لإنجاد قائدها اللفتنانت ماريوث وإنقاذه من الثوار، ورافقها حاكم الرميثة بالذات، وقال لقائدها إن عليه أن يحرق تلك القرية قبل العودة إلى المعسكر، ولا يتقيد بأوامر القيادة ففعل ما أشار به. فهاج ذلك العرب فهاجموا القوة وقتلوا منها ٤٣ جنديا، وجرحوا ضابطا بريطانيا وآخر هنديا و١٣ جنديا.

وحمل العرب على الخنادق التي تحصنت فيها الحامية حول الرميثة فقتلوا ٦ من الجنود وجرحوا ١٤ فارتدت إلى الداخل وحصنت في دار الحكومة، وخسرت جنديين أثناء انسحابها. ولما اشتدت المجاعة عليها هجمت على الأسواق فنهبت من الأرزاق ما يكفيها بضعة أيام، وحفرت الآبار للاستقاء لصعوبة ورود الفرات. وطارت الطائرات البريطانية فوق الرميثة وألقت ثلاثة صناديق من العتاد، وسقط صندوقان آخران في محل بعيد استطاعت بلوغه ونقلهما بصعوبة، واشتدت المجاعة حينما طال الحصار. فهاجمت الحامية الأسواق ثانية وجمعت كمية من الطعام بعدما قتلت عشرين من الأهالي.

وفى مساء ٦ منه غادر الديوانية قطار خاص مشحون بالطعام والعتاد والماء لحامية الرميثة بقيادة اللفتانانت كولونيل مكين فوصل بعد عناء إلى مكان يبعد ستة أميال عن الرميثة. فتوقف وشرع في إعادة المركبات إلى الخط، فظهرت أمامه يوم ٧ منه قوة كبيرة للثوار وفاجأته بإطلاق النار فثبت وحاول التقدم، وهبت قبل الظهر عاصفة اغتتم فرصتها، وتقدم مسافة ميل من دون أن يشعروا به. ثم لحقوا به وطاردوه فاتجه شمالاً، وبلغ صباح ٨ منه الإمام حمزة وهو يبعد عن الرميثة ١٨ ميلاً، وخسر في تلك المعارك ضابطاً بريطانياً و٤٧ جندياً من الهنود وجرح ضابط و٢٦٦ جندياً.

وغارت حامية الرميثة غارة ثالثة على السوق. فأخذت ما يكفيها حتى يوم ٢٢ يوليو وأيدتها في غارتها تسع طائرات جاءت لهذه الغاية، وعلى أثر هذه الحوادث جهزت السلطة العسكرية قوة كبيرة بقيادة الجنرال كوننغام احتشدت يوم ١٦ منه على مسافة ١٦ ميلاً من الرميثة ومعها قطار مشحون بالماء والعتاد والميرة.

وبذلت مساعٍ للإفراج عن الحامية، فلم تقترن بنتيجة. فبدأ الجنرال كوننغام العمل، ولما بلغ المكان الذي فشلت فيه قوة مكين قابله الثوار بنيران حامية، وكانوا قد تحصنوا في خنادق حفروها في ترعة جافة، وكان عددهم لا يقل عن خمسة آلاف - فقابلهم بالمثل، وبدأت المعركة في الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ١٩ منه ودام القتال حتى المساء فلم توفق قواته، وكانت مؤلفة من ثلاثة أفواج مشاة، وفوج مدفعية مؤلف من فصيلة مدافع ميدان وحظيرة رشاشات إلى زحزحة الثوار عن أماكنهم - رغم استبسال المدفعيين، وكفت الحملة عن إطلاق النار عند المساء فأغرى ذلك الثوار بها فحملوا حملة صادقة على أحد الأفواج فصمد لهم. وطلب قائد الحملة من الديوانية ماء وعتاداً وأدوات صحية، فأرسلت إليه بقطار خاص وصل صباح ٢٠

وتقدمت الحملة فى الصباح، وعبرت الفرات إلى الضفة اليسرى، وحفرت خنادق بلا مقاومة. لأن الثوار جلوا ليلا وبلغت الرميثة عند الظهر، وأنقذت حاميتها وبلغت خسارتها ٣ ضباط بريطانيين و٣٢٣ جنديا قتلى وضابطين جريحيين و١٥٠ جنديا جريحا وبلغت خسارة قوة الرميثة ١٤٨ قتيلًا وجريحا فى زمن الحصار.

وفى صباح ٢١ منه تحركت الحملة من الرميثة عائدة إلى الحلة مع الحامية القديمة. لأن القيادة الإنكليزية شعرت بعجزها عن الاحتفاظ بقوة هنالك، فلحق بها الثوار واغتنموا فرصة زوبعة رملية هبت يوم ٢٢ منه ففتكوا بساقتها، وألحقوا بها خسارة كبيرة وفى يوم ٢٣ منه وصلت إلى الديوانية.

٢- فى ميدان الشامية

لما نشبت الثورة فى الرميثة ووقع ما وقع خرج الميجور نور برى حاكم النجف والشامية إلى منازل الشيخ مجبل أحد رؤساء قبيلة الفتلة قرب الحميدية، وطلب إليه أن يساعده فى حمل الزعماء على زيارة النجف أو الكوفة للمداولة معهم. فأجابته أنهم شديداً النقمة على الحكومة وتصرفاتها وأنهم لا يأتون. وأخيرا تم الاتفاق على الاجتماع فى منزل الشيخ يوم ٧ يوليو ووفد الرؤساء فى الوقت المعين وفى مقدمتهم السيد علوان الياصرى والشيخ عبد الواحد فنزلوا فى ضيافة الشيخ، وقبل وصول الحاكم جاء من أنبأهم أنه (الحاكم) أرسل قوة صغيرة للقبض عليهم وأنه غير آت. ولما كانوا قد اتخذوا عدتهم وجاؤا بالقوى الكافية من الرجال فلم يعبأوا بالرواية، وبعد برهة وصل الكابتن مان الحاكم السياسى للحميدية لمقابلتهم. فلما ألفاهم مسلحين قال لهم أظنون أنكم قادرين على مقاومة الحكومة البريطانية وأن بنادقكم هذه تقيم غضبها؟ فأجابوه ان العراق غيرالهند، وأنه مادامت البنادق على العواتق فهم قادرين على كل شىء. ثم أبلغهم أنه طرأت طوارئ منعت الميجور نور برى عن الحضور، وأنه جاء للمداولة باسمه فليسطوا له مطالبهم. فأجابوه أنهم مستعدون للاتفاق مع الحكومة والتفاهم معها إذا أجابت المطالب الآتية:

١- منح العراق الاستقلال التام.

٢- إيقاف رحى القتال فى الرميثة.

٣- جلاء الحكام السياسيين والقوات الإنكليزية عن جميع مراكز الثورة في الفرات واحتشادهم في بغداد. على أن تدور هناك المفاوضات بين زعماء الأمة العراقية ورجال الحكومة المحتلة، لتقرير العلاقات السياسية بين البلدين وتحديدها.

٤- إطلاق سراح المعتقلين السياسيين، وفي مقدمتهم نجل العلامة الشيرازي.

فقطع المفاوضات على الأثر لعدم إمكان قبول هذه الشروط، وعاد إلى مقره، وتفرقوا في بلادهم وفي يوم ١١ منه أعلنت الثورة في الشامية، وزحفت قوة يوم ١٢ منه بقيادة السيد علوان الياسري والشيخ عبد الواحد لاحتلال «أبو صخير» مركز قضاء الشامية، واشترك معهم السيد هادي زوين برجاله فتحصنت الحامية الإنكليزية في دار الحكومة، وأرسلت السلطة باخرة نهرية لإنجائها فرست أمام الدار للدفاع عنها، وليظل طريق الحامية إلى الماء مفتوحا فلم يغن ذلك عنها قتيلا. فقد دخل الثوار البلدة ووجهوا نيرانهم إلى الباخرة من مسافة قصيرة فهربت، وضربوا نطاقا حول دار الحكومة، وتركوا القوات الكافية للحصار، وتقدموا نحو الكوفة للاشتراك في المعارك الدائرة حولها.

أول هدنة بين الثوار والسلطة

وقصد السيد علوان والشيخ عبد الواحد الحميدية لإخراج الكابتن مان حاكمها، وكان يملك مقدارا كبيرا من المال يستطيع بواسطته عرقلة حركة الثوار، فذهب شيوخ قبائل الحميدية إليه، وطلبوا منه أن يسافر إلى الكوفة خوفا على حياته. لانهم لا يستطيعون حمايته. فأجاب طلبهم وقصد الكوفة بحماية الشيخ سلمان العبطان رئيس قبيلة الخزاعل والحاج ربيع آل عطية أحد مشايخ قبيلة الحميدات وبلغها سالما. واغتنم الميجور نور برى فرصة وصولهما فدعاهما إلى التوسط عند الشيوخ لإيقاف حركة القتال فقابل السيد علوان وصاحبه وعرضا عليهما اقتراح الحاكم فوافقا بشرط أن يحضر الاجتماع مندوبو النجف والشامية فوافق على ذلك، وأرسل سيارتين إلى النجف جاعتا بالشيخ جواد الجواهرى والشيخ عبد الكريم الجزائري وبقية المندوبين إلى الكوفة. فعقد الاجتماع في بستان مجاور، وعرض الشيوخ المطالب التي عرضت في الشامية، وبعد مناقشة طويلة تم الاتفاق على عقد هدنة لمدة أربعة أيام يسافر في خلالها الحاكم إلى بغداد بالطيارة لإبلاغ مطالب الثوار للحكومة. ووافق الثوار على إخراج حامية أبو صخير، وايصالها سالمة إلى الكوفة مقابل تعهد الحكومة بالامتناع عن

القيام بأية حركة فى خلال هذه المدة، وبعدم إرسال نجدات عسكرية، وبعدم الإتيان بأى عمل عسكرى، وأن أى حركة تتحركها الحكومة خلافا لهذه الشروط تؤدى إلى نقض الهدنة، ووفى القادة بما عاهدوا عليه فأخرجوا حامية أبى صخير وجاءوا بها إلى الكوفة وربطوا على مقربة من هذه المدينة.

وحدث فى إبان الهدنة أن مرت سفن نهوية تحمل ميرة وعتادا إلى حامية الكوفة بمنازل قبيلة بنى حسن (وتنزل بين الكوفة والكفل) فهاجمتها وقتلت من فيها ونهبتها، فانتفضت بذلك الهدنة واستؤنف القتال.

٣- معركة الرستمية

وعقد الزعماء اجتماعا على الفور لتقرير الخطة الجديدة التى يتبعونها فتم الاتفاق على أن تتولى قبيلة بنى حسن حصار الكوفة، وتعمل قبائل الشامية فى ميدان الكفل والحلة، ونفذ ذلك فورا، فتحرك السيد علوان والشيخ عبد الواحد، وبقيادتهما القبائل إلى الكفل واحتلوها يوم ٢٢ يوليو وفر الموظفون.

وسيرت القيادة الإنكليزية قوة من الحلة إلى الكفل للاستطلاع بقيادة الكولونيل كار دكاسل تتألف من الفوج الثانى من ألابى ما نشستر، وسريتين من كتيبة سند ٣٥ وسرية من فوج سيخ ٣٢١ الفنى، والبطارية ٣٩ فواصلت تقدمها وعسكرت عند قناة الرستمية بقرب الكفل مساء ٢٤ منه، وبدأت بحفر خنادق فبلغ ذلك الثوار فى الكفل فتحرك نحو ثلاثة آلاف لمهاجمة الحملة ويادرتهم البطارية بإطلاق النار فتقدموا حتى صاروا على مسافة ١٥٠ ياردة منها وياشروا بإطلاق النار عليها فصدر إليها الأمر بعد قليل بالاستعداد للانسحاب فى خلال ساعة، لأن قائدها خاف أن يهاجم الثوار الحلة نفسها، ووقع زعر واضطراب فى ساققتها فقتل بعضهم وأسر آخرون - كما هاجمها من الأمام ثوار آخرون واردوا من أماكن قريبة فوقعت بين نارين، بيد أنها استطاعت أن تشق طريقا لها، فوصلت الحلة بعد عتاء، وفقدت كما جاء فى بلاغ إنكليزى ٣١٨ جنديا أسر منهم العرب ١٦٠ منهم ٧٩ إنكليزيا و٨١ هنديا و٢٠ قتيلا ويقول الثوار إن عدد الذين سلموا منها كان قليلا وأنهم غنموا منها ٤٠ رشاشا، وسقط مدفع من مدافعها فى القناة ليلا، فاغتنمه الثوار مع كثير من القنابل، ويسمون هذه المعركة أيضا معركة الرانجبية.

واقترب الثوار من الحلة على أثر هذا الانتصار. فمسكروا فى الطهمازية قريبا فاتخذت السلطة تدابير شديدة للدفاع عنها، وحصنت محيطها، ويمتد إلى ستة أميال ويشمل البلدة ومحطة السكة الحديد ورسيف النهر والمطار - كما قيدت حركات سكانها.

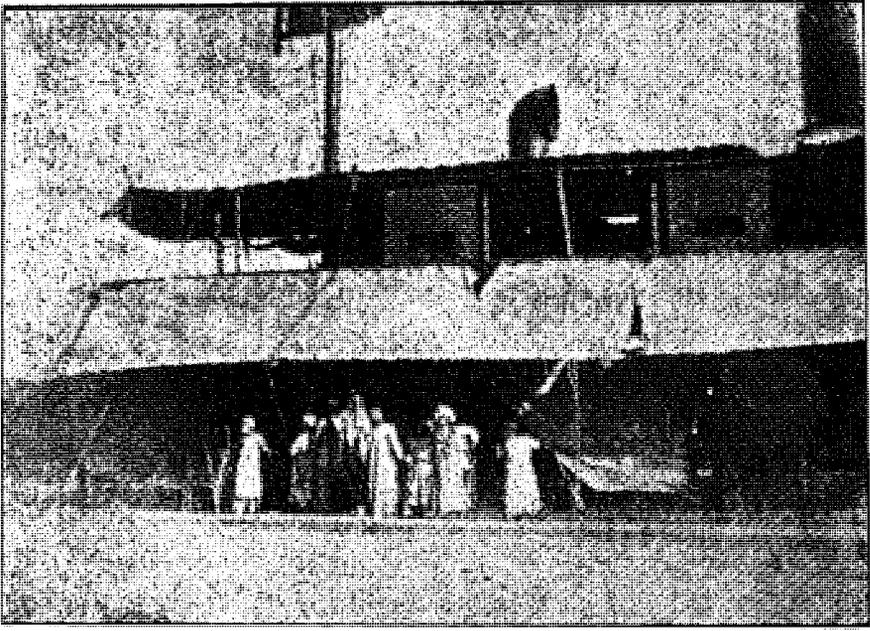
وحمل الثوار ليلة ٢٨ يوليو حملة استطلاع على الحلة فردتهم الحامية ثم حملوا حملة صادقة يوم أول أغسطس، فقاومهم الجند مقاومة شديدة - طبقا لتعليمات القائد العام - وتقضى بعدم التنازل عنها بأى شكل كان، بيد أنهم شقوا طريقا لهم فى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر، وتقدموا من ناحية الجنوب، ولم يكن هناك سوى قوة صغيرة من الهنود ورجال الدرك المحلى. وقد أبى هؤلاء أن يقاتلوا أبناء بلدتهم فتركوا المخفر وانسحبوا، ودخل الثوار المدينة فدار القتال فى الشوارع، ووصلت فى تلك الساعة نجدة للانكليز بقيادة الكولونيل (بطر) اشتركت فى المعركة، وحملت الثوار على الخروج من البلدة، ولجأ بعض الدين كانوا فى الشوارع الداخلية إلى بيوت السكان فأووهم فى منازلهم، واستخدموا الحيل فى إخراجهم ولم يفقد منهم سوى واحد، وأحرقت الحكومة بعض البيوت القريبة من السور.

٤- فى عفاك والدغارة

حمل الميجور رايلى حاكم لواء الديوانية بقوة صغيرة يوم ٢٥ يوليو على بنى الأقرع وحرقت منزل شيخهم سعدون الرسن، فقابلوه بالرصاص وظلوا يطاردون حتى أبواب الديوانية. ولما أطلق سراح الشيخ قصد الرميثة. فتبين صحة الخبر القائل بإعلان الثورة. فعاد إلى منزله وأمر رجاله بمهاجمة مخفر الدغارة، وبما أن رجال المخفر من قبيلته فقد انضموا إليه وسلموه المخفر. وفر حاكم الدغارة إلى الديوانية، وانضم رجال قبيلة البوسلطان إلى الثورة وهاجموا قطارا برح محطة الديوانية يوم ٢٠ منه فأخرجوه عن الخط وعطلوه، وسعت مصلحة السكة الحديد لإنقاذه فلم توفق.

٥- الجلاء عن الديوانية

واستدعى الميجور رايلى حاكم الديوانية الشيخ شعلان آل عطية يوم ٢٨ منه، وكان قد اعتقله فى ابتداء الحوادث. لما يعرفه من صلته بالثوار، وقال له إنه يطلق سراحه إذا تعهد



المدفعية فايز افلاي قبل أن يدمرها الثوار



المجاهدون في النجف يستعدون للذهاب الى ساحات الحرب

بالمحافظة على الجنود أثناء الانسحاب. فلا يقع اعتداء عليهم. حتى يجتازوا آخر حدود موطن بنى الأقرع - والشيوخ من رؤسائهم - واشترط عليه أن يسلم أحد أولاده رهينة. فقبل ذلك فأطلق سراجه. ولما أبلغ قومه ما تم بينه وبين الحاكم لم يجيزوه، وتمت الأهبة للانسحاب فغادر الجنرال كوتنغام يوم ٣٠ منه الديوانية بقواته بعد ما سلح بعض عربات القطار لحماية الساقية فهاجمه الثوار فأصلاهم نارا حامية، وفتك بهم وواصل سيره وهم يتعقبونه حتى بلغ جسر خان جدول فعسكر فيه لقضاء ليلته واستأنف السير فى الغداة. فعلم حينما بلغ ابن على أن الثوار خربوا ٣٥٠ ياردة من السكة الحديد، وعطلوا جسر السكة بقربه فاستمر فى طريقه ولم يتسن له يوم أول أغسطس أن يسير أكثر من خمسة أميال بسبب كثرة التخريب على سكة الحديد. واشتبك مع الثوار بمعركة شديدة حينما بلغ نهر الأبخر قرب محطة قوجان، استمرت ثلاث ساعات وأسفرت عن خسارة الثوار نحو ١٠٠ قتيل وخسرت الحملة أكثر من ذلك، واشتركت قبائل الجبور بقيادة الزعيمين قوجان ودوهان وعشائر الدغارة بقيادة سعدون الرسن وقبائل عفك بقيادة الزعيمين الحاج مهدي فاضل وشقيقه الحاج صلال الموح فى هذه المعركة.

وبلغت القوة البريطانية محطة قوجان بعد ظهر الأربعاء ٣ منه فاستقت وملاّت مستودعات الماء، وواصلت سيرها بحراسة قوة يقودها الكولونيل مكفين ومعه قطار للترميم، وكانت مهمة هذا القطار ترميم السكة حتى نهر الجربوعية.

واستأنفت الحملة سيرها يوم ٤ منه فعرقل حركتها خروج العربات عن الخط، واغتتمت الفرصة فضربت بعض القرى التى انضم أهلها إلى الثوار، وكانت طول سفرها عرضة لهجومهم. ثم اشتبكت يوم ٥ منه فى أراضي الهاشمية بمعركة شديدة معهم، وظلت تقاتل وتتقدم حتى دخل قسم منها الحلة بعد ظهر ٩ منه، ودخل القسم الآخر يوم ١٠ وقد استغرقت رحلتها من الديوانية إلى الحلة ١١ يوما، وكان معدل سيرها خمسة أميال ونصف ميل كل يوم.

٦- فى السماوة

لم يكن للإنكليز حين نشوب الثورة قوات كافية فى الفرات الأدنى (منطقة المنتفك والناصرية) فأرسلوا يوم ٣ يوليو باخرتين تحملان القوات إلى السماوة استعدادا للنضال.

كما قصدتها في اليوم نفسه الميجورماي على رأس قوة صغيرة، وسافر إليها قطار مدرع للدفاع عنها. كما ذهبت قوة إلى مخفر محطة الخضر (منطقة السماوة) للمرابطة فيها. وتأخرت الأعمال العسكرية في هذه المنطقة نحو أربعين يوماً لاشتراك قبيلة البوجحيم في معارك الرميثة والديوانية. فلما انتهت عادوا إلى منازلهم فاستراحوا مدة قصيرة. ثم شرعوا في العمل فهاجموا السكة الحديد في مواضع مختلفة قرب محطة الخضر، و ضربوا الحصار عليها، وقد استمر مدة قصيرة. واتخذت السلطة تدابير شديدة لحماية السكة بين الناصرية والسماوة فأرصدت قطارين مدرعين ناظت بكل واحد حماية جانب منها. وهاجم الثوار يوم ١٢ أغسطس محطة الخضر، فتبادلوا وحاميتها النار، واشتركت الباخرة كرين افلاي - وكانت جالسة على الطين بإطلاق النار على الثوار - كما اشترك القطار المدرع المكلف بحماية السكة بين الخضر والسماوة في المعركة، فهاجم عليه الثوار وتعلقوا بمركباته فعاد على الفور إلى السماوة خوف الوقوع في أيديهم. وعلى أثر ذلك صدر الأمر إلى حامية الخضر بالجلء فجلت تحت حماية القطارين المدرعين، وقد ضايقهما الثوار وأخرجوا بعض المركبات عن الخط.

وعبأ الإنكليز قواتهم في السماوة تعبئة فنية فحشدوا جانباً من الحامية في المحطة. وأخر في جسر البريوتي، وثالثاً في معسكر الميرة ورابعاً في مقر القيادة. وتولى القيادة الجنرال نبي وتلقى أمراً بالدفاع عنها، وعدم الجلء بأي طريقة كانت. وحاول الإنكليز عبثاً إنقاذ الباخرة كرين افلاي الجالسة على الطين، وكان الثوار يضايقونها برصاصهم ويفتكون برجالها الواحد بعد الآخر. وكانت الطائرات تحمل إليها أكياس الدقيق من آونة إلى أخرى. وقد قنص رجال الثوار طائرة فهوت وتحطمت وقتل قائدها. ولما اشتد الجوع ببخارة الباخرة أطلقوا فيها النار. وطرأ عطل على محرك الباخرة رقم - ٩ في أثناء سيرها من الناصرية إلى السماوة يوم ٢٥ منه فرست على الشاطيء لإصلاحه فهاجمها الثوار، فدافعت حاميتها وقتل بعضهم وسلم الذين أسرعوا في الهرب فعادوا إلى الناصرية.

واستقر قرار ولاة الامور العسكريين على الجلء عن السماوة لصعوبة المواصلات برا ونهرا. فجلوا عنها يوم ٣ سبتمبر بدون عناء يذكر، وغادرتها حاميتها بحماية القطار المدرع رقم ١ وتعطلت القاطرة قرب السماوة. فوقف القطار فهاجمه الثوار، وقتلوا الكابتن رسل والكابتن فيجي من ضباطه، واستمر إطلاق النار متواصلاً بينه وبينهم مدة ثلاثة أيام، وصعدوا إلى مركباته بعد نضال استبسل فيه الفريقان، ولم ينج من حاميته سوى القليل.

٧- فى الكوفة

جلا البريطانىون من ابتداء الثورة عن النجف وكربلاء، وحشدوا قواهم الكبرى فى الكوفة على الفرات، وجاءوا بالبارجة فابر افلاى وهى مجهزة بمدفعين، واثنى عشر رشاشا فوضعوها أمامها للدفاع عنها، كما ادخروا كمية كبيرة من الميرة استعدادا للنضال. ولما كان بقاء هذا المعقل سليما فى وسط منطقة الثورة لا يخلو من أخطار، فقد اتجهت النية فى أواسط شهر أغسطس إلى مهاجمته ومضايقه حاميته، لحملها على التسليم، ونقل الثوار على الأثر المدفع لذى غنموه فى معركة الرستمىة بعد ما أصلحوه واستعملوه بمهارة فى مقاومة البارجة فابر افلاى وصبوا منه قنابل عليها فاتقدت فيها النار واحترقت فغادرها رجالها ولجأوا إلى المعقل، فأطلق عليه الثوار نار مدفعهم الوحيد، وشددوا الحملة فقابلتهم الحامية بنيران مدافعها فأتلفت مدفعهم. فلم يفت ذلك فى عضدهم. بل انصرفوا إلى حفر نفق يتصل باستحكاماتها الشمالية وحشوه بالبارود لنسفها فلم ينفجر وظلت الحامية ثابتة حتى نهاية الثورة.

٨- فى اعالي الفرات

دعا الكولونيل لنجمان حاكم لواء الدليم السياسى، ومن أكثر الضباط الانكليز معرفة بشؤون العراق الشيخ ضارى المحمود رئيس قبيلة الزوبع إلى مقابلته يوم ١٢ أغسطس فى خان المنطقة الواقع بين بغداد والفلوجة، ويبعد عن الأولى ٣٠ كيلو مترا فقط. فجاء الشيخ فى الموعد المضروب ومعه نجله خميس وبعض أتباعه ثم وصل الكولونيل بسيارته ومعه خادمه فاستقبله الشيخ ودخلا معا إلى الخان، وكانت فيه قوة من الدرك، وبينما هما يتحادثان جاء جماعة إلى ضابط نقطة الخان وأبلغوه أن عصابة من اللصوص هاجمتهم فأمره الكولونيل بأن يسرع فى مطاردتها مع عشرة من رجاله وبضعة من رجال الشيخ فصدع بالأمر وأثار هذا الحادث ثأره، فأخذ يؤنب الشيخ ويلقى عليه تبعة الإخلال بالأمن فاستاء هذا واستأذن فى الخروج فخرج ثم عاد ومعه نجله وآخر من قبيلته فدخلوا على الكولونيل وبادره الثانى بإطلاق خمس رصاصات فسقط صريعا، وأجهز عليه الشيخ بسيفه ثم غادر النقطة وأعلن الثورة فانقطعت بذلك المواصلات بين بغداد والفلوجة، وتحرج موقف القوات الإنكليزية فى الرمادى، ولم يهدىء روعها سوى زيارة الشيخ على سليمان. فقد أبلغ قوادها أنه لا خطر عليهم وقد بر بعهدة فقدرت السلطة عمله، وخصصت له راتبا ضخما.

وغادرت الرمادى يوم ١٥ أغسطس ثلاث بواخر تحمل مؤونة وعتادا إلى حامية الفلوجة وباخرة صحية تحميها باخرة مسلحة، وما كادت تبتعد خمسة أميال عن الرمادى حتى فاجأها الثوار بنيرانهم فلم تجبهم، وواصلت سيرها حتى باتت على خمسة أميال من الفلوجة. فجلست باخرتان منها على الطين لانخفاض الماء وأطلق الثوار الرصاص على الباخرتين الأخرين فأصابوا قائديهما فجرتا مع الماء ثم جلستا على الطين. وواصلت الباخرة المسلحة إطلاق النار حتى نفذ عتاها فهجم عليها نحو ٥٠٠ من الثوار وأضرموا فيها النار ونهبوا ما فى البواخر، ونجا بعض الملاحين الذين أسرعوا فى الفرار، وأرسل فى الغداة اللفتتات كولوئيل وليس قائد الرمادى قوة عسكرية إلى محل الحادثة قتلت بعض العرب وعادت من دون أن تشتبك بمعركة.

٩- فى ديالى

لما شبت الثورة فى الفرات، واتسع نطاقها وخيف أن تشمل الاجزاء الأخرى بدأ حكام المناطق باتخاذ ما يروونه مفيدا من التدابير لتوطيد الأمن. ومن جملة هؤلاء الميجور هايس حاكم لواء ديالى. فقد اغتتم فرصة حادث سلب فدعا شيوخ القبائل إلى زيارته فى بعقوبة مركز لواء ديالى، ولما جاعوه أمرهم بعدم الخروج إلا باجازة خاصة منه، وبعد ما أقاموا أياما أذن لهم بالعودة إلى منازلهم بعد ما أفهمهم خطر الانضمام إلى الثورة. وطلب اليهم المحافظة على الأمن، واستثنى منهم الشيخ حبيب الخيزران رئيس قبيلة العزة لما يعرفه من ميوله الوطنية ومن اتصاله بزعماء الثورة.

وغادر الميجور هايس بعقوبة بعد أيام إلى بغداد للاستشفاء من مرض أصابه فحل الكابتن لويد حاكم دلتاوة محله فزاره الشيخ حبيب طالبا السماح له بالسفر إلى بغداد لقضاء أيام. على أن يعود بعدها إلى بعقوبة. فسمح له بالسفر فجاءها وقضى فيها أياما وبدلا من أن يعود إلى هنا كما وعد - سافر إلى منزله فى دلتاوة - فجمع يوم وصوله طائفة من زعماء عشيرته وزعماء العشائر المجاورة فتحالفوا على الانضمام إلى الثورة، وعلى أن يشد بعضهم أزر بعض، وعلى أن يسهروا على أموال الناس وأرواحهم، وأفهمهم أن الغاية من حركته هى تعطيل السكة الحديد بين بغداد وخانقين الواقعة على الحدود الإيرانية فلا تنتقل القوات الانكليزية التى شاع يومئذ أنها قادمة من إيران لمنازلة الثوار. وحمل الشيخ برجاله فى الغداة

على بعقوبة فاحتلها وغادرها الحاكم السياسى فأنشأ الثوار حكومة برئاسة السيد محمود المتولى. وسقط الكابتن لويد حاكم دلتاوة والميجور استرخن من موظفى الرى وإنكليزى ثالث بقبضة الشيخ فنقلهم إلى قرية دلى عباس، وأنزلهم فيها وبالغ فى إكرامهم.

وأبى الكابتن رايتلى معاون الحاكم السياسى فى شهريان من أعمال لواء ديالى أن يستسلم للثوار الذين حاصروه فى المخفر. بل قاومهم فدار قتال استمر ثلاثة أيام، وانتهى بسقوط المخفر بأيديهم يوم ١٥ أغسطس.. فقتل وقتل معه الكابتن بردفلك قائد حامية المخفر والمستر بوكزن والسارجن ميجور نيوتن - عدا رجال المخفر الآخرين. واتخذ الثوار بلدة روز مقراً للأسرى الذين سقطوا فى أيديهم من رجال الحكومة. ولم يغفل الثوار تعطيل السكة الحديد. وهى الغاية من الثورة. فبدأوا يوم ٨ أغسطس بتخريبها فانقطعت المواصلات بين العراق وايران.

ولما وصلت هذه الأخبار إلى بغداد سيرت القيادة العليا يوم ١٠ أغسطس قوة كبيرة بقيادة الجنرال بنك لهاجمة القرى العربية الواقعة شمالى بعقوبة وتأييدها فباغتتها نحو ٣٠٠ ثائر أثناء سيرها فالتقوا الرعب فى صفوفها - على أنها ما لبثت أن لمت شععتها وصمدت لهم، وجاعتها نجدة وهى تقااتل فارتد الثوار وانسحبوا، وحملت القوة على القرى فلم تلق مقاومة، ثم عادت إلى معسكرها على نهر ديالى قبالة بعقوبة ومنها ارتدت إلى بغداد بعد ما تركت قوة صغيرة لحماية جسر السكة الحديد ومحطة اللاسلكى القريبة منه. ثم عززت بنجديات جديدة. وكان على مقربة منها معقل الأشوريين النازلين على ديالى فاستخدمتهم فى مقاومة الثورة - فقاتلوا العرب فأحاطوا بمعقلهم وحاصروه ثلاثة أيام قتلوا فى خلالها نحو ٤٠ من رجاله، وسيرت السلطة قطارا إلى بعقوبة شحنته بالميرة والعتاد فنسفه الثوار على أربعة أميال من هذه. فأسرع قائد المعقل الأشورى واسمه الكولونيل كتياف هاون مع رجاله إلى محل الحادث، وحال بين الثوار وبين الذخائر والبنادق، ونقلها إلى معقله. فاطمأن الأشوريين وتسلموا واستبسلاوا فى الدفاع عن معقلهم.

١٠- فى كركوك وأربيل

وامتدت الثورة إلى شرقى بغداد حتى بلغت كركوك وأربيل. كما وصلت فى الغرب حتى الفلوجة والرمادى. ولما كان الجنوب كله تقريبا بيد الثوار فقد أصبحت بغداد شبه محصورة، ولا سيما بعد ما وصل الثوار إلى قرب المسيب، وعطلوا السكة الحديد بين بغداد والحلة،

وشرعوا فى مهاجمة المحمودية بالاتفاق مع قبائل اليوسفية المجاورة بغداد، ولهذه الاعتبارات أصدر القائد العام أمرا إلى الجنرال ساندرسن قائد بغداد العسكرى بإنشاء الحصون والمعازل استعدادا للدفاع عنها، كما عهد إليه بإعادة خط المواصلات بين بغداد والفلوجة، ووضع تحت أمره قوة مختلطة كبيرة مع فرقة من العمال، وبدأت هذه القوة عملها يوم ٣ سبتمبر فتقدمت ببطء ثم عززت بسريتين فنييتين يوم ٢٠ منه فبلغت خان النقطة فى ٢١ منه، وضربت بمدافعها قلعة الشيخ ضارى (قاتل لنجمان) ونسفتها، وقطعت الماء عن مزارعه، وكان يقاتل مع الثوار فى أعالي الفرات. وفى يوم ٢٤ منه وصل قطار مدرع إلى الفلوجة وأنشأ الإتكيز الحصون على طول خط الفرات وشحنوها بالجنود. كما أنشأوا معقلا قويا تجاه قناة العقلاوية لمراقبة الماء ومنع الثوار من كسر السد.

وما جرى فى هذا الميدان جرى فى ميدان ديالى (شمالى بغداد) تقريبا فقد سيرت السلطة قوة دخلت بعقوبة يوم ٢٩ أغسطس بدون مقاومة تذكر، وقصد أحد ضباطها منزل القاضى حسين افندى، وأطلق عليه الرصاص فقتله، لأنه كان من دعاة الثورة وقتل عددا من الأهالى، ووصلت نجدات جديدة من إيران ومن الهند للسلطة. فأصلحت سكة حديد بغداد - خانقين وبسطت نفوذها على تلك الربوع.

التنظيم الداخلي في الفرات

ورأى زعماء النجف وعلماؤها بعد ما دارت رحى القتال وجلا الإنكليز عن البلاد أنه لا بد لهم من تنظيم الشؤون الداخلية، فبدأوا فأنشأوا مجلسا بلديا للنجف هذه أسماء أعضائه:

الحاج عبد الرزاق شمسه والشيخ عباس شمسه وحسين الظاهر وكردى عطية أبو طلل والسيد سعيد كمال الدين.

وكان في مقدمة مهامه جمع الرسوم والضرائب المحلية، والإشراف على الشؤون الصحية وأنشأوا أيضا كتيبة من الدرك للمحافظة على الأمن، وأنشأوا أيضا حكومة محلية تتألف من هئتين: هيئة أعضاء مجلس الإدارة وهم: الشيخ جواد الجوهري رئيسا، وعبد المحسن شلاش ناظر المالية، والسيد مهدي السيد سليمان رئيس القوة الإجرائية، وهيئة القوة التنفيذية وتتألف كما يأتي:

السيد مهدي السيد سليمان والحاج حسون شريه والحاج حسين الظاهر وكردى عطية أبو طلل والحاج محمد البرشاوي والحاج عبد الله الشمرتي وعنيدان عدوه والسيد على جريو.

وكانت هناك هيئة خاصة لإدارة شؤون الأسرى البريطانيين تتألف من: الشيخ عبد الكريم الجزائري وعبد المحسن شلاش، وهادي الجوده كاتب الارزاق، والشيخ عبد الحسين الحلي سكرتيرا. أما الهيئة العلمية الدينية العليا التي كانت تشرف على شؤون الثورة وتديرها فكانت تتألف كما يأتي:

الشيخ فتح الله الشريعة والشيخ جواد الجواهرى والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ مهدي والشيخ ملا كاظم والشيخ إسحق آل حبيب الله والشيخ موسى تقى والشيخ مشكور الحولالى والشيخ عبد الرضا الشيخ راضى والشيخ على الحلى والسيد محمد على بحر العلوم

والسيد على السيد حسين وعبد المحسن شلاش، وكانت الرئاسة العليا لشيخ الشريعة الأصبهاني، وقد خلف المرحوم العلامة الشيرازي فقد انتقل إلى رحمة ربه يوم الثلاثاء ٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٨ الموافق ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٠ أي بعد اعلان الثورة بخمسين يوماً.

وأنشئت أيضاً حكومة وطنية فى كربلاء يشرف عليها مجلس قوامه السيد هبة الدين الشهرستاني والسيد أبو القاسم والشيخ أحمد الخراساني وعين السيد محسن أبو طيخ متصرفاً لكربلاء.

وتولى السيد علوان الياسرى والشيخ عبد الواحد رئيس قبيلة الفتلة إدارة دفعة القتال بين الهندية وكربلاء، وكانا يتوليان بالاشتراك قيادة الجموع المحاربة. وتولى السيد قاطع العواد قيادة القوى المحاربة حولة الحلة. ويقدر ما أنفقه السيد علوان الياسرى والسيد نور آل السيد عزيز والشيخ عبد الواحد بثلاثين ألف جنيه على تموين الثورة، وتدارك لوازمها واستمالة بعض العناصر لتأييدها. ومما يستحق الذكر أنهم كانوا يرسلون الأموال من الفرات إلى بغداد لإنفاقها فى تنظيم المظاهرات، وتنشيط الحركة الوطنية فيصل صدق ما يقع على ضفاف دجلة إلى الفرات فيتحمس الناس وينضمون إلى العاملين للاستقلال ويشدون أزرهم. وتولى الشيخ محمد باقر الشيبى الكتابة للثورة فكان يصدر مناشير يومية يذيع فيها أخبار القتال فى شتى مناطقه. وسير الحركة ويدبج المقالات الوطنية النافعة المفيدة. ومما جاء فى منشور أصدره يوم ١٤ ذى القعدة قوله:

- إن الوطن الذى ألزم كل فرد منكم الدفاع عنه يلزمكم أيضاً أن تراعى الشروط الآتية.
- ١ - يجب على كل رئيس قبيلة أن يفهم كافة أفرادها أن المقصود من هذه النهضة إنما هو طلب الاستقلال التام.
 - ٢ - أن يهتف للاستقلال كل من فى ميادين القتال.
 - ٣ - يجب تأمين الطرق وحفظ المواصلات بينكم وبين مناطق الثورة فى البلاد.
 - ٤ - يلزم التمسك بالنظام وتديبير الحركات، ومنع الاعتداءات. فلا نهب ولا سلب ولا ضغائن قديمة ولا أحقاد.
 - ٥ - من الواجب بذل الهمة لحفظ الرصاص. فلا يجوز إطلاقه فى الهواء بدون فائدة.



الاسرى البريطانيين الذين وقعوا بيد الثوار العراقيين



الملك فيصل مع فريق من رجال الثورة العراقية بعد وصوله الى العراق

- ٦ - يجب الاعتناء بالأسرى ضباطا أو جنودا إنكليزا أو هنودا .
 - ٧ - يجب إبقاء أدوات التلغراف والتلفون وحفظ الأعمدة فإن في حفظها منافع عظيمة للأمة .
نعم يجب قطع الأسلاك البرقية إلى حد تنقطع معه مخابرات الحكومة المحتلة .
 - ٨ - يلزم الاهتمام بقلع السكك الحديدية، ولاسيما نسف الجسور والقناطر التي يمر منها القطار .
 - ٩ - يجب الاحتفاظ بما يقع تحت أيديكم من عربات النقل والسيارات والمراكب .
 - ١٠ - يجب حفظ المدافع والرشاشات، ولا يجوز تخريب آلاتها أو توزيعها مطلقا . لأنها من أكبر وسائل الفوز وأعظم وسائل النصر .
 - ١١ - يلزم حفظ الذخيرة المغتمة كالرصاصة والقذائف والقنابل وسائر أنواع البارود .
 - ١٢ - إذا أسقطتم مدينة أو قرية فلا تتركوها منحلة . بل الواجب ترتيب حكومتها الموقته .
 - ١٣ - لا تهدموا محلات الحكومة وأبنيتها إلا إذا كانت معقلا، ولا تلتفوا أثاثها لاحتياجكم إليه في المستقبل .
 - ١٤ - حافظوا على المستشفيات وكافة أدواتها وأجزائها .
 - ١٥ - ارفقوا بجرحى خصومكم الساقطين في الحرب . فلا شيء يستحق الرفق والعطف مثل الجريح الذي يعاني من ألم جراحه ما يدمى القلوب ويبكى العيون .
- وأنشأ الشيخ محمد باقر جريدة الفرات «أسبوعية» لتأييد الثورة ولم يصدر منها سوى خمسة أعداد، وأصدر السيد محمد عبد الحسين جريدة الاستقلال في النجف لتأييد الثورة ولم ينشر منها سوى ثمانية أعداد .

العودة إلى المفاوضات السلمية

واغتتم السير أرنولد ولسن الحاكم العام فرصة وفاة المغفور له الإمام الشيرازي وتبوء شيخ الشريعة الأصهبهاني الزعامة الدينية للشيعفة الإمامية فأرسل إليه يهنئه بما ناله ثم عززه يوم ٢٧ اغسطس بالكتاب الآتى، وكانت الثورة فى أشد انتشارها وفوزها قال:

إلى حجة الإسلام شيخ الشريعة الأصبهاني.

حضرة العلامة الفهامة حجة الإسلام والمسلمين آية الله في العالمين شيخ الشريعة الأصبهاني، دام علاه.

بعد إهداء السلام والتفقد عن صحة ذاتكم الشريفة. تؤمل أن كتابنا الذي أظهرنا فيه إحساساتنا الودية وتبريكاتنا الصميمة بتقلدكم هذا المقام المنيع والشرف الرفيع الذي أنتم حائزون عليه الآن قد وصلكم سالماً. ولكن في الحقيقة ونفس الأمر أن المقام الرفيع يستوجب التعزية والتسلية لا التبريك والتهنئة. وخصوصاً في هذه الأيام نظراً إلى المصائب التي انتابت العراق وسائر أبنائه، وكان هذا من آراء سلفكم المرحوم العلامة المبرور الميرزا محمد تقي الشيرازي طاب ثراه، الذي كما هو معلوم لدى العموم عبر في إحدى مفاوضاته الأخيرة عن رغبته في عقد الصلح بين الحكومة والملة واجتتاب سفك الدماء وإزهاق النفوس. ولا يمكنني أن أشك أن الذات الممتازة بصفات الإنسانية والتقوى كحضرتكم لا بد أن تشعر بهذا الشعور السامي. وأما من جهة الحكومة فكما هو المعلوم في أقطار العالم أن الحكومة الإنكليزية المعظمة قد اعتمدت دائماً على الأركان الثلاثة. وهي الرحمة والعدل والتسامح الديني، ومن قبل أن تقع الحرب العظمى كان للدولة الإنكليزية التي شعارها المسالمة جيش صغير للدفاع عن نفسها. فلما أسرع الترك والألمان بالهجوم على بريطانيا العظمى قامت الأمم الساكنة في الممالك الإنكليزية قومة واحدة ودخل أبنائها في صفوف الجيش.

ولما انكسر العدو شر كسرة، ووضعت الحرب أوزارها كان للدولة الإنكليزية جيش جرار عدده خمسة ملايين. منتشراً في بلاد العدو، وفي العالم بأسره، ولما انتهت المنازعات بادرت إنكلترا إلى تسريح جنودها فرجعوا إلى منازلهم وأوطانهم، وعادوا إلى الحياة السلمية فنقض بذلك عددهم نقصاً كبيراً. على أنه يمكن حشد هذا العدد العظيم مرة أخرى إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

وأما من جهة ثروة الدولة الإنكليزية وسائر مواردها. فلا يجب أن أبسط ما هو ظاهر كالشمس في رابعة النهار. فأهل العراق قبلوا الدولة الإنكليزية، وكانوا مسرورين من بقاء جيوشها في هذه البلاد لما غلبت الترك، ولما رأى بعض المفسدين والمغرضين أنها بدأت بتخفيض جيشها قاموا يشوشون الأذهان، ويهيجون الأفكار. فظهرت الحالة الحاضرة التي توجب الأسف، وما هي الحالة الآن؟ هي إن العشائر العراقية في حالة حرب قوية. ولكن عددها

قليل ولا تملك من الدراهم إلا الأقل، وليس لها وسائل لاختراع الآلات الحربية كالمدافع والبنادق والرصاص، ولا يمكنها أن تحصل على المساعدة من الخارج، وإذا لم ترجع إلى زراعتها فإنها ستلتف وتموت جوعاً. ما قد بذل العرب حتى الآن ما فى وسعهم من الجهد، ولا يمكنهم أن يأتوا فوق ما عملوا. وهم يرون رأى العين أن قواتهم مائلة إلى الزوال بعكس الحكومة، فإن قوتها كانت فى مبدأ الأمر قليلة فضايقتها العشائر بعض مضايقة. أما الآن فإن البواخر ترد كل يوم إلى البصرة حاملة العساكر والمدافع والقنابل والبنادق والرشاشات والنخائر الحربية وسائر ما يلزم للأعمال العسكرية. وإذا اقتضى نظركم الشريف أن تبعثوا معتمداً إلى بغداد لكى يشاهد هذه الأشياء بعينه فإننا نرحب به وترجعه سالماً آمناً من دون تأخير.

والخلاصة أن النتيجة النهائية معلومة، فسفك الدماء لا يدوم وستجازى الحكومة البريطانية عملاً بقواعدها بعض المشايخ وغيرهم من الذين ضلوا الناس - وأسماؤهم معلومة عندي كما هى معلومة لديهم - ولا ريب أن فضيلتكم تعرفونهم أيضاً. ولا حاجة إلى ذكرهم هنا ولكن لا خوف على غيرهم ولا على عامة الناس، بل يمكنهم أن يرجعوا إلى أوطانهم ومنازلهم آمنين وستسلم نفوسهم، وكما لا يخفى على فضيلتكم أننى بالنسبة لخطورة المسألة عينت الكولونيل هاوول ناظر المالية نائباً عنى ليدخل فى المفاوضات والمراسلات التى لا بد أن تجرى قبل أن تنتهى المنازعات، وبما أن حضرتكم مشغولو البال فى الأمور الدينية والمسائل الروحانية على الاغلب. نرجوكم أن تعينوا معتمداً أو معتمدين ليجتمعا به فى مكان يتفق عليه، ويبحثوا معه هذه المسائل المهمة. وفى الختام نبلغكم احتراماتنا الوافرة، وتحياتنا الصميمة والسلام. فرد عليه الشيخ يوم ١٥ سبتمبر بالكتاب الآتى:

«حضرة الحاكم الملكى العام ببغداد

استشعرنا من إلقاء طياراتكم فى عدة أماكن صورة كتابكم إلينا مضافاً إلى طبعه فى جريدة العراق اهتماماً بوقوفنا عليه، وطلبنا لجوابنا عنه. ومن الغريب أن كتابكم هذا سبق جوابه منا. قبل أن تحرروه بمدّة طويلة. مرة بعد أخرى بثنتنا نصائحنا فيها وأنذرناكم قائلين لكم تداركوا الأمر قبل خروج علاجه عن مقدرتنا. ولاشك أنكم تعلمون أن تداركه بإعطاء العراقيين حقوقهم التى طالبوكم بها مطالبة سلمية فأبيتم إلا اغتصابها وجعلتم أصابعكم فى أذانكم حذراً من أن تسمعوا مطالباً بها، وأخذتم بعد الوعود بالوعيد وبعد التأميل بالتضليل

الثورة فى مرحلتها الختامية

بعد ما تم للسلطة اخضاع الثوار فى منطقة ديالى وفى أعالى الفرات التفتت إلى الفرات الأوسط، وكانت قد تلتقت فى خلال هذه الفترات نجدات كبيرة من الهند. فزحف الآلاى ٥٣ يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٩٢٠ على بلدة طويريج فاحتلها فى اليوم نفسه بعد قتال عنيف خسر فيه ٢٠ قتيلًا. وحاول الثوار أن يحرقوا جسر البلدة عند انسحابهم فصدتهم القوى المهاجمة فتحصنوا ببعض المنازل المطلة على الفرات وأطلقوا النار من كواتها على العدو. إلا أنه دخل المدينة وأكرههم على مغادرتها بعد ما لحقت بالأبنية أضرار جسيمة.

ولم ير أهل كربلاء بدا من التسليم بعد ما سقطت طويريج فى يد الإنكليز فأرسلوا وفدا إلى مقر قيادة الآلاى عرض خضوعهم فامر بالسفر إلى بغداد لمقابلة المندوب السامى فسافر وعندما حضر فى ديوانه تليت عليه الشروط التى فرضتها الحكومة وهى.

١- تسليم سبعة عشر شخصا فى خلال ٢٤ ساعة للمحاكمة. لأن هناك أسبابا تبعت على الاعتقاد بأنهم مجرمون.

٢- على أهالى كربلاء أن يسلموا فى مدة ثلاثة أيام أربعة آلاف بندقية مع كل واحدة مائة طلقة، ويجب أن يكون نصف البنادق من طراز حديث والنصف الآخر صالح للاستعمال. وإذا لم تقدم البنادق فيدفع ٢٠ ليرة عثمانية عن كل بندقية صالحة للاستعمال، وروبية عن كل رصاصة لا تسلم.

٣- إرجاع الأموال العائدة إلى الحكومة، ودفع تعويض عن الخسائر التى لحقتها وسيقدر مبلغ التعويض ويبلغ.

٤- الطاعة لأوامر الحكومة.

٥- أن لا يقبلوا لاجئا فارا من وجه العدالة.

٦- إذا لم ينفذ الشرطان الأول والثانى فى المدة المعينة، ولم يقدم سبب معقول فالسلطة العسكرية تتخذ التدابير اللازمة للتنفيذ.

فقبل الوفد الشروط ونفذت فعلا وسلم المطلوبون^(١)

وزحف الآلاى ٥٥ يوم ١٦ منه لاحتلال الكفل ولما بلغها نصب فيها جسرا للعبور إلى الكوفة فهاجمه الثوار وحاولوا منعه من إنشائه فلم يفوز فارتدوا واستمرت الحملة فى زحفها حتى وصلت إلى مكان قريب من الكوفة فقضت فيه ليلتها وفى الصباح شرعت فى الزحف فقاومها الثوار مقاومة شديدة واستقتل الفريقان فى معركة حامية انتهت بفوز الآلاى ودخوله الكوفة وإفراجه عن حاميتها المحصورة وقد بلغت خسارتها زمن الحصار ٢٢ قتيلًا بينهم الكابتن مان حاكم الحميدية وضابط آخر.

وأرسلت النجف مفوضين إلى الكوفة قابلوا قائد الآلاى ٥٥ للبحث فى شروط التسليم فاضطرهم إلى توقيع عهد مفاده أنهم يسلمون بلا قيد ولا شرط، وأنهم مستعدون لقبول ما تفرضه الحكومة من الشروط التى ترى أنها ملائمة للمصلحة. وأطلق على الفور سراح الأسرى الإنكليز الذين كانوا فى قبضة الثوار وهم ٧٩ أسيرا بريطانيا و٨٩ أسيرا هنديا فنقلوا إلى الكوفة وجميعهم بصحة جيدة، وقد أثنى بلاغ بريطانى رسمى على المعاملة الحسنى التى عامل بها النجفيون الأسرى.

وتقدمت حملة بريطانية أخرى لاحتلال السماوة فبلغتها مساء ١٣ منه وشرعت بمهاجمتها صباح ١٤ فتحصن الثوار فى غابات النخيل وقاوموا مقاومة شديدة، ولكنهم اضطروا إلى مغادرتها فى المساء بعد قتال عنيف فدخلتها الحملة فى الصباح، وانسحب الثوار إلى جسر السوير الواقع بقرب الإمام عبد الله فربطوا فيه.

وهال الزعماء ما لحق بالثورة من فشل فى هذه المناطق فأخذوا يجمعون جموعهم

(١) هذه أسماء الذين سلموا:

هبة الدين الشهرستانى والسيد حسين القزوينى والسيد محمد الكشميرى والشيخ يحيى والسيد عبد الحسين الدره والسيد عبد الوهاب الوهاب وطلیح الحسون وشمس القزوينى ورحمن العواد وحمودى الصليلى وعباس البرغش وروكان.

واعتقلت السلطة فى الحلة كلا من:

الشيخ جواد الجواهرى والسيد محمد رضا الصافى وعبد المحسن شلاش والشيخ حسن ابن شيخ الشريعة والسيد عزيز الله وهم من أهالى النجف.

واعتقلت فى الكوفة: الحاج نجم العبود وحاج أمين كرماشه وعبد الرسول تويج.

واعتقلت فى الشامية: الشيخ عبد الواحد الحاج سكر والشيخ عبد الكاظم والشيخ السيد هادى زوين والشيخ عمران الحاج سعدون والشيخ سماوى الطوب والشيخ على المزل ومحسن أفندى من رؤساء عشيرة بنى حسن. وكان ضابطا فى الجيش البريطانى ثم التحق بالثوار.

واعتقلت فى الحلة: سلمان البراك وإبراهيم السماوى رئيس عشيرة خفاجه ومنوخ رئيس عشيرة خفاجه وشريف وعبود العنيد من رؤساء عشيرة الجبور وبوهان الدين من رؤساء عشيرة الجبور وفرحان الدين من رؤساء عشيرة الجبور.

ويستعدون للمقاومة فى الشامية. فحفروا الخنادق والحصون وكانت الطائرات الإنكليزية تغاديهم وتراوحهم كل يوم وتلقى عليهم الديناميت والقنابل، ولم يرعهم سوى إسراع سلمان العبطان ومحمد العبطان إلى مقر قيادة الآلى ٥٥ واستسلامهما بدون قيد ولا شرط فأعلن العفو عنهما فوراً واقتفى أثرهما فى التسليم جماعة من كبار الشيوخ فحوكم بعضهم وأطلق سراح آخرين ونفى غيرهم. ولما وصلت الحالة إلى هذا الحد غادر بعض الزعماء العراق إلى الخارج فقصده السيد محمد الصدر ويوسف السويدى دمشقى وسافر جعفر جلبى أبو التمن والسيد علوان الياسرى والسيد نور والسيد عزيز والسيد محسن أبو طبيخ ورزوق العواد ورايح العطية وعلى البزركان وعبد الرزاق الهاشمى وعلوان الحاج سعدون إلى الحجاز.

والقبيلة الوحيدة التى صمدت ولم تستسلم هى قبيلة البوجحيم. فقد تحصن رجالها بمراكزهم قرب الإمام عبد الله (الرميثة) وكانوا يتبادلون الرصاص كل يوم مع الإنكليز. وأخيراً أوفدت السلطة مندوباً لمفاوضتهم بالتسليم فوافقوا على إرسال مندوب منهم إلى السماوة وبينما كان يتداول مع قائد القوة البريطانية فى الشروط أصدر هذا أمره بالهجوم على القبيلة فثبت رجالها وقاوموا مقاومة عنيفة وأفلحوا فى صد الهجوم واحباطه.

واستؤنفت المفاوضات بعد ذلك وتم الاتفاق على الشروط الآتية:

- ١- أن تكون للعراق حكومة عربية مستقلة.
- ٢- ان لا يطالب عرب البوجحيم بشىء خسرتة الحكومة فى أثناء الثورة عدا ما تراه أعين رجال الحكومة باقيا فى أيديهم.
- ٣- أن لا يؤدوا شيئاً من الضرائب عن سنة ١٩٢٠ لانهم لا يستطيعون دفعها بسبب ما لحقهم من الأضرار الفادحة من جراء الثورة.
- ٤- أن يتعهدوا بالمحافظة على السكة الحديد التى تمر بأرضهم.
- ٥- أن يتعهدوا بتوطيد الأمن وحماية السلم فى جميع أراضيهم.
- ٦- أن يسلموا إلى الحكومة ٢٤٠٠ بندقية.

وفى يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٠ وقع على هذه الشروط، وبذلك انتهت الثورة.

عهد الانتقال

أسباب فوز الثورة العراقية

اتسع نطاق الثورة العراقية، وفاز رجالها فوزاً مبيناً في ابتداء عهدها، فاستولوا على معظم مدن الفرات وحواضره. كما فازوا في منطقة ديالى وبسطوا عليها نفوذهم وطاردوا الإنكليز وأسروا جانباً من ضباطهم وجنودهم، بينما كان الفرنسيون يدعون بناء الدولة الجديدة في بلاد الشام، وهي الدولة التي أحاطها العرب بثقتهم وتأييدهم، والتفوا حولها واتجهوا بقلوبهم إليها.

وأسرع الإنكليز فأذاعوا نبأ هذه القاصمة في العراق وطلبوا وزمروا، وكتبوا ونشروا وظنوا أنها لابد موهنة قوى الثوار، وكانوا يتجهون نحو دمشق، ويستمدون منها العون الأدبي، ومعجلة في القضاء على الثورة وإخمادها. ولكن ساء فألهم وخابت آمالهم. فقد زاد ما وقع الثورة ضرماً، والثوار إقداماً، فشددوا عليهم وضيقوا. ولولا نجدات قوية استقدموها من الهند وإيران على جناح السرعة، وحشدوها في ميادين الثورة لتقلص ظلهم عن العراق، ولفقدوا كل نفوذ في أرجائه.

وقد يعجب بعضهم لهذا التباين العظيم بين حركة دمشق وحركة بغداد، وقد تشأتا في زمن واحد، وأنبتتنا عن أصل واحد، وقامتاً لغرض واحد، فتلك ترمي إلى تحرير سورية وتحقيق وحدتها واستقلالها، وتلك ترمي إلى منازلة الإنكليز حتى يفيئوا إلى الحق والصواب، وينفذوا العهود التي قطعوها للعرب باستقلالهم وحريرتهم - ولا نرتاب في أنه لو وفق الثوار السوريون إلى إدراك الفوز الذي أدركه إخوانهم العراقيون في أيام الثورة الأولى، لتبدل الموقف في دمشق وفي بغداد أيضاً، وكانت النتائج غير ما رأينا، ولكن ما العمل. وقد كانت الضربة شديدة مهد لها الفرنسيون واختاروا الزمن الملائم لضربها. فقد اشتد التنافس بين رجال الحكومة الفيصلية وقادتها، هذا يقول بالدفاع وذاك يقول بالتسليم، وهذا يعلق الاشتباك بالمعركة على تأييد الإنكليز العاجل. وهذا يقول بالاعتماد على الطليان، وهكذا تفرقوا بددا فنكبوا وهزموا ونفذ المقدور، ونكب العرب شر نكبة في تاريخهم الحديث.

فاتحاد سكان الفرات قلبا وقالبا وانقيادهم إلى زعمائهم ورؤسائهم، وانقياد هؤلاء إلى شيوخ الدين وعلمائه، واعتقاد هؤلاء وهؤلاء منذ الساعة الأولى بأن القوة هي الوسيلة الوحيدة لاسترجاع الحقوق وبلوغ الأمانى هو الذى صان للثورة العراقية مقامها، وحفظ لها جمالها وجلالها، وضمن لها ادراك ما أدركته من نتائج باهرة، بيضت وجه العرب، وخففت من ألامهم، ولا ترتاب فى أنه لو سارت الأمور فى سورية على هذا المنوال، واتبع القوم منذ الساعة الأولى خطة معينة، عملوا لتنفيذها وأعدوا المعدات لتحقيقها، لاتقوا الكارثة، وكان ربح العرب من حركتهم أعم وأجزل.

هذا من جهة واحدة، أما من الجهة الأخرى فإن حركة العراق كانت موضعية بالنسبة لحركة الشام. ولولا ما حدث فى دىالى، لقلنا إنها فراتية، فقد وقف شمالي العراق كله على الحياد، ولم يشترك فى عمل إيجابى، اللهم إلا تلك العصابات التى قادها الضباط العراقيون، وجاءت من دير الزور قبيل الثورة ثم سكنت فى إباتها، ولجأت بغداد إلى السكون بعد ما ضرب الإنكليز ضربيتهم يوم ١٣ أغسطس ومنعوا المظاهرات، وطاردوا الزعماء، وقد لجأ بعض هؤلاء إلى الفرات واشتركوا فى ثورته وفى مقدمتهم السيد محمد الصدر ويوسف السويدى وجعفر جلبى أبى التمن ومحمود رامز وعلى البرزكان. وانضم بعض الضباط إلى الثورة واشتركوا اشتراكا فعليا، وأدوا لها أجل الخدمات. والإنكليز الذين درسوا شؤون الثورة العراقية مجمعون على أنها كانت منظمة.

ووقفت البصرة على الحياد فى معظم الأدوار التى مرت بها حركة الجهاد الوطنى. ولعل منشأ ذلك كثرة طوائفها وعناصرها، وبديهي أن مثل هذا الانقسام لم يكن موجودا فى سورية فقد وثقت الأمة بحكومتها، والتفت حولها ولم تبخل عليها بشيء من مال أو رجال، ولو تيسر للعراق ما تيسر لسورية، وكان أهل العراق فى أول الأمر ينجون نهج السوريين ويستمدون منهم العون والقوة، ولم تبخل سورية على العراق بشيء فى تلك الأيام العصبية، مما سنعود إلى بسطه وتفصيله لكان فوزهم أعظم، فقد كانوا يقاتلون - والبنديقية سلاحهم الوحيد - جيشا قويا مسلحا بأحدث معدات القتال وأدوات الهلاك والدمار. فمن طائرات إلى دبابات إلى قطارات مدرعة إلى مدفعية قوية إلى رشاشات، مما لم يتسن للعراقيين الحصول عليه فى أزمته تلك، وكان بعض هذه المعدات متوفرا عند حكومة دمشق، وكان فى استطاعة رجالها الحصول على كل ما يحتاجون إليه لو فكروا فيه من قبل، وأعدوا المعدات اللازمة للدفاع فى

خلال ثمانية عشر شهرا .

ولئن كتب العراقيون فى ثورتهم هذه صفحة خالدة فى تاريخ البطولة، ونالوا من انكترا كل ما يمكن نبيله، وما كانت تنوى أن تحدث حدثا أو تغيير وضعا فى بلادهم، لولا قيامهم فى وجهها ومنازلتهم لجيوشها، فالسوريون لم يقصروا فى البذل والإنفاق، وإذا كان هنالك تبعة فلا يحملها الشعب السورى. بل يحملها أولئك الذين تربعوا فى مناصب الحكم من يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩١٨ حتى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٣٠ لا فرق بين عهد وعهد، ووزارة ووزارة، وطبقة وطبقة، وحزب وحزب، وجمعية وجمعية. فالتبعة لاحقة بهم جميعا، وهم مسؤولون عن كل فشل وإخفاق.

وهناك من يعتقد أن فاجعة الشام كانت درسا مفيدا لزعماء العرب ورجالهم، فقد مزقت الحجب التى كانت مسدولة على أبصارهم فرأوا الحقائق فنهجوا نهجا جديدا فى معالجة القضية العراقية. والواقع أنه ما كاد الملك فيصل يغادر دمشق حتى ظهرت فى دوائر السياسة البريطانية فكرة ترمى إلى الاستعانة بنفوذه ومقامه فى تسكين الثورة العراقية، وفى انشاء حكومة وطنية فى بغداد بعد ما ظهر فساد النظام الذى أنشأوه وتبين بطلانه.

وسعى الفرنسيون إلى مقاومة هذه الحركة والوقوف فى وجهها، وحمل انكترا على العدول عنها، ولكنهم ما لبثوا أن سكتوا مرغمين لما تبينوه من إصرارها وثباتها. وسنبرسط فى الصفحات الآتية الأدوار التى مرت بها هذه الحركة، فنرافق الملك فيصل فى رحلته من حيفا إلى بورسعيد فكومو فلندن، ثم نرافقه إلى القاهرة فجده فمكة، ونواصل السير معه إلى البصرة فبغداد ونشهد إنشاء الدولة العربية الجديدة فى عاصمة العباسيين وندون أخبارها. فهى جزء ثمين من بحثنا التاريخى.

الملك فيصل فى حيفا

وصل جلالة الملك فيصل إلى حيفا مساء أول أغسطس سنة ١٩٢٠ قادما من درعا ودمشق فاستقبله ولاة الأمور البريطانيين استقبالا رسميا، ونزل فى فندق الكرمل على حسابه الخاص وأبرق إلى والده يطلب منه ارسال مبلغ من المال يستعين به فى رحلته إلى أوروبا - ولم يك يملك شيئا - فأرسل إليه حوالة برقية على البنك العثمانى بخمسة وعشرين ألف جنيه تسلمها - ويقال إن ستانتون باشا حاكم حيفا يومئذ حاول إقناعه بعدم السفر إلى أوروبا والعودة إلى الحجاز فأبى ذلك، وأزمع الرحيل فى صباح يوم ١٨ منه فرافقه عدد من رجاله، ولما بلغ الرملة جاء السير هربرت صموئيل المندوب البريطانى السامى لفلسطين مسلما، ووصل فى المساء إلى بورسعيد وغادرها يوم ٢٤ منه إلى أوروبا بعد ما أذيع أنه يسافر إلى لندن لشكر جلالة ملك الانكليز على الهدايا التى أهداها إلى والده، وأرسلت بواسطة اللورد اللنبى، وفى يوم ٣١ منه نزل فى ميلانو وأعلن فيها «أنه مصمم على الدفاع عن قضية سورية» وقد رافقه فى سفره هذا: إحسان الجابرى وساطع الحصرى وتحسين قدرى.

وكان المفهوم أنه سيقصد لوسرن لمقابلة المستو لويد جورج، ولكن اعلان هذا بأنه غير قادم إليها جعل الملك يعدل عن زيارتها، وقصد بلدة كومو فى إيطاليا وأقام فيها.

وزاره فيها الجنرال حداد باشا مندوبه فى لندن، وكان يعمل فى خلال هذه الفترة بالاشتراك مع لورانس وبعض أنصار العرب لحل المشكلات القائمة بين هؤلاء والطفاء، وإنشاء تفاهم بين الملك فيصل وفرنسا خاصة.

وزار المسيو بريان وهو رئيس للوزارة الفرنسوية لندن فى أواخر سنة ١٩٢٠ لمفاوضة الحكومة البريطانية فى بعض الشؤون الدولية، فديرت التدابير لدعوة حداد باشا إلى دوتنج ستريت (دار رئاسة الوزارة) حينما يزورها المسيو بريان للاجتماع برئيس الوزارة البريطانية وجاء فى الوقت المعين، ودعى إلى مقابلة الوزير البريطانى الأكبر. فاغتنم هذا الفرصة وأثار مسألة الملك فيصل. فاحتد المسيو بريان، وقال انه غير مستعد للتفاهم معه بوجه من الوجوه. لأنه حارب فرنسا وأهانها.

فرد عليه حداد باشا قائلاً: انه بصفته جندياً من جنود الملك فيصل لا يسعه أن يسمع مثل هذا الوصف يوصف به مليكه، وأراد الانسحاب احتجاجاً. فتدخل المستر لويد جورج واستبقاه وبعد أخذ ورد دعى المسيو بريان حداد باشا إلى زيارته في باريس لبحث المشكلة من جديد، ولم يتح لهذا السفر لان الوزارة الفرنسية لم تعمر طويلاً بعد ذلك. فقد سقطت في شهر يناير ١٩٢١. على أن الإنكليز اعتبروا دعوة حداد باشا إلى زيارة باريس دليلاً على ميل فرنسا إلى استئناف العلاقات الودية مع الملك فيصل، وإلى تناسي الماضي فدعو الملك إلى زيارة عاصمتهم فجاءها يوم أول ديسمبر سنة ١٩٢٠ فاستقبله في المحطة السير إدوارد ولنجتن باسم ملك انكلترا مع مندوبي الوزارات، ونزل في أوتيل كلاردج، وفي يوم ٣ منه قصد إلى قصر بكنجهام لمقابلة الملك فاستقبله حين وصوله اللورد كرزن وكبار رجال البلاط ثم قابل الملك، وتلا خطاباً شكره فيه على الهدايا التي أرسلها إلى والده، وأعرب عن ولاء بيت الشريف للملك جورج وعن رجائه في أن تظل علاقات العرب والبريطانيين على ما يرام لخير الشعبين. فرد عليه الملك معرباً عن سروره الكثير بمشاهدته، وكلفه أن يبلغ والده شكره وحسن تمنياته.

أعماله في لندن وتدخله في قضية العراق

واستأجر الملك منزلاً خاصاً أعد لاقامته في لندن، وأفضى يوم ٦ ديسمبر إلى صحافي إنكليزي بحديث تكلم فيه عن القضية العراقية. فكانت المرة الأولى التي تعرض فيها لشؤون العراق، ومما قاله: «إنني كبير الأمل بنجاح السير برسي كوكس في المهمة التي نذب لها في العراق، وهو يمثل أفضل نوع من رجال الإدارة البريطانيين، وقد اشتهر عند العرب بالعدل وسيوفق إلى كثير من الأعمال الطيبة. ولكن ذلك يستغرق زماناً يذكر. وقد كان العرب من أعظم أصدقاء بريطانيا، وإنني واثق بأن السير برسي كوكس سيفعل كل شيء لإجابة رغائبهم. «لقد نشأت ثورة العراق عن سوء تفاهم. فالعرب لم يفهموا مقاصد بريطانيا. فقد فرضت عليهم نظاماً من الحكم يتجاوز في بيروقراطيته نظام الحكم في الهند. فبدلاً من أن يرى العرب الحكومة الأهلية التي وعدوا بها شاهدوا الموظفين البريطانيين في كل مكان وفي كل دائرة من دوائر الأعمال. نعم إن بين العرب زعماء كثيرين ما ارتابوا قط في نيات إنكلترا، وأنا أشهد للبريطانيين بالنزاهة وشفرف القصد ومكارم الأخلاق. ولكن لا ينتظر أن يدرك عامة الشعب ما يدركه زعمائه. أضف إلى هذا أنه حدثت في بعض الأحيان أمور استبد فيها بعض الضباط

والموظفين فأضرم هذا نار الاستياء، وأخذ العرب يظنون أن هذا النظام سيظل إلى ما شاء الله.

«وعلاوة على ذلك أن البريطانيين ما اتخذوا قط شيئاً من التدابير لإحباط الدسائس التي كان أعداؤهم يدسونها لهم. فكان من جراء ذلك ما نشاهد من هذه الحالة التي يؤسف لها».

احتجازه على صكوك الانتدابات

ولما نشرت صكوك الانتدابات على سورية وفلسطين والعراق أرسل يوم ٢٧ فبراير سنة ١٩٢١ الاحتجاج الآتى إلى السير أريك درمند السكرتير العام باسم والده الملك حسين قال:

«إن العرب قبل أن يحوضوا الحرب تلقوا وعدا من بريطانيا العظمى بنيل استقلالهم، ولم يرد حينئذ ذكر الانتداب على الإطلاق. فلما نص فى معاهدة فرسايلى على الانتداب أبى الملك حسين أن يبرمها. وأن الملك حسيناً يأسف لأن بلاده ليست عضواً فى جمعية الأمم التى ينظر إليها العرب بعين الارتياح، وإن دول الحلفاء نذبت أنفسها للبلدان العربية من غير أن تراعى نصوص العهد الذى قطعته. ثم إن الحوادث التى حدثت فى البلاد العربية منذ عقد الهدنة لم تك مما يبده شكوك العرب فى نيات الحلفاء. أما الآن، وقد نشرت صكوك الانتداب فليس فيها ما ينشط العرب على إبرام المعاهدة أكثر من قبل.

قال «وقد أمرنى والدى بتقديم احتجاج رسمى، ورجائى أن لا توافق جمعية الأمم على هذه الانتدابات قبل أن تستشير الملك حسيناً. الذى قاد العرب فى أثناء الحرب وشده أزر الحلفاء، وأن لا تنشر صكوك الانتداب رسمياً قبل أن تقف على رغائب أهالى الولايات التى تشملها، وذلك عملاً بالمادة ٢٢ من عهد الجمعية».

مذكرته إلى مؤتمر الشرق

وعقد وهو فى لندن مؤتمراً دولياً فى خلال شهر مارس سنة ١٩٢١ للنظر فى مشكلات

الشرق وحلها، فانتدب حداد باشا لتمثيله فيه فذهب وألقى البيان الآتي:

خاص العرب الحرب إلى جنب الحلفاء، وقد وضعوا نصب أعينهم أغراضا جليلة معينة فطمحوا إلى نيل استقلالهم، واسترجاع منزلتهم كشعب حر قابض على زمام مصيره. ولكن جلالة والدى الملك حسين لم يقدم على هذه المهمة الشاقة المفعمة خطرا، وهى مهمة القيام على رأس الثورة العربية إلا بعد أن قطعت له حكومة جلالة الملك العهود والمواثيق بأن يجنى العرب من النتائج والفوائد ما يتكافأ مع المخاطر التى يستهدفون لها، والتضحيات التى سيضحونها، وقد تضمنت هذه المواثيق وعدا صريحا باستقلال البلاد المحدودة بخط يمتد من الإسكندرونة تابعا دائرة العرض ٣٧ إلى حدود فارس ومنها إلى خليج فارس. أما من الغرب فقد جعل الحد البحر الأحمر وشبه جزيرة سينا والبحر المتوسط. واستثنت الحكومة البريطانية بعض أمور سلم والدى بها، وطلب أن يحال ما بقى من الاستثناءات، وهى تشمل جانبا صغيرا من هذا المجموع إلى المفاوضات بعد الحرب. ورأى والدى أن هذه العهود تكفل الوحدة والاستقلال للبلدان التى ينطق أهلها العربية فى السلطنة العثمانية إذا أوتى الحلفاء النصر. فحاض الحرب ودعا العرب اخوانه أن يتألبوا تحت رايته، فلبوا دعوته وتقاطروا من جميع أنحاء الولايات العربية لأداء نصيبهم من المهمة العامة. ومع أن هذا النصيب كان صغيرا إذا قيس بنصيب الدول العظمى. فإنه لم يكن خاليا من الأهمية والشأن - كما هو معلوم لكل من طالع البلاغات الرسمية التى صدرت فى أثناء الحرب - وبعد ما وضعت أو زارها.

ولكن حلول عصر السلام خيب آمال العرب تخيبا لم يذق مثله سواهم من الحلفاء، فإنهم لم ينالوا الاستقلال الذين كانوا يطمعون به ويطمحون إليه وأضاعوا ما كان لهم من الوحدة النسبية لما كانوا تابعين للأستانة. وليس بين الاعتبار السياسية الصحيحة ما يسوغ التفريق بين الولايات العربية، ولكن تجزئة هذه الولايات إلى دول منفصل بعضها عن بعض ومستقل بعضها عن بعض شر من ذلك، فإن هذه الولايات واحدة من حيث جنس أهلها ومرتبطة بعضها ببعض ارتباطا لا تفصم عراه من الوجهة الاقتصادية. فإذا لم تطلق حرية الاتجار إطلاقا تاما فى تلك الولايات فلا نجاح لسورية، وأريد بسورية ما يشمل فلسطين ولا فلاح للعراق. وقد بلغ من شدة الاتصال والاتحاد بين هذه الولايات أن قبائل عرب البادية تنتقل من الواحدة إلى الأخرى عاما بعد عام، وزد على ذلك أن العرب لا يستطيعون درء السيل الذى يهدد بالتدفق من الشمال، والذى يعد عاملا من العوامل الدائمة فى تاريخ الشرق

الأوسط إذا لم يتحدوا ويكونوا يدا واحدة، فإذا انقسموا ضاعوا وهلكوا. وإذا اتحدوا استطاعوا الدفاع عن حدودهم وسلامة بلادهم من الخطر الخارجى، وهما شرطان لا زمان من شروط التوطئة للارتقاء المنظم.

وهذه الاعتبارات ظاهرة جلية. حتى لقد ترددت فى سردها للمؤتمر لولا أنى رأيت الحلفاء يتجاهلوننا فيما وضعوا من الحلول للشرق الأدنى فيما يتعلق بالعرب، ولم يعبأوا بهذا الأمر حتى أنهم لم ينشئوا حلقة صلة يمكن أن تصير عاملا على بلوغ هذه الوحدة.

وقد سلم والدى بأن لدول الحلفاء مصالح فى بعض أنحاء الولايات العربية، وهو فى مقدمة القائلين بأن العرب يجب أن ينظروا إلى هذه المصالح والعلاقات بما يليق بها من الروية والاحترام. ومما هو جدير بالذكر أن الحلفاء جاهاوا بتصريحات لوحداث جنسية يسر والدى أن تكون موضوعا للبحث بروح التساهل وسعة الصدر. مع أن العهود التى قطعتها الحكومة البريطانية له تتضمن شيئا من هذه التصريحات. ولكنه يشترط أن يكون محور هذا البحث العواطف البادية فى ما جاها به رئيس الولايات المتحدة فى ٤ يوليو سنة ١٩١٩ وهو: «أن يفصل فى كل مسألة، سواء كانت خاصة بالحدود الجغرافية، أو السيادة، أو التدابير الاقتصادية أو السياسية على قاعدة قبول الشعب صاحب الشأن لهذا الفصل بتمام حريته، واختياره لاعلى قاعدة مراعاة المصالح المادية أو المنافع التى تكون لأمة أخرى. قد تتوق إلى حل آخر. حرصا على نفوذها الخارجى وسيادتها».

وغنى عن البيان أن أقطاب الحلفاء طالما جاهاوا بهذه المبادئ، وقالوا إنهم اتخذوها رائدا لسياستهم. فباسم جلاله الملك حسين أرجو من هذا المؤتمر أن يعيد النظر فى الكيفية التى عومل العرب بها بنصوص معاهدة سيفر. إنى أقف بالنيابة عن العرب، وأطلب الاستقلال والوحدة اللذين قاتلنا لأجلهما، ولأجلهما أراق العرب من مواطنى دماهم، فنحن نروم المحافظة على علاقات المودة التى كانت بيننا وبين الحلفاء، كما كنا إخوانا تحت السلاح ولا نبغى الإضرار بالمصالح المشروعة التى هى لدولة أجنبية من الدول، ولكننا جميعا نروم بروح الوطنية الصادقة التى نشاطرها سائر الشعوب أن نكون أحرارا فى تنظيم شؤون حياتنا القومية، فينهض العرب مدفوعين بما لهم من التاريخ المجيد، وينمون ملكاتهم وبراعتهم مرة أخرى، ويقومون بنصيبهم فى حضارة البشر المشتركة كما فعلوا فيما مضى، فإذا لم تحقق أمنيتنا هذه، فإن السلام الذى ينشده هذا المؤتمر لا تتوطد أركانه فى الولايات العربية.

ثم ألحق بيانه بالمذكرة التفصيلية الآتية.

١- يعترض سمو الأمير فيصل باسم الملك حسين على الانتداب، فإنه لم يذكر في العهد. ويقول: إن روح عهد جمعية الأمم. كما يظهر في المادة ٢٢ والفقرة الرابعة من فقرتها لا تناقض أماني العرب، ولكن الألفاظ التي أفرغ فيها مطلقة المعنى، وقد أثبتت نصوص الانتداب كما نشرتها الصحف أن العهد فسر تفسيراً يغير هذا الروح، فالملك حسين وجميع العرب يرفضون هذا التفسير بتاتا، ولهذا يطلب جلالته أن يصحح تحديد هذه المساعدة ويبين بجلاء ووضوح. إن نيات الحلفاء تقتصر على بذل المساعدة التي ورد ذكرها في العهد من غير تعرض للاستقلال القومي الذي ما فتىء الحلفاء يفهمون العرب أنه حظهم المنشود من سنة ١٩١٥.

٢- وافقت الدول العظمى المتعاقدة بمعاهدة فرساي على عهد جمعية الأمم الذي كتب في ٢٦ مادة، وأدمج هذا العهد في المعاهدة، وجرى مثل هذا في معاهدة سيفر، وصارت كل مادة من مواد العهد جزءاً من هذه المعاهدة، وغنى عن البيان انه لا يصح من الوجهة القانونية أن تنقض مادة ما من مواد المعاهدة مادة أخرى، فالمادة ٢٢ تنص في الفقرة الرابعة على «أن مشيئة هذه الشعوب يجب أن يكون لها الاعتبار الأكبر في اختيار الدولة المنتدبة» ولكن المادة ٩٤ تقول في الفقرة الثالثة «إن دول الحلفاء الكبرى تختار الدولة المنتدبة» فلم يشر هنا بشيء إلى مشيئة الشعوب وهذا الإغفال يؤول حتماً إلى الالتباس لأن الحلفاء تفاوضوا في سان ريمو عن المادة ٢٢ في توزيع الانتداب من غير استشارة الشعوب للوقوف على مشيئتها.

٣- أوصاني سمو الأمير خصوصاً أن أقول إنه لا يبرز الاعتراض المتقدم توطئة لرفض قبول مساعدة دولة خصوصية من الدول، ولكنه يقدمه كمبدأ يتمشى على جميع الولايات العربية. هذا والملك حسين يتوق جداً إلى احترام مصالح جميع الحلفاء على السواء، وهو مستعد لقبول المساعدة المذكورة في العهد والمواثيق التي قطعت له من قبل أن يخوض الحرب

بشرط أن لا تعتدى هذه المساعدة على الاستقلال القومى .

٤- وللمسألة مظهر آخر لا ينشط الملك حسيناً على إبرام المعاهدات، وقد كلفنى الأمير فيصل أن أعرض الوقائع التالية على مسامع المؤتمر راجياً أن ينظر إليها بمثل الإخلاص الذى بعثه على عرضها .

إن سكان العراق لا يتجاوزون مليونين ونصف مليون، وفى العراق حامية بريطانية عددها مع ما يتبعها من غير المحاربين ٢٢٠ ألفاً وفى فلسطين ٥٠ ألف جندى وسكانها ٦٠٠ ألف وفى ولايات سورية التى يحتلها الفرنسيون نحو مليونين من الأهالى، وفيها من القوات الفرنسية مع ما يتبعها من غير المحاربين ١٦٠ ألف رجل. وهذا الجيوش مسلحة بأحدث آلات الحرب (ما عدا الغازات السامة) التى اخترعت لكسر عدو مشترك، وكل هذا لإخضاع أمة صغيرة انحازت فى الحرب إلى الحلفاء لتبذ نير الاستعباد. فهذا الشعب انضم إليكم فى أدق ساعات الحرب. ومع ذلك نرى جنودكم اليوم تحتل بلادنا، وعددها بالنسبة إلى الأهالى يفوق عدد جنود الحلفاء فى أى مكان آخر كان من البلدان الأجنبية التى خيمت عليها. وزد على ذلك أن الحكم العسكرى لا يزال سارياً فهل من مسوغ لهذه المعاملة؟

لقد كان من نتائج ذلك أن سكان البلاد عمدوا إلى هجرانها زرافات، إما طوعاً وإما كرها فبعضهم فى الهند والبعض الآخر فى مصر أو كورسيكا وغيرها من أنحاء أوروبا. ناهيك بالألوف الذين يهاجرون إلى أميركا - كما كانوا يفعلون قبل الحرب.

وقد أمرنى سموه أن أوجه أنظاركم خصوصاً إلى كثرة عدد الضباط الأبطال الذين قاتلوا معه فى الحرب، وجرحوا برصاص الأعداء، وهم اليوم مشمولون بأحكام الحبس أو النفى أو الإعدام التى أصدرتها محاكم الحلفاء العسكرية عليهم فى الولايات المختلفة، وأمرنى فوق هذا أن أقول إن الذين خدموا مصلحة العدو فى إبان الحرب اتخذتهم القوات المحتلة اليوم أنصاراً لها، وشملتهم برعايتها. أما الذين قاتلوا مع الحلفاء فى حومة الوغى فمبعدون عن أوطانهم، وقد حرّموا من خدمة بلادهم. فإذا اعتبرت هذه الأمور تبينت لكم علل الاضطرابات والباعث الذى بعث الملك حسيناً على عدم إبرام المعاهدة.

٥- وفى الختام يرى الأمير فيصل أنه إذا أسدى الحلفاء مساعدة حقيقية إلى العرب طبقاً لوعدهم للملك حسين، وتبذوا فكرة السيادة أو الحكم بالسيف، فالأمير واثق أن الحلفاء

سيلقون فى طاقتهم أن يسحبوا فى الحال الجيوش الجرارة لأن شعب البلاد يكون أعظم صديق للحلفاء، كما كان فى أيام الحرب العصبية.

٦- فإذا استحسن المؤتمر هذه المبادئ وقبلها، فالأمير فيصل يريد أن يعرض على مسامعكم أمورا تتعلق بمعاهدة سيفر لتتظروا فيها، ومنها:

١- الامتيازات والحقوق التى تمتع الحجاز بها على الدوام، والتى كانت محترمة لما كان الحجاز تحت حكم تركيا.

٢- المسائل المتعلقة بالأوقاف وسائر المهام الدينية التى يقوم بها الحجاز.

٣- تسوية العلاقات الاقتصادية بين الولايات العربية.

٤- تأليف اللجنة التى تحدد تخوم الولايات العربية، وهى الحدود التى أشارت إليها المادة ٩٤ ومسائل ثانوية أخرى.

مفاوضاته الرسمية مع الإنكليز وسفر تشرشل إلى مصر

واتصل الملك منذ وصوله إلى لندن بوزارة المستعمرات البريطانية. فدارت بينه وبينها مفاوضات لحل المشكلة العراقية، وكان الكولونيل لورانس يتقلد منصب مستشار للشؤون العربية فى هذه الوزارة، وقد قبله بعد ما نال وعدا من حكومته بأنها ستتنصف العرب، وتنيهم حقوقهم.

ولما تم الاتفاق مبدئيا سافر المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية إلى الشرق العربى لزيارة مصر وفلسطين، وللإجتماع بالوفد العراقى القادم من بغداد والاتفاق معه على طريقة العمل لإنشاء الحكومة الجديدة، وكان ممثلو الحكومة البريطانية فى العراق قطعوا خطوات واسعة لتحقيق هذه الأمنية منذ وصول السير برسى كوكس إلى بغداد فى شهر اكتوبر سنة ١٩٢٠ وتقلد منصبه الجديد.

كيف أنشئت الدولة الجديدة

وصول السير برسي كوكس وتدابيره

انتهت مدة خدمة السير ارنولدولسن الحاكم السياسى للعراق فى ختام شهر سبتمبر سنة ١٩٢٠ فوصل إلى البصرة يوم أول اكتوبر بطريقه إلى بلاده فاجتمع فيها بالسير برسي كوكس المندوب السامى الجديد. وفى يوم ١١ منه بلغ هذا بغداد فاستقبل استقبالاً رسمياً وأجاب على خطب الخطباء بكلمات موجزة فقال: «إن دولة إنكلترا أرسلتني للاتفاق مع أعيان العراق وكباره، ولساعدتهم فى تأليف حكومة عربية مستقلة تحت إشرافها، ولقد جنّت لهذا القصد، وإنى لأرجو أن يحصل المقصود للطرفين. غير أنه لا يمكننى العمل مادام الاضطراب قائماً. ولذلك سأنتظر ريثما تحصل الفرصة والأمر بيدكم».

ثم ألقى بعد بضعة أيام بياناً مكتوباً على جمهور من أعيان بغداد دعاهم للمداولة بشأن تأليف حكومة مؤقتة فقال:

«إننى أت إلى العراق لإنشاء حكومة مستقلة. إن استقلال العراق محفوظ عند جامعة الأمم وعند بريطانيا. ولكن لا يفهم من هذا الاستقلال أنه بدون انتداب. فقد أخذت بريطانيا على عاتقها مهمة المحافظة على أمن العراق الداخلى والخارجى، وحسن إدارة الحكومة» قال «وإننى أربغ الإسراع فى تأليف الحكومة الجديدة، ولولا هذه القلاقل التى أشغلت قسماً من العراقيين عن أمور بلادهم، وأضحت عقبة فى سبيل المداولة معهم لباشرت عملى، وسأبدأ بإنشاء حكومة وطنية مؤقتة لأبرهن على حسن نيتى. أما الحكومة الدائمة فتتنشأ عند ما يستتب الأمن. والاستقلال النهائى ليس فى يدي، بل هو بيدكم، ومتى برهنتم على أنكم قادرون على الحكم الذاتى نودعكم وتلقى إليكم زمام الأعمال، وسأدعوكم بعد أيام لاستطلاع آرائكم».

وفى يوم ٢٦ منه أذاع فى مناطق الثورة البلاغ الآتى:

«إن فخامة نائب الملك السير برسي كوكس يعلن لجميع أفراد العشائر وطوائف العراق أن حكومة بريطانيا العظمى انتدبته ليعود إلى العراق ولينفذ مقاصدها الثابتة بمساعدة رؤساء الأمة، ولتشكيل حكومة وطنية فى العراق بنظارة حكومة بريطانيا. ويصعب جداً على فخامته

تنفيذ نوايا حكومته ما دامت بعض أقسام العشائر والطوائف في العراق تعادى الحكومة. ويظن أن الأحوال الحاضرة نتجت عن الشكوك الواهية التي تخامر أفكار بعض طبقات الأمة في نوايا الحكومة البريطانية، ويعتقد أنه توصل إلى إزالة كل شك من أفكار الذين قاتلوه حتى الآن. ولا يعلم غرض العشائر الذين يشغلون أنفسهم بالحرب. فإذا كان هنالك سوء تفاهم فيسره أن يبلغ العشائر ذلك إليه بواسطة أقرب حاكم سياسى إليهم».

حكومة النقيب الأولى

وفى يوم ٢٧ منه أتم السير برسى إنشاء الحكومة الموقته برئاسة السيد عبد الرحمن الكيلانى نقيب أشرف بغداد. وهذه أسماء أعضائها:

السيد طالب النقيب لوزارة الداخلية، وساسون حسقيلى للمالية، ومصطفى الأوسى للعدلية، وجعفر العسكرى للدفاع، وعزت باشا الكركوكى للأشغال والمواصلات، وعبد اللطيف المنديل للتجارة، والسيد محمد مهدى الطباطبائى للمعارف والصحة، ومحمد على فاضل للأوقاف.

وضم إلى الوزارة اثنى عشر وزيرا بلا وزارة لمساعدتها فى مهمتها. وللاستعانة بأرائهم وهذه أسماؤهم:

عبد الرحمن الحيدرى وعبد الجبار الخياط وفخر الدين جميل والحاج عبد الغنى كبه والشيخ عجيل السمرمد وعبد المجيد الشاوى والشيخ محمد الصيود وداود اليوسفانى والشيخ سالم الخيون واحمد الصانع ونجم البدرابوى والشيخ ضارى السعدون.

وعقدت الوزارة بكامل هيئتها أول اجتماع رسمى يوم ٢ نوفمبر. فألقى رئيسها الخطبة الآتية:

أيها السادة الأجلة. وجوه الوطن العزيز النبلاء

تعلمون أن ما انتدبتم إليه من القيام بالوظائف التى أودعت إلى عهدتكم من أهم الأمور. فوجب على كل منا أن يتخذ صدق العزيمة شعاره، وقوة الإقدام دثاره، مع الثبات المكين عند مباشرة الأعمال التى تعود إلى وظيفته. ويجب على كل واحد منا أيضا أن يسند صاحبه

وبعاضده فى عمله لتحصل الثمرة المطلوبة، وتلتقط الضالة المنشودة للجميع، وإنى لا أحب أن أطيل الكلام فى هذا الباب. لانكم تعلمون أكثر مما أعلم، وواقفون على الأحوال أكثر مما أنا واقف عليه وأتم. ومما هو ظاهر فى الميدان، ومشاهد بعين العقل كالعيان، تمايز الرجال بالأعمال، وشهد لهم على ذلك الآثار.

والقول إن لم يقرن الفعل به تصديقه فهو الحديث المفترى

سدد الله خطاكم، ووفقنا وإياكم لما فيه النفع للبلاد والعباد بمنه وكرمه».

وفى يوم ٨ منه أذاع ديوان المندوب السامى البلاغ الآتى:

إن فخامة المندوب السامى يرغب فى أن يطلع عموم الأهالى على قدر الإمكان على الإجراءات التى يتخذها لتنفيذ مقاصد حكومة جلالة ملك بريطانيا. أما هذه المقاصد فهى الإسراع فى تمهيد الطرق التى يتوصل بها الشعب العراقى إلى إبداء رأيه فى شكل الحكومة التى يرغب فيها. ثم تعجيل تأسيس هذه الحكومة بإرشاد حكومة بريطانيا العظمى وإشرافها. إن اختيار شكل الحكومة أمر يجب أن يبت فيه العراقىون أنفسهم، ولا يمكن إصدار مثل هذا القرار بدون تأليف مؤتمر عام يمثل الشعب تمام التمثيل. ثم إن لجنة النواب السابقين المجتمعة الآن تشتغل فى وضع التعليمات الانتخابية، وسيجرى بالسرعة اللازمة كل ما يقتضى حسب اقتراحات اللجنة المذكورة، ويشرع فى الانتخابات فى الأمكنة الخالية من الاضطرابات، ولا يمكن اجراء انتخابات فى الأمكنة الثائرة ما لم يخضع سكانها للحكومة، ويلوذوا بالسكون المعتاد، وعلى كل حال فالاستعداد لإجراء الانتخاب لن يتم فى مدة تقل عن شهرين أو ثلاثة.

وبما أنه يلزم إشترك زعماء الأمة فى أعمال الحكومة خلال هذه المدة أكثر من قبل، وتجنباً من تسرب اليأس إلى قلوب المسالمين الذين أقاموا على الولاء للحكومة من تأخير إجراء الانتخابات فقد دعا فخامة المندوب السامى حضرة صاحب الفخامة والسماحة السيد عبد الرحمن افندى نقيب أشرف بغداد إلى تأليف مجلس وزراء برئاسته حبا للوطن. أما وظيفة المجلس المذكور فهى القيام بالواجبات العمومية بإرشاد فخامة المندوب السامى إلى أن يصدر قرار المؤتمر ويسن قانون أساسى للبلاد. والذين يشاركون المندوب السامى رغبته فى التعجيل بعقد المؤتمر، وإصدار قراره عليهم أن يشاركوه أيضاً فى حض الأمة على الطاعة فى الأماكن الثائرة، لكى لا تتأخر إعادة السلم والنظام إلى نصابهما، ولا تتأجل المباشرة فى الانتخابات، وفى الختام يصرح المندوب السامى للعموم أن تأليف مجلس الوزراء الحالى هو لتمهيد سبيل الإصلاحات القادمة، وأنه لا يعارض أحكام المؤتمر العام وقراراته.

مؤتمر القاهرة

فى يوم ٩ مارس سنة ١٩٢١ وصل إلى القاهرة المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية مصحوبا بالكولونيل لورانس وبعض الخبراء البريطانيين لدرس شؤون الشرق الأدنى. وفى يوم ١١ منه وصل الوفد العراقى القادم للاجتماع بالوزير، ويتألف من السير برسى كوكس، والجنرال هلدين القائد العام للجيش البريطانى فى العراق، وجعفر باشا العسكرى وزير الدفاع وساسون حسقيل وزير المالية، والجنرال انكش والجنرال ستورث والكولونيل تريفور المعتمد البريطانى فى بوشهر، والكولونيل سلاتير والمس بل، والكولونيل بونى والماجور إيدى والماجور جب والماجور بارت والمستر سمسن فاجتمع بالمستر تشرشل وعقدا جلسات عديدة للبحث فى شؤون العراق اتفقا فى ختامها على تفاصيل المشروع الجديد لإنشاء الدولة العربية فى العراق برئاسة الملك فيصل. وسافر الوزير البريطانى بعد ذلك إلى فلسطين، وعاد الوفد العراقى إلى بغداد ونشر على أثر وصوله البيان الآتى:

«كان السبب الأول الذى دعا إلى عقد المؤتمر الذى التأم فى القاهرة رغبة وزير المملكة الجديد فى الاجتماع بالمثلين البريطانيين فى المناطق الواقعة ضمن دائرة مسؤوليته، كالمندوبين الساميين فى العراق وفلسطين، وحاكمى عدن وبلاد الصومال وذلك لكى يطلع الوزير المذكور رأسا على مجرى الأمور فى الأقطار المذكورة.

أما فيما يختص بالعراق فكانت المسألة الموضوعية على بساط البحث إنقاص المصروفات العسكرية انقاصا كبيرا، لكى تتمكن الحكومة البريطانية من القيام بأعباء المحافظة على حالة ثابتة الأركان فى البلاد العراقية ريثما تتمكن الحكومة الوطنية ذاتها من أن تأخذ على عاتقها مسؤولية الدولة العربية التى ترمى الحكومة البريطانية الى تأسيسها وتأييدها.

وقد تمكن فخامة المندوب السامى وجناب القائد العام من أن يقدموا إلى المؤتمر اقتراحات ترمى إلى اقتصاد بعضه عاجل، وبعضه تدريجى. مما جعل وزير الدولة شديد الآمال بأنها ستأتى مرضية لآراء حكومة جلالة الملك والرأى العام البريطانى والعربى. وفى الوقت ذاته أحل الاتفاق الذى توصل إليه بشأن المحافظة على الأمن الداخلى وحماية الحدود والترتيبات المالية اللازمة لترقية الجيش العربى محلها من الاعتبار.

وسيصدر فى وقت قريب عفو عام يشمل جميع الذين اشتركوا فى الاضطرابات الأخيرة عدا بعض أفراد ارتكبوا جرائم فظيعة كقتل الكولونيل لنجمان وما أشبه من الجرائم.

ولما انتهى المؤتمر سافر الوزير إلى فلسطين، ومنها إلى إنكلترا لى يقدم بذاته النتائج التى أسفر عنها المؤتمر إلى مجلس الوزراء، والأمل وطيد أن ترد فى بضعة الأيام القريبة برقية بمصادقة مجلس الوزراء عليها. فيصدر المندوب السامى بلاغا آخر».

منشور العفو

وفى ٣٠ مايو أصدر المندوب السامى منشورا بالعفو العام هذا نصه:

«بناء على التحويل الصادر من حكومة جلالة الملك يعلن فخامة المندوب السامى بمزيد السرور عفووا عاما عن المجرمين السياسيين. يعمل به ابتداء من هذا اليوم. وعلى القاعدة الآتية:

١- يشمل العفو العام جميع من كان لهم يد فى فتنة سنة ١٩٢٠ وذلك فيما يختص بالجرائم التى تعد مرتكبة ضد الحكومة مساعدة على الفتنة، ويطلق سراح المسجونين والموقوفين ويؤذن للفارين بالعودة، ولا خوف عليهم من أن يحاكموا. ويستثنى من ذلك:

١- الذين كانوا حين اشتراكهم فى الفتنة موظفين بالأجرة فى إدارة المناطق المحتلة. فهؤلاء ينظر فى أمر كل واحد منهم على حدة حسب استحقاقه.

٢- الأفراد الآتية أسماؤهم، والمعتقد أنهم مسؤولون عن اقتراح جرائم شنيعة أو التحريض على اقتراحها وهم فارون الآن من وجه العدالة:

أ- الشيخ ضارى وولداه خميس وسليمان، وسرب وأسلوبى وولدا مجباس، ودهان بن فرحان وجميع هؤلاء تابعون لعشيرة الزوبع وهم متهمون بقتل الكولونيل لنجمان أو التحريض على قتله.

ب- جميل بك المدعى وحמיד افندى دبونى المتهمان بالتحريض رأسا على قتل الكابتن بارلو واللفتنانت استيوارد وغيرهما من الموظفين البريطانيين فى تلغفر.

ج- جاسم المولى من عشيرة المهديّة المتهم بقتل الكابتن ريكلى.

د- محمد الملا محمود من البحاثة المتهم بقتل اللفتنانت إبرادفيلد وحسن العبد وجاسم العوض من بنى تميم المتهمان بقتل المستر بوكانن.

هـ- باصر بن اريغير وعلاوى الجاسم وابن ريميدي وهم متهمون بقتل أسرى بريطانيين.

و - بسبوس بن محاويس ونعمة بن ضعينة من الجوابر. وهما متهمان بقتل بعض ضباط سلاح الطيران الملكى.

ز - فالح بن حاج سفر الأعجيرب من الجوابر متهم بالتحريض على قتل اللفتنانة هيدكار وخمسة من رجال المدفعية البريطانيين على المركب (الكرين فلاى).

٢- أما بشأن الأفراد الذين لم تكن لهم علاقة بفتنة سنة ١٩٢٠ ولكنهم معتقلون أو منفيون أوشاردون لأسباب مختلفة متعلقة بجرائم سياسية ارتكبت قبلها - فقد خول المندوب السامى مبدئيا أن يشملهم العفو قبل أن ينظر فى أمر كل منهم على حدة، وبحسب استحقاقه الخاص عند تقديم صاحب الشأن طلبا رسميا إلى أقرب ممثل بريطانى، أو إلى فخامة المندوب السامى رأسا».

الملك فيصل في العراق

لم يطل الملك فيصل الإقامة في لندن، بعد سفر المستر تشرشل إلى الشرق العربي، فقد غادرها يوم ٣١ مارس بعد ما وردت الأخبار إلى لندن بنجاح مؤتمر القاهرة، وباتفاق الوزير وولاة الأمور البريطانيين والمحليين في العراق على القواعد والأسس التي يسار عليها في إنشاء الدولة الجديدة.

أما القواعد التي تم الاتفاق عليها مبدئياً بين الملك والوزير قبل سفر هذا إلى القاهرة فهي:

١- تعترف الحكومة البريطانية باستقلال المملكة العراقية، وتتعهد بإلغاء الانتداب وبمساعدة العراقيين في تأسيس حكومة وطنية وطيدة.

٢- تعقد معاهدة ولاء وتحالف بين الحكومتين البريطانية والعراقية. تنال فيها الحكومة البريطانية بعض مزايا اقتصادية، وتتص على استخدام مستشارين إخصائيين بريطانيين لمساعدة الموظفين العراقيين.

وبلغ بورسعيد يوم ٢٣ أبريل سنة ١٩٢١ وجاء القاهرة في ١٤ منه وفي يوم ٢١ غادرها إلى جدة ومعه الأمير زيد. وقد جاء إلى القاهرة لملاقاته. واستقبل في جدة ومكة استقبالا حافلا، واجتمع بالزعماء العراقيين اللاجئين إلى الحجاز وحادثهم مليا ووقف على آرائهم.

كتاب الحسين إلى العراق

وفي الأسبوع الثاني من شهر يونيو غادر جدة ببارجة بريطانية قاصدا البصرة يحمل من جلالة والده إلى الشعب العراقي الكتاب الآتي:

من الحسين بن علي - إلى الأماجد النجباء كافة إخواننا أهل العراق. حاضرهم وياديهم عافاهم الأسواء.

«بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإن محررى هذا سيصلكم ان شاء تعالى عن يد ابني فيصل، أنبئكم به بأنى لم أوفده إليكم إلا لمحض إنفاذ رغباتكم، وطبقا لإرادتكم إذ لا

يهمنا ورب الكعبة إلا حصول أقوامنا على استقلالهم ببلادهم، ووحدتهم بأى صورة وشكل كان. وعلى يد أى شخص من أبنائها. وحسبى الله تبارك وتعالى بكل ذلك. وعلى كل حال فهو جل شأنه المسؤول أن يمن على الجميع بموجبات رحمته ومرضاته، ويدفع عنا وإياكم الأسواء ويختار لنا ما كان فيه الخيرة، وصلى الله على خيرته من خلقه وآله الطهر وصحبه الغر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

فى ٤ شوال سنة ١٣٣٩ و ١٠ يونيو سنة ١٩٢١

واستقبل بالحفاوة الزائدة حين وصوله البصرة يوم ٢٣ منه. وجاء وفد كبير من بغداد للحفاوة به. وفى يوم ٢٤ منه أقيمت له حفلة فخمة فألقى الخطبة الآتية. وهى أول خطبة خطبها فى العراق قال:

«قبل كل شىء أريد أن أبدي مزيد شكرى لما رأيته من الوفاة والاستقبال من سكان هذه المدينة نحو شخصى، وليس ذلك عليهم بكثير لما اشتهر عنهم. وما يأتى من الطيب دائما طيب. أريد أن ألقى كلمتين عنى وعن أسرتى فأقول:

إن الواجب الدينى والجنسى هو الذى دفع بنا إلى القيام بتلك النهضة المباركة، وذلك الدافع هو شعور شريف جعل الأمة العربية فى موقع سام فى العالم. فما رأيتموه من والدى ومنى ومن أخى لا يوجب الشكر عليه. بل هو واجب وأنا أرى نفسى وأسرتى مسؤولين عن هذا المبدأ أكثر من كل فرد. لأن هذه الأمة شيدت بعمل البارئ سبحانه وتعالى وجدنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فإذا كان على العربى واجب فعلينا أضعاف. فلذلك لا أريد أن يشكرنا أحد. وأرجو أن لا أسمع بعد من أحد شكرا عن شخصى. لأن ذلك يزعزع همتى، وإنى أعمل الواجب ولا أرغب فى الشكر.

إخوانى: أعد نفسى سعيدا بأن أكون معكم، وأشكر البارئ للقيام بإياكم وسائر إخوانى فى هذا القطر. فالكلمة فى هذا المحضر (كفيلصل) مجرد عن كل شخصية، بل كواحد مجرد عن كل مقدرة: أوصيكم أن تكونوا متحدين متعاضدين مساعدين بعضكم البعض. فتزيلون الشك من قلوبكم فى الآخرين، وأن لا يكون لكم قصد سوى خدمة هذه الأراضى المقدسة. فإذا عملتم بهذا بالصبر والثبات. فلا بد أن تدركو قصدكم وتفعلوا.

أحلف بالله أن ليس فى قلبى طمع سوى خدمة هذه البلاد. وإنما أفعل ذلك لوجه الله. وإنى

والله أرغب أن أرى غيرى فى مقامات عالية، وأن أرى فى المقامات العالية رجالا انتدبتهم الأمة وتتقون بهم حق الثقة. فإنى أقسم بشرفى وأجدادى وبقبر جدنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وآله أن كل من تخارونه فأول واحد يمد يده هو أنا.

الأمة لا يمكن أن تأتى بعمل إذا صار حاجز بينها وبين الحاكم. إن الشك والظن رأس كل بلية. فأوصى كافة أبناء جلدتى أن يرفعوا كل شك من قلوبهم نحو إخوانهم فإذا أخلصوا النية بهذه الصورة نجحوا فى مقاصدهم.

هذه توصية عارية عن كل غرض، وأقول لكم والله شاهد على وملائكته والناس أجمعون إنه إذا اتفقت أمة على رجل يرأسها فأول من يبايعه هو أنا.

نعم خدمنا فى الحرب والسياسة. لكن عملنا ذلك كان من الواجب علينا والاعتماد هو على قلوب الأمة التى نحن نراها قوية الآمال بنجاحها. فكما أننا اتحدنا ووصلنا إلى هذه الدرجة فلنواظب على عملنا. مؤملين الوصول إلى ما نبتغيه. ألا وهو الاستقلال التام بكل معنى الكلمة».

وفى يوم ٢٦ منه غادرها إلى بغداد بقطار خاص، ومر ب كربلاء والنجف فزار مرقدى الامامين على والحسين وكانت المدن التى مر بها فى طريقه لابساً حلل الزينة. ووصل بغداد يوم ٢٩ منه فاستقبله فى محطتها السير برسى كوكس والجنرال هلاين ورئيس الوزراء والوزراء والأعيان، وخطب رئيس البلدية مرحباً، ودخل المدينة بموكب حافل. ولم يكذب يستقر به المقام حتى قصد الكاظمية لزيارة مرقد الإمام موسى الكاظم. كما زار ضريح الشيخ عبد القادر الجيلانى. وقد أقيمت حفلات تكريم عديدة أعرب فيها الشعب عن ارتياحه إلى وصوله، وإجماعه على اختياره إلى أعلى مقام فى بلاده.

تدابير السلطة البريطانية

وكانت السلطة البريطانية فى بغداد أقالت السيد طالب النقيب وزير الداخلية فى الوزارة النقيبية الأولى، ونفته إلى سيلان لما اتصل بها من أنه يقاوم السياسة الجديدة فى العراق، ويطمح أن يكون رئيساً للدولة الجديدة.

وخطا الإنكليز الخطوة الثانية فأذاع المندوب السامى يوم ٥ يوليو - أى بعد انقضاء أسبوع على وصول الملك إلى بغداد - بياناً رسمياً هذا نصه:

«بسط المستر تشرشل فى خطبة خطبها يوم ١٤ يونيو على مجلس النواب البريطانى الحالة السياسية فى بلدان الشرق الأدنى، وأورد بياناً شافياً عن سياسة حكومة جلالة الملك فى هذه البلدان. وقد أمرت بنشر نص خطابه فى صحف بغداد والبصرة الصادرة باللغتين العربية والإنكليزية. ليطلع عليه الناس فنشر حالاً. وحيث إن بعضهم يرغب أشد الرغبة فى صدور تصريح منى بصفتى المندوب السامى ورئيس الحكومة العراقية الموقته أشرح فيه بوضوح النقاط المهمة التى وردت فى الخطبة المذكورة. رأيت الواجب يقضى على القيام بذلك، فأقول:

١- إنه مما يستحق الذكر أن الحكومة البريطانية قطعت فى ابتداء الحرب العظمى فى أوقات مختلفة عهداً لأهالى العراق ولجلالة ملك الحجاز بأنه لن يسمح بوجه من الوجوه أن تعود العراق أو أى مقاطعة من المقاطعات المحررة إلى السلطة التى كانت تابعة لها عند نشوب الحرب. وإن الحكومة البريطانية تقصد المحافظة على هذه العهود بحزم وثبات، وتشعر أنها تكون مقصرة فى القيام بواجباتها بموجب هذه العهود فيما لو أهملت تقديم المساعدة إلى العراق فى هذا الدور الابتدائى من حياته وتركته بإهمالها فريسة للاضطراب، كما أن بريطانيا فى الوقت نفسه غير مستعدة للاستمرار فى حمل العبء المالى الثقيل والمسئولية السياسية، بمراقبة إدارة العراق إلى الحد الذى كان ضرورياً ريثما تعاد الأمور إلى الحالة التى كانت عليها فى زمن السلم.

إن الحكومة البريطانية كانت ولاتزال ترى أن أفضل طريقة للقيام بوعودها وواجباتها هى مساعدة أهل العراق على إقامة حكومة وطنية منهم بمساعدتنا. فتنشأ بذلك دولة عربية صادقة تكون بغداد عاصمة لها. أما حكومة جلالة الملك فترى أن أفضل أنواع الإدارات هى حكومة دستورية برئاسة حاكم مقبول لدى أهل البلاد. وترغب فى أن تبين بوضوح كما سبق وبين تكراراً بأنه ليس لها قصد أو رغبة فى إكراه الشعب على قبول حاكم معين. بل بالعكس ترغب فى وجود الحرية التامة فى الاختيار وإيداء الرأى، ومع ذلك فإنها بصفتها تحملت نفقات طائلة فى العراق خلال السنوات السبع الأخيرة لا يمكنها أن تقف موقف عدم الاكتراث، ولها الثقة بان يستعمل الشعب العراقى الحكمة والحرية معا فى اختيار هذا الوازع.

وهنا أود أن أشير بايجاز إلى قدوم سمو الامير فيصل إلى بغداد فأقول: إن موقف حكومة جلالة الملك فى هذا الصدد هو ما يلى:

إن عائلة الشريف هي العائلة التي نشرت اللواء العربي في صف الحلفاء أثناء الحرب، ولعبت دورا ذا شأن في ربحها، وكانت القضية التي دخلت من أجلها في صفوف المحاربين قضية حرية العرب، وهي القضية التي تعهدت بريطانيا بمظاهرتها ونجاحها في العراق، وأجيب أنصار عائلة الشريف في العراق عند ما سألوا الحكومة البريطانية عن موقفها إزاء دعوتهم للأمير فيصل ليأتي إلى العراق بأن حكومة جلالة الملك لن تضع عثرة في سبيل ترشيح سموه وإذ وقع عليه اختيار الشعب العراقي فيلقى تأييد بريطانيا. وكذلك فلم ير المستر تشرشل - وهو يعرب عن رغبته في أن يستعمل أهالي العراق الحرية في الاختيار ما يمنعه من أن يجاهر بأن حكومة جلالة الملك تعتبر الأمير فيصلا مرشحا موافقا. لا بل هو في الواقع أفضل مرشح في الميدان، وترجو أن ينل معاضدة أكثرية الشعب العراقي.

وتعتقد حكومة جلالة الملك أنه إذا تم اختياره نكون قد توصلنا إلى حل ينطوي على أكبر الآمال في مستقبل سعيد لهذه البلاد.

وتعلم حكومة جلالة الملك أنه بحث في حلول أخرى ممكنة منها أولا - إنشاء جمهورية، ومنها ثانيا - الاتيان بأمر تركي اما فيما يختص بالأول فحكومة جلالة الملك ترى أن درجة العراق من الرقى غير موافقة قطعيا لإنشاء جمهورية، وأما فيما يختص بمبايعة أمير تركي فهذا حل لا تفسح الحكومة مجالاً له.

والمرجو أن البيانات التي وردت في هذا البلاغ تفسر سياسة حكومة جلالة الملك تفسيراً جلياً. وهي السياسة التي استحسنتها بالإجمال الجمهور البريطاني والصحافة البريطانية، طبقاً لما ورد في خطاب المستر تشرشل، وأوافق عليها كل الموافقة بصفتي المندوب السامي، الذي من واجباته وواجبات وظيفته تفسيرها بدقة».

البيعة بالملك

وفي يوم ١١ منه قرر مجلس الوزراء المناداة بسمو الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق. على أن تكون حكومته حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون، وأبلغ قراره هذا إلى المندوب السامي. فرأى هذا أن يستشير الشعب العراقي ويقف على رأيه قبل أن يبيت في الأمر، فاقترح على الوزارة إجراء استفتاء عام. فجرى ذلك بواسطة لجان ألفتها الوزارة

من أرباب الكفريات وأوفدتها إلى المدن. فكانت كل لجنة تدعو الأهلين بعد أن تحل في مدينتهم إلى الاجتماع في مكان تعيينه فنتلو عليهم الخطب، وتدعوهم إلى إبداء رأيهم. فيقبلون على البيعة بطيبة خاطر، وقد ظهر في نتيجة هذا الاستفتاء أن ٩٧ في المائة كانوا في جانب الملك.

وعلى أثر ظهور هذه النتيجة ضرب يوم ١٨ ذى الحجة (٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١) وهو يوم عيد الغدير المقدس عند الشيعة الإمامية - موعداً لإتمام البيعة، وإجراء التتويج، فأقيم في صباحه احتفال فخم عظيم في ساحة برج الساعة من الثكنة العسكرية. حضره أقطاب الحكومة، وكبار الموظفين البريطانيين، ومتصرفو الألوية. وافتتح السير برسي كوكس المندوب السامي الحفلة بتلاوة البيان الآتي:

منشور من السير برسي كوكس الحامل للوسام الأكبر للإمبراطورية الهندية، ووسام نجمة الهند العالي من درجة فارس ووسام القديس ميخائيل والقديس جرجس السامي من درجة فارس، المندوب السامي لجلالة ملك بريطانيا إلى الأمة العراقية بواسطة ممثليها الحاضرين.

«قرر مجلس الوزراء باتفاق الآراء وبناء على اقتراح فخامة رئيس الوزراء المنادة بسمو الأمير فيصل ملكا على العراق في جلسته المنعقدة في اليوم الرابع في شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٩هـ الموافق ١١ يوليو سنة ١٩٢١ على أن تكون حكومته حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون، وبصفتي مندوبا لجلالة ملك بريطانيا رأيت أن أفق على رضى الشعب العراقى البات قبل موافقتى على ذلك القرار. فجرى التصويت العام برغبة منى، وأسفرت نتيجة التصويت عن أكثرية كلية ٩٧٪ من مجموع الناخبين المتفقتين على المنادة بسمو الأمير فيصل ملكا على العراق. وعليه أن سمو الامير فيصل نجل جلالة الملك حسين قد انتخب ملكا على العراق. وأن حكومة جلالة ملك بريطانيا قد اعترفت بجلالته ملكا على العراق فليحيا الملك.

خطبة الملك

ووقف على الأثر جلالة الملك فيصل وخطب الخطبة الآتية:

أتقدم إلى الشعب العراقى بالشكر الخالص على مبايعته إياى مبايعة حرة دلت على محبته لى وثقته بى. فاسأل الله عزوجل أن يوفقنى لإعلاء شأن هذا الوطن العزيز، وهذه الأمة النجيبة لتستعيد مجدها الغابر وتنال منزلتها الرفيعة بين الأمم الناهضة الراقية.

وإنه ليجدر بي في مثل هذه الساعة التاريخية التي برهنت فيها الأمة العراقية على خالص ودها نحو أسرتنا الهاشمية أن أذكر ما لجلالة والدي الملك حسين الأول من الأيادي البيضاء. فقد رفع لواء العرب منضمًا إلى الحلفاء، ونهض بالعرب لا غاية له سوى تحريرهم وتأييد استقلالهم القوي الذي كانوا ينشدونه منذ قرون، كما إنى أرى من الواجب المتحتم في مثل هذا اليوم أن أذكر محييا تلك النفوس الطاهرة الأبية، نفوس أبناء النهضة العربية الذين استبسلوا مع أبطال الحلفاء، وذهبوا ضحية أوطانهم العزيزة. أولئك هم أصحاب الذكر الخالد فسلام عليهم وألف تحية.

وهنا واجب آخر يدعوني إلى أن أرتل آيات الشكر للامة البريطانية، فقد أخذت بتناصر العرب في أوقات الحرب الحرجة، فجادت بأموالها وضحت بأبنائها في سبيل تحريرهم واستقلالهم. وإننى اعتمادا على صداقتها ومؤازرتها التي أظهرتها وتعهدت لنا بها أقدمت على القيام بشؤون هذه البلاد شاكرًا للحكومة المؤقتة همتها، ولفخامة المندوب السامي حميته وللحكومة البريطانية العظمى اعترافها بي ملكا للدولة العراقية المستقلة التي دعيت للمكيته بإرادة الشعب مباشرة.

أيها العراقيون الأعزاء: لقد كانت هذه البلاد في القرون الخالية مهد المدنية والعمران، ومركز العلم والعرفان. فأصبحت بما نابها من الخطوب والحوادث خالية من أسباب الراحة والسعادة، فقد منها الأمن وسادت الفوضى وقل العمل وغاضت مياه الرافدين في بطون البحار، وأقفزت الأرض بعد أن كانت يانعة نضرة وطغت القفار على العمران، وأضحت المدن التي قويت على مقاومة التائبات أشبه شيء بواحات واسعة. فنحن الآن تجاه هذه الحقائق المؤلمة. ولا يجدر بشعب يريد التهوض إلا أن يعترف بها. إننا لم تنهض إلا المكافحة هذه العقبات، ولم نخض غمار الحرب الكبرى إلا لإحياء هذه المعالم الدارسة. وإذا كان الناس على دين ملوكهم، فديني إنما هو تحقيق أمانى هذا الشعب، وتشديد أركان دولته على المبادئ الدينية القويمة، وتأسيس حضارته على أساس العلوم الصحيحة والأخلاق الشريفة، متوكلا على الله ومستندا على روحانية أنبيائه العظام، ومعتمدا عليكم أنتم أيها العراقيون.

لقد صرحت لكم مرارا بان ما نحتاج إليه لترقية هذه البلاد يتوقف على معاونة أمة تمدنا بأموالها ورجالها. وبما أن الأمة البريطانية أقرب الأمم إلينا وأكثرها غيرة على مصالحنا. فإننا سنستمد منها وتستعين بها وحدها في الوصول إلى غايتنا المنشودة في أسرع وقت.

ولا يعزب عن الأذهان بأنه إذا كان الناس على دين ملوكهم، فالملوك على دين شعوبهم، فعلى - قدر التضامن يكون النهوض - ونحن الآن أحوج الأمم إلى التضامن والتعاقد والعمل بجد ونشاط ضمن دائرة السلام والنظام، وإني لا ألو جهداً بأن أستعين برجال الأمة على اختلاف مواهبهم وتباين طبقاتهم وتفاوت معتقداتهم، فالكل عندي سواء لا فرق بين حاضرهم وباديهم ولا ميزة لأحد على غيره إلا بالعلم والمقدرة، والأمة بمجموعها هي حزبي لا حزب لي سواها ومصالحتها مصالحتي لا مصلحة لي غيرها.

ألا وإن أول عمل أقوم به مباشرة الانتخاب، وجمع المجلس التأسيسي، ولتعلم الأمة أن مجلسها هذا هو الذي سيضع بمشاورتي دستور استقلالها على قواعد الحكومات الدستورية السياسية الديمقراطية، ويعين أسس حياتها السياسية والاجتماعية، ويصادق نهائياً على المعاهدة التي سأودعها له فيما يتعلق بالصلوات بين حكومتنا والحكومة البريطانية العظمى، ويقرر حرية الأديان والعبادات بشرط أن لا تخل بالأمن والأخلاق العمومية، ويسن قوانين عدلية تضمن منافع الأجانب ومصالحهم، وتمنع كل تعرض للدين والجنس واللغة، وتكفل التساوى فى المعاملات التجارية مع كافة البلاد الأجنبية.

وإني لوأثق تمام الثقة باننا بالاستشارة مع فخامة المندوب السامى جناب السير برسى كوكس الذى برهن على صداقته للعرب - خلدت له الذكر الجميل - سنصل إلى غايتنا بأسرع وقت إن شاء الله.

فإلى الاتحاد والتعاقد، وإلى الروية والتبصر، إلى العلم والعمل أدعو أمتى والله الموفق والمعين.

انسحاب الوزارة

وبعد انتهاء حفلة التتويج اجتمع مجلس الوزراء فخاطب الرئيس الأعضاء قائلاً:

لا يخفى على حضرتكم أن الأصول المرعية فى الممالك الدستورية تقضى بانسحاب الوزراء من ميدان العمل عند حدوث تجدد فتبوء جلالة الملك فيصل عرش العراق، وضرورة تأليف حكومة دائمة دستورية هما تجددان عظيمان، فلذلك قررت الانسحاب من أعمال رئاسة الوزارة وتقديم استقالة الوزارة إلى الأعتاب الملكية، وأرسل على الفور الكتاب الآتى:

يا صاحب الجلالة

إن الأصول المرعية فى الحكومات الدستورية تقضى بانسحاب هيئة الوزارة من ميدان العمل عند حدوث تجديد فى شكل الحكومة، ولما كان تبوء جلالتم عرش العراق وضرورة إنشاء حكومة دستورية دائمة هما تجديدان مباركان . فقد انسحبت مع رفقائى من مباشرة أعمال مجلس الوزراء، وبادرت بعرض الكيفية على أعتاب جلالتم.

وفى يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٢١ أعيد تأليف الوزارة برئاسة النقيب كما يأتى:

الحاج رمزى للداخلية، وساسون حسيقل للمالية، وناجى السويدى للعدلية، وجعفر العسكرى للدفاع، والسيد محمد على هبة الدين للمعار، وعزت الكركوكى للاشغال العمومية، ومحمد على فاضل للأوقاف، وعبد اللطيف المتديل للتجارة، والدكتور حنا خياط للصحة - وبذلك تم إنشاء الدولة العراقية الجديدة.

ملاحظات عامة

تنتهى بختام هذا الجزء الحلقة الثانية من تاريخ القضية العربية، وتشمل أخبار النضال بين «العرب والفرنسيين والإنكليز في الشام والعراق» وتضم حوادث الفترة الممتدة من فتح دمشق سنة ١٩١٨ حتى إنشاء الدولة العربية الجديدة في العراق سنة ١٩٢١.

وقد بدأنا هذه الحلقة بإيراد تاريخ الدولة الفيصلية وينقسم إلى ثلاثة أدوار:

الأول: وهو دور التأسيس والإنشاء، ويبتدىء بدخول جيش الشمال إلى دمشق، وقيام الدولة الجديدة، وينتهي برجوع الأمير فيصل من رحلته الأولى إلى أوروبا في شهر ابريل سنة ١٩١٩ وبوصول لجنة الاستفتاء الأميركية. ويبتدىء الدور الثانى بعودة الأمير ثانية إلى أوروبا واتفاقه مع المسيو كلمنصو على قواعد معينة لحل المشكلة السورية. أما الدور الثالث فيبتدىء من إعلان الاستقلال، وينتهى بيوم ميسلون وخروج الملك إلى حوران وسفره إلى حيفا فأوروبا.

لقد تحول الخلاف السرى الذى ظهر بين قواد العرب والفرنسيين فى سنة ١٩١٧ على مصير سورية ومستقبلها إلى نضال علنى منذ ابتداء هذه المرحلة، وظل يتطور تدريجيا حتى انتهى بمعركة ميسلون سنة ١٩٢٠.

ولم يستطع ولاة الأمور الفرنسيون فى بيروت سنة ١٩١٨ أن يكتموا عواطفهم فقد استقبلوا الأمير فيصلا استقبالا باردا حينما جاء فى شهر نوفمبر ليبحر إلى أوروبا لحضور مؤتمر السلام. بحجة أن الإنكليز هم الذين دبروا الرحلة من دون أن يستشيروا فرنسا، ومن دون أن يأخذوا رأيها، وهى ذات صلة كبيرة بالقضية. والواقع أن هؤلاء كانوا يلحون على الإنكليز منذ ختام الحرب العظمى بتطبيق أحكام معاهدة سايكس - بيكو

ويطلبون وضع دمشق تحت سيطرتهم، وقد ظل هؤلاء يسوفونهم ويماطلونهم حتى انتزعوا منهم الموصل وفلسطين وكانت الأولى داخلة فى المنطقة (أ) أى داخلية سورية. كما كانت الثانية دولية. فلما نالوا ما نالوه بدأوا بالجلء عن هذه المناطق، ثم أطلقوا يد الفرنسيين فى سورية فكان ما كان.

وقوبل الأمير أيضا بجفاء وفتور حين وصوله إلى مرسيليا، وأعدت المعدات لإرساله إلى الإلزاز واللورين والحيلولة بينه وبين مؤتمر الصلح، وذلك لأن الفرنسيين ما كانوا يسلمون بحق العرب فى الاشتراك بمؤتمر الصلح، أو الظهور فى المجتمعات الدولية، ويرون ان مسائل بلاد العرب حلت باتفاق سايكس - بيكو. فيجب أن ينفذ ولا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولئن قبلوا تعديله بعد ذلك مرتين فما ذلك إلا مراعاة للظروف الدولية فقد عدل فى المرة الأولى بالتنازل عن الموصل وفلسطين للإنكليز، وذلك مقابل موافقة هؤلاء على سحب جنودهم من بلاد الشام (ساحلا وداخلا) وكان الإنكليز يحتلون هذه البلاد كلها، ومن كيليكية أيضا. فقد أدركوا أن هذه هى الوسيلة الوحيدة لبسط نفوذهم فأرضوا الإنكليز، وما كان فى استطاعتهم إخراجهم بالقوة.

وعدل اتفاق سايكس - بيكو للمرة الثانية فى معاهدة أنقرة المعقودة بين تركيا وفرنسا فى سنة ١٩٢١ فقد اضطر الفرنسيون بموجب هذه المعاهدة إلى الجلاء عن مقاطعة كيليكية، وقد دفعوا للإنكليز ثمن الحلول فيها، وتخلوا عن مطامعهم فى جنوبى الأناضول وشرقيه، وكانت أورفة وديار بكر وماردين داخلة فى المنطقة الزرقاء (منطقة شقة سورية الساحلية) وقد أطلقت يدهم بموجب معاهدة سايكس - بيكو فيه. فلهم الحق بأن ينشئوا فيها نوعا الحكم الذى يختارونه. كما تنازلوا للترك عما مساحة ٥٤٠ كيلو مترا من الأراضى التى أدخلتها معاهدة سيفر فى حدود الدولة السورية، ومنحهم امتيازات إدارية فى لواء اسكندرونة، وذلك لأنهم أدركوا أن الإيغال فى عداة الترك، وقد حاربوهم حروبا شديدة فى مرسين واطنه ومرعش وعينتاب ودرت يول وعثمانية وتغلبوا عليهم وحاصروا حامياتهم - لا يفيدهم، ولأنهم رأوا أمامهم شعبا قويا مستتبسلا لا يمد عنقه للنير. ولا بد لنا من القول أن الحكومة الإنكليزية احتجت على هذا الاتفاق، وقالت أنه خرق صريح لاتفاق سايكس - بيكو وأنه كان يجب على الحكومة الفرنسية أن تستشير بريطانيا قبل إقراره فلم يأبه الفرنسيون لاحتجاجها. لأنهم رأوا أن مصلحتهم فى التخلص من الترك الأقوياء

لا المضى فى نضالهم. والقوى محترم فى كل زمان ومكان، ولئن نفذت أحكام معاهدة سايكس - بيكو على العرب وفى بلاد العرب فما ذلك الا لضعف العرب وفقرهم وجهلهم وعدم وجود رجال أكفاء بينهم يحسنون قيادتهم وتدريبهم.

* * *

وتوسط الإنكليز وفتحت أبواب مؤتمر الصلح فى وجه الأمير ومثل العرب بمندوبين لا بمندوب واحد كما كانوا يطلبون، واتصل الأمير مدة إقامته فى باريس بالرئيس ولسن وتردد عليه كثيرا، وكان الوسيط بينهما الدكتور بلس رئيس الكلية الأميركية ببيروت يومئذ، فقدسافر بعد الحرب إلى أميركا وأوروبا للدفاع عن القضية السورية.

وأعجب الرئيس الأميركي بالأمير العربى، وقربه إليه وأدناه منه. فشكا إليه تمسك الفرنسيين والإنكليز بمعاهدة سايكس - بيكو واعتزامهم تطبيقها مع أنها من المعاهدات السرية التى ألغيت بدخول أميركا الحرب، وبإقرار الحلفاء لمبدأ حق تقرير المصير وطالب الرئيس بإنصاف العرب فوعده بالمساعدة والتأييد.

وفى يوم ٢٠ مارس سنة ١٩١٩ استصدر الرئيس ولسن قرارا من مؤتمر الصلح بإيفاد لجنة دولية إلى بلاد العرب لدرس الحالة عن كثب، ومعرفة مطالب هذا الشعب والوقوف على آرائه.

وعينت الحكومة الإنكليزية السير هنرى مكماهون مندوبها السابق فى مصر والأستاذ هوجارث من المستشرقين ليمثلاها فى هذه اللجنة، وعينت الحكومة الفرنسية النائب موريس لونج مندوبا عنها. وبينما كانت المعدات تعد لسفرها إلى الشرق انسحب المندوب الفرنسى، وأعلن أنه لا يسافر إلا إذا اتفقت الحكومات ذات الشأن مقدما على جميع التفاصيل. ولا سيما على مناطق الاحتلال العسكرى، وعلى الأساليب التى يجرى بموجبها الاستفتاء، والواقع أن الخبراء الفرنسيين نبهوا حكومتهم بعد صدور هذا القرار إلى عدم انطباقه على مصالحهم، وكانت هناك دعاية شديدة تبث ضد الفرنسيين. يضاف إلى هذا أن تصرفات موظفيهم فى الساحل ما كانت ترضى الشعب، وهكذا انسحبوا من اللجنة وأخذوا يحاربونها، ويضعون العقبات فى سبيل سفرها متذرعين بأعدار جملة وجاراهم

الإنكليز أيضا. لأنهم أدركوا ما أدركه الفرنسيون، وشعروا بأن نتائج الاستفتاء لن تكون فى جانبهم لنقمة العرب عليهم، وانضم زعماء الصهيونية إلى العاملين لوضع العراقيل فى سبيل اللجنة. لأن جلاء الإنكليز عن فلسطين مؤذن بتصرم آمالهم. وهكذا وحدت المصلحة بين هذه العناصر فوقفت صفا واحدا فى سبيل سفر اللجنة. ولما أطلع مندوبو العرب الرئيس ولسن على ما يدبر فى الخفاء لإحباط هذا المشروع ومقاومته خوف نتائجه أجابهم بأنه لابد من تنفيذ قرار المؤتمر. وقال إنه مستعد لإرسال اللجنة الأميركية وحدها فى حالة استنكاف الإنكليز والفرنسيين. وقد بر بوعدده.

وسبق الامير اللجنة فعاد إلى سورية لإعداد ما يلزم للاستفتاء، وقد كانت علاقاته اجمالا بالفرنسيين خلال إقامته فى عاصمتهم، على غير ما يرام، وكانوا يعملون فى هذه المرحلة لتعزيز فكرة إنشاء «لبنان الكبير» ويقول الكونت غونتمبيرون إن المسيو جورج بيكو قنصل فرنسا فى بيروت قبل الحرب ومندوبها فى سورية بعدها هو الذى أوحى بفكرة «لبنان الكبير» وهو الذى دعا إليها لأنه كان يرى صعوبة فى الاستيلاء على سورية الداخلية. فتكتفى فرنسا بلبنان بعد أن تكون وسعت حدوده وأرضيه.

ولعل النتيجة التى أسفر عنها الاستفتاء هى خير عمل يمكن تسجيله لما عمل فى ذلك الدور. فقد اتفقت كلمة الأمة السورية بما يشبه الإجماع على المطالبة باستقلال سورية التام وبإنشاء دولة سورية متحدة يرأسها الأمير فيصل و برفض مطالب الصهيونية فى فلسطين، ويطلب مساعدة أميركا فإذا لم تقبل فإنكلترا، وقد نشرنا تقرير اللجنة برمته. فهو من أعظم الحجج التاريخية، وهو ينقض دعوى المدعين بأن الأمة العربية السورية كانت تعمل للدخول تحت حماية دولة من الدول أو تفضل هذه على غيرها.

وبينما كان الأمير يترقب أخبار باريس بوصول اللجنة وتقديم تقريرها إلى مؤتمر الصلح ليصدر قراره بموجبه، فوجيء ببرقية من الحكومة الإنكليزية تستعجله بالقدوم إلى باريس، وكان اللورد اللنبى قد سبقه إليها، فأبحر على الفور، ولكنه لم يصل إلا بعد فوات الآوان - أى بعد عقد اتفاق باريس. وقد وافق فيه الإنكليز على استرداد جيوشهم من الأراضى التى تقضى معاهدة سايكس - بيكو بأن تكون خاضعة لفرنسا بما فى جملتها كيليكية والساحل السوري، على أن تستثنى من ذلك ولاية الموصل، وقد فاز الإنكليز بها، ولواء الكرك فى داخل الدولة السورية (إمارة شرقى الاردن الحاضرة) ولم يجلب عنها

الجيش البريطاني، أما المدن الأربع فقد ظلت من دون احتلال على أن يتم الاتفاق بشأن مصيرها بين الأمير والحكومة الفرنسية مباشرة.

وقد احتج الأمير على هذا الاتفاق، ولم تخف عليه خطورة شانه، وقصد لندن على الفور ليطالب الإنكليز بالوفاء، فاشاروا عليه بالتفاهم مع فرنسا، فعاد إلى باريس ثانية بعد ما تبين عدم فائدة الإقامة في لندن وأدرك أن الإنكليز تخلوا عنه مقابل الموصل وفلسطين وشرقي الأردن، وانصرف على أثر عودته إلى معالجة الحالة التي نشأت عن الجلاء، وأعلن أنه لا يوافق بوجه من الوجوه على احتلال الفرنسيين للاقضية الأربعة، وهي البقاع وبعبك وحاصبيا وراشيا، فقد أُلحقت بموجب معاهدة سايكس - بيكو ببلدان الكبير مع أنها كانت من أعمال ولاية دمشق في العهد التركي، وقد وضعت الدولة العربية الجديدة يدها عليها في ختام الحرب. وقد دارت مفاوضات عديدة بين الأمير والفرنسيين انتهت بالاتفاق على أن تكتفي الحكومة الفرنسية بإرسال ضابط ارتباط إلى بعبك ومثله إلى راشيا، وأن يعدل عن احتلالهما. وكان لفرنسا ضابط ارتباط في دمشق وآخر في حلب. ولا بد لنا من القول أن الفرنسيين طلبوا في أوائل عهد الاحتلال أن يكون لهم ضابط ارتباط في حمص وآخر في حماه، فلم تجبهم القيادة البريطانية إلى طلبهم.

وظهرت العصابات في هذا الدور، وقد لا نعدو الصواب كثيرا إذا قلنا إنه لم يكن لحكومة دمشق يد في إنشائها وتكوينها، وأول ما ظهرت في جبال النصيرية وفي جبل عامل وفي سهل البقاع، ولا نشك في أن لأعمال بعض الموظفين الفرنسيين يدا في تكوينها وإنشائها فقد جاروا على النصيرية، وكانوا في خلاف مع جيرانهم الإسماعيليين، وتعصبوا لهؤلاء وساقوا القوى على النصيرية لقتالهم واخضاعهم فوقفوا في وجههم وقاتلوهم. وحدث مثل ذلك تقريبا في الحولة. فقد اعتدى بعض الجنود على العربان فدافعوا عن أنفسهم وبدلا من أن يعالج ولاة الأمور المحليون هذه الحادثة بالحكمة والروية ساقوا القوى والمدفعية فحرقوا القرى وخرّبوا المنازل والدور، فكان ذلك فاتحة ذلك النضال العنيف في جبل عامل - وقد امتد بضعة أشهر. أما حوادث البقاع فقد نشأت عن محاولة بعض الشبان المتحمسين منع ضابط الارتباط الفرنسي من الدخول إلى بعبك - حسب الاتفاق الجديد - وإعادتهم له وبدلا من أن يعمل الفرنسيون لحل الخلاف مع حكومة دمشق جردوا قوة كبيرة بقيادة الجنرال دي لاموط تقدمت لاحتلال بعبك، فتجمع الأهالي لقتالها

وقاوموها مدة، ولكنها تغلبت عليهم ودخلتها. ونحن فى غنى عن القول أن المنكوبين فى هذه الحوادث الثلاث لجأوا إلى دمشق يسألون حكومتها العون والمساعدة، وأن تأخذ بيدهم. فلم تر أن تتغاضى عنهم - وقد نكبوا فى سبيل وطنهم، فأجرت عليهم الرواتب والأعطيات فشحجهم ذلك، فعادوا ثانية إلى بلادهم طلبا للثأر والانتقام، فكانت فاتحة حروب العصابات، وقد اتسع نطاقها تدريجا بعد ذلك فأزعجت حكومة دمشق وحكومة بيروت على السواء وألحقت بالبلاد وسكانها فادح الأضرار.

وتقدمت المفاوضات فى خلال هذه المرحلة تقدما يذكر بين الأمير والفرنسيين، وتم الاتفاق على مشروع معاهدة تحدد العلاقات بين سورية وفرنسا. وقد حمله فى وطابه وعاد به إلى دمشق. وبدلا من أن يدعو المؤتمر السوري ويعرضه عليه فى جلسة علنية أو سرية ويطلب منه إصدار رأيه فيه سلبا أو إيجابا اكتفى بعرضه على أعضاء جمعية العربية الفتاة، فأجمعت كلمتهم على رفضه وقد فصلنا ذلك تفصيلا. فكف عن عرضه على الهيئات الأخرى، ولو فعل للقى تأييدا فى الغالب. وبينما كان يضرب أخماسا فى أسداس ويفكر فى اختيار الطريق الذى يسلكه. فلا هو قادر على المضى فى الاتفاق نهائيا مع الفرنسيين. سيما وقد خذله الإنكليز وتخلوا عنه - فى نفس الوقت الذى خسر فيه الرئيس ولسن نفوذه ومقامه، وقد كان عضده الأكبر والمستند الذى يستند إليه، ولا هو قادر على مجافاة إخوانه الوطنيين الذين عملوا معه منذ ابتداء الحركة وأخلصوا الخدمة، والتخلوا عنهم، والتعاون مع الفرنسيين. لأنه ما كان يجهل أن اتفاقية معهم قد يعرضه لعداء أولئك وخصومتهم. سيما ولم يكن واثقا من إخلاص الفرنسيين ولا معتقدا فيهم الوفاء بعد كل ما جرى - نقول بينما كان على هذه الحال أوحى إليه بعض رجال سورية النازحين إلى مصر أن الطريقة المثلى لحل القضية السورية هى إعلان استقلال سورية وإنشاء دولة فى ربوعها، وجعل أوروبا أمام حالة مبرمة لا ترى لها بدا من التسليم بها وإن عارضت فى الابتداء، فلقبت هذه الفكرة ارتياحا. وما هى إلا أيام حتى نفذت، فاجتمع المؤتمر السوري وأعلن الاستقلال ونادى به ملكا على البلاد وأنشأ حكومة برلمانية دستورية، وألف لجنة لوضع دستور مستمد من أحدث المبادئ العصرية. ولقد قوبل ما تم بعدم الارتياح من جانب الإنكليز والفرنسيين، وأبلغوا الأمير أنهم لا يقرونه ولا يوافقون عليه، ولم تمض خمسة أسابيع حتى اجتمع مؤتمر الحلفاء فى سان ريمو فقرر تجزئة البلاد العربية بين إنكلترا وفرنسا

فاختص هذه بالشام ساحلا وداخلا. كما اقتصت تلك بالعراق وفلسطين. فئاتر ذلك ثائر الشعب، وقام الناس فى دمشق وبغداد والقدس وحلب وبيروت ومكة وقعدوا لهذا النبأ الخطير، وعدوه برهانا حسيا على تمسك باريس ولندن باتفاق سايكس - بيكو. وإصرارهما على تنفيذها واقتسام بلاد العرب. فسرت فكرة الدفاع، وأجمع الرأى العام على المطالبة بإعداد القوى لمقاومة قرار المؤتمر. وكان العراق يتمخض بشورته. وكان الترك ينازلون الفرنسيين على حدود سورية الشمالية. وما هى إلا أيام حتى استقالت أو أقيلت الوزارة الركابية، وحلت محلها الوزارة الأتاسية، وقد جعلت الدفاع شعارا لها، ونادت بأنها من الدفاع وإلى الدفاع وأنها لم تؤلف إلا للدفاع.

ولا ريب أن منطوق كلمة الدفاع يوحى بإعداد المعدات وشراء الأسلحة، وحشد الجند وإكمال التأهبات. فهل فعلت الوزارة الدفاعية شيئا من ذلك؟ وهل أعدت المعدات المطلوبة وهل قصرت فى أداء الواجب أم لم تقصر؟ هذا ما نحاول الإجابة عنه هنا مثيرين بحثا لم يثر حتى الآن. فقد لا يخلو ذلك من فائدة. وقد يساعد على تنوير الرأى العام. فيذكر للمحسن إحسانه، وللمقصر تقصيره.

والكلام على الدفاع وشؤون الدفاع يجر إلى البحث عن وزارة الحربية فى الدولة الفيصلية، وعن الذين تقلدوها فى ذلك العهد، وهم أربعة أولهم ياسين الهاشمى وآخرهم يوسف العظمة، وبينهما مصطفى نعمت ورضا الركابى وعبد الحميد القلطقجى. فقد تقلد الهاشمى هذه الوزارة على أثر إنشاء الحكومة الجديدة فى شهر اكتوبر سنة ١٩١٨ وكانت تسمى رئاسة ديوان الشورى الحربى، وظل يديرها حتى قبض عليه الإنكليز ونفوه إلى الرملة (فلسطين) يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ فحل محله بالوكالة مصطفى نعمت، وظل يتقلدها حتى يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٢٠ ففيه عين على رضا الركابى مديرا للحربية (حلت محل ديوان الشورى الحربى). وقد ظل فى هذا المنصب حتى أُلّف وزارته يوم ٨ مارس من تلك السنة فتقلد هذا المنصب اللواء عبد الحميد القلطقجى وظل فيه حتى يوم ٣ مايو سنة ١٩٢٠ فحل محله يوسف العظمة. وعلاوة على هذا فقد تقلد يوسف منصب رئاسة هيئة أركان الحرب للحكومة العربية من يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ أى يوم إنشاء مديرية الحربية وتعين رضا الركابى مديرا لها. ومعنى ذلك أن يوسف بحكم تقلده رئاسة هيئة أركان الحرب أولا، ووزارة الحربية أخيرا سيطر على هذه الوزارة زهاء ستة أشهر ونيف كان فيها

الأمر الناهى، سواء فى زمن رئاسة هيئة أركان الحرب أو وزارته. فقد كان الكل فى الكل وكان يستمد السلطة من الملك مباشرة. أى أن هذه الوزارة انحصرت فى يد هذين الاثنين: الهاشمى والعظمة، وهما المسؤولان عنها مباشرة هذا تقلدها ١٤ شهرا ونيفا وذاك تقلدها ٦ أشهر فلتنظر فيما أعدها من عدد وتدابير.

لقد سرح الهاشمى فى زمن رئاسته الجيش الشمالى (جيش الثورة) وأنشأ المؤسسات الفنية. فأعاد المدرسة الحربية. كما نظم مكاتب الديوان ومصالحه، ووضع القواعد والأسس لإنشاء ثلاث فرق، ولما كانت الخدمة العسكرية اختيارية فى هذا العهد فقد كان عدد الجيش العامل كله لا يزيد عن ثلاثة آلاف. كما أن مخازن الجيش ظلت فارغة من البنادق والمدافع والذخائر تقريبا. فلم يعر هذا الأمر ما يستحقه من اهتمام. فى حين أن الأموال كانت متوفرة لدى تلك الحكومة. فقد كانت تتناول من السلطة البريطانية خلال السنة الأولى ١٥٠ ألف جنيه شهريا. فى حين أن عدد الضباط الفنيين لم يكن غير قليل، وكانت رواتبهم تستغرق معظم ميزانية وزارة الحربية.

وكان منطق الحوادث يوجب على وزارة الحربية أن تعنى فى العهد الثانى - عهد يوسف العظمة، وقد جىء به من بيروت لينظم الجيش، وأطلقت يده فى العمل، ومنح سلطة لا حد لها - بالإصلاح والتنظيم وإعداد المعدات للكفاح. سيما بعد ما تبدل الحال وظهرت نيات الإنكليز والفرنسيين، وتبين اتفاقهما وثبت أنهما يعملان سويا لاقتسام البلاد، وتنفيذ خططهما، وارتفعت الأصوات من كل ناحية بإعداد معدات الدفاع والاستعداد للنضال والكفاح.

والعمل البارز الذى عمله يوسف العظمة فى هذه الفترة استصداره قانون الخدمة الإجبارية. وقد نشر فى شهر مارس - أى بعد تقلده الرئاسة، فارتفع بذلك مجموع الجيش إلى ثمانية آلاف بدلا من ثلاثة. أما التسليح فقد أهمل فى هذا العهد. كما أهمل فى العهد السابق، وظلت مخازن الجيش فارغة، وظلت معداته ناقصة. فما كان يملك أكثر من ١٥ ألف بندقية ونحو ٥٠ مدفعا. ويجب أن لا ننسى أن هذه البندقيات كانت مختلفة الطراز ومثلها المدافع. أما القذائف فكانت قليلة جدا ومثلها القنابل، وما كان عددها يزيد عن ٢٥٠٠ قنبلة بنسبة ٥٠ لكل مدفع و٢٥٠ قذيفة لكل بندقية. ومن الغريب أنه لم يعر أحد من رجال تلك الدولة، ولا من أقطابها قضية التسليح اهتماما، ولم يدر أى بحث بشأنها. ولعل منشأ ذلك ما كان يتمتع به اللذان قاما على رأسها من ثقة كبيرة.

ولما بدأ الفرنسيون بحشد قواهم العظيمة فى بيروت واسكندرونة استعدادا للضربة الكبرى وجاءت الأخبار الرسمية إلى مصلحة الاستخبارات فى الجيش بأن الفرنسيين نقلوا معسكراتهم من ضهور الشوير إلى المريجيات، ثم تقدموا إلى البقاع، وضعت هذه المصلحة تقريرا مفصلا عن الحالة العسكرية اقترحت فيه إخلاء جميع المناطق فى داخل البلاد وحشد الجيش كله فى حوران، تحت ستار القيام بمناورة كبيرة والعناية بإعداد جيش لا يقل عن خمسة عشر ألف جندى، ليتسنى الدفاع، وقالت إن بقاء قوى الجيش مبعثرة فى حلب وحمص وحماء يضعفها ويؤدى إلى القضاء عليها، ولما تلى هذا التقرير فى جلسة مجلس الوزراء يوم ٢٩ يونيو - أى قبل وصول الإنذار النهائى بخمسة عشر يوما فقط قرر المجلس عدم الأخذ به. لأنه يزعم الفرنسيين، ويفتح بابا للقليل والقال. فأهمل، وظل كل شىء على حاله. وبعد انقضاء أيام قليلة على هذا الحادث زار قنصل إيطاليا فى دمشق جلالة الملك. وقال له إن المعلومات الرسمية التى تلقاها تثبت له أن الفرنسيين يملكون فى سورية نحو ٧٠ ألف جندى، وأنهم يريدون احتلال دمشق، وأن قواهم الكبرى محتشدة فى اسكندرونة.

ولم ينكشف أمر الجيش إلا بعد ١٥ يوليو سنة ١٩٢٠ أى بعد وصول إنذار الجنرال غورو، ولم يكلف أحد نفسه مؤونة البحث عن حالته، وربما عد ذلك من الأسرار العسكرية الخطيرة التى لا يجوز لأحد الاطلاع عليها. وبعثت أنه لولا الهاشمى لظل أيضا أمره مكتوما، فقد اغتنم فرصة تعيينه لقيادة منطقة دمشق فذهب إلى الأمير زيد، وأطلعه على الحالة - كما وصفنا من قبل - فذهب إلى أخيه فدعى المجلس الحربى إلى الاجتماع، ولما عرف يوسف العظمة ما وقع «قال لقد كشفنا ياسين، وانتهى كل شىء»، ولم يعد بإمكاننا أن نعمل شيئا» ثم اعترف بعد ذلك لجلالة الملك بأنه كان «يناور» وأنه ما كان يعتقد أن الحالة ستصل إلى حرب مع الفرنسيين. ولا ريب أن ظهور ما ظهر زاد الفرنسيين صلابة وشدة، وما كانت تخفى عليهم خافية مما يجرى فى مكاتب دمشق - كما اضطر الحكومة إلى قبول الإنذار على المنوال الذى بسطناه - مما أدى إلى وقوع تلك الكارثة المريعة، وقد كان فى الإمكان اتقاؤها لو سارت الأمور فى غير هذا الاتجاه، ولو رسمت تلك الحكومة لنفسها خطة تسير عليها وتنفذها بعد اتفاق الفرنسيين والإنكليز نهائيا وبعد صدور قرار سان ريمو - بدلا من الاستسلام إلى تيارات متناقضة وآراء متباينة. فقد كان رجال تلك الحكومة - وخصوصا الوزارة الآتاسية - مزيجا من عناصر متباينة فمنهم الدفاعى

المتطرف الذى لا يرضى بما دون طرح فرنسا فى البحر، ومنهم المستسلم الذى يرى أن السلامة كل السلامة هى فى قبول الانتداب والتسليم للفرنسيين، والجلوس فى أحضانهم. يؤيد ذلك قبول معظمهم العمل فى الوزارة الدروبية التى تألفت غداة ميسلون لتنفيذ مبادئ الانتداب. فقد كان رئيسها عضوا نافذا فى الوزارة الدفاعية، وكان يتقلد منصب وزارة الداخلية، وهو من أكبر المناصب. وقل مثل ذلك عن كثيرين من رجال ذاك العهد. والذين رفضوا التعاون مع الفرنسيين، هم عصابة قليلة جدا ويعدون على الأصابع.

هذا من جهة واحدة. أما من جهة الأخرى فيجب أن نعترف بأن الفرنسيين نشطوا نشاطا زائدا فى خلال الدور الثانى - أى بعد اتفاقهم مع الإنكليز وإطلاق يدهم فى العمل، وبعد صدور قرار مؤتمر سان ريمو وانسحاب الأميركان - إلى نشر الدعاية وإنفاق الأموال والاستكثار من الأنصار والأعوان، وشراء الذمم والضمان. ويقدر بعض العارفين ما أنفقه الفرنسيون على الدعاية وحدها فى تلك الفترة بثلاثمائة مليون فرنك - نحو ثلاثة ملايين جنيه بعملة ذاك العهد، اشتروا بها ضمائر كثيرين من ذوى المقامات، كما استمالوا آخرين بالوعود التى بذلوها لهم، فكانت لهم لجنة كبيرة فى دمشق تعمل بإشراف معتمد مهمتها تثبيط العزائم، ونشر الدعاية الفرنسية، واستمالة الجماهير. وكانت تضم عددا غير قليل من وجهاء ذاك العهد وأقطابه، وبعض المقربين من الملك وحاشيته. وقد استمالت عددا من كبار الموظفين - كما كان لهم أنصار فى داخل الجيش، وكان هناك شيخ من شيوخ الطرق نصب نفسه لنشر الدعاية الفرنسية، فاستمال بعض المرتزقة من الشيوخ، وكان نطاق حركتهم فى حلب أعم وأوسع، وشبكة اصطيادهم أكبر. وكذلك استمالوا بالأموال الوافرة التى بذلوها أسرا كبيرة فى قضاء الزيدانى وفى البقاع. لا فرق بين السنيين والشيعية. وأرسلوا عصابة كبيرة إلى ميسلون قادها مسلم من وجهاء بيروت، وسلحوها بالمسدسات والقنابل غرضها الظاهر التطوع فى الجيش الوطنى لمقاتلة الفرنسيين، ومهمتها الحقيقية إلقاء الذعر والاضطراب فى الجيش، واغتيال الضباط وإرشاد الطائرات إلى أماكن المدفعية، وقد اعتقل رجالها فى حالة الجرم المشهود، ووضعت الأصفاد والأغلال فى أعناقهم وأرجلهم وأرسلوا إلى دمشق لحاكمتهم، وكذلك قبض على آخرين وهم يقطعون الأسلاك التليفونية والبرقية بين دمشق وميسلون، وبينها وبين المناطق الأخرى يوم الزحف الفرنسي واستمالوا عددا غير قليل من زعماء الدروز فى حوران فكان نصف الجبل فى

أيدى أنصارهم تقريبا، واستمالوا عددا من مشايخ الحوارة ومن شراكسة القنيطرة وحمص ومن الصحافيين والضباط وبعض النواب وهكذا شقوا الصفوف وثبطوا الهمم وألقوا الاضطراب والذعر بما بثوه من دعايات منظمة، وقد وجهت إلى الحكومة القابضة على ناصية الحال يومئذ انتقادات شديدة لإهمالها وتراخيها فلم تغن قتيلا.

فإذا أضفنا هذه العوامل إلى التردد الذي كان يسود دوائر الحكومة، وعدم وجود سياسة صريحة ثابتة لها. فقد كانت تتظاهر أونة بالميل إلى الفرنسيين، ثم تعرض عنهم، ثم تنادى بأنها دفاعية من دون أن تعد للدفاع عدته، ثم تقبل إنذار الفرنسيين ثم ترفضه ثم تعلن الحرب عليهم ثم تنكره، ثم تسعى للتقرب اليهم - أدركنا السر في سقوطها فحالة مثل هذه لا يمكن أن تدوم، وحكومة كهذه الحكومة لا يمكن أن تعيش. فلا بد من انقراضها وهو ما وقع. فالبقاء للأصلح، والأفضل سنة الله في خلقه. وزاد الطين بلة انهزام الأمير عبد الله بن الحسين في تربة يومئذ والقضاء على ما للحكومة الهاشمية من قوى والتجائها إلى الإنكليز لرد ابن سعود عن مكة مما أفقدها كل هيبة ومقام، وأطمع الفرنسيين فزادوا في الضغط على فيصل، ومضوا في تنفيذ خططهم لاعتقادهم انه أصبح وحيدا لا سند له. فلا حكومة مكة قادرة على إنجاده ومساعدته بعد ما أضاعت كل شيء، ولا الإنكليز يمدون إليه يدا بعد ما باعوه ببتروال الموصل وأموال اليهود، ولا هو قادر على ضبط الموقف في دمشق بعد ما أفلت من يده. لما كان يغشى سياسته من اضطراب - كما أن حالة الجيش ما كانت تمكنه من مواصلة القتال والصدام. بعد ما تبين أن مخازنه فارغة، وأن كل ما يملكه من عتاد لا يكفي لمعركة واحدة تمتد بضع دقائق، وأن المسؤولين عنه قصروا في إعداده وتنظيمه.

فهذه الاعتبارات وغيرها عجلت في يوم ميسلون. وألبست العرب ثوب الحداد على دولة كانت يرجى أن يكون لها شأن عظيم في نهضتهم الحديثة، وفي إدراك أمانهم وكانت النكبة الثانية التي نكبوا بها في حركتهم الجديدة، أما الأولى فهي مظالم جمال باشا، وقد أفقدتهم نخبة ممتازة من رجالهم الأكفاء المتعلمين. الذي كان يرجى منهم خير كبير لأمتهم. ونعيد هنا ما قلناه في متن هذا الجزء، وهو أن إعلان الثورة في العراق وانتصار الثوار على الإنكليز واستيلائهم على مدن الفرات وقواعده - في نفس الوقت الذي كان فيه الجنرال غورو يقوض حكومة دمشق - وما تكلفت به هذه الثورة من فوز ونجاح خفف عن

العرب بعض الأمام وأحزانهم، وهون مصابهم، فقد استبدلوا دولة بدولة. ونقلوا مركز العمل من دمشق إلى بغداد.

ومما لا ريب فيه أن قيام الحكومة الفيصلية فى الشام أثر أثرا كبيرا فى العراق، وشجع الحركة الوطنية التى ظهرت فى ربوعه، وقد كان لرجال هذه الحكومة يد لا تنكر فى تنميتها وتعزيزها - سواء بما كانوا ينشرونه من رسائل ومنشورات، وسواء بما كانوا يبذلونه من أموال. فقد عرفنا من أوثق المصادر أن جمعية العربية الفتاة دفعت للثورة العراقية ٤٥ ألف جنيه، ودفعت حزب الاستقلال ٢٥ ألف جنيه، ودفعت الأميران فيصل وزيد مالا يقل عن ٣٠ ألف جنيه لزعماء الحركة السياسية من العراقيين أنفقت على إعداد ثورة العراق، وعلى تجهيز العصابات وتآليفها، وعلى طبع المنشورات وإرسال الرسائل.

ويرى معظم الذين كتبوا فى الثورة العراقية من العراقيين أن الثورة نشأت عن عوامل شتى يمكن إيجازها فيما يلى:

- ١- عدم وفاء الحلفاء للعرب بما عاهدوهم عليه.
- ٢- سوء عمل الإدارة العسكرية التى أنشأها الإنكليز فى إبان الحرب، وتمسكوا بها بعد ختامها.
- ٣- الضغط على الحرية الفكرية وعدم السماح بإصدار جريدة وطنية.
- ٤- إلقاء الحكومة بنفسها فى أحضان الذوات والمتنفذين.
- ٥- إنشاء الحكومة الفيصلية فى الشام.
- ٦- إعلان الثورة فى مصر.

ويرى كتاب الانكليز الذين كتبوا فى الثورة العراقية غير ذلك. وقد وضع السير آرنولد ولسن حاكم العراق السياسى فى زمن الثورة بعد اعتزاله العمل كتابا باللغة الانكليزية «A clash of Loyalties» دافع فيه عن سياسته. وقال إنه طلب من حكومته سلطة مطلقة للعمل حينما تفاقم الخطب وتآزمت الحالة. فأرسلوا له الجنرال هداين قائدا عاما للجيش البريطانى فى العراق، وبدلا من أن يقيم هذا فى بغداد للإشراف على الحالة وإنتاج ما يراه لازما من التدابير نزع إلى جبال كراند فى إيران هربا من حر الصيف فى العراق، واتخذها مقرا لقيادة الجيش.

وكذلك طلب تعليمات صريحات من حكومته ينفذها ويسير عليها فلم ينل أجوبة صريحة. وكانوا يقولون له انتظر إلى أن يتم عقد الصلح بيننا وبين الترك وإياك أن تقدم على عمل قبل تقرير الانتداب، ودارس رغائب الأهالي جيدا. ومما شكاه منه في كتابه قلة عدد الجند في العراق قبل الثورة. فقد كان لا يزيد عن ٤٠ ألفا مما أطمع العرب.

ووضع الجنرال السير المرهلدين كتابا عن الثورة سماه «الثورة العراقية» فذهب إلى أن قيام الحكومة الفيصلية في الشام وتقلد العراقيين وظائف عالية فيها كان من جملة العوامل في تكوين الثورة العراقية. فقد طمعوا في إنشاء حكومة عربية في بغداد. فشرعوا يبتئون الدعوة لاستقلال العراق، وبدأت الدعاية تتسرب من سورية إلى العراق منذ شهر إبريل سنة ١٩١٩ فأثرت في العراقيين. ولا سيما في سكان شواطئ الفرات الأدنى. وعنده أن احتلال دير الزور وتساهل الإنكليز بأمره، وتسليمه للحكومة الفيصلية كان من العوامل الأصلية في تكوين الثورة. وقال إنه قد لا يكون مبالغا إذا اعتقد أنه لو استرد الإنكليز هذا اللواء لما حدثت الثورة.

وانتقد الجنرال الإدارة البريطانية في إبان الاحتلال انتقادا مرا - كما انتقد استخدام ضباط غير مجربين فصلوا من الجيش بعد الهدنة واستخدموا مساعدين للحكام السياسيين، ومعظمهم لا يعرف الشعب الذي قدر له أن يحكمه، واعترف بأن الحكم الجديد وقد كان مبنيا على اختبار سابق في الهند كان شديد الوطأة على أهل البلاد الذين لم يتعودوا عليه، وما كانوا مستعدين لقبوله.

وعدد من أسباب الثورة نقمة أصحاب العقار من المسلمين واليهود والنصارى على الحكومة الذين صادرت بيوتهم أثناء الحرب، ودفعت عنها أجورا زهيدة - بعكس البيوت التي لم تصادر - فقد ارتفعت أجورها ارتفاعا زائدا حرم منه أصحاب العقار. فنقموا على الحكومة الجديدة، وتمنوا زوالها. وكذلك كان شأن أصحاب الأراضي. فقد عضدت الحكومة شيوخ القبائل اكتسابا لتعويضهم. فسلبوا الأهالي أراضيهم.

وعدد منها أيضا نقمة موظفي الحكومة السابقة. لأن الحكومة الجديدة أخرجتهم من وظائفهم، يضاف إلى هذا أن التقاعد التي خصصت لبعضهم كانت ضئيلة.

أما المس بيل. وهي من أكثر الإنكليز تضلعا في الشؤون العراقية فتقول في كتابها إن وعود الحلفاء وقيام الحكومة الفيصلية كانا في مقدمة العوامل التي كونت الثورة. ومما قالته

فى هذا الشأن «وطرأت على أفكار العراقيين طوارئ جديدة بعد اطلاعهم على مبادئ
ولسن الأربعة عشر، وقد أذاعتها شركة روتر يوم ١١ أكتوبر سنة ١٩١٨ فى العراق، وعلى
منشور الحكومتين الإنكليزية والفرنسوية يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ وكان العراقيون قبل
ذلك يذعنون لكل قرار يصدر، ولكل تدبير يدبر، وقد فتح هذا المنشور باب مشكلات عديدة
تعذر حلها.

«وكذلك جاء إنشاء الحكومة الفيصلية فى الشام صغنا على إباله فقد كان أكثر رجال
هذه الحكومة من العراقيين الذى يعتقدون أنهم انما حاربوا فى سورية ليحرروا وطنهم
وكانوا قد ألقوا قبل حرب معان جمعية دعوها جمعية العهد العراقى^(١) وكانت غاية هذه
الجمعية استقلال العراق واتحاده بسورية المستقلة برئاسة بيت الشريف، وكان يديرها
ياسين باشا البغدادي الذى أسر عند سقوط الشام^(٢) وأخذ على عهده بث الدعوة الوطنية،
وإيجاد حركة سريعة فى العراق، ولم تتحقق مقدار مساعدة فيصل لها.

«وهنا لك عامل آخر وهو رجوع طائفة كبيرة من الموظفين البغداديين الذين رافقوا
الجيش التركى فى انسحابه إلى الموصل، فخلقت لهم الحكومة التركية وظائف اسمية فى
الموصل، ولما رجعوا بعد الهدنة كانوا مشبعين بشعور العداء للإنكليز فنشروهم».
ومما سمعناه خلال زيارتنا للنجف الأشرف فى شهر نوفمبر سنة ١٩٣٣ ولم يسجله
كتاب الثورة العراقية - وهو فى نظرنا من العوامل الجوهرية - ما حدث فى شهر مارس
من سنة ١٩١٩ أى بعد أن بسط الإنكليز نفوذهم السياسى على النجف، واحتلوا الفرات
احتلالا عسكريا. فقد استاء الكابتن مارشال أول حاكم إنكليزى للنجف لأن بعض الشبان
لم يقفوا له أثناء مروره بالشارع العام. فأمر باستدعائهم وجلدهم عقابا لهم، فكبر ذلك
عليهم، وكان له أسوأ وقع فى النفوس، وكان من أثره أن تأمر بعض النجفيين عليه وقتلوه
- وقد أشرنا إلى هذه الحادثة فى مكانها.

والخلاصة أن للعراقيين الذين كانوا فى سورية بعد الهدنة - لا فرق بين الذين كانوا
فى جيش الثورة العربية، وبين الذين انضموا إليهم بعد دخول الشام يدا كبيرة فى إعداد
الثورة وتكوينها. سواء باشتراكهم فى احتلال دير الزور، وبتنظيمهم حركة الجمعيات

(١) ألفت جمعية العهد العراقى قبل الحرب العظمى، ثم جددت بعد ختامها، وقد نشرنا تاريخها «انظر المجلد الأول
والثورة العراقية فى هذا المجلد».

(٢) كان ياسين باشا حين حروب معان قائدا للفيلق التركى الثامن الذى يقاتل الإنكليز فى شونة نمرين (وادي الشريعة)
وقد ارتد مع الترك حين انسحابهم فى سبتمبر سنة ١٩١٨.

السياسية العاملة فى الداخل، ومدتها بالأموال - وسواء بإرسالهم الصحف والمناشير والكتب وتنشيطهم حركة الدعاية، وسواء بتأليف العصابات - وقد كانت أول من فتح باب الحرب وقاتل الانكليز فى شمال العراق وانتصر عليهم - وأدار الفراتيون رحى الثورة وقاموا بأعبائها عند مانادى مناديتها وقام سوقها . فلم يحجموا ولم يتقهقروا، وقاتلوا واستبسلا ولم يلقوا السلاح إلا بعد ما نالوا عهداً صريحة من الإنكليز بإجابة مطالب البلاد وتحقيق أمانيتها وإقامة حكومة عربية فى ربوعها . ولا نرتاب فى أنه لولا هذه الثورة لما عدل الإنكليز شيئاً من خططهم وأساليبهم، ولأبقوا النظام الإدارى القديم الذى أنشأوه، ولأرغموا العراقيين على قبوله وألّفوا حكومة إنكليزية يرأسها السير برسى كوكس طبقاً للتعليمات التى صدرت فى سنة ١٩١٨ . بيد أن الصدمة التى صدموا بها والفشل الذى لحق بهم جعلهم يعدلون عن هذه السياسة ويميلون إلى التساهل مع العرب لإرضائهم من ناحية، وللتخلص من النفقات الباهظة التى كانوا ينفقونها من جهة أخرى . فقد بلغت فى سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١ نحو ١٢٥ مليون جنيه وزعت كما يأتى:

١- ٥٥ مليون جنيه نفقات الجيش العادية.

٢- ٢٩ مليون جنيه ونصف مليون لنفقة الحرب

٣- ٤٤ مليون جنيه ونصف مليون لتجهيز الجيوش المحتلة.

وقد خفضت هذه النفقات فى السنة الأولى لإنشاء الحكومة الوطنية إلى ٣٠ مليوناً من الجنيهات للجيش، وخمسة ملايين للإدارة المدنية. وخفضت فى السنة الثانية إلى عشرين مليوناً، وظل التخفيض مستمراً سنوياً على هذه النسبة، ولا يزيد فى الوقت الحاضر عن بضع عشرات من الألوف ينفقونها على المطاردين فى الحبانية وفى منطقة البصرة.

ومع ما ناله العرب من فوز فى العراق بإنشائهم هذه الدولة فى ربوعه إلا أن ما استردوه فى بغداد لا يعادل ما خسروه فى دمشق. ومعنى ذلك أن كفة الفوز والنجاح لم تكن هى الراجحة فى خلال المرحلة الثانية من مراحل القضية العربية. نعم إن إنشاء هذه الدولة وقيامها مما لا يستهان به، ولكنه على كل حال لا يعادل نكبة ميسلون، وقد قسمت على أثرها سورية إلى ست دويلات: دولة فلسطين، وإمارة شرقى الأردن ودولة لبنان الكبير، ودولة دمشق، ودولة جبل الدروز، ودولة العلويين، ودولة حلب، وتوطدت أقدام اليهود فى فلسطين، ولو فاز العرب فى ذاك الميدان وثبتوا لما حدثت هذه الحوادث المريعة - والأمر لله من قبل ومن بعد.

فهرست الجزء الثانى

صفحة

٧	الدولة الفيصلية فى الشام
٩	كيف تأسست الدولة الفيصلية؟
١٠	الأعمال العسكرية فى الشمال
١١	الأمير فيصل فى حلب
١٢	تصريح ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨
١٦	التقسيم الإدارى الجديد
١٧	شكرى باشا الأيوبى فى بيروت
١٧	اتفاق ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٨
١٨	الاحتلال الفرنسى لسورية الساحلية
٢٠	العرب ومؤتمر الصلح - سعى الفرنسيين لمنع العرب من دخوله
٢٤	الأمير فى المؤتمر
٢٥	المؤتمر يقرر مبدأ الاستفتاء
٢٨	المؤتمر يرسل لجنة تحقيق دولية
٢٩	الأمير فى بروكسل ورومية
٣٠	الأمير فى سورية - أقواله وخطبه
٤٠	الحالة فى سورية بعد عودة الأمير - نشاط الحركة الوطنية
٤٠	جمعية العربية الفتاة
٤١	حزب الاستقلال العربى
٤٢	حزب العهد السورى

٤٢ حزب الاتحاد السورى
٤٥ العهد البريطانى للسوريين السبعة
٤٦ الحزب الوطنى السورى
٤٧ الجمعية العربية الفلسطينية
٤٨ الحزب السورى المعتدل
٤٩ الأندية العربية
٤٩ السعى للتفاهم بين الأمير وفرنسا
٥٠ دعوة مؤتمر سورى عام
٥٢ وصول اللجنة الأميركية ومطالب البلاد
٥٦ تقرير اللجنة الأميركية
٨٩ اتفاق لويد جورج وكلمنصو، وسفر الأمير ثانية إلى أوروبا
٩٥ الجنرال غورو يعين لقيادة جيش الشرق
٩٧ جلاء الجيش الإنكليزى وتدابير الحكومة الفيصلية
٩٧ بيان الحكومة السورية فى المؤتمر
٩٩ منشور المؤتمر إلى الأمة
١٠٠ بلاغ الأمير زيد
١٠١ الفرنسيون يتقدمون لاحتلال بعلبك ورياق
١٠٣ اتفاق الأمير وكلمنصو على تأجيل الاحتلال
١٠٤ أول معركة فى بعلبك
١٠٦ تنظيم الدفاع الوطنى وإقرار الخدمة الإلزامية
١٠٦ إنشاء لجنة الدفاع الوطنى

- ١٠٨ اعتقال الهاشمي وإبعاده إلى الرملة
- ١١٠ العصابات في المنطقة الغربية - حادث بعلبك
- ١١١ حادث الحولة
- ١١٣ حركة تل كلخ
- ١١٦ مزرعة الشوف
- ١١٧ حوادث النصيرية
- ١١٨ حوادث دير الزور
- ١٢٠ حوادث انطاكية والحمام
- ١٢٠ حوادث الجزيرة الفراتية
- ١٢٠ الترك يعودون إلى النضال
- ١٢٢ عودة الأمير فيصل من أوروبا، وبيان عن مفاوضاته مع الفرنسيين
- ١٢٣ مشروع فيصل - كلمنصو
- ١٢٦ الأمير في دمشق
- ١٢٩ تأليف الحكومة الجديدة
- ١٣٠ عرض المشروع على الهيئة العاملة للفتاة ورفضه
- ١٣١ المناداة بالاستقلال وإعلان الملكية ٧ مارس ١٩٢٠
- ١٣٤ قرار المؤتمر السوري بإعلان الاستقلال
- ١٣٧ كلام الملك
- ١٣٨ تأليف أول وزارة سورية وبيانها
- ١٤٣ صدق إعلان الاستقلال
- ١٤٣ جلالة الملك والطفاء

١٤٨	الوزارة الدفاعية وكيف تألفت
١٥١	تدابير الوزارة وخططها
١٥٢	حروب الترك في كيليكية
١٥٣	الملك فيصل والانتداب
١٥٦	الهدنة بين الترك والفرنسيين
١٥٩	حادث مجلس إدارة لبنان
١٦٣	إلغاء مجلس الإدارة
١٦٥	الإنتذار الفرنسي الأخير إلى الملك
١٦٧	مذكرة الملك إلى الحلفاء
١٧٠	كيف تم احتلال المطقة ورياق
١٧١	نص الإنذار الفرنسي
١٧١	تدابير الوزارة
١٧٨	إعلان الإدارة العرفية
١٨٠	الوزارة أمام المؤتمر
١٨١	معدات الدفاع والتدابير العسكرية
١٨٣	دعوة المجلس الحربى الأعلى
١٨٤	استشارة الإنكليز ورأى اللورد اللنبى
١٨٤	رأى الكولونيل طولاً وكوس
١٨٥	الوزارة تقرر القبول
١٨٧	الاضطرابات فى دمشق
١٩١	الجيش الفرنسي يزحف على دمشق

١٩٣	شروط غورو الجديدة
١٩٤	إعلان الحرب على الفرنسيين
١٩٥	منشور الملك
١٩٦	منشور القيادة العامة
١٩٧	منشور الحكومة
١٩٧	استئناف المفاوضات ومطالب جديدة
١٩٩	قبول شروط الإنذار الأخير
١٩٩	أول بلاغ رسمي عن القتال
٢٠٠	معركة ميسلون
٢٠٣	الانسحاب من ميسلون
٢٠٣	الملك في الميدان
٢٠٤	الجيش الفرنسي في دمشق
٢٠٤	تأليف الوزارة الدروبية
٢٠٥	احتجاجات الملك
٢٠٦	مطالب الفرنسيين الجديدة
٢٠٧	خروج الملك
٢٠٩	احتجاج الحكومة السورية الرسمي
٢١٠	الملك فيصل يغادر دمشق
٢١٢	أحكام النفي والإعدام
٢١٤	مذكرة الملك فيصل إلى الحكومة الإنكليزية

الثورة العراقية الكبرى

٢٤٣	عوامل الثورة ومقدماتها
٢٤٥	حروب الإنكليز فى العراق
٢٤٧	الحرب بين الترك والإنكليز فى العراق
٢٥٢	العراق زمن الهدنة
٢٥٢	وعود الإنكليز الأربعة للعراقيين
٢٥٨	خيبة الآمال
٢٥٩	الاستفتاء السرى
٢٦٣	الجمعية السرية ومضابط التوكيل
٢٦٣	جمعية العهد
٢٦٥	جمعية حرس الاستقلال
٢٦٧	جمعية الشبيبة
٢٦٨	الفرات مهد الثورة
٢٧٠	رفض التعاون مع السلطة
٢٧٠	أول هيئة وطنية
٢٧٠	اغتيال الحاكم مارشال
٢٧١	الفراتيون يوكون الحسين
٢٧٣	العصابات فى دير الزور والموصل
٢٧٣	عصابة جميل المدفعى
٢٧٥	إعلان الاستقلال العراقى، وقرار المؤتمر العراقى العام

٢٨٠	الانتداب للعراق
٢٨١	مندوبو بغداد وطلباتهم
٢٨٢	كتاب المندوبين إلى الحاكم ورده
٢٨٧	الفرات يشارك بغداد
٢٩١	فتوى جديدة
٢٩١	مظاهرات الحلة
٢٩١	السلطة تنشئ حكومة مدنية
٢٩٦	إعلان الثورة - أين أطلقت الرصاص الأولى
٢٩٩	في ميدان الرميثة
٣٠١	في ميدان الشامية
٣٠٢	أول هدنة بين الثوار والسلطة
٣٠٣	معركة الرميثة
٣٠٤	في عفك والدغارة
٣٠٤	الجلء عن الديوانية
٣٠٥	في المساوة
٣٠٨	في الكوفة
٣٠٨	في أعالي الفرات
٣٠٩	في ديالى
٣١٠	في كركوك وأربيل
٣١٢	التنظيم الداخلى فى الفرات
٣١٥	العودة إلى مفاوضات السلام

٣١٩	الثورة في مرحلتها الختامية
٣٢٢	عهد الانتقال - أسباب فوز الثورة العراقية
٣٢٥	الملك فيصل في حيفا
٣٢٦	أعماله في لندن وتدخله في قضية العراق
٣٢٧	احتجاجه على حكومة الانتداب
٣٢٧	مذكرته إلى مؤتمر الشرق
٣٣٢	مفاوضاته الرسمية مع إنكلترا وسفر تشرشل الى مصر
٣٣٣	كيف انشئت الدولة الجديدة - وصول السير برسي كوكس وتدابيره
٣٣٤	حكومة النقيب الأولى
٣٣٦	مؤتمر القاهرة
٣٣٧	منشور العفو
٣٣٩	الملك فيصل في العراق
٣٣٩	كتاب الملك حسين إلى العراقيين
٣٤١	تدابير السلطة البريطانية
٣٤٣	البيعة بالملك
٣٤٦	انسحاب الوزارة
٣٤٨	ملاحظات عامة